

الأغاني

الجزء الخامس



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة الحضرية

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• الدار السنوية الجديدة

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• المطبعة الحضرية

بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١

تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١

صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان
مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو
بأي طريقة، سواء كانت الكترونية أو بالتصوير،
أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من
الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb

E. Mail alassrya@cyberia.net.lb

info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ذكر النابغة الجعدي ونسبه وأخباره والسبب الذي من أجله قيل هذا الشعر

[نسبه وكنيته]

هو - على ما ذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ والقَحْذَميّ، وهو الصحيح - ، حَبَّان بن قيس بن عبد الله بن وَحَّوح بن عُدَس - وقيل ابن عمرو بن عُدَس مكان وحوح - ابن ربيعة بن جَعْدَة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هَوَازن بن منصور بن عكرمة بن خَصْفَة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر. هذا النسب الذي عليه الناس اليومَ مجتمعون. وقد روى ابن الكلبيّ وأبو اليقْظان وأبو عُبَيْدة وغيرُهُم في ذلك رواياتٍ تُخَالِفُ هذا، فمنها أَنَّ ابن الكلبيّ ذكر عن أبيه أن خَصْفَة الذي يقول الناس إنه ابن قيس بن عَيْلان ليس كما قالوا، وأنَّ عكرمة بن قيس بن عَيْلان وخَصْفَة أمه، وهي امرأة من أهل هَجَر. وقيل: بل هي حاضنته؛ وكان قيس بن عَيْلان قد مات، وعكرمة صغير فَرَبَّتُهُ حتى كَبُرَ، وكان قومُهُ يقولون: هذا عكرمة بن خَصْفَة، فبقيت عليه، ومن لا يعلم يقول: عكرمة بن خَصْفَة بن قيس، كما يُقَالُ خِنْدَف، وإنَّما هي امرأة وزوجها إلياس بن مضر. وقالوا في صَعْصَعَة بن معاوية: إِنَّ الناقمية^(١) بنت عامر بن مالك، وهو الناقم، سُمِّيَ بذلك لأنَّه انتقمَ بِلَطْمَةٍ لُطِمَها، وهو ابن سعد بن جَدَّان بن جَدِيلَة بن أسد بن ربيعة بن نزار، كانت عند معاوية بن بكر بن هَوَازن فمات عنها أو طلقها وهي نَسَاء^(٢)، فتزوَّجها سعد بن زيد مناة بن تميم، فولدت على فراشِهِ صَعْصَعَة بن معاوية، ثم ولدت هُبَيْرَة ونَجْدَة وجُنَادَة؛ فلما مات سعد اقتسم بنوه الميراث وأخرجوا صَعْصَعَة منه، وقالوا: أنت ابن معاوية بن بكر؛ فلما رأى ذلك أتى بني معاوية بن بكر فأقرَّوا بنسبه ودفعُوهُ عن الميراث؛ فلما رأى ذلك أتى سعد بن الظَّرَب العدواني فشكا إليه ما لَقِيَ، فزوَّجَهُ بنت

(١) الناقمية هي رُقَاش بنت عامر وبنوها بطن من عبد القيس نسبوا إلى أمهم.

(٢) نُسِيتِ المرأةُ فهي نَسَاء، إذا تأخَّرَ حَيْضُها.

أخيه عَمْرَة بنت عامر بن الظَّرْب، وأبوها عامر الذي يُقَالُ له: ذو الحِلْم، وعَمْرَة ابنتُهُ هذه هي التي كانت تُقَرَعُ له العصا إذا سها في الحكم، وله يقول الشاعر:

لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقَرَعُ الْعَصَا وَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْلَمَ^(١)

[الطويل]

قال: وكانت عَمْرَة يوم زَوَّجَهَا عَمُّهَا نِسَاءً مِنْ مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ يُقَالُ له: الغافِقُ بن العاصي الأزدي، والمُلْكُ يومئذٍ في الأزد، فولَدَتْ على فراش صَعْصَعَة عامرَ بن صَعْصَعَة، فسَمَّاهُ صَعْصَعَةً عامراً بِجَدِّهِ عامر بن الظَّرْب. وقال في ذلك حبيب بن وائل بن دُهْمَان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هَوَازن:

أَزَعَمْتَ أَنَّ الْغَافِقِيَّ أَبُوكُمْ نَسَبٌ لَعَمْرُ أَبِيكَ غَيْرُ مُفَنَّدٍ^(٢)
وَأَبُوكُمْ مَلِكٌ يُنْتَفُ بِأَسْتِهِ هَلْبَاءُ^(٣) عَافِيَةٌ كَعُفْرِ الْهُدْهِدِ
جَنَحَتْ عَجُوزُكُمْ إِلَيْهِ فَرَدَّهَا نِسَاءً بَعَامِرَكُمْ وَلَمَّا يُوَيْدِ

[الكامل]

ويُكْنَى النابغة أبا ليلي.

وأخبرنا أبو خَلِيفَة عن محمد بن سَلَام قال: هو قيس بن عبد الله بن عَدَس بن ربيعة بن جَعْدَة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وقال ابن الأعرابي: هو قيس بن عبد الله بن عمرو بن عَدَس بن ربيعة بن جَعْدَة بن كعب بن ربيعة، ووافق ابن سَلَام في باقي نسبه. وهذا وَهْمٌ ممن قال: إن اسمه قيس؛ وليس يُشَكُّ في أنه كان له أخ يُقَالُ له وَخُوح بن قيس، وهو الذي قتله بنو أسد؛ وخبره يُذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة.

وأمه فاختة بنت عمرو بن جابر بن شِخْنَة الأَسَدِي.

[سبب لقبه النابغة]

وإنَّما سُمِّيَ النابغةَ لأنه أقام مدَّةً لا يقول الشعر ثم نَبَغَ فقاله. أخبرني

(١) البيت للمتلمس الضبعي، وهو جرير بن عبد العزى، أو عبد المسيح، من بني ضُبَيْعَة، من ربيعة. شاعر جاهلي، من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد. كان ينادم عمرو بن هند ملك العراق، ثم هجاء فأراد عمرو قتله ففرَّ إلى الشام ولحق بآل جفنة، ومات ببصرى، من أعمال حوران في سورية. وفي الأمثال: أشأم من صحيفة المتلمس، وهي كتاب حملة من عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين وفيه الأمر بقتله ففضضه وقُرئ له ما فيه فقذفه في نهر الحيرة ونجا، توفي سنة ٤٣٣ ق. هـ.

(٢) المفنَّد: المكذب.

(٣) الْهَلْبُ: ما غُلِظَ من الشَّعَرِ كَشَعَرِ ذَنْبِ النَّاقَةِ. وَرَجُلٌ أَهْلَبُ: غليظُ شعر ذراعيه وجسده.

الحسين بن يحيى قال: قال حمّاد: قَرَأْتُ عَلَى الْقَحْذَمِيِّ: قال الجعديّ الشعر في الجاهلية ثم أجبل^(١) دهرًا ثم نَبَغَ بعدُ في الشعر في الإسلام. أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: أقام النابغة الجعديّ ثلاثين سنة لا يتكلّم، ثم تكلم بالشعر!

[عمره وشعره فيه]

قال القحذميّ في رواية حمّاد عنه: كان الجعديّ أسنّ من نابغة بني ذبيان. قال ابن سلاّم في رواية أبي خليفة عنه: كان الجعديّ النابغة قديماً شاعراً طويلاً مُفْلِقاً طويل البقاء في الجاهلية والإسلام، وكان أكبر من الذبيانيّ، ويدلّ على ذلك قوله:

وَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِّي فَإِنِّي مِّنَ الْفَتِيَانِ أَيَّامَ الْخُنَانِ^(٢)
أَتَتْ مِئَةً لِّعَامٍ وَلِدْتُ فِيهِ وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ وَحِجَّتَانِ
فَقَدْ أَبَقْتُ خَطُوبُ الدَّهْرِ مِنِّي كَمَا أَبَقْتُ مِنَ السِّيفِ الْيَمَانِي
[الوافر]

قال وعمر بعد ذلك عُمرًا طويلاً. سئل محمد بن حبيب عن أيام الخنّان ما هي؟ فقال: وقعة لهم؛ فقال قائل منهم وقد لقوا عدوّهم: خُنُوهم^(٣) بالرماح، فسُمّي ذلك العامُ الخنّان. ويدلّ على أنّه أقدم من النابغة الذبيانيّ أنّه عُمر مع المنذر بن المُحرّق قبل النعمان بن المنذر، وكان النابغة الذبيانيّ مع النعمان بن المنذر وفي عصره، ولم يكن له قِدَمٌ إلا أنّه مات قبل الجعديّ، ولم يُدرِك الإسلام. والجعديّ الذي يقول:

تَذَكَّرْتُ شَيْئًا قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ وَمِنْ حَاجَةٍ^(٤) الْمَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْذِرِ بْنِ مُحَرَّقٍ أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الْأَرْضِ مُقْفِرَا
كُھُولٌ وَفَتِيَانٌ كَأَنَّ وَجُوهَهُمْ دَنَانِيرُ مِمَّا شِيفَ فِي أَرْضٍ قَيْصَرَا
[الطويل]

(١) أجبل الشاعر: صعب عليه القول.

(٢) الحنّة كالغنّة. والأخن: الأغن، والجمع خن. والمحنّة: الأنف. وفلانٌ مَحْنَةٌ لفلان، أي مأكلة له. ومحنّة القوم: حريمهم. وخنّنتُ الجُلّة، إذا استخرجت منها شيئاً بعد شيء. والخنين كالبكاء في الأنف والضحك في الأنف. وقد خنّ يخنّ. والخنّان: داء يأخذ في الأنف. والخنّان أيضاً: داء يأخذ الطير في حلوقها.

(٣) خنّوهم: اقطعوهم.

(٤) ورد في بعض المصادر: «عادة» بدل «حاجة».

[طائفة من أخباره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالاً: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثَنِي عبد الله بن محمد بن حكيم عمن كان يأخذ العلم عنه ولم يُسم إليّ أحداً في هذا: أَنَّ النابغة عُمَر مائة وثمانين سنة، وهو القائل:

لَيْسَتْ أَنْسَاءُ فَأَفْنَيْتُهُمْ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَنْسِ أَنْسَاءَ
ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ وَكَانَ إِلَهُهُ هُوَ الْمُسْتَأْسَا^(١)

[المتقارب]

وهي قصيدة طويلة، يقول فيها، وفيه غناء:

وَكُنْتُ غَلَاماً أَقَاسِي الْحُرُوبَ وَيَلْقَى الْمُقَاسُونَ مِنِّي مِرَاسَا
فَلَمَّا دَنَوْنَا لَجَرَسِ^(٢) النَّبَاحِ لَمْ نَعْرِفِ الْحَيَّ إِلَّا التَّمَاسَا
أَضَاءَتْ لَنَا النَّارُ وَجْهًا أَغْرَمْتُ بَسًا بِالْفُؤَادِ التَّبَاسَا
[المتقارب]

عَنِّي في هذه الثلاثة الأبيات فُلَيْح بن أَبِي العَوْرَاء خفيف ثَقِيل أَوَّل بالوسطى.

رجع الخبر إلى رواية عمر بن شبة: قال: وقال أيضاً:

أَلَا زَعَمْتُ بَنُو سَعْدٍ بَأَنِّي - أَلَا كَذَبُوا - كَبِيرُ السِّنِّ فَانِي
أَتَتْ مِئَةَ لِعَامٍ وُلِدْتُ فِيهِ وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ وَحِجَّتَانِ

[الوافر]

قال: وأنشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَيْبَاتَهُ التي يقول فيها:

ثلاثة أهلين أَفْنَيْتُهُمْ فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: كم لَبِئْتُ مع كل أهل؟

قال: ستين سنة.

[سمع أعجمي شعره فقال إنه مشؤوم]

وأخبرني بعض أصحابنا عن أَبِي بكر بن دُرَيْد عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عَمِّه قال: أنشد رجلاً من العجم قول النابغة الجعديّ:

لَيْسَتْ أَنْسَاءُ فَأَفْنَيْتُهُمْ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَنْسِ أَنْسَاءَ

[المتقارب]

(١) المستأس: المستعاض والمستعان من الأوس وهو العوض والعطية.

(٢) جرس النباح: صوت نباح الكلاب.

قيل إنه عاش ٢٢٠ سنة

وفسّر له، فقال: «بدين شان بود»، أي هذا رجل مشؤوم. وأما ابن قُتيبة فإنه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمد أنه عمّر مائتين وعشرين سنة، ومات بأصبهان. وما ذاك بِمُنْكَرٍ، لأنه قال لعمر رضي الله تعالى عنه: إنه أفنى ثلاثة قرون كلّ قرن ستون سنة، فهذه مائة وثمانون، ثم عمّر بعده فمكث بعد قتل عمر خلافة عثمان وعليّ ومعاوية ويزيد، وقَدِمَ على عبد الله بن الزُبَيْر بمكة وقد دعا لنفسه، فاستماحه ومدحه، وبين عبد الله بن الزُبَيْر وبين عمر، نحو مما ذكر ابن قُتيبة؛ بل لا أشك أنه قد بلغ هذه السنّ وهاجى أوس بن مغراء بحضرة الأخطل والعجاج وكعب بن جُعيل فغلبه أوس، وكان مُغَلَّباً.

[أنشد النبي شعراً فدعا فيه]

حدّثنا أحمد بن عمر بن موسى القطّان المعروف بابن زَنْجَوِيهِ قال: حدّثنا إسماعيل بن عبد الله السُكْرِيُّ قال: حدّثنا يَعْلَى بن الأشدق العُقَيْلِيُّ قال: حدّثني نابغة بني جعدة قال: أنشدتُ النبي ﷺ هذا الشعر فأعجب به:

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُونَا وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا^(١)

[الطويل]

فقال النبي ﷺ: «فأين المَظْهَرُ يا أبا ليلى»، فقلت: الجنة؛ فقال: «قل إن شاء الله»، فَقُلْتُ: إن شاء الله.

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا

[الطويل]

فقال النبي ﷺ: «أَجَدْتَ لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاك»، قال: فلقد رأيته وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفضّ مِنْ فِيهِ سِنَّ.

[هجر الازلام]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: أخبرني أبو حاتم قال أخبرنا أبو عُبَيْدة قال: كان النابغة الجعديّ ممن فَكَّرَ في الجاهلية وأنكَّرَ الخمرَ والسُّكْرَ وما يفعل

(١) ورد في بعض المصادر «لنرجو» بدل «لنبغي».

بالعقل، وهجر الأزلام^(١) والأوثان^(٢)، وقال في الجاهلية كَلِمَتَهُ التي أولها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمْ يَقُلْهَا فَنَفْسُهُ ظَلَمًا

[المنسرح]

وكان يذكر دين إبراهيم والحنيقية^(٣)، ويصوم ويستغفر، ويتوقى أشياء لعواقبها.

ووفد على النبي ﷺ فقال:

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَةِ^(٤) نِيرًا

وَجَاهَدْتُ حَتَّى مَا أَحْسُ وَمَنْ مَعِيَ سَهِيلًا إِذَا مَا لَاحَ ثُمَّتَ غَوْرًا

أَقِيمُ عَلَى التَّقْوَى وَأَرْضَى بِفِعْلِهَا وَكُنْتُ مِنَ النَّارِ الْمَخُوفَةِ أَوْجَرًا^(٥)

[الطويل]

وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ، وأنشد النبي ﷺ فقال له: «لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكًا»، وشهد مع

علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه صَفَيْنَ.

[استأذن عثمان في سكنى البادية]

وقد ذَكَرَ خبره مع عمر رضي الله عنه؛ وأما خبره، مع عثمان فأخبرنا به

أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حَدَّثَنَا عمر بن شبة قال: قال مسلمة بن

مُحَارِب: دَخَلَ النَّابِغَةُ الْجُعْدِيُّ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

فقال: أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قال: وأين تريد يا أبا ليلى؟ قال:

الْحَقُّ بِبَابِلِي فَأَشْرَبُ مِنْ أَلْبَانِهَا فَإِنِّي مُنْكَرٌ لِنَفْسِي؛ فقال: أَتَعْرُبًا^(٦) بعد الهجرة يا أبا

ليلى! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ مَكْرُوهُ؟! قال: ما علمته، وما كُنْتُ لِأُخْرِجَ حَتَّى أَعْلِمَكَ.

(١) الزَّلَمُ، والزَّلَمُ، وجمعه: أزلام، وهي القداح التي لا ريش لها، كانت العرب تَسْتَقْسِمُ بها عند

الأمور إذا همَّ بها أحدهم، مكتوبٌ عليها: أَفْعَلُ لَا تَفْعَلُ، قال:

فَرَمَى فَأَخْطَأَهُ وَجَالَ كَأَنَّهُ زَلَمَ عَلَى الْأَمَاعِزِ مِنْعَبُ

(٢) الْوَتْنُ: صَنْمٌ يُعْبَدُ، وجمعه: الأوثان والوثن.

(٣) الْحَنِيفُ: الْمُسْلِمُ؛ وقد سَمِيَ الْمُسْتَقِيمُ بذلك كما سَمِيَ الْغُرَابُ أَعُورَ. وَتَحَنَّفَ الرَّجُلُ، أَي عَمِلَ

عَمَلُ الْحَنِيفِيَّةِ، ويقال: اخْتَنَنَ، ويقال: اعْتَزَلَ الْأَصْنَامَ وَتَعَبَّدَ قَالَ جِرَانُ الْعُودِ:

وَلَمَّا رَأَيْنِ الصُّبْحَ بَادَرْنَ صَوْءَهُ رَسِيمَ قَطَا الْبَطْحَاءِ أَوْ هُنَّ أَقْطَفُ

وَأَذْرَكْنَ أَعْجَازًا مِنَ اللَّيْلِ بَعْدَ مَا أَقَامَ الصَّلَاةَ الْعَابِدُ الْمُتَحَنِّفُ

(٤) الْمَجْرَةُ التي في السماء سَمِيَتْ بذلك لِأَنَّهَا كَأَثَرِ الْمَجَرِّ.

(٥) الْوَجَرُ: الْخَوْفُ، تقول: إِنِّي مِنْهُ لَأَوْجَرُ، أَي: خَائِفٌ. . . وقد وَجَرَ وَجَرًا. وفلانة منه وجراء.

(٦) التَّعْرُبُ: وهو أن يعود الرجل كالأعراب يجول في البادية.

قال: فَأُذِنَ لَهُ، وَأَجِّلَ لَهُ فِي ذَلِكَ أَجْلاً، فَدَخَلَ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنَيْ عَلِيٍّ فَوَدَّعَهُمَا، فَقَالَا لَهُ: أَنْشِدْنَا مِنْ شِعْرِكَ يَا أَبَا لَيْلَى؛ فَأَنْشَدَهُمَا:

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمْ يَقْلُهَا فَانْفَسَهُ ظُلْمًا
[المنسرح]

فقالا: يَا أَبَا لَيْلَى، مَا كُنَّا نَرَوِي هَذَا الشَّعْرَ إِلَّا لِأُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ؛ فقال: يَا بَنِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنِّي لَصَاحِبُ هَذَا الشَّعْرِ وَأَوَّلُ مَنْ قَالَهُ، وَإِنَّ السَّرُوقَ لَمَنْ سَرَقَ شِعْرَ أُمَيَّةَ.

قال أبو زيد عمر بن شَبَّه في خبره:

[كان مغلباً ما هاجى قط إلا غلب]

كان النابغة شاعراً مُتَقَدِّماً، وكان مُغْلَباً ما هاجى قطَّ إلا غلب، هاجى أَوْسَ بْنَ مَغْرَاءَ وَلَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ وَكَعْبَ بْنَ جُعِيلٍ فَغَلِبُوهُ جَمِيعاً.

[بدء حديثه]

وقال أبو عمرو الشَّيبَانِي: كَانَ بَدْءُ حَدِيثِ النَّابِغَةِ وَأَوْسَ بْنَ مَغْرَاءَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ لَمَّا وَجَّهَ بُسْرَ بْنَ أَرْطَاةَ الْفِهْرِيَّ لِقَتْلِ شَيْعَةِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَامَ إِلَيْهِ مَعْنُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْأَخْنَسِ السُّلَمِّيَّ وَزِيَادُ بْنُ الْأَشْهَبِ بْنِ وَرْدَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ جَعْدَةَ، فَقَالَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَسْأَلُكَ بِاللَّهِ وَبِالرَّحْمَنِ أَلَّا تَجْعَلَ لِبُسْرِ عَلَى قَيْسِ سُلْطَاناً، فَيَقْتُلَ قَيْساً بِمَنْ قَتَلْتَ بَنُو سُلَيْمٍ مِنْ بَنِي فَهْرٍ وَبَنِي كِنَانَةَ يَوْمَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: يَا بُسْرُ لَا أَمْرَ لَكَ عَلَى قَيْسٍ؛ وَسَارَ بُسْرٌ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَقَتَلَ ابْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَفَرَّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَدَخَلُوا الْحَرَّةَ (حَرَّةَ بَنِي سُلَيْمٍ). ثُمَّ سَارَ بُسْرٌ حَتَّى أَتَى الطَّائِفَ؛ فَقَالَتْ لَهُ ثَقِيفٌ: مَا لَكَ عَلَيْنَا سُلْطَانٌ، نَحْنُ مِنْ قَيْسٍ؛ فَسَارَ حَتَّى أَتَى هَمْدَانَ وَهُمْ فِي جَبَلٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ شِبَامٌ، فَتَحَصَّصَتْ فِيهِ هَمْدَانُ، ثُمَّ نَادَوْا: يَا بُسْرُ نَحْنُ هَمْدَانُ وَهَذَا شِبَامٌ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ؛ حَتَّى إِذَا اغْتَرَّوْا وَنَزَلُوا إِلَى قُرَاهِمَ، أَغَارَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَ وَسَبَى نِسَاءَهُمْ؛ فَكُنَّ أَوَّلُ مُسْلِمَاتٍ سُبِينَ فِي الْإِسْلَامِ. وَمَرَّ بِحَيٍّ مِنْ بَنِي سَعْدٍ نَزُولٍ بَيْنَ ظَهْرَيَّ بَنِي جَعْدَةَ بِالْفَلَجِ^(١)، فَأَغَارَ بُسْرٌ عَلَى الْحَيِّ السَّعْدِيِّينَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَأَسَرَ، فَقَالَ أَوْسُ بْنُ مَغْرَاءَ فِي ذَلِكَ:

(١) الفلج من العروض على حد تأليف الساكن، وهو بلد أربابه جعدة وقشير والحريش بنو كعب والحريش أقل الفرق، ويسمى فلجاً لانفلاجه بالماء أي انفتاحه وهو في أعلى بلد قيس.

مُشْرِينَ ترَعَوْنَ التَّجِيلَ وقد غَدَتْ بأوصال قَتْلَاكم كلابٌ مُزاحم
[الطويل]

- المُشْرِ: الذي قد بسط ثوبه في الشمس. والنجيل: جنس من الحَمْض - فقال النابغة يُجِيئُهُ:

مَتَى أَكَلْتُ لَحْمَ مَكْمُ كِلَابِي أَكَلْتَ يَدِيكَ مِنْ جَرَبِ تَهَامِي^(١)
[الوافر]

[خبره مع أوس بن مغراء]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُباب مما أجاز لنا روايته عنه من حديثه وأخباره مما ذكره منها عن محمد بن سَلَام الجُمَحِيّ عن أبي الغَرَّاف، وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز وحيّيب بن نصر، قالوا: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة عن محمد بن سَلَام، عن أبي الغَرَّاف: أَنَّ النابغة هاجى أوسَ بنَ مَغْرَاء، قال: ولم يكن أوس مثله ولا قريباً منه في الشعر، فقال النابغة: إِنِّي وإياه لَنَبْتَدِرَ بَيْتاً، أَيُّنَا سَبَقَ إِلَيْهِ غَلَبَ صَاحِبُهُ، فلما بلغه قولُ أوس:

لَعَمْرُكَ مَا تَبْلَى سَرَابِيلُ عَامِرٍ مِنْ اللَّؤْمِ مَا دَامَتْ عَلَيْهَا جَلُودُهَا
[الطويل]

قال النابغة: هذا البيت الذي كُنَّا نَبْتَدِرُ إِلَيْهِ. فَعَلَّبَ أوسُ عليه.

قال أبو زيد: فحدَّثني المدائني أنهما اجتمعا في المِرْبَد^(٢) فتنافرا وتهاجيا، وحضرهما العَجَّاج^(٣) والأخطل^(٤) وكعب بن جعيل^(٥)، فقال أوس:

(١) تهامي: نسبة إلى تهامة.

(٢) المربد: موضع بالبصرة، قال جعفر بن سليمان: العراق عين الدنيا، والبصرة عين العراق، والمربد عين البصرة، وداري عين المربد، وفي مقصورة ابن دريد:

فالمربد الأعلى الذي تلقى به مصارع الأسد بألحاظ المها

(٣) العجاج عبد الله بن رُوْبَة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي أبو الشعثاء. راجز مجيد، من الشعراء، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أدرك الإسلام وأسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك ففلج وأقعد، وهو أول من رفع الرجز، وشبهه بالقصيد، وكان بعيداً عن الهجاء وهو والد رُوْبَة الراجز المشهور، توفي سنة ٩٠ هـ.

(٤) غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب. شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأُمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجباً بأدبه، تياهاً، كثير العناية بشعره. وكانت إقامته حيناً في دمشق وحيناً في الجزيرة، توفي سنة ٩٠ هـ.

(٥) كعب بن جعيل بن قميز بن عجرة التغلبي. شاعر تغلب في عصره مخضرم عرف في الجاهلية =

لَمَّا رَأَتْ جَعْدَةً مِّنَا وَرَدًا^(١) وَلَوْ أُنْعِمْنَا فِي الْبِلَادِ^(٢) رُبْدًا^(٣)
 إِنَّ لَنَا عَلَيْكُمْ مَعَدًّا^(٤) كَاهِلَهَا وَرَكَنَهَا الْأَشَدَّ
 [الرجز]

فقال العجاج:

كُلُّ امْرِئٍ يَعِدُّ بِمَا اسْتَعَدَّا
 وقال الأخطل يُعِينُ أَوْسَ بْنَ مِغْرَاءَ وَيَحْكُمُ لَهُ:

وَإِنِّي لِقَاضٍ بَيْنَ جَعْدَةٍ عَامِرٍ وَسَعْدٍ قِضَاءَ بَيْنِ الْحَقِّ فَيَصِلَا
 أَبُو جَعْدَةَ الذُّبِّ الْخَبِيثُ طَعَامُهُ وَعَوْفُ بْنُ كَعْبٍ أَكْرَمُ النَّاسِ أَوَّلَا
 [الطويل]

وقال كعب بن جعيل:

إِنِّي لِقَاضٍ قِضَاءَ سَوْفٍ يَتْبَعُهُ مَنْ أَمَّ قَصْدًا وَلَمْ يَعْدِلْ إِلَى أَوْدِ^(٥)
 فَضْلًا مِنَ الْقَوْلِ تَأْتُمُّ الْقِضَاءُ بِهِ وَلَا أَجُورَ وَلَا أَبْغِي عَلَى أَحَدٍ
 نَاكَتْ بَنُو عَامِرٍ سَعْدًا وَشَاعِرَهَا كَمَا تَنِيكَ بَنُو عَبْسٍ بَنِي أَسَدٍ
 [البسيط]

[مهاجاته ليلي الأخيلية]

وقال أبو عمرو الشيباني: كان سبب المهاجاة بين ليلي الأخيلية وبين الجعدي أن رجلاً من قُشَيْرٍ - يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْحَيَا (وهي أمه) واسمه سَوَّارُ بْنُ أَوْفَى بْنِ سَبْرَةَ - هجاه وسبَّ أخواله من أَزْدٍ فِي أَمْرِ كَانَ بَيْنَ قُشَيْرٍ وَبَيْنَ بَنِي جَعْدَةَ وَهُمْ بِأَصْبَهَانَ مُتَجَاوِرُونَ، فَأَجَابَهُ النَّابِغَةُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْفَاضِحَةُ - سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ ذَكَرَ فِيهَا مَسَاوِيَّ قُشَيْرٍ وَعُقَيْلٍ وَكُلَّ مَا كَانُوا يُسَبُّونَ بِهِ، وَفَخَرُ بِمَآثِرِ قَوْمِهِ وَبِمَا كَانَ لِسَائِرِ بَطْنِ بَنِي عَامِرٍ سَوَى هَذَيْنِ الْحَيَيْنِ مِنْ قُشَيْرٍ وَعُقَيْلٍ:

= والإسلام. كان لا ينزل بقوم إلا أكرمهم وضربوا له قبة. أدركه الأخطل في صباه وهاجاه وكان في زمن معاوية. وشهد معه وقعة (صفين) قال المرزباني: وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام يمدحهم ويرد عنهم، توفي سنة ٥٥ هـ.

(١) الورد: الجيش.

(٢) ورد في بعض المصادر «الفلاة» بدل «البلاد».

(٣) الرُبْدَةُ فِي لَوْنِ التَّعَامِ قِطْعَةٌ كَثْرَاءُ، وَأُخْرَى سَوْدَاءُ وَنَحْوَهَا مِنْ لَوْنٍ مُخْتَلَطٍ غَيْرِ حَسَنِ.

(٤) معَدُّ: أَوْ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ.

(٥) الأود: العوج.

جَهَلْتُ عَلَيَّ ابْنَ الْحَيَا وَظَلَمْتَنِي وَجَمَعْتَ قَوْلًا جَاءَ بَيْتًا مُضَلَّلًا
وقال في هذه القصّة أيضاً قصيدته التي أولها:

إِمَّا تَرِي ظُلُلَ الْأَيَّامِ قَدْ حَسَرْتُ عَنِّي وَشَمَّرْتُ ذِيلاً كَانَ ذِيالاً^(١)
[البسيط]

وهي طويلة، يقول فيها:

وَيَوْمَ مَكَّةَ إِذْ مَا جَدْتُمْ^(٢) نَفَرًا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ^(٥) إِذْ تُعْطُونَ أَيْدِيَكُمْ^(٦)
إِذْ تَسْتَحِبُّونَ عِنْدَ الْخَذَلِ أَنَّ لَكُمْ لَوْ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُلْقُوا جُلُودَكُمْ
حَامُوا^(٣) عَلَى عُقْدِ الْأَحْسَابِ أَزْوَالاً^(٤) مُقَرَّنِينَ وَلَا تَرْجُونَ إِرسَالاً
مِنْ آلِ جَعْدَةَ أَعْمَاماً وَأَخْوَالاً وَتَجْعَلُوا جِلْدَ عَبْدِ اللَّهِ سِرْبَالاً
[البسيط]

- يعني عبد الله بن جعدة بن كعب: -

إِذَنْ تَسْرَبَلْتُمْ فِيهِ لِيُنَجِّيَكُمْ حَتَّى وَهَبْتُمْ لِعَبْدِ اللَّهِ صَاحِبَهُ
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنِ شَيْبَا^(٧) بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدَ أَبَوَالَا
[البسيط]

يعني بهذا البيت أن ابن الحيا فخر عليه بأنهم سَقَوْا رجلاً من جعدة أدركوه في سفر وقد جَهَدَ عطشاً لبناً وماءً فعاش.

وقال في هذه القصّة أيضاً قصيدته التي أولها:

أَبْلَغُ فُشَيْرًا وَالْحَرِيشَ^(٨) فَمَا ذَا رَدَّ فِي أَيْدِيكُمْ شَثْمِي
[الكامل]

(١) ذيل ذِيَال: طويل.

(٢) من المَجَاز: مجد الرجل ومجد: عظم كرمه فهو ماجد ومجيد، وله شرف ومجد، وقوم أمجاد وأماجد، وتمجد الله بكرمه، وعباده يمجّدونه.

(٣) حامى عن الشيء: دافع عنه، وحامى عليه إذا احتفل له.

(٤) أزوال: الرُّؤُلُ الْفَتَى الْخَفِيفُ الطَّرِيفُ.

(٥) النَّجَشُ: الذي يَسْعُرُ الْحَرْبَ، وهو النَّجَاشِيُّ. وقيل: هي كَلِمَةٌ حَبَشِيَّةٌ يَقُولُونَ لِلْمَلِكِ نَجَاشِي كَمَا يُقَالُ كِسْرَى وَقَيْصَر.

(٦) تعطون أيديكم: كناية عن انقيادكم ومذلتكم.

(٧) شَيْباً: خلطاً.

(٨) هو الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وَفَخِرَ عَلَيْهِمْ بِقَتْلِ عُلْقَمَةَ الْجُعْفِيِّ يَوْمَ وَادِي نِسَاحٍ^(١) وَقَتْلَ شَرَّاحِيلَ بْنِ الْأَصْهَبِ
الْجُعْفِيِّ، وَبِیَوْمِ رَحْرَحَانَ^(٢) أَيْضًا، فَقَالَ فِيهِ:

هَلَّا سَأَلْتَ بِيَوْمِي رَحْرَحَانَ وَقَدْ ظَنَنْتُ هَوَازُنُ أَنَّ الْعِزَّ قَدْ زَالَا
[البسيط]^(٣)

فلما ذكر ذلك النابغة قال:

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبَنِ شَيْبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبَوَالَا
[البسيط]

فَفَخِرَ بِمَا لَهُ وَغَضَّ مِمَّا لَهُمْ. وَدَخَلْتُ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ^(٤) بَيْنَهُمَا فَقَالَتْ:

وَمَا كُنْتُ لَوْ قَاذَفْتُ جُلَّ عَشِيرَتِي لِأَذْكَرَ قَعْبِي حَازِرٍ^(٥) قَدْ تَثَمَّلَا^(٦)
[الطويل]

وهي كلمة. فلما بلغ النابغة قولها قال:

أَلَا حَيِّيًا لَيْلَى وَقُولَا لَهَا هَلَّا^(٧) فَقَدْ رَكِبْتُ أَيْرًا أَغْرُ مُحَجَّجَا
وَقَدْ أَكَلْتُ بَقْلًا وَخِيَمًا نَبَاتُهُ
- يعني ألبان الأيل -

دَعِيَ عَنْكَ تَهْجَاءُ الرِّجَالِ وَأَقْبَلِي عَلَى أَذْلَغِي^(٨) يَمَلَأُ اسْتِكَ فَيْشَلَا

(١) نساح: وادي في اليمامة. (٢) جبل قريب من عكاظ خلف عرفات.

(٣) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمِي رَحْرَحَانَ وَقَدْ ظَنَنْتُ هَوَازُنُ أَنَّ الْعِزَّ قَدْ زَالَا

(٤) ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب الأخيلية من بني عامر بن صعصعة. شاعرة فصيحة ذكية جميلة. اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير. قال لها عبد الملك بن مروان: ما رأى منك توبة حتى عشقك؟ فقالت: ما رأى الناس منك حتى جعلوك خليفة! وفدت على الحجاج مرات فكان يكرمها ويقربها وطبقته في الشعر تلي طبقة الخنساء. وكان بينها وبين النابغة الجعدي مهاجاة. وسألت الحجاج وهو في الكوفة أن يكتب لها إلى عامله بالري، فكتب ورحلت فلما كانت في (ساوة) ماتت ودفنت هناك. واسم جدها كعب بن حذيفة بن شداد، وسميت (الأخيلية) لقولها أو قول جدها، من أبيات:

نحن الأخيل ما يزال غلامنا حتى يدب على العصا مذكورا

وقال العيني: أبوها الأخيل بن ذي الرحالة بن شداد بن عبادة بن عقيل، توفيت سنة ٨٠ هـ.

(٥) الحازر: اللبن الحامض. (٦) تشمل: صار كتلاً من الرغوة.

(٧) هلا: كلمة زجرة، تزجر بها الأنث من الخيل إذا أنزي عليها الفحل لتقر وتسكن.

(٨) أذلغي: الكبير الضخم من الأيور.

وَكَيْفَ أَهَاجِي شَاعِرًا رُمَحُهُ أَسْتُهُ خَضِيبَ الْبَنَانِ لَا يَزَالُ مُكَحَّلًا
[الطويل]

فَرَدَّتْ عَلَيْهِ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ فَقَالَتْ :

أَنَابِعَ لَمْ تَنْبُعْ^(١) وَلَمْ تَكُ أَوَّلًا وَكُنْتَ ضَنْيَا بَيْنَ صُدَيْنِ مَجْهَلًا^(٢)
[الطويل]

الصُّنِّيُّ : شِعْبٌ صَغِيرٌ يَسِيلُ مِنْهُ الْمَاءُ . وَصُدَّانُ : جَبَلَانِ .

أَنَابِعَ إِنْ تَنْبُعَ بِلُؤْمِكَ لَا تَجِدُ لِّلْؤُمِكَ إِلَّا وَسْطَ جَعْدَةٍ مَجْعَلًا
تَعْيِّرُنِي^(٣) دَاءً بِأَمِّكَ مِثْلُهُ وَأَيُّ حَصَانٍ لَا يُقَالُ لَهَا هَلَا
[الطويل]

فَغَلَبَتْهُ . فَلَمَّا أَتَى بَنِي جَعْدَةَ قَوْلُهَا هَذَا ، اجْتَمَعَ نَاسٌ مِنْهُمْ فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ
صَاحِبَ الْمَدِينَةِ ، أَوْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَيَأْخُذُنَا لَنَا بِحَقِّنَا مِنْ هَذِهِ الْخَبِيثَةِ ، فَإِنَّهَا قَدْ
شَتَمَتْ أَعْرَاضَنَا وَافْتَرَتْ عَلَيْنَا ، فَتَهَيَّؤُوا لَذَلِكَ ، وَبَلِّغْهَا أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَسْتَعْدُوا عَلَيْهَا ،
فَقَالَتْ :

أَتَانِي مِنَ الْأَنْبَاءِ أَنْ عَشِيرَةٌ بِشُورَانِ^(٤) يُزْجُونَ الْمَطْيِيَّ الْمُذَلَّلَا
يَرُوحُ وَيَغْدُو وَفَدُّهُمْ بِصَحِيفَةٍ لَيْسَتْ جُلْدُوا لِي ، سَاءَ ذَلِكَ مَعْمَلًا
[الطويل]

وَقَدْ أَخْبَرَنِي بِبَعْضِ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ عُمَرَ بْنِ شَبَّةَ فَجَاءَ بِهَا
مُخْتَلِطَةً ، وَهَذَا أَوْضَحُ وَأَصَحُّ .

[ما فخر به النابغة من الأيام]

قَالَ أَبُو عَمْرٍو : فَأَمَّا مَا فخر به النابغة من الأيام ، فَمِنْهَا يَوْمَ عُلْقَمَةَ الْجُعْفِيِّ ،
فَإِنَّهُ غَدَا فِي مَذْحَجٍ وَمَعَهُ زُهَيْرُ الْجُعْفِيِّ ، فَأَتَى بَنِي عُقَيْلٍ بْنِ كَعْبٍ فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ ، وَفِي
بَنِي عُقَيْلٍ بَطُونٌ مِنْ سُلَيْمٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو بَجْلَةٍ ، فَأَصَابَ سَبِيًّا وَإِبْلًا كَثِيرَةً ، ثُمَّ انْصَرَفَ
رَاجِعًا بِمَا أَصَابَ ، فَاتَّبَعَهُ بَنُو كَعْبٍ ، وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ إِلَّا عِقَالُ بْنُ
خُوَيْلِدٍ بْنُ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ ، فَجَعَلَ يَأْخُذُ أَبْعَارَ إِبْلِ الْجُعْفِيِّينَ فَيُبُولُ عَلَيْهَا حَتَّى يُنْدِيَهَا ،

(١) نبغ في الشعر: أجاده .

(٢) المجهل: أرض لا يهتدى فيها .

(٣) ورد في بعض المصادر «أعيرتني» بدل «تعيرني» .

(٤) شوران: جبل في ديار بني جعدة .

ثم يلحق ببني كعب فيقول: إِيهِ فِدَى لَكُمْ أَبَوَايَ، قد لحقتم القوم؛ حتى وردوا عليهم النخيل في يوم قانظ، ورأس زهير في حِجْرٍ جارية من سُلَيْمٍ من بني بَجْلَةَ سباها يومئذ وهي تَفْلِيهِ، وهو متوسد قطيفة حمراء وهي تَضْفِرُ سَعْفَاتِهِ أَي أعلى رأسه بِهَدَبِ القطيفة؛ فلم يشعروا إلا بالخيَل؛ فكان أَوَّلَ من لَحِقَ زُهَيْرَ بْنَ النَّهَاضَةِ، فَضَرَبَ وَجْهَ زُهَيْرٍ بِقُوسِهِ حتى كَسَرَ أَنْفَهُ، ثم لَحِقَهُ عِقَالُ بْنُ خُوَيْلِدٍ، فَبَعَجَ بَطْنُهُ^(١)، فسال من بطنه بَرِيرٌ وَحَلَبٌ - والبرير: ثمر الأراك. والحب: لبن كان قد اصطبحه - فذلك يوم يقول أبو حَرْبٍ أَخُو عِقَالِ بْنِ خُوَيْلِدٍ: وَاللَّهِ لَا أَصْطَبِحُ لَبْنًا حَتَّى أَمِنَ مِنَ الصَّبَاحِ^(٢). قال: وهذا اليوم هو يوم وادي نِسَاحٍ وهو باليمامة.

[يوم شراحيل]

قال: وأما يوم شراحيل بن الأصهب الجُعْفِيِّ فَإِنَّهُ يَوْمٌ مَذْكُورٌ تَفْتَخِرُ بِهِ مُضَرُّ كُلُّهَا. وكان شراحيل خَرَجَ مُغِيرًا فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنَ الْيَمَنِ، وَكَانَ قَدْ طَالَ عَمْرُهُ وَكَثُرَ تَبَعُهُ وَبَعْدَ صَبِيئَتِهِ وَاتَّصَلَ طَفَرُهُ، وَكَانَ قَدْ صَالَحَ بَنِي عَامِرٍ عَلَى أَنْ يُعْزَوْا الْعَرَبَ مَارًّا بِهِمْ فِي بَدَائِهِ وَعُودَتِهِ لَا يَعْزِضُ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِصَاحِبِهِ؛ فَخَرَجَ غَازِيًا فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ فَأَبْعَدَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ فَمَرَّ عَلَى بَنِي جَعْدَةَ فَقَرَّتُهُ وَنَحَرَتْ لَهُ، فَعَمَدَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ سَفَهَاءَ فَتَنَّاوَلُوا إِبِلًا لِبَنِي جَعْدَةَ فَنَحَرُوهَا؛ فَشَكَّتْ ذَلِكَ بَنُو جَعْدَةَ إِلَى شَرَا حِيلَ، فَقَالُوا: قَرَيْنَاكَ وَأَحْسَنَّا ضِيَا فَنَّاكَ ثُمَّ لَمْ تَمْنَعْ أَصْحَابَكَ مِمَّا يَصْنَعُونَ! فَقَالَ: إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُغِيرُونَ، وَقَدْ أَسَاؤُوا لَعَمْرِي! وَإِنَّمَا يُقِيمُونَ عِنْدَكُمْ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ يَرْتَحِلُونَ عَنْكُمْ. فَقَالَ الرُّقَادُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ جَعْدَةَ لِأَخِيهِ وَرَدِّ بْنِ عَمْرٍو - وَقِيلَ: بَلْ قَالَ ذَلِكَ لِابْنِ أَخِيهِ الْجَعْدِ بْنِ وَرَدٍ - : دَعْنِي أَذْهَبْ إِلَى بَنِي قُشَيْرٍ قَالَ: وَجَعْدَةُ وَقُشَيْرٌ أَخَوَانِ لَأُمِّ وَأَبِ، أُمُّهُمَا رَيْطَةُ بِنْتُ قُتَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ بُهْثَةَ بْنِ سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ فَادْعُوهُمْ، وَأَصْنَعِ أَنْتِ يَا هَذَا لِشَرَا حِيلَ طَعَامًا حَسَنًا كَثِيرًا، وَأَدْعُهُ وَأَدْخِلْهُ إِلَيْكَ فَاقْتُلْهُ، فَإِنْ احْتَجَّتْ إِلَيْنَا فَدَخْنِ، فَإِنِّي إِذَا رَأَيْتُ الدُّخَانَ أَتَيْتُكَ بِهِمْ فَوَضَعْنَا سِيوفَنَا عَلَى الْقَوْمِ^(٣). فَعَمَدَ وَرَدٌ هَذَا إِلَى طَعَامِ فَأَصْلَحَهُ، وَدَعَا شَرَا حِيلَ وَنَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَهْلَهُ وَبَنِي عَمِّهِ، فَجَعَلُوا كُلُّمَا دَخَلَ الْبَيْتَ رَجُلٌ قَتَلَهُ وَرَدٌ، حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ؛ فَجَاءَ أَصْحَابُ شَرَا حِيلَ يُتَبِعُونَهُ، فَقَالَ لَهُمْ وَرَدٌ: تَرَوْحُوا^(٤) فَإِنَّ صَاحِبَكُمْ قَدْ شَرِبَ وَثَمَلَ وَسَيَرُوحُ فَرَجَعُوا، وَدَخَنَ وَرَدٌ، وَجَاءَتْ قُشَيْرٌ، فَقَتَلُوا مَنْ أَدْرَكُوا مِنْ أَصْحَابِهِ، وَسَارَ

(١) بَعَجَ بَطْنُهُ: شَقَّهُ. (٢) الصَّبَاحُ: الغارة صباحاً.

(٣) وَضَعْنَا سِيوفَنَا عَلَى الْقَوْمِ: ضَرَبْنَاهُمْ بِهَا.

(٤) تَرَوْحُ: سَارَ فِي الْعَشِيِّ، مِثْلَ رَاحَ.

سائِرُهُمْ، وَبَلَّغَهُمْ قَتْلَ شَرَاهِيلَ، فَمَرُّوا عَلَى بَنِي عُقَيْلٍ، وَهُمْ إِخْوَتُهُمْ، فَقَالُوا: لِنَقْتُلَنَّ مَالِكَ بْنَ الْمُتَنَفِّقِ، فَقَالَ لَهُمْ مَالِكُ: أَنَا آتِيكُمْ بورد؛ فَرَكِبَ بَنِي عُقَيْلٍ إِلَى بَنِي جَعْدَةَ وَقُشَيْرٍ لِيُعْطُوهُمْ وَرْدًا؛ فَامْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ وَسَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ فَذَبُّوا عَنْ عُقَيْلٍ، حَتَّى تَفَرَّقَ مِنْ كَانَ مَعَ شَرَاهِيلَ. فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَحِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ:

أَحْيِي يَتَّبِعُونَ الْعَيْرَ نَحْرًا أَحِبُّ إِلَيْكَ أَمْ حَيًّا هَالِلًا
لَعَلَّكَ قَاتِلٌ وَرْدًا وَلَمَّا تَسَاقَى الْخَيْلُ بِالْأَسَلِ^(١) النَّهَالِ^(٢)
أَلَا يَا مَالُ وَيَحِ سِوَاكَ أَقْصِرُ أَمَا يَنْهَاكَ حِلْمُكَ عَنْ ضَالِلِ
[الوافر]

[يوم رحرحان]

وَأَمَّا يَوْمَا رَحْرَحَانَ، فَأَحَدُهُمَا مشهور قد ذُكِرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ بَعَقَبِ أَخْبَارِ الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ، وَهَذَا الْيَوْمُ الثَّانِي، فَكَانَ الطَّمَّاحُ الْحَنْفِيُّ أَغَارَ فِي بَنِي حَنِيفَةَ وَبَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ عَلَى بَنِي الْحَرِيشِ بْنِ كَعْبٍ وَبَنِي عُبَادَةَ بْنِ عُقَيْلٍ وَطَوَائِفَ مِنْ بَنِي عَبْسٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو حُذَيْفَةَ، فَرَكِبَتْ بَنُو جَعْدَةَ وَبَنُو أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابٍ، وَلَمْ يَشْهَدْ ذَلِكَ مِنْ بَنِي كِلَابٍ غَيْرُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ، فَأَدْرَكُوا الطَّمَّاحَ مِنْ يَوْمِهِمْ، فَاسْتَنْقَدُوا مَا أَخَذَهُ وَأَصَابُوا مَا كَانَ مَعَهُ، وَقَتَلُوا عِدَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَهَزَمُوهُمْ.

[كعب الفوارس ومقتله]

قال: وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ إِدْرَاكِهِمْ بِثَأْرِ كَعْبِ الْفَوَارِسِ، فَإِنَّ كَعْبَ الْفَوَارِسِ - وَهُوَ ابْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الْبَكَّاءِ - مَرَّ عَلَى بَنِي نَهْدٍ وَعَلَيْهِ سِلَاحُهُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ نَهْدٍ يُقَالُ لَهُ خُلَيْفٌ فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ فَرَسَهُ وَسِلَاحَهُ، ثُمَّ إِنَّ خُلَيْفًا بَعْدَ ذَلِكَ بِدَهْرٍ مَرَّ عَلَى بَنِي جَعْدَةَ، فَرَأَاهُ مَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْدَةَ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ كَعْبٍ وَفِيهَا أَثَرُ الطَّعْنَةِ، وَكَانَ مُحْرَمًا فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى قَتْلِهِ، فَقَالَ: يَا هَذَا! أَلَا رَقَعْتَ هَذَا الْخَرَقَ الَّذِي فِي جُبَّتِكَ! وَجَعَلَ يَتَرَصَّدُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، حَتَّى بَلَغَهُ بَعْدَ دَهْرٍ أَنَّهُ مَرَّ بِبَنِي جَعْدَةَ، فَرَكِبَ مَالِكُ بْنُ عَبْدِ

(١) فِي حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: وَلَكِنْ لِيُذَكَّ لَكُمْ الْأَسْلُ الرِّمَاحُ وَالنَّبْلُ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هَذَا يَزِيدُ قَوْلُ مَنْ قَالَ: الْأَسْلُ: الرِّمَاحُ خَاصَّةً؛ لِأَنَّهُ قَدْ جَعَلَ النَّبْلُ مَعَ الرِّمَاحِ أَسْلًا، وَقَالَ الْأَسْلُ: الرِّمَاحُ الطُّوَالُ دُونَ النَّبْلِ، وَقَدْ تَرَجَّمَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - عَنْهَا، فَقَالَ: الرِّمَاحُ، وَعَظَفَ عَلَيْهَا فَقَالَ: وَالنَّبْلُ، أَيْ وَلِيُذَكَّ لَكُمْ النَّبْلُ، وَقَالَ شَمِرٌ: قِيلَ لِلْفَنَّا أَسْلٌ لِمَا رُكِبَ فِيهَا مِنْ أَطْرَافِ الْأَسِيَّةِ.

(٢) نَهْلُ الشَّارِبِ نَهْلًا. وَسَقَى النَّهْلَ وَالْعِلْلَ، وَعَلَّ بَعْدَ نَهْلٍ، وَمَا سَقَى إِلَّا النَّهْلَةَ، وَأَنْهَلَتْهُ. وَرَجُلٌ مِنْهَالٌ: كَثِيرُ الْإِنْهَالِ. وَإِبِلٌ نَهَالٌ: عَطَاشٌ.

اللَّهُ بن جَعْدَةَ فَرَسًا لَهُ وَقَدْ أُخْبِرَ أَنَّ خُلِيفًا مَرَّ بِجَنَابَتِهِمْ^(١)، فَأَدْرَكَهُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: بُؤْ
بِكَعْب. ثُمَّ غَزَا نَوَاحِيَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بن ثَوْر بن معاوية بن عُبَادَةَ بن الْبَكَّاء: جَرَمًا
وَنَهْدًا، وَهُمْ يَوْمئِذٍ فِي بَنِي الْحَارِثِ، فَنَادَاهُمْ بَنُو الْبَكَّاء: لَيْسَ مَعَنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِنَا
غَيْرِنَا وَإِنَّ التَّهْدِيَّ قَتَلَ صَاحِبَنَا مُحَرَّمًا؛ فَقَاتَلَهُمْ نَهْدٌ وَجَرَمٌ جَمِيعًا يَوْمئِذٍ، وَكَانَ عَبْدُ
اللَّهِ بن ثَوْر يَوْمئِذٍ عَلَى فَرَسٍ وَرَدٍ، فَأَصَابُوا مِنْ نَهْدٍ يَوْمئِذٍ غَنِيمَةً عَظِيمَةً، وَقَتَلُوا قَتْلَى
كَثِيرَةً. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ:

فَسَائِلُ بَنِي جَرَمٍ إِذَا مَا لَقِيْتَهُمْ وَنَهْدًا إِذَا حَجَّتْ عَلَيْكَ بَنُو نَهْدٍ
فَإِنْ يُخْبِرُوكَ الْحَقَّ عَنَا تَجِدُهُمْ يَقُولُونَ أَبْلَى صَاحِبُ الْفَرَسِ الْوَرْدِ
[الطويل]

[يوم الفلج]

قَالَ: وَأَمَّا يَوْمُ الْفَلَجِ، فَإِنَّ بَكْرَ بن وائِلَ بَعَثَتْ عَيْنًا عَلَى بَنِي كَعْبِ بن رَبِيعَةَ
حَتَّى جَاءَ الْفَلَجَ - وَهُوَ مَاءٌ - فَوَجَدَ النَّعَمَ بَعْضُهُ قَرِيبًا مِنْ بَعْضٍ، وَوَجَدَ النَّاسَ قَدْ
احْتَمَلُوا، فَلَيْسَ فِي النَّعَمِ إِلَّا مِنْ لَا طَبَاحَ^(٢) بِهِ مِنْ رَاعٍ أَوْ ضَعِيفٍ؛ فَجَاءَهُمْ عَيْنُهُمْ
بَذَلِكَ، فَركَبَتْ بَكْرَ بن وائِلَ يَرِيدُونَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانُوا مِنْهُمْ بِحَيْثُ يَسْمَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ،
سَمِعُوا الصَّهِيلَ وَأَصْوَاتَ الرِّجَالِ؛ فَقَالُوا لِعَيْنِهِمْ: مَا هَذَا وَيْلَكَ؟! قَالَ: وَاللَّهِ مَا
أَدْرِي، وَإِنْ هَذَا لَمِمَّا لَمْ أَعْهَدْ، فَأَرْسَلُوا مِنْ يَعْزَمُ عَلَيْهِمْ؛ فَرَجَعَ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الرِّجَالَ
قَدْ رَجَعُوا، وَرَأَى جَمْعًا عَظِيمًا وَخِيولًا كَثِيرَةً؛ فَكَرَّوْا رَاجِعِينَ مِنْ لَيْلَتِهِمْ؛ وَأَصْبَحَتْ
بَنُو كَعْبٍ فَرَأَوْا الْأَثَرَ فَاتَّبَعُوهُمْ، فَأَصَابُوا مِنْ أَخْرِيَاتِهِمْ رِجَالًا وَخِيَلًا، فَارْجَعُوا بِهَا.

[خداش بن زهير وهبيرة بن عامر]

قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُهُ:

لَوْ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُلْقُوا جُلُودَكُمْ وَتَجْعَلُوا جِلْدَ عَبْدِ اللَّهِ سِرْبَالًا
[البسيط]

فَإِنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ أَنَّ هُبَيْرَةَ بنَ عَامَرَ بنَ سَلَمَةَ بنَ قُشَيْرٍ، لَقِيَ خِدَاشَ بنَ زُهَيْرِ
الْبَكَّائِيَّ، فَتَنَافَرَا عَلَى مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ، وَقَالَ كُلُّ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَنَا أَكْرَمُ وَأَعَزُّ مِنْكَ،
فَحَكَمَا فِي ذَلِكَ رَجُلًا مِنْ بَنِي ذِي الْجَدَيْنِ، فَقَضَى بَيْنَهُمَا أَنَّ أَعَزَّهُمَا وَأَكْرَمَهُمَا أَقْرَبُهُمَا
مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بن جَعْدَةَ نَسَبًا؛ فَقَالَ خِدَاشُ بن زُهَيْرٍ: أَنَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ، أَمَّ عَبْدُ اللَّهِ بن

(١) جناباتهم: نواحيهم.

(٢) طباح: قوة. وما في كلامه طباح: فائدة وأصله اللحم الأعجم الذي ما فيه جدوى لطابخه.

جَعْدَةُ عَمَّتِي - وهي أَمِيمة بنت عمرو بن عامر - وإنَّما أنت أدنى إليه مِنِّي منزلةً بآب؛ فلم يَزَالَا يختصمان في القرابة لعبد الله دون المُكاثرة بآبائهما إقراراً له بذلك، حتى فَلَجَ^(١) هُبَيْرَةُ الْقُشَيْرِيُّ وَظَفَرَ.

[عبد الله بن جعدة]

قال أبو عمرو: وكان عبد الله بن جَعْدَةُ سَيِّداً مُطَاعاً، وكانت له إتاوةٌ بعكاظ يُؤْتَى بها، يَأْتِيه بها هذا الحيُّ من الأزد وغيرهم، فجاء سُمَيْرُ بن سَلَمَةَ الْقُشَيْرِيُّ وعبدُ الله جَالِسٌ على ثياب قد جُمِعَتْ له من إتاوته، فَأَنْزَلَهُ عَنْهَا وَجَلَسَ مَكَانَهُ؛ فجاء رِيَّاحُ بن عمرو بن رَبِيعَةَ بن عُقَيْل وهو الخليل، سُمِّيَ بذلك لِتَخَلُّعِهِ عن الملوك لا يُعْطِيهِم الطاعة فقال للقشيري: ما لك ولشيخنا تُنْزِلُهُ عن إتاوته ونحنُ ها هنا حوله! فقال الْقُشَيْرِيُّ: كَذَبْتُ، ما هي له! ثم مَدَّ الْقُشَيْرِيُّ رجله فقال: هذه رجلي فاضربها إن كُنْتَ عَزِيزاً، قال: لا! لَعَمْرِي لا أضرب رجلك، فقال له الْقُشَيْرِيُّ: فامدِّد لي رجلك حتى تعلم أأضربها أم لا؛ فقال: ولا أمدِّد لك رجلي، ولكن أفعل ما لا تُنْكَرُهُ العشرة

وما هو أعزُّ لي وأذلُّ لك؛ ثم أهوى إلى رجل القشيري فَسَحَبَهُ على قفاه ونَحَّاه، وأقعَدَ عبد الله بن جَعْدَةُ مَكَانَهُ.

[أول من صنع الدبابة]

قال: وعبد الله بن جعدة أَوَّلُ مَنْ صَنَعَ الدَّبَابَةَ^(٢)، وكان السبب في ذلك أنهم انتَجَعُوا^(٣) ناحية البحرين، فهجموا على عبدٍ لرجل يقال له كَوْدَن في قصر حصين، فدخل العبد ودعا النساء والصبيان، فظنوا أنه يُطْعِمُهُمْ ثريداً، حتى إذا امتلأ القصر منهم أغلقه عليهم، فصاح النساء والصبيان، وقام العبد ومن معه على شرف القصر، فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رماه؛ فلما رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دَبَابَةً على جذوع النخل وألبسها جلود الإبل، ثم جاء بها والقوم يحملونها حتى أسندوها إلى القصر، ثم حفروا حتى خرَّقوه^(٤)؛ فقتل العبدَ ومن كان معه واستنقذ صبيانهم ونساءهم. فذلك قول النابغة:

(١) فلج: فاز وغلب.

(٢) الدَّبَابَةُ آلة تُتَّخَذُ في الحروب يدخل فيها الرجال ثم تُدْفَعُ في أصل حصن فينقبونه وهم في جوف الدبابة. وأخبرني المنذري عن ثعلب عن ابن الأعرابي: الدَّبَّةُ الكتيب بفتح الدال.

(٣) الانتجاع: طلب الكلا ومساقت الغيث.

(٤) ورد في بعض المصادر «خرَّقوه» بدل «خرَّقوه».

وَيَوْمَ دَعَا وَلَدَانَكُمْ عَبْدُ كَوْدَنْ فَخَالُوا لَدَى الدَّاعِي ثَرِيداً مُفْلَلاً
وَقَى أَبْنُ زِيَادٍ وَهُوَ عُقْبَةُ خَيْرِكُمْ هُبَيْرَةُ يَنْزَوُ فِي الْحَدِيدِ مُكَبَّلاً
[الطويل]

يعني هُبَيْرَةُ بن عامر بن سَلَمَةَ بن قُشَيْرٍ، وكان عبد الله بن مالك بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدَةَ خَرَجَ ومعه مالك بن عبد الله بن جعدة، حتى مَرَّوا على بني زياد العَبْسِيِّينَ والرجال غَيَّبٌ، فأخذوا ابناً لِأَنْس بن زياد^(١) وانطلقوا به يرجون الفِدَاءَ؛ وانطلق عَمُّهُ عُمَارَةُ بن زياد حتى أتى بني كعب، فَلَقِيَ هُبَيْرَةَ بن عامر بن سَلَمَةَ بن قُشَيْرٍ، فقال له: يا هُبَيْرَةُ إِنَّ الناس يقولون: إِنَّكَ بخيلٌ، قال: مَعَاذَ اللَّهِ! قال: فَهَبْ لي جُبَّتَكَ هذه، فأهوى ليخلعها، فلما وقعت في رأسِهِ وَثَبَ عليه فأسره، ثم بعث إلى بني قُشَيْرٍ: عليّ وعليّ إن قبلتُ من هُبَيْرَةَ أقل من فدية حاجب^(٢) إلا أن يأتوني بآبن أخي الذي في أيدي بني جَعْدَةَ، فَمَشَتْ بنو قُشَيْرٍ إلى بني جعدة، فاستوهبوه منهم فوهبوه لهم، فافتدوا به هُبَيْرَةَ.

[خبر وحوح أخِي النابغة]

وأما خبرٌ وحوح أخِي النابغة الذي تقدّم ذكره مع نسب أخيه النابغة، فإنَّ أبا عمرو ذكر أن بني كعب أغارت على بني أسد فأصابوا سبياً وأسرى، فَرَكِبَتْ بنو أسد في آثارهم حتى لحقوهم بالشَّرِيف^(٣)، فعطفت بنو عُدَس بن ربيعة بن جعدة، فزادوا بني أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلاً وردّوهم، ولم يظفروا منهم بشيء. وتعلّقت امرأة من بني أسد بالحكم بن عمرو بن عبد الله بن جعدة وقد أردفها خَلْفُهُ، فأخذت بِضَفِيرَتِهِ ومالت به فَصَرَعَتْهُ، فَعَطَفَ عليه عبدُ الله بن مالك بن عُدَس وهو أبو صفوان، فَضَرَبَ يدها بالسيف فقطعها وتخلّصه. وطعن يومئذ وحوح بن قيس أخو النابغة الجعدي، فارتث^(٤) في معركة القوم، فأخذه خالد بن نُضْلَةَ الأسديّ؛ وعطف عليه يومئذ أخوه النابغة، فقال له خالد بن نُضْلَةَ: هَلُمَّ إِلَيَّ وَأَنْتَ آمِنٌ، فقال له النابغة: لا حاجة لي في أمانك، أنا على فرسي ومعي سلاح^(٥) وأصحابي قريب،

(١) هو أنس بن زياد العَبْسِيّ، ويُسمى أنس الفوارس.

(٢) هو حاجب بن زرارة، هو من الذين يضرب بهم المثل بفدائهم في الوفرة.

(٣) الشَّرِيف: واد بنجد.

(٤) ارتث: ضرب في الحرب فأثخن وحمل وبه رمق.

(٥) ورد في بعض المصادر «عليّ سلاح».

ولكنني أوصيك بما في العوسجة^(١) - يعني أخاه وحوح بن قيس - فَعَدَلَ إليه خالد فأخذه وضمه إليه ومنع مِنْ قَتْلِهِ وداواه حتى فُدِيَ بعد ذلك. قال: ففي ذلك يقول مُدْرِكُ الْعَبْسِيِّ:

أَقَمْتُ عَلَى الْحِفَاظِ وَغَابَ فَرْجٌ وفي فَرْجٍ عَنِ الْحَسْبِ انْفِرَاجٌ
كَذَلِكَ فَعَلْنَا وَحِبَالُ عَمِّي وردنَ بِوَحُوحِ فَلَجِ الْفِلَاجِ
[الوافر]

[شعر للنابعة الجعدي]

ومما قاله النابعة في هذه المفاخرة وُعْتُي فيه قوله وقد جُمِعَ معه كل ما يغني فيه من القصيدة:

هَلْ بِالْدِّيَارِ الْعَدَاةُ مِنْ صَمَمٍ أَمْ هَلْ بِرَبْعِ الْأَنْبَاسِ مِنْ قِدَمٍ
أَمْ مَا تُنَادِي مِنْ مَائِلِ دَرَجِ السَّيْلِ عَلَيْهِ كَالْحَوْضِ مِنْهُمْ
غَرَاءُ كَاللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الْقَمَرَاءُ تَهْدِي أَوَائِلَ الظُّلَمِ
أَكُنِي بِغَيْرِ أَسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتَمٍ
كَأَنَّ فَاهَا إِذَا تَبَسَّسَ مِنْ طَيِّبِ مَشَمٍّ وَطَيِّبِ مُبْتَسَمٍ
يُسْنُ^(٢) بِالضَّرْوِ^(٣) مِنْ بَرَاقِشٍ^(٤) أَوْ هَيْلَانَ^(٥) أَوْ ضَامِرٍ مِنَ الْعُتَمِ
[المنسرح]

عروضه من المنسرح. وفي الأول والثاني والثالث من الأبيات خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر^(٦)، ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد، وذكر ابن المكي والهشامي أنه لمعبد، وأظنه من منحول يحيى، وذكر حبش أنه لإبراهيم. وفي الثالث وما بعده لابن سريج رمل بالبنصر، وذكر حبش أن فيها لإسحاق رملاً آخر، ولابن مِسْجَحٍ فيها ثقيل أول بالبنصر.

(١) الْعَوْسَجَةُ: «شوك». وفي اللسان: شَجَرٌ مِنْ شَجَرِ الشَّوْكِ، وله ثَمَرٌ أَحْمَرٌ مُدَوَّرٌ كَأَنَّهُ حَزْرُ الْعَقِيقِ. قال الأزهرى: هو شَجَرٌ كَثِيرُ الشَّوْكِ، وهو ضَرْبٌ: منه ما يُثْمِرُ ثَمَرًا أَحْمَرَ يُقَالُ لَهُ الْمُقَنَّعُ فِيهِ حُمُوصَةٌ.

(٢) ورد في بعض المصادر «يستن» بدل «يسن»، ويسن يعني يستاك.

(٣) الضَّرْوُ: ضَرْبٌ مِنَ الشَّجَرِ يُجْعَلُ وَرَقُهُ فِي الْعِطْرِ، وبعضهم يَكْسِرُ الضَّادَ. ويُقال إنها شجر يستاك به.

(٤) براقش: مدينة عادية في اليمن.

(٥) هيلان: مدينة عادية في اليمن.

(٦) ورد في بعض النسخ «في مجرى الخنصر» بدل «البنصر».

[أول من سبق إلى الكنية]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: أول من سبق إلى الكنية عن اسم من يعني بغيره في الشعر الجعدي، فإنه قال:

أَكْنِي بِغَيْرِ أَسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتَمٍ
[المنسرح]

فسبقَ الناسَ جميعاً إليه واتَّبَعوه فيه. وأحسنُ من أخذه وأطفئه فيه أبو نواس حيث يقول:

أَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنْ حَكَمَانِ^(١) كَيْفَ خَلَفْتُمْ أَبَا عُثْمَانَ
فَيَقُولُونَ لِي جِنَانٌ كَمَا سَرَّكَ عَنْ حَالِهَا فَسَلْ عَنْ جِنَانِ
مَا لَهُمْ لَا يُبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ كَيْفَ لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كِتْمَانِي
[الخفيف]

[رأي الفرزدق فيه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدَّثنا عمر بن شبَّه قال: حدَّثني أبو بكر الباهلي قال حدَّثني الأصمعي قال: ذكر الفرزدق نابغة بني جعدة فقال: كان صاحب خلقان عنده مُطَرَفٌ بَأْلَفٌ، وَخِمَارٌ^(٢) بَوَافٍ، (يعني درهماً).

[مع ابن الزبير المسجد الحرام]

وحدَّثني خَبَرُهُ مع ابن الزبير جماعة، منهم حبيب بن نصر المهلبّي وعمر بن عبد العزيز بن أحمد والحرمي بن أبي العلاء ووَكيع ومحمد بن جرير الطبري حدَّثنيه مِنْ حِفْظِهِ، قالوا حدَّثنا الزبير بن بَكَار قال: حدَّثنا أخي هارون بن أبي بكر عن يحيى بن إبراهيم عن سليمان بن محمد بن يحيى بن عُرْوَة عن أبيه عن عمِّه عبد الله بن عُرْوَة قال:

أَقْحَمْتُ^(٣) السَّنَةَ نَابِغَةَ بَنِي جَعْدَةَ، فَدَخَلَ عَلَيَّ ابْنُ الزَّبِيرِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَأَنْشَدَهُ:

حَكَيْتَ لَنَا الصَّدِيقَ لَمَّا وَلَيْتَنَا وَعُثْمَانَ وَالْفَارُوقَ فَأَرْتَاخَ مُعَدِمُ

(١) اسم لضياح بالبصرة.

(٢) الخِمَار (بالكسر): هو ما تغطي به المرأة رأسها، وقد يطلق على العمامة.

(٣) اقْحَمَ رمى وألقى، ويُقال: أقحمته ألقىته ورمىته، وأقحمت وهو رميّه بنفسه في نهر أو وَهْدَةٍ أو في أمرٍ من غير رَوِيَّة.

أَتَاكَ أَبُو لَيْلَى يَجُوبُ بِهِ الدُّجَى دُجِيَ اللَّيْلُ جَوَابُ الْفَلَاةِ عَثْمُثُمٌ^(١)
لِتَجْبُرَ مِنْهُ جَانِباً دَعْدَعَتْ بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالزَّمَانُ الْمُصَمَّمُ
[الطويل]

فقال له ابن الزبير: هوّن عليك أبا ليلى، فإنّ الشعر أهونّ وسائلك عندنا، أمّا صفوة مالنا فلاّال الزبير، وأمّا عفوته فإنّ بني أسد بن عبد العزى تشغلّها عنك وتيمّا معها، ولكن لك في مال الله حقّان: حقّ برويتك رسول الله ﷺ، وحقّ بشركتك أهل الإسلام في فيئهم، ثم أخذ بيده فدخل به دار النعم، فأعطاه قلائص^(٢) سبعاً وجملاً رجلاً^(٣)، وأوقر له الإبل بُراً وتمراً وثياباً، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحبّ صرّفاً، فقال ابن الزبير: ويح أبي ليلى! لقد بلغ به الجهد، فقال النابغة: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما وليت قريش فعدلت واسترحمت فرحمت وحدثت فصدقت ووعدت خيراً فأنجزت فأنا والنبئون فراط القاصفين» وقال الحرمي: «فراط لها ضمن». قال الزبيرى: كتب يحيى بن معين هذا الحديث عن أخي.

[مع أبي موسى الأشعري وداعية القومية]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح وهاشم بن محمد الخزاعيّ أبو دلف قالاً حدّثنا الرياشيّ قال: قال أبو سليمان عن الهيثم بن عديّ قال: رعت بنو عامر بالبصرة في الزرع، فبعث أبو موسى الأشعريّ في طلبهم، فتصارخوا: يا آل عامر، يا آل عامر! فخرج النابغة الجعديّ ومعه عصبة له، فأتي به إلى أبي موسى الأشعريّ، فقال له: ما أخرجك؟ قال: سمعت داعية قومي؛ قال: فضربه أسواطاً؛ فقال النابغة:

رَأَيْتُ الْبَكَرَ بَكَرَ بَنِي ثُمُودٍ وَأَنْتَ أَرَاكَ بَكَرَ الْأَشْعَرِيْنََا
فَإِنْ يَكُنْ أَبْنُ عَفَّانٍ أَمِيناً فَلَمْ يَبْعَثْ بِكَ الْبَرَّ الْأَمِينَا
فِيَا قَبْرَ النَّبِيِّ وَصَاحِبِيهِ أَلَا يَا غَوْتَنَا لَوْ تَسْمَعُونَا
أَلَا صَلَّى إِلَهُكُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا صَلَّى عَلَى الْأُمَرَاءِ فِينَا
[الوافر]

(١) العَثْمُثُم: الشديد العظيم من الإبل. وقال الليث: العَثْمُثُم من الإبل: الطويل في غلظ، والجمع عَثْمُثُمَات. قال: والأسد عَثْمُثُم، يقال ذلك من ثقل وطئه.

(٢) القُلُوص من النوق: الشابة، وهي بمنزلة الجارية من النساء. وجمع القُلُوص قُلُوصٌ وقُلَايِصٌ. وجمع القُلُوص قِلَاصٌ. وربما سموا الناقة الطويلة القوائم قُلُوصاً. والقُلُوص أيضاً: الأنثى من النعام من الرئال.

(٣) الرجل: القوي من الإبل في السير والجري.

[خروجه مع الامام علي في صفين]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري ويحيى بن علي بن يحيى قالاً: حَدَّثَنَا
عمر بن شبة قال: حَدَّثَنَا بعضُ أصحابنا عن ابن دأب قال: لما خرج علي رضي الله
تعالى عنه إلى صفين خرج معه نابغة بني جعدة، فساق به يوماً فقال:

قَدْ عَلِمَ الْمِصْرَانِ^(١) وَالْعِرَاقُ أَنَّ عَلِيًّا فَحَلَّهَا الْعُتَاقُ^(٢)
أَبْيَضُ جَحْجَاحٌ لَهُ رِوَاقُ وَأُمُّهُ غَالِي بِهَا الصَّدَاقُ
أَكْرَمُ مَنْ شُدَّ بِهِ نِطَاقُ إِنَّ الْأُلَى جَارُوكَ لَا أَفَاقُوا
لَهُمْ سِيقٌ وَلَكُمْ سِيقٌ قَدْ عَلِمْتُ ذَلِكَمُ الرِّفَاقُ
سُقْتُمْ إِلَى نَهْجِ الْهُدَى وَسَافُوا إِلَى الَّتِي لَيْسَ لَهَا عِرَاقُ^(٣)
فِي مَلَّةٍ عَادَتْهَا النِّفَاقُ

[الرجز]

فلما قَدِمَ معاوية بن أبي سفيان الكوفة، قام النابغة بين يديه فقال:

أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ الْمَشْرِقَيْنِ رِسَالَتِي وَأَيُّ نَصِيحٍ لَا يَبِيتُ عَلَى عَتَبِ
مَلَكْتُمْ فَكَانَ الشَّرُّ آخِرَ عَهْدِكُمْ لَئِنْ لَمْ تُدَارِكْكُمْ حُلُومُ بَنِي حَرْبِ

[الطويل]

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهل النابغة وماله، فدخل النابغة على
معاوية، وعنده عبد الله بن عامر ومروان، فأنشده:

فَمَنْ رَاكِبٌ يَأْتِي أَبْنَ هِنْدٍ بِحَاجَتِي عَلَى النَّأْيِ وَالْأَنْبَاءِ تُنْمَى وَتُجَلَّبُ
وَيُخْبِرُ عَنِّي مَا أَقُولُ أَبْنَ عَامِرٍ وَنَعَمَ الْفَتَى يَا وَيْلَهُ الْمُعَصَّبُ^(٤)
فَإِنْ تَأْخُذُوا أَهْلِي وَمَالِي بِظَنَّةٍ فَإِنِّي لَحَرَابُ الرِّجَالِ مُحَرَّبُ^(٥)
صَبُورٌ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَرْءُ كُلَّهُ سِوَى الظُّلَمِ إِنِّي إِنْ ظَلِمْتُ سَأَغْضِبُ

[الطويل]

(١) المصران: الكوفة والبصرة.

(٢) العتاق: يقال: عَتَقَ الْفَرَسُ أَي سَبَقَ وَنَجَا.

(٣) يريد الشاعر إلى مضلة لا نهاية لها ولا غاية.

(٤) الْمُعَصَّبُ بِضَبِّ الْمَوْلَفِ كُمُحَدَّثٍ وَبِضَبِّ غَيْرِهِ كُمُعْظَمٍ: الَّذِي يَتَعَصَّبُ بِالْخِرْقِ جُوعاً. وَالَّذِي عَصَبَتْهُ السُّنُونُ أَي أَكَلَتْ مَالَهُ. وَالْجَائِعُ الَّذِي يَشْتَدُّ عَلَيْهِ الْجُوعُ فَيُعَصَّبُ بَطْنُهُ بِحَجَرٍ.

(٥) يريد الشاعر في هذا البيت أن يصف نفسه بأنه شديد المكر والكيد والنكاية.

فالتفت معاويةً إلى مروان فقال: ما ترى؟ قال: أرى ألا تردّ عليه شيئاً؛ فقال: ما أهونَ واللّه عليك أن ينجحر هذا في غار ثم يقطع عرضي عليّ ثم تأخذه العرب فترويه، أما واللّه إن كنتَ لمن يرويه! أرؤد عليه كلّ شيء أخذته منه.

[شعره في عقّال بن خويلد وسببه]

وهذا الشعرُ يقولُه النَّابِغَةُ الجَعْدِيُّ لعُقّال بن خُوَيْلِد العُقَيْلِيُّ يُحَذِّرُهُ غِبَّ الظلم لَمَّا أجار بني وائل بن مَعَن، وكانوا قتلوا رجلاً من جَعْدَة، فحذّرهم مثلَ حرب البسوس إن أقاموا على ذلك فيهم.

قال أبو عمرو الشَّيباني: كان السببُ في قول الجعديّ هذه القصيدة أن المُنتَشِر الباهليّ خَرَجَ فأغار على اليمَن ثم رجع مُطَفَّرًا. فوجد بني جعدة قد قتلوا ابنًا له يُقال له سيّدان، وكانت باهلة في بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعَصعة ثم في بني جعدة، فلما أن علم ذلك المُنتَشِر وأتاه الخبرُ أغارَ على بني جعدة ثم على بني سُبَيْع في وَجْهِه ذلك، فَقَتَلَ مِنْهُمْ ثلاثة نفر، فلما فعل ذلك تصدّعت باهلة، فَلَحِقَتْ فرقةٌ منهم يُقالُ لهم بنو وائل بعقّال بن خويلد العُقَيْلِيُّ، وَلَحِقَتْ فرقةٌ أخرى يُقالُ لهم بنو قُتَيْبَة وعليهم حَجَلُ الباهليّ يزيد بن عمرو بن الصَّعِق الكلابيّ، فأجارهم يزيد، وأجار عِقّالَ وائلاً. فلما رأت ذلك بنو جعدة أرادوا قتالهم، فقال لهم عِقّال: لا تقتاتلوهم فقد أجرتهم، فأما أحدُ الثلاثة القَتلى منكم فهو بالمقتول، وأما الآخران فعليّ عَقْلُهُما^(١)، فقالوا: لا نقبل إلا القتالَ ولا نريدُ من وائل غيراً^(٢) (يعني الدية)؛ فقال: لا تفعلوا فقد أجرتُ القومَ، فلم يزل بهم حتى قَبِلوا الدية. وانتقلت وائل إلى قومهم. فقال النابغة في ذلك قصيدته التي ذكر فيها عِقّالاً:

فأبْلِغْ^(٣) عِقّالاً أن غايَةَ^(٤) داحِسٍ^(٥) بِكَفَيْكَ فَاسْتَأْخِرْ لَهَا أَوْ تَقْدِمْ

(١) العقل: الدية.

(٢) قَبِلُوا الغير أي الدية وجمعه أغيار، وقيل: هو جمع، والواحد: غيره. وفي الحديث «إلا الغير تريد».

(٣) ورد في بعض المصادر «وبلِّغ» بدل «فأبْلِغ».

(٤) ورد في بعض المصادر «خُطَّة» بدل «غاية».

(٥) داحِسٌ: اسم فرس معروف مشهور، قال الجوهري: هو لَقَيْس بن زُهَيْر بن جَذِيمة العَبْسِي ومنه حرب داحِس، وذلك أنَّ قَيْساً هذا وحْدَيْفَة بن بدر الدُّبْياني ثم الفَزاري تراهنا على خُطَرِ عشرين بغيراً، وجعلنا الغابة مائة غُلُوَّة، والبُضْمَار أربعين ليلة، والمَجْرى من ذات الإِصَاد، فأجرى قَيْسٌ داحِساً والغبراء وأجرى حذيفة الخُطَّارَ والحَنْفاء فوضعت بنو فزارة رَهْطُ حذيفة كَمِيناً على الطريق فردوا الغبراء ولَطَمُوها، وكانت سابقة، فهاجت الحرب بين عَبَس ودُبْيَان أربعين سنة.

تُجِيرُ عَلَيْنَا وَإِلَّا بِدِمَائِنَا كَأَنَّكَ عَمَّا نَابَ أَشْيَاعَنَا عَمٌ^(١)
 كُلِيبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيَسَّرَ جُرْمًا مِنْكَ ضُرَجَ بِالدَّمِ
 رَمَى ضَرْعَ نَابٍ^(٢) فَاسْتَمَرَّ بِطَعْنَةٍ كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُسَهَّمِ^(٣)
 وَلَا يَشْعُرُ الرُّمَحُ الْأَصَمُّ كُعُوبُهُ بِشُرُوءِ زَهْطِ الْأَبْلَحِ^(٤) الْمُتَظَلَّمِ
 فَقَالَ لِحَسَّاسٍ أَغْثَنِي بِشَرْبَةٍ تَفْضُلُ بِهَا طَوْلًا عَلَيَّ وَأَنْعِمَ^(٥)
 فَقَالَ تَجَاوَزْتَ الْأَحْصَ^(٦) وَمَاءَهُ وَبَطْنُ شُبَيْثٍ وَهُوَ ذُو مُتْرَسَمٍ^(٧)
 [الطويل]

[سبب مقتل كليب بن ربيعة]

وكان السبب في قتل كليب بن ربيعة - فيما ذكره أبو عبيدة عن مقاتل الأحول بن سنان بن مرثد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد أخي بني قيس بن ثعلبة، ونسخت بعضه من رواية الكلبي، وأخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل، فجمعت من روايتهم ما احتيج إلى ذكره مختصر اللفظ كامل المعنى - أن كليباً كان قد عزَّ وساد في ربيعة فبغى بغياً شديداً، وكان هو الذي يُنزلُهم منازلهم ويُرحلُهم، ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره. فبلغ من عزِّه وبغيه أنه اتخذ جزو كلب، فكان إذا نزل منزلاً به كلاً قذف ذلك الجزو فيه فيعوي، فلا يرعى أحد ذلك الكلاً إلا بإذنه، وكان يفعل هذا بحياض الماء، فلا يردُّها أحد إلا بإذنه أو من آذن بحرب؛ فضرِبَ به المثل في العزِّ، فقليل: «أعزُّ من كليب وائل». وكان يحمي الصيد، ويقول: صيد ناحية كذا وكذا في جوارِي، فلا يصيد أحد منه شيئاً؛ وكان لا يمرُّ بين يديه أحد إذا جلس، ولا يحتبي أحد في مجلسه غيره، فقتله حسَّاس بن مرة.

وقال أبو عبيدة: قال أبو برة القيسي وهو من ولد عمرو بن مرثد: وكان

(١) في هذا البيت، يُحذَرُ النابغة عقلاً ويحذره ما أصاب وائلاً منهم من بأس.

(٢) الناب: الناقة المُسنة.

(٣) المسهم: المخطط بصور على شكل سهم.

(٤) الأبلح: البلح مصدر الأبلح، وهو العظيم في نفسه، الجريء على ما أتى من الفجور.

(٥) ورد العجز في بعض المصادر على الشكل التالي:

«تَمُنُّ بِهَا فَضلاً عَلَيَّ وَأَنْعِمَ»

(٦) الأحص: من ديار بكر.

(٧) المترسم: موضع الماء لمن طلبه.

كُليبُ بنُ ربيعة ليس على الأرض بكري ولا تغلبي أجار رجلاً ولا بعيراً إلا بإذنه، ولا يحمي حمي إلا بأمره، وكان إذا حمى حمي لا يقرب؛ وكان لمرة بن ذهل بن شيان بن ثعلبة عشرة بنين جساس أصغرهم، وكانت أختهم عند كليب. وقال مقاتل و فراس: وأُم جساس هيلة بنت منقذ بن سليمان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة، ثم خلف عليها سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بعد مرة بن ذهل؛ فولدت له مالكا وعوفاً وثعلبة. قال فراس بن خندق البسوسي: فهي أُمنا. وخالة جساس البسوس - وقال أبو برة: البسوسية - وهي التي يقال لها: «أشأم من البسوس»^(١). فجاءت فنزلت على ابن أختها جساس فكانت جارة لبني مرة، ومعها ابن لها، ولهم ناقة خوارة^(٢)، من نعم بني سعد ومعها فصيل: أخبرني علي بن سليمان قال: قال أبو برة: وقد كان كليب قبل ذلك قال لصاحبه أخت جساس: هل تعلمين على الأرض عربياً أمنع مني ذمة؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتت ثم أعاد عليها الثالثة، فقالت: نعم أخي جساس وندمانه^(٣) بن عمه عمرو المزدلف^(٤) بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان. وزعم مقاتل: أن امرأته كانت أخت جساس، فبينا هي تغسل رأس كليب وتسرجه ذات يوم إذ قال: من أعز وائل؟ فصمتت، فأعاد عليها؛ فلما أكثر عليها قالت: أخوأي جساس وهمام! فنزع رأسه من يدها وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس خالة جساس وجارة بني مرة فقتله، فأغمضوا على ما فيه وسكتوا على ذلك. ثم لقي كليب ابن البسوس فقال: ما فعل فصيل ناقتكم؟ قال: قتلته وأخليت لنا لبن أمه، فأغمضوا على هذه أيضاً. ثم إن كليباً أعاد على امرأته فقال: من أعز وائل؟ فقالت: أخوأي؛ فأضمرها وأسرّها في نفسه وسكت، حتى مرّت به إبل جساس، فرأى الناقة فأنكرها، فقال: ما هذه الناقة؟ قالوا: لخالة جساس؛ قال: أو قد بلغ من أمر ابن السعدية أن يجير عليّ بغير إذني! أرم ضرعها يا غلام. قال فراس: فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة؛ فاختلط دمه بلبنها؛ وراحت الرعاة على جساس فاخبروه بالأمر؛ فقال: احلبوا لها مكيالي لبن بمحلبها ولا تذكروا لها من هذا شيئاً، ثم أغمضوا عليها أيضاً. قال مقاتل: حتى أصابتهم سماء، فغدا في غبها يتمطر^(٥). وركب جساس بن مرة وابن عمه عمرو بن الحارث بن ذهل - وقال

(١) هي بسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة بن ذهل الشيباني قاتل كليب.

(٢) خوارة: رقيقة حسنة. (٣) الندمان: الذي يرافق ويجالس على الشراب.

(٤) المزدلف لقب عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل وهو ابن عم جساس بن مرة، لقّب به لأنه ألقى برمحه في حرب فقال ازدلفوا إليه.

(٥) يتمطر: يتنزّه.

أبو بَرَزَة: بل عمرو بن أبي ربيعة - وطعن عمرو كليلاً فحطم صُلبه، وقال أبو بَرَزَة: فسكت جَسَّاسٌ، حتى ظعن ابنا وائل؛ فمرت بكر بن وائل على نهي^(١) يُقال له شَبِثٌ فنفاهم كليلاً عنه وقال: لا يذوقون منه قطرة؛ ثم مروا على نهي آخر يقال له الأحصُ فنفاهم عنه وقال: لا يذوقون منه قطرة، ثم مروا على بطن الجريب^(٢)، فمنعهم إيَّاه، فمضوا حتى نزلوا الذنائب^(٣)، واتبعهم كليبٌ وحِيه حتى نزلوا عليه؛ ثم مرّ عليه جَسَّاسٌ وهو واقفٌ على غدير الذنائب فقال: طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً! فقال كليبٌ: ما منعناهم من ماءٍ إلا ونحن له شاغلون؛ فمضى جَسَّاسٌ ومعه ابن عمه المزدلف. وقال بعضهم: بل جَسَّاسٌ ناداه فقال: هذا كفعلك بناقة خالتي؛ فقال له: أو قد ذكرتُها! أما إني لو وجدتُها في غير إبل مرّة لاستحللتُ تلك الإبل بها. فعطف عليه جَسَّاسٌ فرسه فطعنه برمح فأنفذ حِصْنِيه^(٤)، فلما تَداءمه^(٥) الموت قال: يا جَسَّاسُ استقني من الماء؛ قال: ما عقلتُ استسقاءك الماء منذُ وَلَدْتُكَ أُمُّكَ إلا ساعتك هذه! قال أبو بَرَزَة: فعطف عليه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة فاحتز رأسه. وأمّا مقاتلٌ فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذهل الذي طعنه فقصص صُلبه. قال: وفيه يقول مهلهل^(٦):

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ الْمَرْءِ عَمْرٍو وَجَسَّاسٌ بِنُ مَرَّةٍ ذُو ضَرِيرٍ
[الوافر]

(١) النُّهْيُ بالكسر: الغديرُ في لغة أهل نجد، وغيرهم يقوله بالفتح. وتناهى الماء، إذا وقف في الغدير وسكن. وتنهية الوادي: حيث ينتهي إليه الماء من حروفه، والجمع التناهي. ونهأ الماء بالضم: ارتفاعه.

(٢) الجريب: وادٍ عظيم بين أجلى وبين الذنائب وحبر، تحيء أعاليه من قبل اليمن حتى يصب في الرمة.

(٣) الذنائب: موضع بنجد عن يسار فلجة مصعداً إلى مكة، وينسب إليه يوم من أيام حرب البسوس وفيه قتل كليب بن ربيعة.

(٤) الحِصْنُ: ما دون الإبط إلى الكشح. وحصنا الشيء: جانباه. ونواحي كل شيء أخصائهُ. والمُحْتَضَنُ أيضاً: الحِصْنُ.

(٥) تَداءم: تراكم عليه وتزاحم.

(٦) المهلهل بن ربيعة عدي بن ربيعة بن مرّة بن هبيرة من بني جشم، من تغلب، أبو ليلى، المهلهل. من أبطال العرب في الجاهلية من أهل نجد. وهو خال امرئ القيس الشاعر. قيل: لقب مهلهلاً، لأنه أول من هلhel نسج الشعر، أي رققه. وكان من أصبح الناس وجهاً ومن أفصحهم لساناً. عكف في صباه على اللُهو والتشبيب بالنساء، فسماه أخوه كليب (زير النساء) أي جليسهن. ولما قتل جساس بن مرة كليلاً ثار المهلهل فانقطع عن الشراب واللُهو، وآلى أن يثار لأخيه، فكانت وقائع بكر وتغلب، التي دامت أربعين سنة، وكانت للمهلهل فيها العجائب والأخبار الكثيرة، توفي سنة ٩٤ ق. هـ.

وقال العباس بن مرداس السلمي^(١) يُحَدِّثُ كُلَيْبَ بنَ عَهْمَةَ السُّلَمِي ثم الظُّفْرِي
لما مات حربُ بن أُمَيَّةَ وَحَنَقَتِ الجَنُّ مرداساً وكانوا شركاء في القرية فجحدهم كُلَيْبُ
حَظَّهُم منها - وسنذكر خبرَ ذلك في آخر هذه الأخبار إن شاء الله تعالى - فحَدَّرَهُ
غَبَّ الظلم فقال:

أَكْلَيْبُ مَالِكَ كُلِّ يَوْمٍ ظَالِمًا وَالظُّلُمُ أَنْكَدُ وَجْهُهُ مَلْعُونُ
وَأَفْعَلُ بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بِوَائِلِ يَوْمَ الْعَدِيرِ سَمِيكَ الْمَطْعُونُ
[الكامل]

وقال رجلٌ من بني بكر بن وائل في الإسلام وهي تُنَحِّلُ للأعشى:

وَنَحْنُ قَهْرُنَا تَغْلِبَ ابْنَةُ وَائِلِ بِقَتْلِ كُلَيْبٍ إِذْ طَغَى وَتَخَيَّلَا^(٢)
أَبْنَاهُ^(٣) بِالنَّابِ الَّتِي شَقَّ ضَرْعُهَا فَأَصْبَحَ مَوْطُوءَ الْجِمَى مُتَدَلِّلَا
[الطويل]

قال: وَمَقْتُلُ كُلَيْبٍ بِالذَّنَائِبِ عَنْ يَسَارِ فَلَجَةٍ^(٤) مُصْعِدًا إِلَى مَكَّةَ، وَقَبْرُهُ
بِالذَّنَائِبِ. وفيه يقول المهلهل:

وَلَوْ نَبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كُلَيْبٍ فَيُخْبَرَ^(٥) بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرٍ
[الوافر]

قال أبو بَرَزَةَ: فلما قتله أُمَالُ يَدَهُ بِالْفَرَسِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَهْلِهِ. قال: وتقول
أخته حين رآته لأبيها: إِنَّ ذَا لَجَسَّاسٍ أَتَى خَارِجًا رَكْبَتَاهُ؛ قال: وَاللَّهِ مَا خَرَجَتْ
رُكْبَتَاهُ إِلَّا لِأَمْرِ عَظِيمٍ! قال: فلما جاء قال: مَا وَرَاءَكَ يَا بُنَيَّ؟ قال: وَرَائِي أَنِّي قَدْ
طَعَنْتُ طَعْنَةً لَتُشْغَلَنَ بِهَا شَيْوُخُ وَائِلٍ زَمَنًا؛ قال: أَقْتَلْتَ كُلَيْبًا؟ قال: نَعَمْ؛ قال:
وَدِدْتُ أَنَّكَ وَإِخْوَتَكَ كُنْتُمْ قَبْلَ هَذَا، مَا بِي إِلَّا أَنْ تَتَشَاءَ بِي أَبْنَاءُ وَائِلٍ. وزعم

(١) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مُضَرٍّ، أبو الهيثم. شاعر فارس، من سادات قومه،
أُمُّهُ الْخَنْسَاءُ الشَّاعِرَةُ. أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قبيل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم
ويُدْعَى فَارِسَ الْعُبَيْدِ، وهو فرسه، وكان بدويًا قحاً، لم يسكن مكة ولا المدينة وإذا حضر الغزو مع
النبي ﷺ، لم يلبث بعده أن يعود إلى منازل قومه وكان ينزل في بادية البصرة وبَيْتِهِ فِي عَقِيقِهَا،
وهو وإِمامِي صفوان، وأكثر من زيارة البصرة، وقيل: قدم دمشق وابتنى بها داراً. وكان ممن
ذَمَّ الْخُمُرَ وَحَرَّمَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. مات في خلافة عمر سنة ١٩ هـ.

(٢) تخيل: تكبر.

(٣) أباء: قتل.

(٤) فلجة: منزل على طريق مكة المكرمة من البصرة.

(٥) ورد في بعض المصادر «فيعلم» بدل «فيخبر».

مُقَاتِلٌ أَنْ جَسَّاساً قَالَ لِأَخِيهِ نَضْلَةَ بْنَ مَرَّةٍ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ عَضْدُ الْحِمَارِ:

وَإِنِّي قَدْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ حَرْباً تُغِصُّ الشَّيْخَ بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ^(١)
مُذَكَّرَةً^(٢) مَتَى مَا يَصْحُحُ عَنْهَا فَتَنَى نَشِبَتْ بِآخِرَ غَيْرِ صَاحٍ
تَنَكَّلُ عَنْ ذُبَابِ الْغَيِّ قَوْماً وَتَدْعُو آخِرِينَ إِلَى الصَّلَاحِ^(٣)
[الوافر]

فَأَجَابَهُ نَضْلَةُ^(٤):

فَإِنْ تَكُ قَدْ جَنَيْتَ عَلَيَّ حَرْباً فَلَا وَإِنْ لَا رَثُ السَّالِحِ
[الوافر]

قال أبو بَرْزَةَ: وكان هَمَّامُ بْنُ مَرَّةٍ أَخِي مُهْلَهْلًا وَعَاقَدَهُ أَلَا يَكْتُمُهُ شَيْئاً، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ أُمَّةٌ لَهُ فَاسْرَتْ إِلَيْهِ قَتَلَ جَسَّاسَ كَلْبِيًّا، فَقَالَ لَهُ مُهْلَهْلٌ: مَا قَالَتْ؟ فَلَمْ يُخْبِرْهُ، فَذَكَرَهُ الْعَهْدَ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ: أَخْبَرْتُ أَنَّ جَسَّاساً قَتَلَ كَلْبِيًّا، فَقَالَ: اسْتُ أَخِيكَ أَضِيقُ^(٥) مِنْ ذَلِكَ. وَزَعَمَ مُقَاتِلٌ: أَنَّ هَمَّامًا كَانَ أَخِي مُهْلَهْلًا وَكَانَ عَاقَدَهُ أَلَا يَكْتُمُهُ شَيْئاً؛ فَكَانَا جَالِسِينَ، فَمَرَّ جَسَّاسٌ يَرْكُضُ بِهِ فَرْسُهُ مُخْرَجاً فَخَذِيهِ؛ فَقَالَ هَمَّامٌ: إِنَّ لَهُ لَأَمْرًا، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ كَاشِفًا فَخَذِيهِ قَطُّ فِي رَكْضٍ؛ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى جَاءَتْهُ الْخَادِمُ فَسَارَتْهُ أَنَّ جَسَّاساً قَتَلَ كَلْبِيًّا، فَقَالَ لَهُ مُهْلَهْلٌ: مَا أَخْبَرْتُكَ؟ قَالَ: أَخْبَرْتَنِي أَنَّ أَخِي قَتَلَ أَخَاكَ؛ قَالَ: هُوَ أَضِيقُ اسْتَأْ مِنْ ذَلِكَ. وَتَحَمَّلَ الْقَوْمُ، وَغَدَا مُهْلَهْلٌ بِالْخَيْلِ.

وَقَالَ الْمَفْضَلُ فِي خَبَرِهِ: فَلَمَّا قُتِلَ كَلْبِيٌّ قَالَتْ بَنُو تَعْلَبَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَعَجَّلُوا عَلَى إِخْوَتِكُمْ حَتَّى تُعْذِرُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ؛ فَاَنْطَلَقَ رَهْطٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَذَوِي أَسْنَانِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مَرَّةَ بْنَ ذُهْلٍ، فَعَظَّمُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَقَالُوا لَهُ: اخْتَرْنَا مِنْ خِصَالِنَا: إِمَّا أَنْ تَدْفَعَ إِلَيْنَا جَسَّاساً فَنَقْتُلَهُ بِصَاحِبِنَا فَلَمْ يَظْلِمْ مَنْ قَتَلَ قَاتِلَهُ، وَإِمَّا أَنْ تَدْفَعَ إِلَيْنَا هَمَّامًا، وَإِمَّا أَنْ تُقَيِّدَنَا مِنْ نَفْسِكَ؛ فَسَكَتَ، وَقَدْ حَضَرَتْهُ وَجُوهُ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فَقَالُوا: تَكَلَّمْ غَيْرَ مَخْذُولٍ، فَقَالَ: أَمَّا جَسَّاسٌ فَعَلَامٌ حَدِيثُ السِّنِّ رَكِبَ رَأْسَهُ فَهَرَبَ حِينَ خَافَ فَلَا عِلْمَ لِي بِهِ، وَأَمَّا هَمَّامٌ فَأَبُو عَشْرَةٍ وَأَخُو عَشْرَةٍ، وَلَوْ دَفَعْتُهُ إِلَيْكُمْ لَصَبَّحَ^(٦) بَنُوهُ فِي وَجْهِي وَقَالُوا: دَفَعْتَ أَبَانَا لِلْقَتْلِ بِجَرِيرَةٍ غَيْرِهِ؛ وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَتَعَجَّلُ الْمَوْتَ، وَهَلْ تَزِيدُ الْخَيْلُ عَلَى أَنْ تَجُولَ جَوْلَةً فَأَكُونَ أَوَّلَ قَتِيلٍ! وَلَكِنْ هَلْ لَكُمْ فِي

(١) القراح: الصافي، الخالص الطبيعة. (٢) مذكرة: شديدة.

(٣) أي إنها تصرف قوماً عن جنون غيهم وضلالهم وطيشهم وتردّهم إلى الصواب.

(٤) هو نضلة بن مرة. (٥) مثل يضرب في الذلة والضعف.

(٦) صبح: أكثر من الصباح والصراخ.

غير ذلك؟ هؤلاء بنيّ، فدوونكم أحدهم فافتلوه به، وإن شئتُمْ فَلَكُمْ أَلْفُ نَاقَةٍ تَضْمَنُهَا لَكُمْ بَكْرُ بَنٍ وَائِلٍ؛ فَغَضِبُوا وَقَالُوا: إِنَّا لَمْ نَأْتِكَ لِتَرْذُلَ^(١) لَنَا بَنِيكَ وَلَا لِتَسْوِمَنَا اللَّبَنَ؛ فَتَفَرَّقُوا، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ. وَتُكَلِّمُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ، فَقَالَ: « لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمْلَ »، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَهَا وَأَرْسَلَهَا مِثْلًا. قَالُوا جَمِيعًا: كَانَتْ حَرْبُهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فِيهِنَّ خَمْسُ وَقَعَاتٍ مُزَاحِفَاتٍ، وَكَانَتْ تَكُونُ بَيْنَهُمْ مُغَاوَرَاتٍ^(٢)، وَكَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ وَالرَّجُلَانِ الرَّجُلَيْنِ وَنَحْوَ هَذَا.

[يوم عنيزة]

وكان أول تلك الأيام يوم عُنَيْزَة، وهي عند فَلَجَة، فتكافأوا فيه لا لبكر ولا لتغلب؛ وتصديق ذلك قول مُهلهل:

كَأَنَّا غُدُوَّةٌ وَبَنِي أَبِينَا^(٣) بِجَنَبِ عُنَيْزَةِ رَحِيحِ مُدِيرِ
وَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ مَنْ بِحَجَرٍ^(٤) صَلِيلِ^(٥) الْبَيْضِ^(٦) تُقَرِّعُ بِالذُّكُورِ^(٧)

[الوافر]

[يوم واردات]

فتفرقوا، ثم غبروا زماناً. ثم التقوا يوم واردات^(٨) وكان لتغلب على بكر، وقتلوا بكراً أشدَّ القتل، وقتلوا بُجيراً وذلك قول مُهلهل:

فَأَتَيْتِي قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَاتٍ بُجَيْرًا فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ
هَتَكْتُ بِهِ بُيُوتَ بَنِي عُبَادٍ وَبَعْضُ الْعَشْمِ^(٩) أَشْفَى لِلصُّدُورِ

[الوافر]

(١) الرَّذُلُ: الدُّونُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، مَصْدَرُهُ الرَّذَالَةُ، وَقَدْ رَذُلَ، وَالْجَمِيعُ الْأَرْدَالُ، وَالْأَرْدَالُونَ وَالرَّذَالُونَ، وَرَذَالَةُ كُلِّ شَيْءٍ أَرْدَاؤُهُ. وَرَجُلٌ رَذُلٌ أَيْ وَسِخٌ، وَامْرَأَةٌ رَذَلَةٌ، وَثَوْبٌ رَذِيلٌ أَيْ رَدِيءٌ.

(٢) يُقَالُ: غَاوَرَ الْقَوْمَ إِذَا غَارَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

(٣) وَرَدَ الصَّدْرُ فِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي:

عَدَاةٌ كَأَنَّنَا وَبَنِي أَبِينَا

(٤) حَجَرٌ: قِصْبَةٌ فِي الْيَمَامَةِ.

(٥) الصَّلِيلُ: صَوْتُ الْحَدِيدِ إِذَا حُرِّكَ، يُقَالُ: صَلَّ الْحَدِيدُ، وَصَلَّصَ، وَالصَّلْصَلَةُ، أَشَدُّ مِنَ الصَّلِيلِ.

(٦) الْأَبْيَضُ: السِّيفُ، وَالْجَمْعُ الْبَيْضُ.

(٧) الذُّكْرُ مِنَ الْحَدِيدِ: أَيْسَهُ وَأَشَدُّهُ، وَبِهِ سَمِيَ السِّيفُ مُذَكَّرًا، وَبِهِ يُدَكَّرُ الْقُدُومُ، وَالْفَأْسُ وَنَحْوُهُ.

(٨) وَارِدَاتٌ: مَوْضِعٌ عَنْ يَسَارِ طَرِيقِ مَكَّةَ.

(٩) الْعَشْمُ: الظُّلْمُ. وَالْحَرْبُ عَشُومٌ، لِأَنَّهَا تَنَالُ غَيْرَ الْجَانِي. وَالْمِعْشَمُ وَالْعَشْمَشَمُ: الَّذِي يَرْكَبُ رَأْسَهُ

لَا يَتْنِيهِ شَيْءٌ عَمَّا يَرِيدُ وَيَهْوِي، مِنْ شَجَاعَتِهِ.

قال مُقاتلٌ: إنه إنَّما التَّقَطَّ تَوًّا. وسيجيء حديثُهُ أسفلَ من هذا التَّو: الفرد، يُقالُ: وجدَّته تَوًّا، أي وحده.

قال أبو بَرزّة: ثم انصرفوا بعد يوم واردة غير بني ثعلبة بن عكابة ورأسوا على أنفسهم الحارث بن عباد، فاتبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة، حتى التقوا بالحنو^(١)، فظَهَرَتْ بنو ثعلبة على تغلب.

[يوم القصيبات]

قال مقاتل: ثم التقوا يوم بطن السَّرو، وهو يوم القُصَيبات^(٢)، وربما قيل يوم القُصَيبة، وكان لبني تغلب على بكر، حتى ظنَّت بكرٌ أن سيقتلونها.

[يوم قضة]

قال مقاتل: وقتلوا يومئذٍ همَّام بن مرّة. ثم التقوا يومَ قِضَّة وهو يومُ التحالِقِ ويومُ الثَّنيَّة^(٣). ويومُ قِضَّة ويومُ الفصيل لبكر على تغلب. قال أبو بَرزّة: اتبعت تغلب بكرًا فقطعوا رملات خزازي^(٤) والرَّغام^(٥) ثم مالوا لبطن الحِمارة^(٦)، فوردت بكرٌ قِضَّة فَسَقَتْ وأسقت ثم صدرت وحلَّووا^(٧) تغلب، ونهضوا في نُجعة يقال لها مُويبة لا يجوز فيها إلا بعير بعير، فلحق رجل من الأوس بن تغلب بغُليم من بني تميم اللَّات بن ثعلبة يطردُ ذوداً له، فطعن في بطنه بالرمح ثم رفعه فقال: تَحَدَّبي أُمُّ البَوِّ على بَوِّك. فرآه عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، فقال: أنفذوا جملَ أسماء (ابنته) فإنه أمضى جمالكم وأجودها منفذاً، فإذا نفذت تبعته النعم، فوثب الجمل في المويبة، حتى إذا نهض على يديه وارتفعت رجلاه ضرب عرقوبيه وقطع بطن الطَّعينة فوق فسدَّ

(١) الحنو: موضع في ديار بكر وتغلب.

(٢) كانت أيام بكر وتغلب خمسة أيام مشاهير: أولها يوم عنيزة، وتكافؤوا فيه، والثاني يوم واردة، وكان لتغلب على بكر، والثالث يوم الحنو، وكان لبكر على تغلب، والرابع يوم القصيبات وهو موضع في ديار بكر وتغلب، وكان لتغلب على بكر، وقتلوه قتلًا ذريعاً، والخامس يوم قضة، وهو آخر أيامهم، وكان لبكر، وفيه أسر مهلهل بن ربيعة.

(٣) الثَّنيَّة: أعلى مِيل في رأس جَبَل يَرى من بعيد فيُعَرَف.

(٤) خزازي: جبل من ناحية منعج دون إمرة وفوق عاقل، على يسار طريق البصرة إلى المدينة بإزاء حمى ضربة.

(٥) الرِّغام: رملة بناحية اليمامة.

(٦) الحِمارة: اسم حرة.

(٧) حلَّووا: منعوها الماء.

الثنية - ثم قال عوف: أنا البرك أبرك حيث أدرك، فسَمِّي البرك ووقع الناس إلى الأرض لا يرون مجازاً، وتحالقوا لتعرفهم النساء؛ فقال جحدر بن ضبيعة بن قيس أبو المسامعة واسمه ربعة؛ قال: وإنما سُمِّي جحدرًا لِقَصْرِه -: لا تحلقوا رأسي فأني رجل قصير، لا تشينوني، ولكني أشتريه منكم بأول فارس يطلع عليكم من القوم؛ فطلع ابن عناق فشد عليه فقتله. فقال رجل من بكر بن وائل يمدح مسمع بن مالك بذلك:

يأبن الذي لمّا حلقنا اللّما ابتاع منا رأسه تَكْرُما
بفارسٍ أولٍ مَن تقدّما

[الرجز]

وقال البكري:

ومئاً الذي فادى من القوم رأسه بمستلّم^(١) من جمعهم غير أعزلاً
فأذى إلينا بزة^(٢) وسلاحه ومُنْفَصلاً من عُنْقِهِ قد تَزَيَّلاً
[الطويل]

قال: وكان جحدر^(٣) يرتجز يومئذ ويقول:

رُدُّوا عَلَيَّ الْخَيْلَ إِنْ أَلَمَّتْ إِنْ لَمْ أَقَاتِلْهُمْ فَجُزُّوا لِمَتِي
[الرجز]

وَزَعَمَ عامر بن عبد الملك المسمعي أنه لم يقلها، وأن صخر بن عمرو السلمي قائلها، فقال مسمع: كردين^(٤) كذب عامر. وقال البكري:

ومئاً الذي سدّ الثنيّة غُدوةً على حَلْفَةٍ لم يُبقِ فيها تحللاً
بجهدٍ يمين الله لا يطلعونها ولما نُقاتِلَ جمعهم حين أسهلاً
[الطويل]

(١) المستلثم: لابس الألة؛ وهي السلاح كلها.

(٢) البز: نوع من الثياب.

(٣) جحدر بن ضبيعة بن قيس البكري الوائلي، أبو مكنف. فارس بكر في الجاهلية وأحد شعراء همدان، قيل: اسمه ربعة ولقبه جحدر (وهو في اللغة القصير) وإليه ينسب عامر بن عبد الملك بن مسمع الجحدري. له وقائع كثيرة، وقتل في حرب تغلب (يوم تحلاق اللحم) وهو أحد أيام حرب البسوس وسمي بذلك لأن بكراً حلقوا رؤوسهم ليعرف بعضهم بعضاً إلا جحدر بن ضبيعتة الذي قال: أنا قصير فلا تشينوني وأنا اشتري منكم لمتي بأول فارس يطلع عليكم، فطلع ابن عناق فشد عليه فقتله، سنة ١١٥ ق. هـ.

(٤) كردين: كلمة فارسية تعني حائداً عن الصواب.

وَأَمَّا مُقَاتِلُ فَزَعَمَ أَنَّهُمْ قَالُوا: اتَّخَذُوا عَلَمًا يَعْرِفُ بِهِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَتَحَالَقُوا. وفيه يقول طَرْفَةُ^(١):

سَائِلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا بِقُوانَا يَوْمَ تَحْلِقِ اللَّمَمُ
يَوْمَ تُبْدي البِيضُ عَنْ أَسْوَفِهَا وَتُلْفُ الْخَيْلُ أَعْرَاجَ النَّعَمِ
[الرملة]

غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ابْنُ مُحَرِّزٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ، وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ الْمَكِيِّ أَنَّهُ لِمَعْبُدٍ.

[هَمَامُ بْنُ مَرَّةٍ وَمُقَاتِلُهُ]

وَزَعَمَ مُقَاتِلُ أَنَّ هَمَّامَ بْنَ مَرَّةٍ بْنِ ذُهْلٍ بْنِ شَيْبَانَ، لَمْ يَزَلْ قَائِدَ بَكْرٍ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ الْقُصَيَّبَاتِ، وَهُوَ قَبْلَ يَوْمِ قِصَّةٍ، وَيَوْمِ قِصَّةٍ، عَلَى أَثَرِهِ. وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ مُقَاتِلِ هَمَّامُ أَنَّهُ وَجَدَ غَلَامًا مَطْرُوحًا، فَالْتَقَطَهُ وَرَبَّاهُ وَسَمَّاهُ نَاشِرَةً فَكَانَ عِنْدَهُ لَقِيطًا، فَلَمَّا شَبَّ تَبَيَّنَ أَنَّهُ مِنْ بَنِي تَغْلِبٍ؛ فَلَمَّا التَقُوا يَوْمَ الْقُصَيَّبَاتِ جَعَلَ هَمَّامُ يِقَاتِلُ، فَإِذَا عَطِشَ رَجَعَ إِلَى قَرْبَةٍ فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ وَضَعَ سِلَاحَهُ، فَوَجَدَ نَاشِرَةً مِنْ هَمَّامٍ غَفْلَةً، فَشَدَّ عَلَيْهِ بِالْعَنْزَةِ^(٢) فَأَقْصَدَهُ فَقَتَلَهُ، وَلَحِقَ بِقَوْمِهِ تَغْلِبَ. فَقَالَ بَاكِي هَمَّامُ:

لَقَدْ عَيَّلَ الْأَقْوَامُ^(٣) طَعْنَةَ نَاشِرِهِ أَنَا شِرُّ لَا زَالَتْ يَمِينُكَ أَشْرَهُ
[الرجز]

[ثَارُ الْحَارِثِ بْنِ عِبَادٍ]

ثُمَّ قَتَلَ نَاشِرَةً رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ قِصَّةٍ وَتَجَمَّعَتْ إِلَيْهِمْ بَكْرٌ، جَاءَ إِلَيْهِمُ الْفُئْدُ الزَّمَانِيُّ أَحَدُ بَنِي زِمَانَ بْنِ مَالِكِ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ مِنَ الْيَمَامَةِ، قَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمِسْمَعِيِّ: فَرَأَسُوهُ عَلَيْهِمْ؛ فَقُلْتُ أَنَا لِفِرَاسِ ابْنِ خَنْدَقٍ: إِنْ عَامِرًا يَزْعُمُ أَنَّ الْفُئْدَ كَانَ رَئِيسَ بَكْرِ يَوْمِ قِصَّةٍ، فَقَالَ: رَجِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! كَانَ أَقْلَ النَّاسِ حِظًّا فِي عِلْمِ قَوْمِهِ. وَقَالَ فِرَاسُ: كَانَ رَئِيسَ بَكْرِ بَعْدَ هَمَّامٍ، الْحَارِثُ بْنُ عِبَادٍ. قَالَ مُقَاتِلُ: وَكَانَ الْحَارِثُ بْنُ عِبَادٍ قَدْ اعْتَزَلَ يَوْمَ قُتِلَ كَلِيبُ، وَقَالَ: لَا أَنَا مِنْ هَذَا وَلَا نَاقَتِي وَلَا جَمْلِي وَلَا عِدْلِي، وَرَبَّمَا قَالَ: لَسْتُ مِنْ هَذَا وَلَا

(١) ذكر هذان البيتان في ديوان طرفة بن العبد، ولكن الأصمعي ينفيهما عنه، ويعتبر أنها مصنوعة وأنه أدرك قائلها.

(٢) جاء يتوكأ على عنزة وهي شبه العكازة. وعنزه: طعنوا فيه نحو نركوه: من العنزة.

(٣) ورد في بعض المصادر «الأقوام» بدل «الأيام».

جملي ولا رحلي، وخذل بكراً عن تَغْلِبَ، واستعظم قتلَ كليب لسؤدده في ناقة. فقال سعد بن مالك^(١) يحضض الحارث بن عباد:

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهُطَ^(٢) فَاسْتَرَا حُوا
وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لِصَا حِبِهَا^(٣) التَّخِيلُ^(٤) وَالْمِرَاحُ^(٥)
إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَّجَدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ^(٦)
[مجزوء الكامل]

فلما أخذ بُجَيْرُ بن الحارث بن عباد تَوًّا بواردات - وإنما سُلَّ ولم يؤخذ في مُزاحفة - قال له مهلهل، مَنْ خالك يا غلام؟! قال امرؤ القيس بن أبان التَّغْلِبِيُّ لمهلهل: إني أرى غلاماً لَيُفْتَلَنَ به رجل لا يُسأل عن خاله، وربما قال عن حاله قال: فكان والله امرؤ القيس هو المقتول به، قتله الحارث بن عباد يوم قِصَّة بيده - فقتله مهلهل. قال: فلما قتل مهلهل بُجَيْراً قال: بؤ بِشِيع^(٧) نعل كليب؛ فقال له الغلام: إِنْ رَضِيتَ بذلك بنو ضُبَيْعة بن قيس رَضِيتُ. فلما بلغ الحارث قتل بُجَيْر ابن أخيه - وقال أبو بَرْزة: بل بجير بن الحارث بن عباد نفسه - قال: نِعَم الغلام غلامٌ أصلح بين ابني وائل وباء بِكُليب. فلما سمعوا قول الحارث: قالوا له: إِنْ مهلهلاً لَمَّا قتله قال له: بؤ بِشِيع نعل كليب وقال مهلهل:

كُلُّ قَتِيلٍ فِي كُليبٍ حُلَامٌ^(٨) حَتَّى يَنَالَ الْقَتْلُ آلَ هَمَامٍ
[الرجز]

(١) سعد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة البكري الوائلي. من سراة بني بكر وفرسانها المعدودين، في الجاهلية. قال البغدادي: له أشعار جياذ في كتاب بني قيس بن ثعلبة. قتل في حرب البسوس سنة ٩٥ ق.هـ.

(٢) العددُ أَرَاهُطَة، ويجوز أن تقول: هَؤْلَاءِ رَهْطُكَ وَأَرَهْطُكَ، كل ذلك جمعٌ، وهم رجالُ عشيرتك والأَرَاهُطُ الجمعُ أيضاً.

(٣) ورد في بعض المصادر «لِجَاحِمِهَا» بدل «لِصَاحِبِهَا»، وجاحمها: موقدها ومثيرها.

(٤) التخيل: الكبر.

(٥) المراح: الأشر والبطر.

(٦) الوقاح: الصلب القوي.

(٧) أصل هذا الكلام مثل سائر، فتقول العرب «باءت عرار بكحل» يقال ذلك لشئيين كل واحد منهما يكون بواءً بصاحبه. وعرار وكحل: بقرتان باءت إحداهما بالأخرى. والبواء: السواء، يقال: فلان بواء لفلان، معناه: أنه إذا قتل به رضى قومه، ومنه قوله: بؤ بِشِيع كليب. قال الشاعر:

فيقتل جبراً بامرئ لم يكن له بواءً ولكن لا نكايل بالدم

(٨) قتيل حلام: ذهب دمه باطلاً.

وقال أيضاً:

كُلُّ قَتِيلٍ فِي كُلايِبٍ غُرِّهِ^(١) حَتَّى يَنَالَ الْقَتْلُ آلَ مُرِّهِ

[الرجز]

- فَغَضِبَ الْحَارِثُ^(٢) عِنْدَ ذَلِكَ فَنَادَى بِالرَّحِيلِ . قَالَ مِقَاتِلُ : وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ :

قَرَّبَا مَرَبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبٌ وَائِلٌ عَنِ حِيَالٍ
لَا بُجَيْرٌ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْطٌ كُلايِبٍ تَزَاجِرُوا عَنْ ضَلَالٍ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمَ اللَّهِ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالٍ^(٣)
[الخفيف]

قال : ولم يصحَّ عامر ولا مِسْمَعٌ غير هذه الثلاثة الأبيات . وزعم أبو بَرَزَةَ قال : كان أوَّلُ فارسٍ لقي مهلهلاً يومَ وارداتِ بُجَيْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ ، فقال : مَنْ خَالُكَ يَا غِلامَ ، وبِوَأَ نَحْوَهُ الرَّمْحُ^(٤) ، فقال له امرؤ القيس بن أبان التَّغْلِبِيُّ وكان على مُقَدِّمَتِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ : مهلاً يا مهلهل ! فَإِنَّ عَمَّ هَذَا وَأَهْلَ بَيْتِهِ قَدْ اعْتَزَلُوا حَرْبَنَا وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي شَيْءٍ مِمَّا نَكَرَهُ ، وَوَاللَّهِ لئن قَتَلْتُهُ لَيُقْتَلَنَّ بِهِ رَجُلٌ لَا يُسْأَلُ عَنْ نَسَبِهِ ، فلم يَلْتَفْتُ مهلهل إلى قوله وَشَدَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، وقال : بؤ بشسع نعل كليب ؛ فقال الغلام : إِنْ رَضِيتَ بِهِذَا بَنُو ثَعْلَبَةٍ فَقَدْ رَضِيتُهُ . قال : ثُمَّ عَبَرُوا زَمَانًا ، ثُمَّ لَقِيَ هَمَامٌ بْنُ مَرَّةٍ فَقَتَلَهُ أَيْضًا . فَاتَى الْحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ فَقِيلَ لَهُ : قَتَلَ مَهْلَهْلٌ هَمَامًا ؛ فَغَضِبَ وَقَالَ : رُدُّوا

(١) الغَزَّة : العبد والأمة .

(٢) الْحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ بْنُ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةِ الْبَكْرِيِّ . مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، أَحَدُ فُحُولِ شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ ، وَأَحَدُ سَادَاتِ الْعَرَبِ وَحُكَمَائِهَا وَشُجْعَانِهَا ، انْتَهَتْ إِلَيْهِ إِمْرَةُ بَنِي ضَبِيعَةَ وَهُوَ شَابٌ وَفِي أَيَّامِهِ كَانَتْ حَرْبُ الْبَسُوسِ فَاعْتَزَلَ الْقِتَالُ مَعَ قِبَائِلٍ مِنْ بَكْرِ . ثُمَّ إِنَّ الْمَهْلَهْلَ قَتَلَ وَلَدًا لَهُ اسْمُهُ مَجِيرٌ ، فَثَارَ الْحَارِثُ وَنَادَى بِالْحَرْبِ وَارْتَجَلَ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ الَّتِي كَرَّرَ فِيهَا قَوْلَهُ : (قَرَّبَا مَرَبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي . .) أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ مَرَّةً وَالنَّعَامَةُ فَرَسُهُ ، فَجَاؤُوا بِهَا ، فَجَزَّ نَاصِيَتَهَا وَقَطَعَ ذَنْبَهَا ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنَ الْعَرَبِ . اتَّخَذَ سَنَةَ عِنْدَ إِرَادَةِ الْأَخْذِ بِالثَّأْرِ وَنُصِرَتْ بِهِ بَكْرٌ عَلَى تَغْلِبٍ وَأَسَرَ الْمَهْلَهْلَ وَجَزَّ نَاصِيَتَهُ وَاطْلَقَهُ وَأَقْسَمَ أَنْ لَا يَكْفٍ عَنْ تَغْلِبٍ حَتَّى تَكْلِمَهُ الْأَرْضُ فِيهِمْ ، فَأَدْخَلُوا رَجُلًا فِي سَرْبٍ تَحْتَ الْأَرْضِ وَمَرَّ بِهِ الْحَارِثُ فَأَنْشَدَهُ الرَّجُلُ :

أَبَا مِنْدَرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا حَنَّانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

فَقِيلَ : بَرِ الْقَسَمِ وَاصْطَلَحْتَ بِكَرٍ وَتَغْلِبَ .

(٣) أَصْلُ اللَّقَاحِ الْحَمْلُ . وَعَنْ بَعْضِ بَعْدِ . وَحِيَالٌ مُصَدَّرٌ حَالَتِ الْأَنْثَى إِذَا لَمْ تَحْمِلْ . وَالْمُرَادُ أَنَّ حَرْبَ وَائِلٍ هَاجَتْ بَعْدَ سُكُونِ .

(٤) بِوَأَ نَحْوَهُ الرَّمْحُ : صَوَّبَ السَّهْمَ نَحْوَهُ وَسَدَدَهُ .

الجَمالَ على عَكْرَها^(١) «الأمرُ مخلوَجَةٌ»^(٢) ليس بسُلْكَى^(٣)»^(٤)، وجدَّ في قتالهم. قال مقاتل: فكان حَكَمَ بكر بن وائل يوم قِصَّة الحارث بن عباد؛ وكان الرئيس الفُندُ، وكان فارسهم جَحْدَرٌ، وكان شاعرهم سعد بن مالك بن ضُبَيْعة، وكان الذي سدَّ الثَّيَّةَ عوفُ بن مالك بن ضُبَيْعة؛ وكان عوفُ أُنْبى من أخيه سعد. وقال فراس بن خَنْدَق: بل كان رئيسهم يوم قصة الحارث بن عباد.

[أسر مهلهل ونجاته]

قال مقاتل: فأسرَ الحارث بن عباد عَدِيًّا - وهو مهلهل - بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه، فقال له: دُلَّنِي على المهلهل؛ قال: ولي دَمِي؟ قال: ولك دَمُكَ؛ قال: ولي دِمَّتِكَ وذمة أبيك. قال: نعم، ذلك لك، قال: فأنا مُهلهل. قال: دُلَّنِي على كُفٍّ لِبُجَيْرٍ، قال: لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان، هذاكَ عَلَمُهُ، فجزَّ ناصِيَتَهُ^(٥)، وقصد امرئ القيس فشد عليه فقتله. فقال الحارث في ذلك:

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَعْرِفْ عَدِيًّا إِذْ أَمَكَّنْتَنِي الْيَدَانِ
طُلَّ^(٦) مَنْ طُلَّ فِي الْحُرُوبِ وَلَمْ أُوتَرْ بُجَيْرًا^(٧) أَبَاثُهُ ابْنُ أَبَانَ
فَارِسٌ يَضْرِبُ الْكُتَيْبَةَ بِالسَّيْفِ وَتَسْمُو أَمَامَهُ الْعَيْنَانِ
[الخفيف]

وزعم حُجْرٌ أن مُهلهلاً قال: لا والله أو يعهد لي غيرُك؛ قال الحارث: اختر

(١) العَكْرُ: جمع عَكْرَةٍ، وهي القطيع الضخم من الإبل.

(٢) الطعنة السُّلْكَى: المستقيمة تلقاء وجهه.

(٣) ابن سيده: المخلوَجَةُ الطعنة التي تذهب يَمَنَةً وَيَسْرَةً. وأمرهم مَخْلُوجٌ: غير مستقيم. ووقعوا في مَخْلُوجَةٍ من أمرهم أي اختلاط؛ عن ابن الأعرابي.

(٤) ابن السكيت: يقال في الأمثال: الرَّأْيُ مَخْلُوجَةٌ وليست بسُلْكَى؛ قال: قوله مخلوَجَةُ أي تصرف مرة كذا ومرة كذا

حتى يصح صوابه، قال: والسُّلْكَى المستقيمة؛ وقال في معنى قول امرئ القيس:

نَطَعْنُهُمْ سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً، كَرَكْ لَأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ

يقول: يذهب الطعن فيهم ويرجع كما تَرُدُّ سهمين على رام رمى بهما. قال: والسُّلْكَى الطعنة المستقيمة، والمَخْلُوجَةُ على اليمين وعلى اليسار.

(٥) الناصِيَةُ قُصَاصٌ من الشَّعَرِ في مُقَدِّمِ الرَّأْسِ.

(٦) أَطْلَ دمه، وطَلَّه الله، أهدره. قال: ولا يقال طَلَّ دمه بالفتح، وأبو عبيدة والكسائي يقولانه. وقال أبو عبيدة: فيه ثلاث لغات: طَلَّ دمه، وطَلَّ دمه، وأَطْلَ دمه. وأَطْلَ عليه، أي أشرف.

(٧) ورد في بعض المصادر «وَلَمْ يُطَلَّلْ قَتِيلٌ» بدل «لم أوتر بُجَيْرًا».

مَنْ شِئْتَ، قال: أختار الشيخ القاعد عَوْفَ بن مُحَلَّم؛ قال الحارث: يا عوفُ أجزه، قال: لا! حتى يقعدَ خلفي، فأمره فقعد خلفه؛ فقال: أنا مُهلhel. وأما مقاتل فقال: إنما أخذه في دُورِ الرّحى^(١) وَحُومَة القتال ولم يقعد أحد بعد، فكيف يقول الشيخ القاعد! قال مقاتل: وشدّ عليهم جَحْدَرٌ، فاعتوره عمرو وعامر، فطعن عمراً بعالية الرمح^(٢) وطعن عامراً [بسافلته]^(٣) فقتلها عداً^(٤) وجاء بيزهما. قال عامر بن عبد الملك المسمعي: فحدّثني رجلٌ عالمٌ قال: سألني الوليدُ بن يزيد: مَنْ قَتَلَ عمراً وأخاه عامراً؟ قلت: جَحْدَرٌ؛ قال: صدقت، فهل تدري كيف قتلها؟ قلتُ: نعم، قتل عمراً بسنان الرمح، وقتل عامراً بَزْجِه. قال: وقتل جحدراً أيضاً أبا مِكنَفٍ. قال مقاتل: فلما رجع مُهلhel بعد الوقعة والأسر إلى أهله، جعل النساء والولدان يستخبرونه: تسأل المرأة عن زوجها وابنها وأخيها، والغلامُ عن أبيه وأخيه؛ فقال:

لَيْسَ مِثْلِي يُخْبِرُ النَّاسَ عَنْ آ
لَمْ أَرَمْ^(٥) عَرَصَةَ الْكُتَيْبَةِ حَتَّى أُنْ
عَرَفْتُهُ رِمَاحَ بَكْرٍ فَمَآيَا
غَلَبُونَا وَلَا مَحَالَةَ يَوْمًا
بَائِهِمْ قُتِلُوا وَيَنْسَى الْقِتَالَا
تَعَلَ الْوَرْدُ^(٦) مِنْ دِمَاءٍ نَعَالَا
خُذَنْ إِلَّا لَبَانَهُ^(٧) وَالْقَذَالَا^(٨)
يَقْلِبُ الدَّهْرُ ذَاكَ حَالًا فَحَالَا
[الخفيف]

(١) مَرَحَى الْجَمَلِ: مَوْضِعٌ بِالْبَصْرَةِ دَارَتْ عَلَيْهِ رَحَى الْحَرْبِ. التَهْدِيبُ: رَحَى الْحَرْبِ حَوْمُتُهَا، وَرَحَى الْمَوْتِ وَمَرَحَى الْحَرْبِ. وفي حديث سُلَيْمَانَ بن صُرْدٍ: أَتَيْتُ عَلِيًّا حِينَ فَرَعَ مِنْ مَرَحَى الْجَمَلِ؛ قال أبو عُبَيْدٍ: يعني الموضع الذي دارت عليه رَحَى الْحَرْبِ.

(٢) عالية الرمح: سنانه.

(٣) سافلته: حديدة في أسفل الرمح.

(٤) قتلها سوياً الواحد أثر الآخر.

(٥) لم أرم: لم أبرح.

(٦) من المجاز الوَرْدُ من الْخَيْلِ: بَيْنَ الْكُمَيْتِ وَالْأَشْقَرِ، سُمِّيَ بِهِ لِلْوَرْنِ، وَيَقْرَبُ مِنْهُ قَوْلُ مُخْتَصِرِ الْعَيْنِ: الْوَرْدَةُ: حُمْرَةٌ تَضْرِبُ إِلَى صُفْرَةٍ، الْوَرْدُ: لَوْنٌ أَحْمَرٌ يَضْرِبُ إِلَى صُفْرَةٍ حَسَنَةٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَرَسٌ وَرْدٌ، وَرْدٌ، بَضْمٌ فَسْكَونٌ مِثْلُ جَوْنٍ وَجَوْنٍ، وَوَرَادٌ، بِالْكَسْرِ، كَمَا فِي الْمَحْكَمِ وَمُخْتَصِرِ الْعَيْنِ، وَأَوْرَادٌ، هَكَذَا وَقَعَ فِي سَائِرِ النسخ، وهو غيرُ مَعْرُوفٍ، وَالْقِيَاسُ بِأَبَاءِ، قَالَهُ شَيْخُنَا.

(٧) ورد في بعض النسخ «لباته» بدل «لبانه». اللَّبَّةُ من الصَّدْرِ: مَوْضِعُ اللَّبَّةِ مِنَ الْقِلَادَةِ وَهِيَ وَاسِطَةٌ حَوَالَيْهَا لُؤْلُؤٌ، وَالْجَمْعُ الْأَلْبَابُ.

(٨) الْقَذَالُ: جِمَاعٌ مَوْخِرُ الرَّأْسِ، وَهُوَ مَعْقِدُ الْعَذَارِ مِنَ الْفَرَسِ خَلْفَ النَّاصِيَةِ. وَيُقَالُ: الْقَذَالَانِ: مَا اكْتَنَفَ فَأَسَّ الْقَفَا عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، وَيَجْمَعُ عَلَى أَقْدَلَةٍ وَقُدْلٍ. وَقُدْلَتُهُ: ضَرْبُ قَذَالَةٍ. وَيُقَالُ: الْقَذَلُ: الْمَيْلُ وَالْجَوْرُ.

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن، فكان في جنب^(١) فخطب إليه أحدهم ابنته فأبى أن يفعل، فأكرهوه فأنكحها إياه، فقال في ذلك مهلهل:

أَنكَحَهَا فَقَدُّهَا الْأَرَاقِمَ^(٢) فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحِبَاءُ^(٣) مِنْ أَدَمِ
لَوِبَاءَانِينَ^(٤) جَاءَ يَخْطُبُهَا ضَرَجَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ
أَصَبَحْتُ لَا مُنْفِسًا^(٥) أَصَبْتُ وَلَا أَبْتُ كَرِيمًا حُرًّا مِنْ النَّدَمِ
هَانَ عَلَى تَغْلِبٍ بِمَا لَقِيتُ أُخْتُ بَنِي الْمَالِكِينَ مِنْ جُشَمِ
لَيْسُوا بِأَكْفَائِنَا الْكَرَامِ وَلَا يُغْنُونِ مِنْ عَيْلَةٍ وَلَا عَدَمِ
[المنسرح]

ثم إن مهلهلاً انحدر، فأخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة، فطلب إليه أخواله بنو يَشْكُرَ وأم مهلهل المرادة بنت ثعلبة بن جُشَم بن غُبَر اليَشْكُرِيَّة، وأختها مَنَّة بنت ثعلبة أم حَيَّ بن وائل، وكان المُحَلَّل بن ثعلبة خالهما فَطَلَبَ إلى عمرو أن يدفعه إليه فيكون عنده ففعل؛ فسقاه خمرًا، فلما طابت نفسه تغنى:

طِفْلَةٌ مَا أَبْنَتْهُ الْمُحَلَّلُ بَيْضًا لَعُوبٌ لَذِيذَةٌ فِي الْعِنَاقِ
[الخفيف]

حتى فرغ من القصيدة، فأدى ذلك من سمعه من المُهلهل إلى عمرو، فحوّله إليه وأقسم ألا يذوق عنده خمرًا ولا ماء ولا لبنًا حتى يَرِدَ ربيبُ الهَضَابِ (جمل له كان أقل وروده في الصيف الخُمُس^(٦))، فقالوا له: يا خير الفتيان، أرسل إلى ربيب فلتؤت به قبل وروده، ففعل فأوجره^(٧) ذنوبًا^(٨) من ماء، فلما تحلل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة، وهو أوبأ ماء رأيت، فمات. فتلك الهَضَاب التي كان يرعاها ربيب يقال لها هَضَاب ربيب، طالما رعيتهن ورأيتهن. قال مقاتل: ولم يُقاتل معنا من بني يَشْكُرَ

(١) جنب: حي باليمن من مذحج، وهم ستة رجال: منبه والحارث والعلي وسيحان وشمرا وهفان، ويقال لهم جنب لأنهم جانبوا أخاهم صداء.

(٢) الاراقم: حي من تغلب.

(٣) ورد في بعض المصادر «الخباء» بدل «الحباء» ولعله تصحيف.

(٤) المقصود أبان الأبيض لبني فزارة وعبس وأبان الأسود لبني أسد.

(٥) المنفس: المال الكثير الذي له قدر وخطر.

(٦) الخُمُس بالكسر من أظماء الإبل: أن ترعى ثلاثة أيام وترد اليوم الرابع. وقد أخمَس الرجل، أي وردت إبله خُمُسًا: والإبل خَوَامِس. والرجل مُخَمَس.

(٧) أوجره ذنوبًا من ماء: أي جعله في فيه.

(٨) الذنوب: الدلو التي لها ذنب.

ولا من بني لُجَيم ولا دُهل بن ثعلبة غيرُ ناس من بني يَشْكُر ودُهل قاتلت بأخرة، ثم جاء ناس من بني لُجَيم يوم قِصَّة مع الفِند. وفي ذلك يقول سعد بن مالك^(١):

إِنَّ لُجَيمًا قَدْ أَبَتْ كُلُّهَا أَنْ يُرْفِدُونَا رَجُلًا وَاحِدًا
وَيَشْكُرُ أَضَحَّتْ عَلَى نَائِيهَا لَمْ تَسْمَعْ الْآنَ لَهَا حَامِدًا
وَلَا بَنُو دُهْلٍ وَقَدْ أَصْبَحُوا بِهَا حُلُولًا خَلْفًا مَاجِدًا
أَلْقَائِدِي الْخَيْلَ لِأَرْضِ الْعِدَا وَالضَّارِبِينَ الْكُوكَبَ^(٢) الْوَافِدَا^(٣)

[السريع]

وقال البكري:

وَصَدَّتْ لُجَيمٌ لِلْبَرَاءَةِ إِذْ رَأَتْ أَهَاضِيبَ^(٤) مَوْتٍ تُمْطِرُ الْمَوْتَ مُعْضِلًا
وَيَشْكُرُ قَدْ مَالَتْ قَدِيمًا وَأَرْتَعَتْ وَمَنْتَ بِقُرْبَاهَا إِلَيْهِمْ لِتُوصِلًا

[الطويل]

وقالوا جميعاً: مات جَسَّاسٌ حَتَفَ أَنْفَهُ وَلَمْ يُقْتَلْ.

[عدد القتلى]

قال عامر بن عبد الملك: لم يكن بينهم من قُتِلَ تعد ولا تذكر إلا ثمانية نفرٍ من تغلب وأربعة من بكر عددهم مُهلَهْلٌ في شِعْرِيهِ، يعني قصيدتيه:

أَلَيْلَتْنَا بِذِي حُسْمٍ^(٥) أَنْيَرِي إِذَا أَنْتِ أَنْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي
فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِي فَقَدْ أَبَكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ
فَلَوْ نُبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كُلِّيبٍ فَيُعْلَمَ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرِ

(١) سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة البكري الوائلي. من سراة بني بكر وفرسانها المعدودين، في الجاهلية. قال البغدادي: له أشعار جواد في كتاب بني قيس بن ثعلبة. قتل في حرب البسوس وهو صاحب القصيدة الحاثية التي:

يَا بؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهِطَ فَأَسْتَرَا حُوا

وقال التبريزي هو جد طرفة بن العبد، توفي سنة ٩٥ ق.هـ.

(٢) الْكُوكَبُ: سَيْدُ الْقَوْمِ.

(٣) الْوَافِدُ: الْقَادِمُ.

(٤) فِي الصَّحَاحِ عَنْ أَبِي زَيْدٍ: الْأَهَاضِيبُ: وَاحِدُهَا هِضَابٌ، وَوَاحِدُ الْهِضَابِ: هَضْبٌ، وَهِيَ حَلَبَاتِ الْمَطَرِ بَعْدَ الْقَطْرِ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَلَمْ يُسْمَعْ فِيهِ أَنَّهُ جُمِعَ أَهْضُبٌ عَلَى مَا هُوَ مَشْهُورٌ فِي صَيْغِ مُنْتَهَى الْجُمُوعِ، كَمَا زَعَمَهُ شَيْخُنَا.

(٥) ذُو حُسْمٍ: مَوْضِعٌ فِي الْبَادِيَةِ.

بِیَوْمِ الشَّعْثَمَیْنِ^(١) أَقْرُ عَیْنًا
وَأَنْتَی قَدْ تَرَكْتَ بِوَارِدَاتِ^(٢)
هَتَكْتُ بِهِ بُیُوتَ بَنِي عُبَادِ
عَلَى أَنْ لَیْسَ یُوفِی مِنْ كُلیبِ
وَهَمَّامَ بْنَ مُرَّةٍ قَدْ تَرَكْنَا
یَنْوَاءَ بِصَدْرِهِ وَالرُّمَحُ فِیهِ
فَلَوْلَا الرِّیْحُ أَسْمِعَ مَنْ بِحَجَرِ
فِدَى لِبَنِي شَقِیقَةٍ یَوْمَ جَاؤُوا
كَأَنَّ رَمَاحَهُمْ أَشْطَانُ^(٧) بئِرِ
غَدَاةٍ كَأَنَّنا وَبَنِي أَبینَا
تَظَلُّ الْخَیْلُ عَاكِفَةً عَلَیْهِمْ

وَكَيْفَ لِقَاءَ مَنْ تَحْتَ الْقُبُورِ
بُجَیراً فِی دَمٍ مِثْلِ الْعَبِیرِ^(٣)
وَبَعْضُ الْعَشْمِ أَشْفَى لِلْصُّدُورِ
إِذَا بَرَزَتْ مُخَبَّاءُ الْخُدُورِ
عَلِیْهِ الْقَشْعُ عُمَانِ^(٤) مِنَ النُّسُورِ
وَيَخْلُجُهُ^(٥) خَدْبٌ^(٦) كَالْعَبِیرِ
صَلِيلَ الْبَیْضِ تُقَرِّعُ بِالذُّكُورِ
كَأَسَدِ الْغَابِ لَجَّتْ فِی الزَّئِیرِ
بَعِیدِ بَیْنِ جَالِیْهَا^(٨) جَرُورِ^(٩)
بِجَنْبِ عُنَیْزَةٍ رَحِیاً مُدِیرِ
كَأَنَّ الْخَیْلَ تُرْحَضُ^(١٠) فِی غَدِیرِ^(١١)

[الوافر]

فهؤلاء أربعة من بني بكر بن وائل . وقال أيضاً:

طِفْلَةٌ مَا أَبْنَتْهُ الْمُحَلَّلِ بَیْضَا
فَأَذْهَبِي مَا إِلَیْكَ غَیْرُ بَعِیدِ
ضَرَبْتُ نَحْرَهَا إِلَیَّ وَقَالَتْ
ءُ لَعُوبٌ لَذِیذَةٌ فِی الْعِناقِ
لَا یُؤَاتِي الْعِناقَ مَنْ فِی الْوِثاقِ
یَا عَدِیًّا لَقَدْ وَقَتُّكَ الْأَوَاقِیَ^(١٢)

(١) يوم الشعثمين: هو يوم واردات، ولكن شعر الأخطل يدل على أنه يوم الذنائب.

(٢) واردات: موضع عن يسار طريق مكة، وبه سمي يوم واردات.

(٣) قال أبو عبيدة: العبير عند العرب: الزعفران وحده.

(٤) القشع: هو الضخم المسن من كل شيء. قال أبو زيد: كل شيء يكون ضخماً فهو قشع؛ والقشع: النسر الذكر العظيم.

(٥) يخلجه: يجذبه.

(٦) الخدب: الضخم.

(٧) الشطن: الحبل، ويقال: الحبل الشديد الفتل يستقى به.

(٨) جال البئر: ناحيتها.

(٩) الجرور من الآبار: البعيدة القعر.

(١٠) ثوبٌ رحيضٌ ومَرْحُوضٌ: أي: مغسول. والرحض: الغسل. وقالت عائشة في عثمان: «استتابوه حتى إذا تركوه كالثوب الرحيض أحوالوا عليه فقتلوه».

(١١) ورد البيت في القصيدة على الشكل التالي:

تَظَلُّ الطَّيْرُ عَاكِفَةً عَلَیْهِمْ كَأَنَّ الْخَیْلَ تَنْضَحُ بِالْعَبِیرِ

(١٢) الوقاء والوقاء: ما وقيت به شيئاً. والأوقية وزن عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم. والجمع =

ما أَرْجِي فِي الْعَيْشِ بَعْدَ نَدَامَا
بَعْدَ عَمْرٍو وَعَامِرٍ وَحُيَيٍّ
وَأَمْرِئِ الْقَيْسِ مَيَّتٍ يَوْمَ أَوْدَى
وَكُلَيْبِ شَمٍّ^(٤) الْفَوَارِسِ إِذْ
إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَدًّا وَلِينًا
حَيَّةً فِي الْوَجَارِ^(٧) أَرَبَدَ^(٨) لَا تَنْد
يَ أَرَاهُمْ سُقُوا بِكَأْسِ حَلَاقٍ^(١)
وَرَبِيعِ الصَّدُوفِ^(٢) وَأَبْنِي عَنَاقٍ
ثُمَّ خَلَّى عَلَيَّ ذَاتَ الْعِرَاقِي^(٣)
حُمَّ رَمَاهُ الْكُمَاهُ بِالْإِيفَاقِ^(٥)
وَحَصِيمًا أَلَدًا مِعْلَاقٍ^(٦)
فَعُ مِنْهُ السَّلِيمَ نَفْثَةً رَاقٍ

[الخفيف]

فهؤلاء ثمانية من تغلب. قال عامر: والدليل على أن القتلى كانوا قليلاً أن آباء القبائل هم الذين شهدوا تلك الحروب، فعدوهم وعدوا بنيهم وبني بنيهم، فإن كانوا خمسمائة فقد صدقوا، فكم عسى أن يبلغ عدد القتلى والقبائل. قال مِسْمَعٌ: إِنَّ أَخِي مَجْنُونٌ، وَكَيْفَ يَحْتَجُّ بِشَعْرِ الْمُهْلَهْلِ، وَقَدْ قَتَلَ جَحْدَرٌ أَبَا مِكْنَفٍ يَوْمَ قِصَّةٍ فَلَمْ يَذْكُرْهُ فِي شَعْرِهِ، وَقَتْلَ الْيَشْكُرِيِّ نَاشِرَةً فَلَمْ يَذْكُرْهُ فِي الشَّعْرِ، وَقَتْلَ حَبِيبٍ يَوْمَ وَارِدَاتٍ، وَقَتْلَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ يَوْمَ قِصَّةِ ابْنِ الْقَبِيحَةِ فَلَمْ يَذْكُرْ، فَهؤلاء أربعة. وقال البكري:

تَرْكُنَا حَبِيباً يَوْمَ أَرْجَفَ جَمْعُهُ
صَرِيعاً بِأَعْلَى وَارِدَاتٍ مُجَدَّلاً
[الطويل]

= الأواقي، وإن شئت خَفَّفْتَ الْبَاءَ فِي الْجَمْعِ. والأواقي أيضاً: جمع واقية. قال مهلهل: ضَرَبْتُ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ يَاعِدِيًّا لَقَدْ وَقَّتْكَ الْأَوَاقِي

(١) الحلاق: المنية معدولة عن الحالقة لأنها تحلق أي تقشر.
(٢) سحر صالح الناقة حتى نتجت سقبا. فمكثوا على ذلك حتى دنا الوقت الذي أراد الله فيه هلاكهم، فانبعثت فيه عجوز ملعونة فاسقة، يقال لها عنيزة بنت غنم، وكانت ذات ماشية كثيرة هي وأخت لها من أمها، يقال لها الصدوف ابنة المحيا. ثم إن الفاسقتين - عنيزة والصدوف - أجمع رأيهما على عقر الناقة، فأخذتها في المكر والحيل فأتت الصدوف رجلاً يقال له مصدع بن مهرع، فدعته إلى نفسها إن عقر الناقة. ونكاحها إن فعل لها ذلك. ويقال الصدوف اسم فرس الربيع الذي أضيف إليها.

(٣) ذات العراقي: الداهية.

(٤) ورد في بعض المصادر «شَم» بدل «سم».

(٥) الإيفاق: ابتار السهم ليرمي به، من اوقف السهم إذا وضعته على فوقه.

(٦) معلاق الرجل: لسانه إذا كان جدلاً.

(٧) الوجار، الوجار: جحر الضبع والأسد والذئب والثعلب ونحو ذلك.

(٨) الرُبْدَةُ: الرُبْدَةُ شُبُه الورقة تضرب إلى السواد.

وقال مهلهل أيضاً:

لَسْتُ أَرْجُو لَذَّةَ الْعَيْشِ مَا أَزَمْتُ^(١) أَجْلَادُ قَدْ بِسَاقِي
جَلَّلُونِي جِلْدَ حَوْبٍ^(٢) فَقَدْ جَعَلُوا نَفْسِي عِنْدَ التَّرَاقِي
[الخفيف]

وقال آخر^(٣) يفخر بيوم واردات:

وَمُهْرَاقُ الدِّمَاءِ بِوَارِدَاتٍ تَبِيدُ الْمُخْزِيَّاتُ وَلَا تَبِيدُ
[الوافر]

فَقُلْتُ لعامر: ما بال مسمع وما احتج به من هؤلاء الأربعة؟ فقال عامر: وما أربعة إن كنت أغفلتهم. فيما يقولون! إنهم قتلوا يوم كذا ثلاثة آلاف، ويوم كذا أربعة آلاف، والله ما أظن جميع القوم كانوا يومئذ ألفاً! فهاتوا فعُدُّوا أسماء القبائل وأبناءهم وانزلوا معهم إلى أبناء أبنائهم، فكم عسى أن يكونوا!

نسبة ما في هذه من الأغاني

صوت

أَزْجُرِ الْعَيْنَ أَنْ تُبَكِّي الطُّلُولَا إِنَّ فِي الصِّدْرِ مِنْ كَلِيبٍ غَلِيلَا
إِنَّ فِي الصِّدْرِ حَاجَةً لَنْ تُقْضَى مَا دَعَا فِي الْعُصُونِ دَاعٍ هَدِيلَا
كَيْفَ أَنْسَاكَ يَا كَلِيبُ وَلَمَّا أَقْضِ حُزْنَآ يَنْوِبُنِي وَعَلِيلَا

(١) الأُزْمَةُ: شِدَّةُ الْعُضِّ؛ كَمَا يَأْزِمُ الْفَرَسُ عَلَى فَأْسِ اللَّجَامِ.

(٢) الْحَوْبُ: زَجْرُ الْبَعِيرِ لِيَمْضِي، وَلِلنَّاقَةِ: حَلْ، وَالْعَرَبُ تَجْرُهُ وَلَوْ رُفِعَ أَوْ نُصِبَ لِحَازٍ، لِأَنَّ الزَّجْرَ وَالْأَصْوَاتَ وَالْحِكَايَاتِ تُحَرِّكُ أَوَاخِرُهَا عَلَى غَيْرِ إِعْرَابٍ لَازِمٍ، وَكَذَلِكَ الْأَدَوَاتُ الَّتِي لَا تَتِمَّكَّنُ فِي التَّصْرِيفِ، فَإِذَا حَوَّلَ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَى الْأَسْمَاءِ حُمِلَ عَلَيْهِ الْأَلْفُ وَاللَّامُ وَأُجْرِيَ مَجْرَى الْأَسْمَاءِ. وَيُقَالُ الْحَوْبُ: الضَّخْمُ مِنَ الْجَمَالِ.

(٣) وَهُوَ الْأَخْطَلُ، غِيَاثُ بْنُ غُوْثَ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ طَارِقَةَ بْنِ عَمْرٍو، أَبُو مَالِكٍ، مِنْ بَنِي تَغْلِبَ وَلَدَ عَامَ ١٩ لِلْهِجْرَةِ، وَهُوَ شَاعِرٌ مَصْقُولُ الْأَلْفَاظِ، حَسَنُ الدِّيَابَجَةِ، فِي شِعْرِهِ إِبْدَاعٌ. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجباً بأدبه، تياهاً، كثير العناية بشعره. وكانت إقامته حيناً في دمشق وحيناً في الجزيرة، حتى توفي سنة ٩٠هـ.

أَيُّهَا الْقَلْبُ أَنْجِزِ الْيَوْمَ نَحْبًا^(١) مِنْ بَنِي الْحِصْنِ^(٢) إِذْ غَدَوْا وَذُحُولًا^(٣)
 كَيْفَ يَبْكِي الطُّلُولَ مَنْ هُوَ رَهْنٌ بِطِعَانِ الْأَنَامِ جِيلاً فَجِيلاً
 أَنْبَضُوا^(٤) مَعِجَسَ الْقِسِيِّ وَأَبْرَقْنَا كَمَا تُوعِدُ الْفُحُولُ الْفُحُولَا
 وَصَبَرْنَا تَحْتَ الْبَوَارِقِ حَتَّى رَكَدَتْ فِيهِمُ السُّيُوفُ طَوِيلاً
 لَمْ يُطِيقُوا أَنْ يَنْزِلُوا وَنَزَلْنَا وَأَخُو الْحَرْبِ مَنْ أَطَاقَ الثُّزُولَا
 [الخفيف]

الشعر لمُهلhel - قال أبو عُبَيْدَة: اسمه عَدِيّ، وقال يعقوب بن السكيت: اسمه امرؤ القيس وهو ابن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب ابن عمرو بن عَنَم بن تغلب، وإنما لُقِبَ مُهلhelاً لطيب شعره ورِقَّتَه، وكان أحدَ من عُنيَ من العرب في شعره. وقيل: إنه أولُ من قصد القصائد وقال الغزل؛ فقليل: قد هَلْهَلَ الشعرَ، أي أرقه. وهو أولُ من كذب في شعره. وهو خال امرئ القيس بن حجر الكِنْدِيِّ. وكان فيه حُنْثٌ ولين، وكان كثيرَ المحادثة للنساء، فكان كُليب يسميه «زير النساء»، فذلك قوله:

وَلَوْ نَبَشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كُليبٍ فَيُعْلَمَ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرٍ
 [الخفيف]

الغناء لابن مُحَرِّز في الأول والثاني من الأبيات ثَقِيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى. وللغريض فيهما لحنٌ في هذه الطريقة والإصبع والمجرى، والذي فيه سَجْحَةٌ منها لابن مُحَرِّز. ولمَعْبَد لحنان أحدهما في الأول والسادس ثَقِيلٌ أول مطلق في مجرى البنصر، والآخِر خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أول بالبنصر. ولإبراهيم في الأول والرابع ثَقِيلٌ، أول بالخنصر في مجرى الوسطى. ولإسحاق في الأول والثالث ماخُورِي. ولعلُويه في الأول والثاني خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أول بالبنصر، ولمالك فيهما خَفِيفٌ رمل بالسبابة في مجرى الوسطى. ولابن سُرَيْج في السادس والسابع خَفِيفٌ رمل بالسبابة في مجرى البنصر. ولابن سُرَيْج أيضاً في الأول والثامن خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أول بالبنصر. وللغريض في الأول والثاني خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أول بالبنصر. وللهذلي في الأول والثاني والسابع خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أول بالوسطى من رواية حماد عن أبيه. ولمالك في الأول والثاني

(١) هو نحب عليه أي نذر.

(٢) الحصن: هو ثعلبة بن عكابة.

(٣) الذحول: الثأر.

(٤) انبض الرامي القوس: جذب وترها لتصوت.

والخامس خفيفٌ ثقيلٌ أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو بن بانه .
ومنها :

صوت

ثَكِلْتَنِي عِنْدَ^(١) الثَّنِيَّةِ أُمِّي وَأَتَاهَا نَعِيٌّ عَمِّي وَخَالِي
إِنْ لَمْ أَشْفِ النَّفُوسَ مِنْ حَيِّ بَكْرٍ وَعَدِيَّ تَطَاهُ بُزْلُ الْجِمَالِ^(٢)

[الخفيف]

غَنَّاهُ ابْنُ سُرَيْجٍ ثَقِيلاً أَوَّلَ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى مِنْ رِوَايَةِ إِسْحَاقَ ،
وَعَنَّاهُ الْغَرِيضُ ثَقِيلاً أَوَّلَ بِالْبَنْصَرِ عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرٍو بْنِ بَانَةَ .
ومنها :

صوت

قَرَّبَا مَرَبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِيَحَتْ حَرْبٌ وَائِلٌ عَنْ حِيَالِ
قَرَّبَاهَا فِي مُقَرَّبَاتِ^(٣) عَجَالِ عَابِسَاتٍ يَثْبِنَ وَثَبَ السَّعَالِي^(٤)
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ وَإِنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِ

[الخفيف]

الشعر للحارث بن عباد . والغناء للغريض ثقيلٌ أول بالبنصر . وفيه لحن آخر
يقال إنه لابن سُرَيْجَ . ومنها :

(١) ورد في بعض المصادر «على» بدل «عند» .

(٢) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي :

إِنْ لَمْ أَشْفِ النَّفُوسَ مِنْ تَغْلِبِ الْغَدِ رِ تَذُلُ بُزْلُ الْجِمَالِ

(٣) قال شمر : الإبل المُقَرَّبَةُ التي حُزِمَتْ لِلرُّكُوبِ ، قَالَهَا أَعْرَابِيٌّ مِنْ غَنِيٍّ . وقال : المُقَرَّبَاتُ مِنْ الخيل : التي ضُمِّرَتْ لِلرُّكُوبِ . أبو سعيد : الإبل المُقَرَّبَةُ التي عليها رِحَالٌ مُقَرَّبَةٌ بِالْأَدَمِ ، وَهِيَ مَرَاكِبُ الْمُلُوكِ ؛ قَالَ : وَأَنْكَرَ الْأَعْرَابِيُّ هَذَا التَّفْسِيرَ . وفي حديث عمر ، رضي الله عنه : ما هذه الإبلُ المُقَرَّبَةُ ؟ قَالَ : هَكَذَا رُوي ، بِكسر الراء ، وقيل : هي بالفتح ، وَهِيَ التي حُزِمَتْ لِلرُّكُوبِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْقِرَابِ . ابن سيده : المُقَرَّبَةُ والمُقَرَّبُ مِنَ الْخَيْلِ : التي تُذَنَّى ، وَتُقَرَّبُ ، وَتُكْرَمُ ، وَلَا تُتْرَكُ أَنْ تَرُودَ ؛ قَالَ ابْنُ دَرِيدٍ : إِنَّمَا يُفْعَلُ ذَلِكَ بِالْإِنَاثِ ، لِثَلَا يَفْرَعَهَا فَحُلٌّ لَيْمٍ .

(٤) سَعَلَ يَسْعُلُ سَعَالاً . وَالْمَسْعَلُ : مَوْضِعُهُ مِنَ الْحَلْقِ . وَالسَّعْلَاءُ : أَخْبَثُ الْغِيلَانِ ، وَكَذَلِكَ السَّعْلَاءُ : يَمُدُّ وَيَقْصُرُ ؛ وَالْجَمْعُ السَّعَالِي . وَاسْتَسْعَلَتِ الْمَرْأَةُ : صَارَتْ سَعْلَاءً ، إِذَا صَارَتْ صَحَابَةً بَدِيَّةً .

يَا لِبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلايَا
يَا لِبَكْرٍ فَاطْعَنُوا^(١) أَوْ فَحَلُّوا
يَا لِبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ
صَرَخَ الشَّرُّ وَبَانَ السَّرَارُ

[المديد]

الشعر لمُهلهل. والغناء لابن سريج، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق. وغنّاه الأبرج خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو.

ومنها:

أَلَيْتَنَا بِذِي حُسْمٍ أَنْيَرِي
فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَالاً لَيْلِي
كَأَنَّ الْجَدْيَ^(٢) جَدْيَ بَنَاتِ نَعَشٍ
وَتَخْبُو^(٤) الشَّعْرِيَّانِ^(٥) إِلَى سُهَيْلٍ^(٦)
إِذَا أَنْتِ أَنْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي
فَقَدْ أَبَكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ
يَكُبُّ^(٣) عَلَى الْيَدَيْنِ بِمُسْتَدِيرِ
يَلُوحُ كَقَمَّةِ^(٧) الْجَمَلِ الْكَبِيرِ
صَلِيلَ الْبَيْضِ تُفَرِّغُ بِالذُّكُورِ

[الوافر]

الشعر لمُهلهل. والغناء لابن مُحَرِّز في الأول والثاني ثقيل أول بالبنصر، وله في الأبيات كلها خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى، عن إسحاق جميعاً. وفي

(١) يروى البيت «يا لبكر اظعنوا أو فحلوا».

(٢) الجدّي من النجوم جدّيان: أحدهما: الذي يدور مع بنات نعش، والآخر: الذي يلزق الدلو، وهو من البروج ولا تعرفه العرب، وكلاهما على التشبيه بالجدّي في مرآة العين.

(٣) يكب: ينسكب.

(٤) ورد في بعض المصادر «تخبو» بدل «تخبو». قال أبو عبيد، وقال الكسائي حبا فلان للخمسين إذا دنا لها. وقال ابن الأعرابي: حباها وحبا لها أي دنا لها.

(٥) الشعري، بالكسر: كوكب نير يقال له: المزم، يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر، تقول العرب: إذا طلعت الشعري جعل صاحب التحل يرى. وهما الشعريان: العبور التي في الجوزاء والشعري الغميضاء التي في الدراع، تزعم العرب أنهما أختا سهيل. وطلوع الشعري على أثر طلوع الهقعة، وعبد الشعري العبور طائفة من العرب في الجاهلية ويقال: إنها عبرت السماء عرضاً، ولم يعبرها عرضاً غيرها، فأنزل الله تعالى «وأنه هو رب الشعري» وسميت الأخرى الغميضاء، لأن العرب قالت في حديثها: إنها بكّت على إثر العبور حتى غمضت.

(٦) سهيل: اسم كوكب يرى بالعراق، ولا يرى بخراسان. ويقال إن سهيلاً كان عشاراً على طريق اليمن ظلوماً فمسخه الله كوكباً.

(٧) يروى في بعض المصادر «كهية» بدل «قمة».

الآبيات كلها على الولاء للأبجر ثاني ثقیل بالوسطی علی مذهب إسحاق من رواية عمرو. ويقال: إن فيها لحناً للغريض أيضاً.

[ثأر ابن كليب له]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا الحسن بن الحسين السكري قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ عَنِ الْمُفَضَّلِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ: أَنَّ آخَرَ مَنْ قُتِلَ فِي حَرْبٍ بَكَرٍ وَتَغْلَبَ جَسَّاسٌ بِنِ مَرَّةٍ بَنَ ذَهْلَ بْنَ شَيْبَانَ، وَهُوَ قَاتِلُ كُليبِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَكَانَتْ أُخْتُهُ تَحْتَ كُليبِ، فَقَتَلَهُ جَسَّاسٌ وَهِيَ حَامِلٌ، فَرَجَعَتْ إِلَى أَهْلِهَا وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ، فَكَانَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مَا كَانَ، ثُمَّ صَارُوا إِلَى الْمَوَادَعَةِ بَعْدَمَا كَادَتْ الْقَبِيلَتَانِ تَتَفَانِيَانِ، فَوَلَدَتْ أُخْتُ جَسَّاسٍ غُلَامًا فَسَمَّيْتُهُ الْهَجْرَسَ وَرَبَاهُ جَسَّاسٌ، فَكَانَ لَا يَعْرِفُ أَبًا غَيْرَهُ، وَزَوْجَهُ ابْنَتَهُ. فَوَقَعَ بَيْنَ الْهَجْرَسِ وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ كَلَامٌ، فَقَالَ لَهُ الْبَكْرِيُّ: مَا أَنْتَ بِمُنْتَهٍ حَتَّى نُلْحِقَكَ بِأَبِيكَ؛ فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَدَخَلَ إِلَى أُمِّهِ كَثِيبًا، فَسَأَلَتْهُ عَمَّا بِهِ فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ؛ فَلَمَّا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ وَنَامَ إِلَى جَنْبِ امْرَأَتِهِ وَضَعَ أَنْفَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهَا، فَتَنَفَّسَ تَنَفُّسَةً تَنْفُطُ^(١) مَا بَيْنَ ثَدْيَيْهَا مِنْ حَرَارَتِهَا؛ فَقَامَتِ الْجَارِيَةُ فَرَعَةً قَدْ أَقْلَتْهَا رِعْدَةٌ حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى أَبِيهَا، فَقَصَتْ عَلَيْهِ قُصَّةَ الْهَجْرَسِ، فَقَالَ جَسَّاسٌ: ثَائِرُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ! وَبَاتَ جَسَّاسٌ عَلَى مِثْلِ الرُّضْفِ^(٢) حَتَّى أَصْبَحَ؛ فَأَرْسَلَ إِلَى الْهَجْرَسِ فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّمَا أَنْتَ وَلَدِي وَمَنِي بِالْمَكَانِ الَّذِي قَدْ عَلِمْتَ، وَقَدْ زَوَّجْتُكَ ابْنَتِي وَأَنْتَ مَعِي، وَقَدْ كَانَتْ الْحَرْبُ فِي أَبِيكَ زَمَانًا طَوِيلًا حَتَّى كِدْنَا نَتَفَانِي، وَقَدْ اصْطَلَحْنَا وَتَحَاجَرْنَا، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ تَدْخُلَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ مِنَ الصُّلْحِ، وَأَنْ تَنْطَلِقَ حَتَّى نَأْخُذَ عَلَيْكَ مِثْلَ مَا أَخَذَ عَلَيْنَا وَعَلَى قَوْمِنَا؛ فَقَالَ الْهَجْرَسُ: أَنَا فَاعِلٌ، وَلَكِنْ مِثْلِي لَا يَأْتِي قَوْمَهُ إِلَّا بِلَأْمَتِهِ^(٣) وَفَرَسِهِ؛ فَحَمَلَهُ جَسَّاسٌ عَلَى فَرَسٍ وَأَعْطَاهُ لَأْمَةً وَدِرْعًا؛ فَخَرَجَا حَتَّى أَتَيَا جَمَاعَةً مِنْ قَوْمِهِمَا، فَقَصَّ عَلَيْهِمْ جَسَّاسٌ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعَاقِبَةِ، ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا الْفَتَى ابْنُ أُخْتِي قَدْ جَاءَ لِيَدْخُلَ فِيمَا دَخَلْتُمْ فِيهِ وَيَعْقِدُ مَا

(١) تنفط: احترق.

(٢) الرُّضْفُ: الحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ يُوْغَرُ بِهَا اللَّبَنُ، وَاحْدَتُهَا رَضْفَةٌ وَفِي الْمِثْلِ: حُذِّمَ الرُّضْفَةُ مَا عَلَيْهَا. وَرَضْفُهُ يَرْضْفُهُ بِالْكَسْرِ، أَيْ كَوَاهُ بِالرُّضْفَةِ. وَالرُّضْفُ: اللَّبَنُ يُغْلَى بِالرُّضْفَةِ. وَشَوَاءُ مَرْضُوفٌ: يُشَوَّى عَلَى الرُّضْفِ وَالْمَرْضُوفَةُ: الْقَدْرُ أَنْضَجَتْ بِالرُّضْفِ قَالَ الْكَمِيتُ:

وَمَرْضُوفَةٍ لَمْ تُؤْنِ فِي الطَّبْخِ طَاهِيًا عَجَلْتُ إِلَى مُحَوَّرِهَا حِينَ غَرَّعَا

(٣) لَأْمَتُهُ: سِلَاحُهُ، وَهِيَ تَطْلُقُ عَلَى عِدَّةِ الْحَرْبِ مِنْ دِرْعٍ وَرَمَحٍ وَسَيْفٍ...

عَقَدْتُمْ، فلما قَرَّبُوا^(١) الدم وقاموا إلى العَقْد أخذ الهَجْرَس بوسط رُمحِه، ثم قال: وفَرَسِي وأُذُنِي، ورُمُحِي ونَصْلِي، وسيفي وغِرَارِي، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه، ثم طعن جَسَّاساً فقتله، ثم لَحِقَ بقومه؛ فكان آخرَ قَتِيلٍ في بكر بن وائل.

[إبعاد زوجة كليب عن مأتَمه]

قال أبو الفرج: أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: حَدَّثَنِي عَمِّي عن العَبَّاس بن هشام عن أبيه عن الشَّرْقِيِّ بن القطامي قال: لَمَّا قَتَلَ جَسَّاس بن مَرَّة، كليب بن ربيعة، وكانت جليلاً بنت مَرَّة أخت جَسَّاس تحت كُليب، اجتمع نساء الحي للمأتم، فَقُلْنَ لأخت كليب: رَحَلِي جَلِيلَةَ عن مَأْتَمِكَ، فَإِنَّ قِيَامَهَا فِيهِ شِمَاتَةٌ وَعَارٌّ عَلَيْنَا عند العرب؛ فقالت لها: يا هذه اخْرُجِي عن مَأْتَمِنَا، فَأَنْتِ أختٌ وَاثِرْنَا وشَقِيقَةُ قَاتِلِنَا؛ فخرجت وهي تَجَرُّ أعطافَهَا؛ فلقبها أبوها مَرَّة، فقال لها: ما وراءك يا جليلاً؟ فقالت: تُكَلُّ العَدَد، وحزنُ الأبد؛ وفَقْدُ حليل، وقَتْلُ أخٍ عن قليل؛ وبين ذين^(٢) غرسُ الأحقاد، وتَفَثُّ الأكباد؛ فقال لها: أَوَيْكَفُ ذَلِكَ كرمُ الصَّفح وإغلاء الديات؟. فقالت جليلاً: أُمْنِيَّةٌ مخدوع ورب الكعبة! أَبَالْبُذْنِ تَدْعُ لك تَغْلِب دَمَ رَبِّهَا!. قال: وَلَمَّا رَحَلَتْ جليلاً قالت أختُ كُليب: رَحَلَةُ المَعْتَدِي وفراقُ الشامت، ويلٌ غداً لآل مَرَّة، من الكَرَّة بعد الكَرَّة! فبلغ قولها جليلاً^(٣)، فقالت: وكيف تَشَمَّت الحُرَّة بِهَتَكِ سِتْرِهَا وترَقَّب وترها! أسعد الله جدَّ أختي، أفلا قالت: نَفَرَةُ الحياء، وخوف الاعتداء! ثم أنشأت تقول:

يَابْنَةُ الْأَقْوَامِ إِنْ شِئْتَ فَلَا تَعْجَلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي

(١) قَرَّبُوا: كان من عادة العرب أن يحضروا في جفنة طيباً أو دماً أو رماداً فيدخلوا فيه أيديهم عند التحالف ليتم عقدهم عليه باشتراكهم في شيء واحد.

(٢) الذُّيْنُ والذَّانُ: العيب. وذَامَهُ وذَانَهُ وذَابَهُ إذا عابه.

(٣) جليلاً بنت مرة الشيباني. شاعرة فصيحة، من ذوات الشأن في الجاهلية، وهي أخت جَسَّاس قاتل كُليب بن ربيعة (زوجها) فلما قتل أخوها زوجها كليب. انصرفت إلى منازل قومها، فبلغها أن أختاً لكليب قالت بعد رحيلها: رَحَلَةُ المَعْتَدِي وفراقُ الشامت. فقالت: أسعد الله جدَّ أختي أفلا قالت: نَفَرَةُ الحياء وخوف الاعتداء ثم أنشأت قصيدتها المشهورة التي مطلعها:

يا ابنة الأقوام إن لم ت فلا تعجلي باللوم حتى تسألي
وبقيت جليلاً في بيت أخيها إلى أن قُتل وتقلت مع بني شيبان قومها مدة حروبهم إلى أن توفيت، سنة ٨٧ ق. هـ.

فإذا أنتِ تبَيَّنتِ الذي
 إنْ تَكُنْ أختُ امرئٍ ليمتَ على
 جَلٍّ عندي فعلٌ جَسَّاسٍ فيا
 فعلٌ جَسَّاسٍ على وَجْدِي به
 لو بَعَيْنٍ فُقِئَتْ عيني سوى
 تَحْمِلُ العينُ قَذَى العينِ كما
 يا قَتِيلًا قَوْضَ الدهرُ به
 هَدَمَ البيتَ الذي استحدثتهُ
 ورماني قتلهُ من كَثِبِ^(٣)
 يا نِسَائِي دونكنَّ اليومَ قد
 خَصَّنِي قتلُ كُلِّبٍ بِلَظَى
 لَيْسَ مَنْ يَبْكِي ليومينَ^(٤) كَمَنْ
 يشتفي المُدرِكُ بالثَّأرِ وفي
 ليته كان دَمِي فاحتلبوا
 إنَّني قاتلهُ مقتولُهُ

يُوجِبُ اللَّوْمَ فَلَوْمِي واعذلي
 شَفَقِ^(١) منها عليه فافعلي
 حَسْرَتِي عما انجلتُ أو تنجلي
 قاطعُ ظَهْرِي ومُذْنِ أَجَلِي
 أَخْتِهَا فانفقأتُ لم أحفل
 تَحْمِلُ الأمُ أذى ما تَفْتَلِي^(٢)
 سَقَفَ بيتيَ جميعاً من عَلٍ
 وأنثنى في هدمِ بيتي الأولِ
 رَمِيَّةَ الْمُضْمِي به المستأصلِ
 خَصَّنِي الدهرُ بِرُزْءٍ مُعْضِلِ
 مِنْ ورائي وَلَظَى مُسْتَقْبَلِي
 إِنَّمَا يَبْكِي ليومَ يَنْجَلِي
 دَرَكِي ثَأْرِي تُكُلُّ الْمُثْكِـلِ
 بَدَلًا مِنْهُ دَمًا مِنْ أَكْحَلِي
 ولعلَّ اللّهَ أن يَرتاحَ لي
 [الرمـل]

(١) ورد في بعض المصادر «جزع» بدل «شفق».

(٢) حرفت هذه الكلمة في بعض النسخ، فحلَّ مكانها «تعلي»، وتفتلي تعني تربّي.

(٣) كَثِبَ: قريب.

(٤) ورد في بعض المصادر «ليوميه» بدل «ليومين».

ذكر الهذلي وأخباره

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال: حَدَّثَنِي هَارُونَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: الْهَذَلِيَّانِ أَخَوَانُ يُقَالُ لَهُمَا سَعِيدٌ وَعَبْدُ آلٍ، ابْنَا مَسْعُودٍ؛ فَلَاكِبَرُ مِنْهُمَا يُقَالُ لَهُ سَعِيدٌ، وَيُكْنَى أَبُو مَسْعُودٍ، وَأُمُّهُ امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا أُمُّ فَيْعَلٍ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا، وَكَانَ يَنْقُشُ الْحَجَارَةَ بِأَبِي فَيْعَلٍ، وَكَانَ فَتِيَانٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَرُوحُونَ إِلَيْهِ كُلَّ عَشِيَّةٍ فَيَأْتُونَ بِطَحَاءٍ يُقَالُ لَهَا بِطَحَاءُ قُرَيْشٍ فَيَجْلِسُونَ عَلَيْهَا، وَيَأْتِيهِمْ فَيْعَلٌ لَهُمْ وَيَكُونُ مَعَهُمْ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْأَكْبَرَ هُوَ عَبْدُ آلٍ، وَالْأَصْغَرُ سَعِيدٌ.

[صناعته وغناؤه]

قال هَارُونَ وَحَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي حَمْزَةُ بْنُ عُتْبَةَ اللَّهَبِيِّ: أَنَّ الْهَذَلِيَّ كَانَ نَقَاشًا يَعْمَلُ الْبُرْمَ^(١) مِنْ حَجَارَةِ الْجَبَلِ، وَكَانَ يُكْنَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكَانَ إِذَا أَمْسَى رَاحَ فَأَشْرَفَ عَلَى الْمَسْجِدِ ثُمَّ غَنَى، فَلَا يَلْبِثُ أَنْ يُرَى الْجَبَلُ كَقُرْصِ الْخَبِيصِ^(٢) صُفْرَةً وَحُمْرَةً مِنْ أَرْضِيَّةِ قُرَيْشٍ؛ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَعْدٌ، فَيَقُولُ: أَمَا وَاللَّهِ وَهَاهُنَا حَجَرٌ أَحْتَاجُ إِلَيْهِ لَمْ يَرِدِ الْأَبْطَحُ فَلَا؛ فَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي الْحَجَارَةِ حَتَّى يَقْطَعُوهَا لَهُ وَيَحْدُرُوهَا إِلَى الْأَبْطَحِ، وَيَنْزِلُ مَعَهُمْ حَتَّى يَجْلِسَ عَلَى أَعْظَمِهَا حَجَرًا وَيُعْنِي لَهُمْ.

قال هَارُونَ وَحَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ بْنِ أَبِي جَنَاحٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو لَطِيفٍ وَعُمَارَةُ قَالَا: تَعْنَى الْهَذَلِيُّ الْأَكْبَرُ، وَكَانَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ فَتِيَانٌ قُرَيْشٌ يَرُوحُونَ كُلَّ عَشِيَّةٍ حَتَّى يَأْتُوا بِطَحَاءٍ يُقَالُ لَهَا بِطَحَاءُ قُرَيْشٍ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِ، فَيَجْلِسُونَ عَلَيْهَا وَيَأْتِيهِمْ فَيْعَلُهُمْ.

قال: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي طَرَفَةَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبَّادٍ الْكَاتِبِ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ قَالَ: هَجَمَ الْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ، وَهُوَ يَوْمِيذٌ أَمِيرُ مَكَّةَ، عَلَى الْهَذَلِيِّ وَهُوَ مَعَ فَتِيَانَ قُرَيْشٍ

(١) البرم: قدور من حجارة؛ الواحدة: بُرْمَةٌ؛ وربما جُمِعت: بِرَامًا، وَبُرْمًا.

(٢) خَبِصَ الْخَلَاءُ يَخْبِصُهَا خَبْصًا، وَخَبْصُهَا: خَلَطُهَا وَعَمِلُهَا. وَالْخَبِصُ: الْخَلَاءُ الْمَخْبُوصَةُ.

بالمَفَجَر^(١) يُعْغِيهِمْ وعليه جُبَّةٌ صوف، فَطَرَحَ عليه مُقْطَعَاتِ خَزٍّ، فكانت هذه أوَّل ما تحرَّك لها.

[زواجه من ابنة مُغْنٍ]

قال هارون: وحَدَّثني حَمَّاد عن أبيه قال: ذَكَرَ ابن جامع عن ابن عَبَّاد أن ابن سُرَيْجَ لَمَّا حضرته الوفاةُ نَظَرَ إلى ابنته فبكى، فقالت له: ما يُبْكِيكَ؟ قال: أخشى عليكِ الضيعةَ بعدي! فقالت له: لا تخف فما من غنائك شيء إلا وقد أخذتُه، قال: فَغَنَّيْنِي فَغَنَّتْهُ، فقال: قَدْ طَابَتْ نفسي، ثم دعا بالهذليِّ فزَوَّجَهَا منه، فأخذ الهذليُّ غناء أبيها كلَّه عنها فانتحل أكثره، فعامةُ غناء الهذليِّ لابن سريج مما أخذه عن ابنته وهي زوجته.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثني عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثني محمد بن يحيى أبو غَسَّان قال: كان الهذليُّ منزلهُ بمنى، وكان فتیانُ قُرَيْشٍ يأتونه فيُعْغِيهِمْ هناك، ثم أَقْبَلَ مَرَّةً حتى جَلَسَ على جمرة العقبة^(٢) فَغَنَّى هناك، فَحَدَرَهُ الحارثُ من منى، وكان عاملاً على مكة، ثم أَذِنَ له فَرَجَعَ إلى منى.

قال هارون: وحَدَّثني علي بن محمد النَّوفلي قال: حَدَّثني أبي قال: كان الهذليُّ النَّقَّاشُ يغدو إليه فتیان قريش وقد عَمِلَ عَمَلَهُ بالليل، ومعهم الطعام والشراب والدرهم، فيقولون له: غَنَّا، فيقول لهم: الوظيفة^(٣)، فيقولون: قد جِئنا بها. فيقول: الوظيفةُ الأخرى، أنزلوا أحجاري، فيُلْقُون ثيابَهُمْ ويأتزرون بأزرهم وينقلون الحجارة ويُنزِلُونها، ثم يَجْلِسُ على شُخُوبٍ^(٤) من سناخيب الجبل فيَجْلِسُون تحته في السَّهْلِ فيشربون وهو يُعْغِيهِمْ حتى المساء، وكانوا كذلك مدةً، فقال له يوماً ثلاثة فتية من قريش: قد جاءك كل واحد منا بمثل وظيفتك على الجماعة من غير أن تُنقص وظيفتكَ عليهم، وقد اختار كل واحد منا صوتاً من غنائك لِيَجْعَلَهُ حَظَّهُ اليوم، فإن وافقت الجماعة هواناً كان ذلك مُشْتَرَكاً بيننا، وإن أبوا غَنَّيْتُ لهم ما أرادوا وجَعَلْتُ هذه الثلاثة الأصوات لنا بقیةً يومنا؛ قال: هاتوا، فاختر أحدُهُم:

عَفْتُ عَرَقاتٍ فالْمَصَافُ من هند

(١) المَفَجَر: بمكة ما بين الثنية التي يقال لها الحصن الى خلف دار يزيد بن منصور.

(٢) جمرة العقبة، أول ما يلقي من منى في رأس العقبة عن يسار الداخل في منى في ناحية مكة.

(٣) الوِظَائِفُ جمع الوظيفة، والوظيفةُ في كل شيء: ما يُقَدَّر. كل يوم من رِزْقٍ أو طَعَامٍ أو عَلْفٍ أو شراب.

(٤) الشُّخُوبُ والشُّخُوبُ: واحدٌ سناخيب الجبل، وهي رؤوسه.

واختارَ الآخرُ:

أَلَمْ يَنَا طَيْفُ الْخِيَالِ الْمُهَجِّدِ^(١)

واختارَ الآخرُ:

هَجَرْتُ سَعْدَى فَرَادَنِي كَلَفَا

فَغَنَّا هُمْ إِيَاهَا، فَمَا سَمِعَ السَّامِعُونَ شَيْئاً كَانَ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ؛ فَلَمَّا أَرَادُوا الْإِنْصِرَافَ قَالَ لَهُمْ: إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ صَوْتاً الْبَارِحَةَ مَا سَمِعَهُ أَحَدٌ، فَهَلْ لَكُمْ فِيهِ؟ قَالُوا: هَاتِهِ مُنْعِماً بِذَلِكَ؛ فَاَنْدَفَعُ فَغَنَّا هُمْ:

إِنْ هَتَفْتُ وَرَقَاءُ ظَلَّتْ سَفَاهَةً تُبْكِي عَلَى جُمَلٍ لِرِوَقَاءٍ تَهْتِفُ^(٢)
[الطويل]

فَقَالُوا: أَحَسَّنْتَ وَاللَّهِ، لَا جَرَمَ لَا يَكُونُ صَبُوحُنَا فِي غَدٍ إِلَّا عَلَيْهِ، فَعَادُوا وَغَنَّا هُمْ إِيَاهُ وَأَعْطَوْهُ وَظِيفَتَهُ؛ وَلَمْ يَزَالُوا يَسْتَعِيدُونَهُ إِيَاهُ بَاقِي يَوْمِهِمْ.

نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات

من ذلك:

صوت

عَفَّتْ عَرَفَاتُ فَالْمَصَايِفُ مِنْ هِنْدٍ فَأَوْحَشَ مَا بَيْنَ الْجَرَبِيِّينَ^(٣) فَالْنَهْدِ^(٤)
وَعَيَّرَهَا طَوْلُ التَّقَادُومِ وَالْبِلَى فَلَيْسَتْ كَمَا كَانَتْ تَكُونُ عَلَى الْعَهْدِ
[الطويل]

الشعرُ للأحوص، وقيل: إنه لعمر. والغناء للهذلي، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر.

(١) هَجَدَ الْقَوْمُ هَجُوداً، أَي: نَامُوا، وَتَهَجَّدُوا، أَي: اسْتَيْقَظُوا لَصَلَاةٍ أَوْ لِأَمْرٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ أَلَيْلٍ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾، أَي: بِالْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ، أَي: اتَّبَعَهُ بَعْدَ النَّوْمِ نَافِلَةً، أَي: فَضِيلَةً.

(٢) الْبَيْتُ لِحَمِيلِ بَشِينَةٍ.

(٣) الْجَرِيبُ مَكِيلٌ، وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَفْئِزَةٍ، وَالْجَرِيبُ مِنَ الْأَرْضِ مَقْدَارٌ مَعْلُومٌ الذَّرْعُ وَالْمَسَاحَةُ، وَهُوَ عَشْرَةُ أَفْئِزَةٍ، كُلُّ قَفِيزٍ مِنْهَا عَشْرَةُ أَعْشَارٍ، فَالْعَشِيرُ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ جُزْءٍ مِنَ الْجَرِيبِ. وَقَالَ اللَّيْثُ: الْجَرِيبُ الْوَادِي وَجَمْعُهُ أَجْرِبَةٌ، قَالَ: وَجَرِيبُ الْأَرْضِ جَمْعُهُ جَرِبَانٌ، وَالْعَدَدُ أَجْرِبَةٌ. وَيُطْلَقُ عَلَى مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ.

(٤) النَّهْدُ وَيُقَالُ لَهُ عَيْنُ الْفَهْدِ: اسْمُ مَوْضِعٍ بِالْفُرْعِ عَلَى الطَّرِيقِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

ومنها :

صوت

أَلَمْ بَنَا طَيْفُ الْخِيَالِ الْمُهَجَّدُ وَقَدْ كَادَتْ الْجُوزَاءُ فِي الْجَوِّ تَصْعَدُ
أَلَمْ يُحْيِينَا وَمِنْ دُونِ أَهْلِهَا فَيَافٍ تَغُورُ الرِّيحُ فِيهَا وَتُنْجِدُ
[الطويل]

عروضه من الطويل . لم يَقَعْ لَنَا اسم شاعره ونسبه . والغناء للهذليّ ثَقِيلٌ أَوَّلُ
بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وهو اللحن المختار ، وفيه ليحيى المكيّ هَزَجُ .
ولحنُ الهذليّ هذا مما اختير للرشيد والواثق بعده من المائة الصوت المذكورة .
ومنها :

صوت

هَجَرْتُ سَعْدَى فَرَادَنِي كَلَفَا هَجَرَانُ سَعْدَى وَأَزْمَعْتُ خُلَفَا
وَقَدْ عَلَى حُبِّهَا حَلَفْتُ لَهَا لَوْ أَنَّ سَعْدَى تُصَدِّقُ الْحَلْفَا
مَا عَلِقَ الْقَلْبُ غَيْرَهَا بَشَرًا وَلَا سِوَاهَا مِنْ مَغْلَقٍ عَرَفَا
فَلَمْ تُجِبْنِي وَأَعْرَضْتُ صَلَفَا وَغَادَرْتَنِي بِحُبِّهَا كَلَفَا
[المنسرح]

الغناء للهذليّ ثاني ثَقِيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى .

[ابن مزامير داود]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشَّيْعِيُّ قال : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّهٍ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ :
رَوَّجَ ابْنُ سُرَيْجٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ الْهَذَلِيُّ الْأَكْبَرُ بَابِنْتِهِ ، فَأَخَذَ عَنْهَا أَكْثَرَ غَنَاءِ أَبِيهَا ،
وَادَّعَاهُ فَعَلَبَ عَلَيْهِ . وقال :

وَوَلَدْتُ مِنْهُ ابْنًا ؛ فَلَمَّا أَيْفَعَ جَارَ يَوْمًا بِأَشْعَبَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي فِتْيَةٍ مِنْ
قَرِيشٍ ، فَوَثَبَ فَحَمَلَهُ عَلَى كَتِفِهِ وَجَعَلَ يُرْقِصُهُ وَيَقُولُ : هَذَا ابْنُ دَفَّتِي الْمَصْحَفِ
وهذا ابْنُ مَزَامِيرِ دَاوُدَ ؛ فَقِيلَ لَهُ : وَيْلَكَ ! مَا تَقُولُ وَمِنْ هَذَا الصَّبِيِّ ؟ فَقَالَ :
أَوْ مَا تَعْرِفُونَهُ ! هَذَا ابْنُ الْهَذَلِيِّ مِنْ ابْنَةِ ابْنِ سُرَيْجٍ ، وَلِدَ عَلَى عُودٍ ، وَاسْتَهَلَ^(١)

(١) استهَلَ الصبي بالبكاء : رفع صوته ، وكل شيء ارتفع صوته فقد استهَلَ .

بغناء، وَحُنْكَ^(١) بملوى^(٢)، وَقُطِعَتْ سِرَّتَهُ بوتر، وَخُتِنَ بمضْراب .

وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن عيسى الماهاني قال :
دَخَلْتُ يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلي في حاجة، فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ مِطْرَفَ خَزْرَ
أَسُودَ مَا رَأَيْتُ قَطْ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَتَحَدَّثْنَا إِلَى أَنْ أَخَذْنَا فِي أَمْرِ الْمِطْرَفِ، فَقَالَ : لَقَدْ
كَانَ لَكُمْ أَيَّامٌ حَسَنَةٌ وَدَوْلَةٌ عَجِيبَةٌ؛ فَكَيْفَ تَرَى هَذَا؟ فَقُلْتُ لَهُ : مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ، فَقَالَ :
إِنَّ قِيمَتَهُ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَلَهُ حَدِيثٌ عَجِيبٌ؛ فَقُلْتُ : مَا أَقْوَمُهُ إِلَّا بِنَحْوِ مِائَةِ دِينَارٍ؛
فَقَالَ إِسْحَاقُ : شَرَبْنَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ قَبْتُ وَأَنَا مُثَخَّنٌ^(٣)، فَانْتَبَهْتُ لِرَسُولِ مُحَمَّدٍ
الْأَمِينِ، فَدَخَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : عَجِّلْ؛ وَكَانَ بَخِيلًا عَلَى
الطَّعَامِ، فَكُنْتُ أَكُلُ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِ؛ فَقُمْتُ فَتَسَوَّكْتُ وَأَصْلَحْتُ شَأْنِي، وَأَعَجَلَنِي
الرَّسُولُ عَنِ الْغَدَاءِ فَقُمْتُ مَعَهُ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ قَاعِدٌ عَنْ يَمِينِهِ
وَعَلَيْهِ هَذَا الْمِطْرَفُ وَجَبَّةُ خَزْرَ دَكْنَاءَ^(٤)، فَقَالَ لِي مُحَمَّدٌ : يَا إِسْحَاقُ، أَتَغْدِيْتُ؟ قُلْتُ :
نَعَمْ يَا سَيِّدِي، قَالَ : إِنَّكَ لَنْتَهُمْ، أَهَذَا وَقْتُ غَدَاءٍ! فَقُلْتُ : أَصَبَحْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
وَبِي حُمَارٌ فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا حَدَّثَنِي عَلَى الْأَكْلِ؛ فَقَالَ لَهُمْ : كَمْ شَرَبْنَا؟ فَقَالُوا : ثَلَاثَةً
أَرْطَالًا، فَقَالَ : اسْقُوهُ إِيَّاهَا؛ فَقُلْتُ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُفَرِّقَ عَلَيَّ!؛ فَقَالَ : يُسْقَى رِطْلَيْنِ
وَرِطْلًا، فَدَفَعَ إِلَيَّ رِطْلَانِ فَجَعَلْتُ أَشْرِبُهُمَا وَأَنَا أَتَوَهُمُ أَنْ نَفْسِي تَسِيلُ مَعَهُمَا، ثُمَّ دَفَعَ
إِلَيَّ رِطْلَ آخَرَ فَشَرِبْتَهُ، فَكَأَنَّ شَيْئًا انْجَلَى عَنِّي، فَقَالَ عَنِّي :

كَلِيبٌ لِعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا

فَعَنَيْتُهُ، فَقَالَ : أَحَسَّنْتَ وَطَرَبْتَ؛ ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ - وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَدْخُلُ إِلَى
النِّسَاءِ وَيَدْعُنَا فَقُمْتُ فِي إِثْرِ قِيَامِهِ، فَدَعَوْتُ غُلَامًا لِي، فَقُلْتُ : اذْهَبْ إِلَى بَيْتِي وَجِئْنِي

(١) الأزهري: التَّحْنِيكَ أَنْ تُحَنَّكَ الدَّابَّةَ تَغْرُزُ عُودًا فِي حَنْكِهِ الْأَعْلَى أَوْ طَرَفَ قَرْنٍ حَتَّى تُدْمِيَهُ لِحَدِّثِ
يَحْدُثُ فِيهِ . وَفِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ : أَنَّهُ كَانَ يُحَنَّكَ أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ؛ قَالَ : وَالتَّحْنِيكَ أَنْ تَمْضِغَ
الْتَمَرِ ثُمَّ تَدْلُكِهِ بِحَنْكِ الصَّبِيِّ دَاخِلَ فَمِهِ؛ يُقَالُ مِنْهُ : حَنَّكَتُهُ وَحَنَّكَتُهُ فَهُوَ مَخْنُوكٌ وَمُحَنَّكٌ . وَفِي
حَدِيثِ ابْنِ أُمِّ سَلِيمٍ لَمَّا وَلَدَتْهُ وَبَعَثَتْ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ : فَمَضِغَ لَهُ تَمْرًا وَحَنَّكَهُ أَيَّ ذَلِكَ بِهِ حَنَّكَهُ .
وَحَنَّكَ الصَّبِيَّ بِالتَّمْرِ وَحَنَّكَهُ : ذَلِكَ بِهِ حَنَّكَهُ .

(٢) المملوى : من أجزاء العود .

(٣) ثخن الشيء : كَثَفَ وَغَلِظَ، ثَخْنًا وَثَخَانَةً وَثَخُونَةً، وَثُوبٌ ثَخِينٌ، وَهَذَا ثُوبٌ لَهُ ثَخَنٌ وَبَصْرٌ . وَمِنْ
الْمَجَازِ : أَثَخَنَتِ الْجَرَاحَاتُ، وَتَرَكَهُ مِثْخَنًا وَقَبِيدًا، وَأَثَخَنَ فِي الْعَدُوِّ : بَالِغٌ فِي قَتْلِهِمْ وَغَلِظَ . وَأَثَخَنَ
فِي الْأَرْضِ : أَكْثَرَ الْقَتْلَ، وَأَثَخَنَ فِي الْأَمْرِ : بَالِغٌ فِيهِ . وَأَثَخَنَتِ مَعْرِفَةٌ، وَرَصَنَتِ مَعْرِفَةٌ إِذَا قَتَلْتَهُ
عَلِمًا . وَأَثَخَنَ قَوْلُهُ : بَالِغٌ مِنْهُ .

(٤) الدُّكْنَةُ وَالْدَّكْنُ مُصْدَرَانِ لِلْأَدْكَنِ، وَهُوَ لَوْنٌ يَضْرِبُ إِلَى الْغُبَرَةِ وَالسَّوَادِ، ذَكْنٌ يَدْكُنُ دَكْنًا .

بِزَمَاوَرْدَتَيْنِ^(١) وَلَقَّهْمَا فِي مَنَدِيلٍ وَازْهَبَ رَكْضًا وَعَجَّلَ، فَمَضَى الْعَلَامُ وَجَاءَنِي بِهِمَا، فَلَمَّا وَافَى الْبَابَ وَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ انْقَطَعَ فَتَفَقَّ^(٢) مِنْ شِدَّةِ مَا رَكَضَ عَلَيْهِ، وَأَدْخَلَ إِلَيَّ الْبِزَمَاوَرْدَتَيْنِ، فَأَكَلْتُهُمَا وَرَجَعْتُ نَفْسِي إِلَيَّ وَعُدْتُ إِلَى مَجْلِسِي؛ فَقَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ: لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ أُحِبُّ أَنْ تَقْضِيَهَا لِي؛ فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ، فَقُلْ مَا شِئْتَ، قَالَ: تُرَدِّدْ عَلَيَّ: «كُلَيْبُ لِعَمْرِي» وَهَذَا الْمِطْرَفُ لَكَ؛ فَقُلْتُ: أَنَا لَا أَخْذُ مِنْكَ مِطْرَفًا عَلَيَّ هَذَا، وَلَكِنِّي أَصِيرُ إِلَى مَنْزِلِكَ فَأُلْقِيهِ عَلَى الْجَوَارِي وَأَرُدُّهُ عَلَيْكَ مِرَارًا؛ فَقَالَ: أُحِبُّ أَنْ تَرُدَّهُ عَلَيَّ السَّاعَةَ وَأَنْ تَأْخُذَ هَذَا فَإِنَّهُ مِنْ لُبْسِكَ وَهُوَ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا؛ فَزِدْتُ عَلَيْهِ الصَّوْتِ مِرَارًا حَتَّى أَخْذَهُ، ثُمَّ سَمِعْنَا حَرَكَةَ مُحَمَّدٍ فَقُمْنَا حَتَّى جَاءَ وَجَلَسَ، ثُمَّ قَعَدْنَا فَشَرِبَ وَتَحَدَّثْنَا، فَعَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ: «كُلَيْبُ لِعَمْرِي»، فَكَأَنِّي وَاللَّهِ لَمْ أَسْمِعْهُ قَبْلَ ذَلِكَ حُسْنًا، وَطَرِبَ مُحَمَّدٌ طَرَبًا شَدِيدًا وَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ! يَا غُلَامَ، عَشَرَ بِدَرٍ لِعَمِّي السَّاعَةَ! فَجَاؤُوا بِهَا؛ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ لِي فِيهَا شَرِيكًا؛ قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: إِسْحَاقُ؛ قَالَ: وَكَيْفَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا أَخَذْتُهُ مِنْهُ لَمَّا قُمْتُ، فَقُلْتُ أَنَا: وَلَيْمَ! أَضَاقَتِ الْأَمْوَالُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى تُرِيدَ أَنْ تُشْرِكَ فِيهَا يُعْطِي! قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأُشْرِكُكَ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ؛ فَلَمَّا انْصَرَفْنَا مِنَ الْمَجْلِسِ أَعْطَانِي ثَمَانِينَ أَلْفًا: وَأَعْطَانِي هَذَا الْمِطْرَفَ، فَهَذَا أَخِذْ بِهِ مِائَةً أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَهِيَ قِيمَتُهُ.

صوت

مِنْ رَوَايَةِ جَحْظَةَ عَنْ أَصْحَابِهِ:

عَلَّلِ الْقَوْمَ يَشْرَبُوا كَي يَلَذُّوا وَيَطْرَبُوا
إِنَّمَا ضَلَّلَ الْفُؤَادَ غَزَالَ مُرَبِّ^(٣)
فَرَشَّتُهُ عَلَى النَّمَارِقِ سُعْدَى وَزَيْنَبُ
حَالَ دُونَ الْهَوَى وَدُونَ سُورَى اللَّيْلِ مُصْعَبُ^(٤)

(١) البزماورد: طعام يُسمى لقمة القاضي، وهو مصنوع من اللحم المقلبي بالزبد والبيض.

(٢) مِنَ الْمَجَازِ: نَفَقَ الرَّجُلُ، وَكَذَا الدَّابَّةُ كَالْفَرَسِ وَالْبَعْلُ، وَسَائِرُ الْبَهَائِمِ، يَنْفَقُ نَفَقًا بِالضَّمِّ: مَاتَ، قَالَ ابْنُ بَرِّي وَأَنْشَدَ ثَعْلَبُ:

فَمَا أَشْيَاءُ نَشْرِيهَا بِمَالٍ فَإِنْ نَفَقَتْ فَأَكْسَدُ مَا تَكُونُ

(٣) ورد في بعض النسخ «مُرَبِّ».

(٤) هو مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزَّهْرِي.

وَسِيَّاطٌ عَلَى أَكْفٍ رَجَالٍ تَقَلُّبُ

[مجزوء الخفيف]

الشعرُ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بن قيس الرُّقِيَّاتِ . والغناء في اللحن المختار لمالك بن أبي السَّمْح، ولحنُهُ من الثَّقیل الأوَّل بالسَّبَّابة في مجرى الوسطى . وفيه لإسحاق ثقیل أوَّل مطلق في مجرى البنصر . ولابن سُرَیج في الرابع والخامس والأوَّل ثاني ثقیل في مجرى الوسطى . ولمعبد في الثاني وما بعده خفيفُ ثقیل أوَّل بالسَّبَّابة في مجرى الوسطى .

ذكر عبید الله بن قیس الرقیات ونسبه وأخباره

هو عُبيدُ الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أهيب بن ضباب بن حُجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب. وأمه قتيلة بنت وهب بن عبد الله بن ربيعة بن طريف بن عدي بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي قَلَامَةَ الْعُمَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ، قَالَ الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِيهِ أَيْضاً مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَخْزُومِيُّ، قَالَا جَمِيعاً: كَانَ يُقَالُ لِبَنِي مَعِيصٍ بَنِي عَامِرٍ بَنِي لُؤَيٍّ وَبَنِي مُحَارِبٍ بَنِي فَهْرٍ: الْأَجْرِبَانِ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةٍ، وَكَانَا مُتَحَالِفِينَ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُمَا الْأَجْرِبَانِ مِنْ شِدَّةِ بَأْسِهِمَا وَعَرَّهُمَا^(١) مِنْ نَاوَاهُمَا كَمَا يُعَرَّ الْجَرْبُ.

[سبب تلقيبه بهذا اللقب]

وإِنَّمَا لُقِّبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بِنُ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ لِأَنَّهُ شَبَّ بِثَلَاثِ نِسْوَةٍ سُمِّيْنَ جَمِيعاً رُقِيَّةً، مِنْهُنَّ رُقِيَّةُ بِنْتِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي سَعْدٍ بَنِي قَيْسٍ بَنِي وَهْبٍ بَنِي أَهْبَانَ^(٢) بَنِي ضَبَابٍ بَنِي حُجَيْرٍ بَنِي عَبْدِ بَنِي مَعِيصٍ بَنِي عَامِرٍ بَنِي لُؤَيٍّ، وَابْنَةُ عَمِّ لَهَا يُقَالُ لَهَا رُقِيَّةً، وَامْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ يُقَالُ لَهَا رُقِيَّةً. وَكَانَ هَوَاهُ فِي رُقِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْوَاحِدِ، وَكَانَ عَبْدُ الْوَاحِدِ - فِيمَا أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ عَنِ الزُّبَيْرِ - يَنْزِلُ الرُّقَّةَ. وَإِيَاهُ عَنَى ابْنُ قَيْسٍ بِقَوْلِهِ:

مَا خَيْرُ عَيْشٍ بِالْجَزِيرَةِ بَعْدَمَا عَشَرَ الزَّمَانُ وَمَاتَ عَبْدُ الْوَاحِدِ
[الكامل]

وَلَهُ فِي الرُّقِيَّاتِ عِدَّةُ أَشْعَارٍ يُغْنَى فِيهَا تَذَكُّرُ بَعْقَبِ هَذَا الْخَبَرِ. وَالْأَبْيَاتُ الثَّانِيَةُ الَّتِي فِيهَا اللَّحْنُ الْمُخْتَارُ يَقُولُهَا فِي مُصْعَبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ الزُّهْرِيِّ، وَكَانَ صَاحِبَ شُرْطَةِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالْمَدِينَةِ.

(١) الفراء: عَزَزْتُ بِكَ حَاجَتِي، أَيْ أَنْزَلْتُهَا. وَعَرَّهُ بِشَرٍّ، أَيْ لَطَخَهُ بِهِ، فَهُوَ مَعْرُورٌ. وَعَرَّهُ، أَيْ سَاءَ.

(٢) فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ وَرَدَ «وَهْبَان» بِدَلِّ «أَهْبَانَ».

[مُصْعَب بن عبد الرحمن والي المدينة]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثَنِي عمي قال: لما ولي مروان بن الحكم المدينة وَلَّى مُصْعَبَ بن عبد الرحمن بن عوف شُرْطَتَهُ؛ فقال: إِنِّي لَا أَضِبُّ المدينة بِحَرَسِ المدينة، فابغيني رجالاً من غيرها، فأعانه بمائتي رجل من أهل إِيْلَةَ^(١) فضبطها ضبطاً شديداً. فَدَخَلَ الْمَسُورُ^(٢) بن مَخْرَمَةَ على مروان فقال: أما ترى ما يشكوه الناس من مصعب! فقال:

لَيْسَ بِهَذَا مِنْ سِيَاقٍ^(٣) عَثْبٌ يَمْشِي الْقَطُوفُ^(٤) وَيَنَامُ الرِّكْبُ^(٥) [الرجز]

وقال غيرُ مُصْعَب في هذا الخبر وليس من رواية الحرمي: إنه بقي إلى أن ولي عمرو بن سعيد^(٦) المدينة وَخَرَجَ الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَعَبْدُ اللَّهِ بن الزُّبَيْرِ؛ فقال له عمرو: إهدم دور بني هاشم وآل الزُّبَيْرِ، فقال: لا أفعل؛ فقال: انتَفَخَ سَحْرُكُ^(٧) يَا بَنَ أُمِّ حُرَيْثٍ! أَلْقِ سَيْفَنَا! فَأَلْقَاهُ وَلَحِقَ بَابَنَ الزُّبَيْرِ. وولَّى عمرو بن سعيد شُرْطَتَهُ عمرو بن الزُّبَيْرِ بن العَوَّام وأمره بهدم دور بني هاشم وآل الزُّبَيْرِ، فَفَعَلَ وَبَلَغَ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ، وَهَدَمَ دار ابن مُطِيع^(٨) التي يُقَالُ لَهَا الْعَنْقَاءُ، وَضَرَبَ مُحَمَّدَ بن المنذر بن الزُّبَيْرِ مائة سوط؛ ثم دعا بِعُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ لِيَضْرِبَهُ؛ فقال له محمد: أَتَضْرِبُ عُرْوَةَ! فقال: نعم يا سَبْلَانِ إِلَّا أَنْ تَحْتَمِلَ ذَلِكَ عَنْهُ؛ فقال: أَنَا أَحْتَمِلُهُ، فَضْرَبَهُ مائة سوط أخرى؛ وَلَحِقَ عُرْوَةَ بِأَخِيهِ. وضرب عمرو الناسَ ضَرْباً شديداً، فَهَرَبُوا مِنْهُ إِلَى ابنِ الزُّبَيْرِ، وكان المسور بنُ مَخْرَمَةَ أحدَ مَنْ هَرَبَ مِنْهُ؛ ولما أَفْضَى

(١) إيلة: في طريق مكة، حاطها الله، من مصر، وهي أول حد الحجاز، وهي مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الأحمر بها يجتمع حاج مصر والمغرب، وبها التجارة الكثيرة وأهلها أخلاط من الناس. وسميت باسم إيلة بنت مدين قالوا: وهي القرية التي كانت حاضرة البحر المذكورة في القرآن.

(٢) المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري، الذي قُتِلَ في حصار مكة مع ابن الزبير.

(٣) السياق: السوق.

(٤) القطوف: يُقال للبطيء من الدواب.

(٥) المراد من هذا البيت: وصف الرجل بحسن السياسة وأنه يبلغ الغاية من غير أن يعنف في السوق أي أنه يسوس الناس من غير أن يجهدهم.

(٦) هو عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق، ولاه يزيد بن معاوية إمرة المدينة سنة ٦٠هـ.

(٧) السحر: الرثة وما تعلق بالحلقوم. ويقال لمن نزت به البطنة: انتفخ سحره؛ كما يقال: عدا طوره. وأكثر ما يقال ذلك لمن جبن عن شيء.

(٨) هو عبد الله بن مطيع أخو بني عدي بن كعب، ولي الكوفة لعبد الله بن الزبير.

الأمر إلى ابن الزبير أقاد منه وضربَهُ بالسوط ضَرْباً مُبْرَحاً فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين، وقال للناس، فيما ذُكِرَ عنه: إِنَّ عَمراً مات مرتدّاً عن الإسلام.

[شاعر قریش في الإسلام]

أخبرني الحرمي قال: حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ قَالَ: سَأَلْتُ عَمِّي مُضْعَباً ومحمدَ بن الضَّحَّاكَ ومحمدَ بن حسن عن شاعر قریش في الإسلام، فَكُلُّهُمْ قالوا: ابنُ قيس الرقيّات؛ وَحُكِيَ ذلك عن عديٍّ وعن الضحَّاك بن عثمان؛ وحكاه محمد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي. قال الزُّبَيْرُ: وَحَدَّثَنِي بمثله عَمَامَةُ بن عمرو السَّهْمِيَّ عن مِسْوَر بن عبد الملك اليربوعي.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي والحرمي بن أبي العلاء وغيرهما قالوا: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قَالَ: حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهري عن عمِّه محمد بن عبد العزيز: أَنَّ ابن قيس الرقيّات أتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزُّهري فقال له: يَا عَمِّي، إِنِّي قد قُلْتُ شعراً فاسمعه فَإِنَّكَ ناصحٌ لِقَوْمِكَ، فَإِنَّ كانَ جَيِّداً قُلْتُ؛ وَإِنْ كانَ رديئاً كَفَفْتُ، فقال له: أَنشِدْ، فَأَنشده قصيدته التي يقول فيها:

مَنَعَ اللَّهْوَ وَالْهَوَى وَسُرَى اللَّيْلِ مُضْعَبُ^(١)
وَسَيَّاطُ عَالِي أَكْفٍ رَجَالٌ تَقَلَّبُوا

[مجزوء الخفيف]

فقال: قل يا بن أخي فَإِنَّكَ شاعرٌ.

[خروجه مع مصعب على عبد الملك]

وكان عبيد الله بن قيس الرقيّات زُبَيْرِيَّ الهوى، وَخَرَجَ مع مُضْعَب بن الزُّبَيْر على عبد الملك؛ فلما قُتِلَ مصعب وقُتِلَ عبدُ الله هربَ فَلَجَأَ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فسأل عبد الملك في أمره فَأَمَّنَّهُ.

وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي والحرمي بن أبي العلاء وغيرهما قالوا: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرِيَّ قَالَ: حَدَّثَنِي عبد الله بن البصير البربري مولى قيس بن عبد الله بن الزُّبَيْر عن أبيه قال: قال عبيد الله بن قيس الرقيّات: خَرَجْتُ مع مُضْعَب بن الزُّبَيْر حين بلغه شُخُوصُ^(٢) عبد الملك بن مروان إليه، فلما نزل مصعب بن الزُّبَيْر

(١) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

حَالٌ دُونَ الْهَوَى وَدُو نَ سُرَى اللَّيْلِ مُضْعَبُ

(٢) الشُّخُوص: السير من بلد، إلى بلد وقد شَخَصَ يَشْخُصُ شُخُوصاً، وَأَشْخَصْتُهُ أَنَا.

بمسكن^(١)، ورأى معالم العَدْرِ ممن معه، دعاني ودعا بمالٍ ومناطقٍ، فملاً المناطقَ من ذلك المالِ وألبسني منها، وقال لي: انطلقْ حيثُ شِئْتَ فإنِّي مقتولٌ، فَقُلْتُ له: لا والله لا أرى سبيلك؛ فَأَقَمْتُ معه حتى قُتِلَ؛ ثم مَضَيْتُ إلى الكوفة، فأوَّلُ بَيْتٍ صِرْتُ إليه دخلته، فإذا فيه امرأةٌ لها ابنتانِ كأنَّهما طَبيبتانِ؛ فَرَقِيتُ في درجةٍ لها إلى مَشْرَبَةٍ^(٢) فَقَعَدْتُ فيها، فَأَمَرْتُ لي المرأةُ بما أحتاجُ إليه من الطعامِ والشرابِ والفَرَشِ والماءِ لِلوُضوءِ، فَأَقَمْتُ كذلك عندها أكثرَ من حولٍ، تُقِيمُ لي ما يُصلِحُنِي وتغدو عليَّ في كلِّ صباحٍ فتسألني بالصَّباحِ والحاجة^(٣)، ولا تسألني مَنْ أنا ولا أسأَلُها من هي، وأنا في ذلك أَسْمَعُ الصَّيْحَ في والجعلُ؛ فلما طال بي المُقامُ وَقَدْتُ الصَّيْحَ في وَعَرَضْتُ^(٤) بمكاني عَدْتُ عَلَيَّ تسألني بالصَّباحِ والحاجة، فعرفتُها أني قد عَرَضْتُ وأحببتُ الشَّخوصَ إلى أهلي، فقالت لي: نأتيك بما تحتاجُ إليه إن شاء الله تعالى، فلما أَمْسَيْتُ وَضَرَبَ اللَّيْلُ بأرواقِهِ رَقِيتُ إليَّ وقالت: إذا شِئْتَ! فَزَلْتُ وقد أَعَدْتُ راحلتين عليهما ما أحتاجُ إليه ومعهما عبدٌ، وأعطيتُ العبدَ نفقةَ الطريقِ، وقالت: العبدُ والراحلتانِ لك، فَرَكِبْتُ وَرَكِبَ العبدُ معي حتى طَرَقْتُ أَهْلَ مَكَّةَ، فَدَقَّقْتُ منزلي، فقالوا لي: من هذا؟ فَقُلْتُ: عُبَيْدُ اللَّهِ بن قيس الرقيات، فَوَلَّوْا وَيَكُوا، وقالوا: ما فارقنا طَلَبَكَ إلا في هذا الوقت؛ فَأَقَمْتُ عندهم حتى أَسْحَرْتُ^(٥)، ثم نَهَضْتُ ومعِي العبدُ حتى قَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَجِئْتُ عَبْدَ اللَّهِ بن جعفر بن أبي طالبٍ عند المساء وهو يُعَشِّي أصحابه، فَجَلَسْتُ معهم وَجَعَلْتُ أَتَعَاجَمُ وأقول: يار يار^(٦) بن طَيَّار^(٧). لما خَرَجَ أصحابُهُ كَشَفْتُ له عن وجهي، فقال: ابنُ قيس؟ فَقُلْتُ: ابنُ قيس، جئتُك عائداً بك، قال: وَيَحَا! ما أجدهم في طلبك وأحرصهم على الظَّفَرِ بك! ولكنِّي سأكتبُ إلى أمِّ البنين بنتِ عبد العزيز بن مروان فهي زوجةُ الوليد بن عبد الملك، وعبدُ الملك أرقُّ شيءٍ عليها. فَكَتَبْتُ إليها يَسْأَلُها أَنْ تشفعَ له إلى عمِّها،

(١) مسكن: موضع قريب من أوانا على نهر دجير عند دير الجاثليق، به كانت الواقعة بين مروان ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢هـ، وبه قتل مصعب وقبره هناك معروف.

(٢) أريم: أبرح.

(٣) المَشْرَبَةُ بالفتح: العُرْفَةُ، وكذلك المَشْرَبَةُ والمشارب: العَلَالِي.

(٤) يعني: كيف أصبحت وما حاجتك؟

(٥) العَرَضُ: الضجرُ والمال.

(٦) أسحرت: دخلت في السحر.

(٧) يار: كلمة فارسية معناها الصاحب والشقيق والمعين.

(٨) الطيَّار: لقب جعفر بن أبي طالب والد عبد الله، وكان قد قطعت يده في غزوة مؤتة فأثابه الله بجناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء.

وَكَتَبَ إِلَى أَبِيهَا يَسْأَلُهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهَا كِتَابًا يَسْأَلُهَا الشَّفَاعَةَ؛ فَدَخَلَ عَلَيْهَا عَبْدُ الْمَلِكِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ وَسْأَلَهَا، هَلْ مِنْ حَاجَةٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ لِي حَاجَةٌ، فَقَالَ: قَدْ قَضَيْتُ كُلَّ حَاجَةٍ لَكَ إِلَّا ابْنَ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ، فَقَالَتْ: لَا تَسْتَنْ عَلَيَّ شَيْئًا! فَتَفَحَّ^(١) بِيَدِهِ فَأَصَابَ خَدَّهَا، فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى خَدِّهَا، فَقَالَ لَهَا: يَا بِنْتِي ارْفَعِي يَدَكَ، فَقَدْ قَضَيْتُ كُلَّ حَاجَةٍ لَكَ وَإِنْ كَانَتْ ابْنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ، فَقَالَتْ: إِنَّ حَاجَتِي ابْنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ تُوْمُنُهُ، فَقَدْ كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي يَسْأَلُنِي أَنْ أَسْأَلَكَ ذَلِكَ، قَالَ: فَهُوَ آمِنٌ، فَمُرِيهِ يَحْضُرُ مَجْلِسِي الْعِشْيَةِ، فَحَضَرَ ابْنُ قَيْسٍ وَحَضَرَ النَّاسُ حِينَ بَلَغَهُمْ مَجْلِسُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَخَّرَ الْإِذْنَ، ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ، وَأَخَّرَ إِذْنَ ابْنِ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ حَتَّى أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: يَا أَهْلَ الشَّامِ، أَتَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا: لَا؛ فَقَالَ: هَذَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ الَّذِي يَقُولُ:

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا تَشْمَلِ الشَّامَ غَارَةً شَعَوَاءَ
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي عَنْ خِدَامِ^(٢) الْعَقِيلَةَ الْعَذْرَاءَ
[الخفيف]

فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْقِنَا دَمَ هَذَا الْمُنَافِقِ! قَالَ: الْآنَ وَقَدْ أَمُنْتُهُ وَصَارَ فِي مَنْزِلِي وَعَلَى بَسَاطِي! قَدْ أَخَّرْتُ الْإِذْنَ لَهُ لِيَتَقَتَّلُوهُ فَلَمْ تَفْعَلُوا. فَاسْتَأَذَنَهُ ابْنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ أَنْ يُنْشِدَهُ مَدِيحَهُ فَأَذِنَ لَهُ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

[مدحه عبد الملك]
عَادَ لَهُ مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرَبِ فَعَيْنُهُ بِالدُّمُوعِ تَنْسَكِبُ
كَوْفِيَّةً نَازِحَ مَحَلَّتُهَا لَا أَمَمٌ دَارُهَا وَلَا صَقَقَبُ
وَاللَّهِ مَا إِنْ صَبَبْتُ إِلَيَّ وَلَا إِنْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَبَبُ^(٣)
إِلَّا الَّذِي أَوْزَعْتُ كَثِيرَةً فِي الْقَلْبِ وَلِلْحُبِّ سَوْرَةٌ عَجَبُ
[المنسرح]

(١) نفحه بالسيف: ضربه ضربة خفيفة، ونفح بيده ضربه بها ضربة خفيفة، ومنه: نفحت عن فلان ونافحت عنه: دافعت.

(٢) ورد في بعض المصادر «براه» بدل «خدام». والخدام من الخدمة: سيرٌ يُشَدُّ فِي رُسْغِ الْبَعِيرِ تَشْدُ إِلَيْهِ سَرِيحَةُ النُّعْلِ. وَبِهِ سَمِّيَ الْخُلُخَالُ خَدَمَةً، لِأَنَّهُ رَبَّمَا كَانَ مِنْ سُيُورٍ يُرَكَّبُ فِيهِ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ؛ وَالْجَمْعُ خِدَامٌ.

(٣) ورد البيت في بعض المصادر وفي ديوانه على الشكل التالي:

وَاللَّهِ مَا إِنْ صَبَبْتُ إِلَيَّ وَلَا يُعَلِّمُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَبَبُ

حتى قال فيها:

إِنَّ الْأَعْرَ الَّذِي أَبَوْهُ أَبُو الْعَاصِي عَلَيْهِ الْوَقَارُ وَالْحُجُبُ^(١)
يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينٍ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ
[المنسرح]

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: يَا بَنَ قَيْسٍ تَمْدَحُنِي بِالتَّاجِ كَأَنِّي مِنَ الْعَجَمِ وَتَقُولُ فِي مُصْعَبٍ:

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ عِزَّةٍ^(٢) لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ مِنْهُ وَلَا كِبَرِيَاءُ
[الخفيف]

أما الأمان فقد سَبَقَ لك، ولكن والله لا تأخذُ مع المسلمين عطاءً أبداً!. قال:
وقال ابن قيس الرقيّات لعبد الله بن جعفر: ما نفعني أمانِي، تُرِكَتُ حَيًّا كَمِيتٍ لَا
أَخْذُ مَعَ النَّاسِ عَطَاءً أَبَدًا، فقال له عبد الله بن جعفر: كم بلغت من السن؟ قال:
ستين سنة؛ قال: فَعَمَّرَ نَفْسَكَ؟ قال: عشرين سنة من ذي قَبَلٍ^(٣)، فذلك ثمانون
سنة؛ قال: كم عطاؤك؟ قال: ألفا درهم؛ فأمر له بأربعين ألف درهم، وقال: ذلك
لك عليّ إلى أن تموت على تعميرك نفسك؛ فعند ذلك قال عبید الله بن قيس الرقيّات
يمدحُ عبد الله بن جعفر:

تَقَدَّتْ بِي الشُّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ
تَزَوَّرُ امْرَأً^(٤) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ
أَتَيْنَاكَ نُثْنِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَزَوَّرَ ابْنُ جَعْفَرٍ
إِذَا مِتَّ لَمْ يَوْصَلْ صَدِيقٌ وَلَمْ تَقُمْ
ذَكَرْتُكَ أَنْ فَاضَ الْفُرَاتُ بِأَرْضِنَا
سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
تَجَوَّدُ لَهُ كَفٌّ قَلِيلٌ^(٥) غِرَارُهَا
عَلَيْكَ كَمَا يُثْنِي عَلَى الرُّوضِ جَارُهَا
لَكَانَ قَلِيلًا فِي دِمَشْقٍ قَرَارُهَا
طَرِيقٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْتَ مَنَارُهَا
وَفَاضَ^(٦) بِأَعْلَى الرَّقَّتَيْنِ^(٧) بِحَارُهَا

(١) ورد البيت في بعض المصادر وفي ديوانه على الشكل التالي:

إِنَّ الْفَنِيْقَ الَّذِي أَبَوْهُ أَبَوَالْ عَاصِي عَلَيْهِ الْوَقَارُ وَالْحُجُبُ

(٢) ورد في الديوان «قوة» بدل «عزة».

(٣) يُقَالُ: أَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْ ذِي قَبَلٍ: أَيِ أَفْعَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

(٤) ورد في الديوان «فَتَى» بدل «امرأ». (٥) ورد في الديوان «بعيد» بدل «قليل».

(٦) ورد في الديوان «فاض» بدل «جاش».

(٧) المقصود بالرقتين الرقة والرافقة، الأولى مدينة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام، والثانية على شط الفرات يسكنها أخلاط، وبينها وبين الرقة ثلاثمائة ذراع.

وَعِنْدِي مِمَّا خَوَّلَ اللَّهُ هَجْمَةً^(١) عَطَاؤُكَ مِنْهَا شَوْلُهَا^(٢) وَعِشَارُهَا
مُبَارَكَةٌ كَانَتْ عَطَاءً مُبَارَكٍ تُمَانِحُ^(٣) كُبْرَاهَا وَتَنْمِي صِغَارُهَا
[الطويل]

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ: وَيَحْكُ يَا بَنَ
قَيْس! أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ حِينَ تَقُولُ لَابْنَ جَعْفَرٍ:

تَزُورُ امْرَأَةً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهَا تَجُودُ لَهُ كَفَّ قَلِيلٌ غَرَارُهَا
[الطويل]

أَلَا قُلْتُ: قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ وَلَمْ تَقُلْ: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ! فَقَالَ ابْنُ قَيْسٍ: قَدْ وَاللَّهِ
عَلِمَهُ اللَّهُ وَعَلِمَتُهُ أَنْتَ، وَعَلِمَتُهُ أَنَا وَعَلِمَهُ النَّاسُ.

أخبرنا الحسين بن يحيى قال: قَالَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ: قَرَأْتُ عَلَى أَبِي أَنْ عُبَيْدَ
اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ مَنَعَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَطَاءَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَطَلَبَهُ لِيَقْتُلَهُ،
فَاسْتَجَارَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَقَصَدَهُ فَأَلْفَاهُ نَائِمًا، وَكَانَ صَدِيقًا لِسَائِبِ خَاثِرٍ، فَطَلَبَ
الْإِذْنَ عَلَى ابْنِ جَعْفَرٍ فَتَعَذَّرَ، فَجَاءَ سَائِبُ خَاثِرٍ لِيَسْتَأْذِنَ لَهُ عَلَيْهِ؛ قَالَ سَائِبٌ: فَجِئْتُ
مِنْ قِبَلِ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَتَبَحَّثْتُ نَبَاحَ الْجُرُودِ الصَّغِيرِ، فَانْتَبَهَ وَلَمْ يَفْتَحْ عَيْنَيْهِ،
وَرَكَلَنِي بِرَجْلِهِ، فَدُرْتُ إِلَى عِنْدِ رَأْسِهِ، فَتَبَحَّثْتُ نَبَاحَ الْكَلْبِ الْهَرَمِ، فَانْتَبَهَ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ
فَرَأَنِي؛ فَقَالَ: مَا لَكَ؟ وَيَحْكُ! فَقُلْتُ: ابْنُ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ بِالْبَابِ؛ قَالَ: إِذْنُ لَهُ،
فَأَذْنْتُ لَهُ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ فَرَحَّبَ ابْنُ جَعْفَرٍ بِهِ وَقَرَّبَهُ، فَعَرَفَهُ ابْنُ قَيْسٍ خَبْرَهُ، فَدَعَا بِطَبِيبَةٍ^(٤)
فِيهَا دَنَانِيرُ، وَقَالَ: عُدْ لَهُ مِنْهَا؛ فَجَعَلْتُ أَعْدُ وَأَتَرَنَّمُ وَأَحْسِنُ صَوْتِي بِجَهْدِي حَتَّى
عَدَدْتُ ثَلَاثِمِائَةَ دِينَارٍ، فَسَكْتُ، فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ: مَا لَكَ وَبَيْتُكَ سَكَتَ! مَا هَذَا وَقَدْ
قَطَعَ الصَّوْتُ الْحَسَنَ، فَجَعَلْتُ أَعْدُ حَتَّى نَفِدَ مَا كَانَ فِي الطَّبِيبَةِ، وَفِيهَا ثَمَانِمِائَةَ دِينَارٍ،
فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَبَضَهَا قَالَ لَابْنَ جَعْفَرٍ: إِسْأَلْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِي، قَالَ:
نَعَمْ، فَإِذَا دَخَلْتَ إِلَيْهِ مَعِيَ وَدَعَا بِالطَّعَامِ، فَكُلْ أَكَلًا فَاحْشًا. فَرَكِبَ ابْنُ جَعْفَرٍ، فَدَخَلَ

(١) أبو عبيد: الْهَجْمَةُ مِنَ الْإِبِلِ: أَوَّلُهَا الْأَرْبَعُونَ إِلَى مَا زَادَتْ. وَهُنَيْدَةُ: الْمَائَةُ فَقَطْ. وَهَجْمَةُ الشَّتَاءِ:
شِدَّةُ بَرْدِهِ. وَهَجْمَةُ الصَّيْفِ: حَرُّهُ. أَبُو عَمْرٍو: الْهَجِيمَةُ مِنَ اللَّبَنِ: أَنْ تَحْقَنَهُ فِي السَّقَاءِ الْجَدِيدِ ثُمَّ
تَشْرِبُهُ وَلَا تَمْخُضُهُ. وَالْهَيْجُمَانَةُ: الدُّرَّةُ.

(٢) السَّائِلُ بِلَا هَاءٍ فِيهِ النَّاقَةُ الَّتِي تَشُولُ بِذَنْبِهَا لِلْقَاحِ وَلَا لِبَنِّ لَهَا أَصْلًا؛ وَالْجَمْعُ شَوْلٌ.

(٣) مَانَحَتْ النَّاقَةَ: دَرَّتْ النَّاقَةُ فِي الشَّتَاءِ بَعْدَمَا ذَهَبَتْ أَلْبَانُ الْإِبِلِ.

(٤) الطَّبِيبَةُ: جِرَابٌ صَغِيرٌ مِنْ مَسَكٍ الْبَهْمَةِ مِنَ الْعَنَمِ.

معه إلى عبد الملك؛ فلما قُدِّمَ الطعامُ جَعَلَ يُسِيءُ الأكل؛ فقال عبدُ الملك لابن جعفر: من هذا؟ فقال: هذا إنسان لا يجوز إلا أن يكون صادقاً إن استُبقي، وإن قُتِلَ كان أكذبَ الناس؛ قال: وكيف ذلك! قال: لأنه يقول:

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا
[المنسرح]

فإن قتلته لغضبك عليه أكذبتَه فيما مدحكم به؛ قال: فهو آمِنٌ، ولكن لا أعطيه عطاءً من بيت المال؛ قال: ولم وقد وهبته لي؟ فأجِبْ أن تهَبَ لي عطاءً أيضاً كما وهبتَ لي دمه وعفوتَ لي عن ذنبه؛ قال: قد فَعَلْتُ، قال: وتعطيه ما فاته من العطاء؛ قال: قد فَعَلْتُ، وأمرْتُ له بذلك.

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثَنِي عمي قال: كان ابن قيس الرقيات مُنْقَطِعاً إلى ابن جعفر، وكان يَصِلُهُ وَيَقْضِي عنه دَيْنَهُ، ثم استأمن له عبدُ الملك فَأَمَّتُهُ، وَحَرَمَهُ عطاءً؛ فَأَمَرَهُ عبدُ الله أن يُقَدِّرَ لِنَفْسِهِ ما يكفيه أيامَ حياته ففعل ذلك، فأعطاه عبدُ الله ما سأل وعَوَّضَهُ من عطائه أَكْثَرَ منه، ثم جاءت عبدُ الله صِلَةٌ من عبد الملك وابنُ قيسٍ غائبٌ، فَأَمَرَ عبدُ الله خازنُهُ فخبأَ له صِلَتَهُ، فلما قَدِمَ دَفَعَهَا إليه؛ وأعطاه جاريةً حسناً، فقال ابنُ قيس:

إِذَا زُرْتُ عَبْدَ اللَّهِ نَفْسِي فِدَاؤُهُ
وإن غِبْتُ عَنْهُ كَانَ لِلوَدِّ حَافِظاً
تَدَارَكَنِي عَبْدُ الإِلَهِ وَقَدْ بَدَتْ
فَأَنْقَذَنِي مِنْ عَمْرَةِ المَوْتِ بَعْدَمَا
حَبَانِي لَمَّا جِئْتُهُ بِعَطِيَّةٍ
رَجَعْتُ بِفَضْلِ مَنْ نَدَاهُ وَنَائِلِ
وَلَمْ يَكُ عَنِّي فِي المَغِيبِ بِغَافِلِ
لِذِي الحَقْدِ وَالشَّنَانِ مِنِّي مَقَاتِلِي
رَأَيْتُ حِيَاضَ المَوْتِ جُمَّ المَنَاهِلِ
وَجَارِيَةٍ حَسَنَاءَ ذَاتِ خَلَاحِلِ
[الطويل]

ومنها:

عَادَ لَهُ مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرَبِ
كَوْفِيَّةٌ نَازِحٌ مَحَلَّتُهَا
وَاللَّهِ مَا إِنْ صَبَبْتُ إِلَيَّ وَلَا
إِلَّا الَّذِي أَوْرَثْتُ كَثِيرَةً فِي القَلْبِ وَلِلْحُبِّ سَوْرَةٌ عَجَبُ
فَعَيْنُهُ بِالدُّمُوعِ تَنْسَكِبُ
لَا أَمَمٌ دَارُهَا وَلَا صَقَقِبُ
يُعْرِفُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَبَبُ
[المنسرح]

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

عروضه من المنسرح، غَنَّاه مُعَبَّدٌ ثَقِيلاً أَوَّلُ بِإِطْلَاقِ الْوَتَرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى .
قوله : « لَا أَمَمٌ دَارُهَا » يعني أَنَّهَا لَيْسَتْ بِقَرِيبَةٍ . وَيُقَالُ : مَا كَلَّفْتَنِي أَمَمًا مِنَ الْأَمْرِ
فَأَفْعَلُهُ : أَي قَرِيبًا مِنَ الْإِمْكَانِ ، وَيُقَالُ : إِنَّ فُلَانًا لِأَمَمٍ مِنْ أَنْ يَكُونَ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا .
قال الشاعر :

أَطْرَقَتْهُ أَسْمَاءُ أَمَ حَلَمًا بَلْ لَمْ تَكُنْ مِنْ رِحَالِنَا أَمَمًا
[المنسرح]

أَي قَرِيبَةً . وَقَالَ الرَّاجِزُ :

كَلَّفَهَا عَمْرُو نِقَالَ الضُّبْعَانِ^(١) مَا كُلفَتْ مِنْ أَمَمٍ وَلَا دَانٍ
[الرجز]

وقال آخر :

إِنَّكَ إِنْ سَأَلْتَ شَيْئاً أَمَمًا جَاءَ بِهِ الْكَرِيُّ^(٢) أَوْ تَجَشَّمَا
[الرجز]

وَالصَّقْبُ : الْمَلَاصِقَةُ . تَقُولُ : وَاللَّهِ مَا صَاقَبْتُ فُلَانًا وَلَا صَاقَبَنِي ، وَدَارُ فُلَانٍ
مَصَاقِبَةٌ لِدَارِ فُلَانٍ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « الْجَارُ أَحَقُّ بِصَقْبِهِ » ، أَي بِمَا لَاصَقَهُ ، أَي إِنَّهُ أَحَقُّ
بِشَفْعَتِهِ . وَالسَّوْرَةُ : شِدَّةُ الْأَمْرِ ، وَمِنْهُ يُقَالُ : سَاورَ فُلَانٌ فُلَانًا ، وَتَسَاوَرَ الرَّجْلَانِ إِذَا
تَعَالَبَا وَتَشَادَا ، وَقِيلَ إِنَّ السَّوْرَةَ : الْبَقِيَّةُ أَيْضًا .

ومنها :

صوت

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ سَادَةُ الْمُلُوكِ فَمَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ
[المنسرح]

عَنَّتْ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ حَبَابَةٌ ، وَهُمَا مِنَ الْقَصِيدَةِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

عَادَ لَهُ مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرَبِ^(٣)

(١) ذكر الضبع .

(٢) الكري : الذي يكري الدواب .

(٣) البيت هو :

عَادَ لَهُ مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرَبِ فَعَيَّئُهُ بِالْذُمُوعِ تَنْسَكِبُ

[أريحية امرأة]

قال الأصمعي: كثيرة هذه امرأة نزل بها بالكوفة فأوتته. قال ابن قيس: فأقمت عندها سنة تروح وتغدو علي بما أحتاج إليه، ولا تسألني عن حالي ولا نسبي؛ فيينا أنا بعد سنة مشرف من جناح^(١) إلى الطريق، إذا أنا بمناذي عبد الملك يُنادي ببراءة الذمة ممن أصبت عنده؛ فأعلمت المرأة أنني راحل؛ فقالت: لا يروعنك ما سمعت، فإن هذا نداء شائع منذ نزلت بنا، فإن أردت المقام ففي الرحب والسعة، وإن أردت الانصراف أعلمتني، فقلت لها: لا بد لي من الانصراف؛ فلما كان الليل، قدمت إلي راحلة عليها جميع ما أحتاج إليه في سفري؛ فقلت لها: مَنْ أنت - جعلت فداك - لأكافئك؟ قالت: ما فعلت هذا لتكافئني، فأنصرفت ولا والله ما عرفتها إلا أنني سمعتها تدعى باسمها «كثيرة»، فذكرتها في شعري.

[الفتك ببني أمية بسبب شعره]

وذكر الزبير بن بكار عن عمه مصعب أن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس صاحب بني أمية بنهر أبي فطرس، إنما بعثه على قتلهم أنه أنشده بعض الشعراء ذات يوم مديحاً مدح به بني هاشم؛ فقال لبعضهم: أين هذا مما كنتم تمدحون به! فقال: هيهات أن يمدح أحد بمثل قول ابن قيس فينا:

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ عَظِبُوا
[المنسرح]

- البيت -، فقال له عبد الله بن علي: ألا أرى المظمعة في الملك في نفسك بعد يا ماص كذا من أمه! ثم أوقع بهم.

[غضب الرشيد وقد غني بشعره فيهم]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِي عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ^(٢) قَالَ:

(١) يقال: الجَنَاحُ «من الدر: نَظْمٌ» منه «يُعَرَّضُ، أو كُلُّ ما جَعَلْتَهُ فِي نِظَامٍ»: فهو جَنَاحٌ. من المَجَاز: الجَنَاحُ: «الْكَنْفُ وَالنَّاحِيَةُ». يقال: أَنَا فِي جَنَاحِهِ، أَي دَارِهِ وَظِلُّهُ وَكَتْفُهُ. الجَنَاحُ: «الطَائِفَةُ مِنَ الشَّيْءِ، وَيُضَمُّ، وَالرَّوْشُنُ كَجَوْهَرٍ، وَالْمَنْظَرُ».

(٢) حذف جده من السند. والزبير بن بكار عمه مصعب بن عبد الله بن مصعب وجده عبد الله بن مصعب.

اعترض هارون الرشيد فَيَنَّةَ فَعَنَّتْ :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

[المنسرح]

فلما ابتدأت به تَغَيَّرَ وجهُ الرشيد، وَعَلِمْتُ أَنَّهَا قَدْ غَلَطَتْ وَأَنَّهَا إِنْ مَرَّتْ فِيهِ قُتِلَتْ، فَعَنَّتْ :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

وَأَنَّهُمْ مَعْدِنُ التَّفَاقِي فَمَا تَفْسُدُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ^(١)

[المنسرح]

فقال الرشيد ليحيى بن خالد: أَسَمِعْتَ يَا أَبَا عَلِيٍّ؟ فقال: يا أمير المؤمنين تَبْتَاعُ وَتُسْنِي^(٢) لَهَا الْجَائِزَةَ، وَيُعَجِّلُ لَهَا الْإِذْنَ لِيَسْكُنَ قَلْبُهَا، قَالَ: ذَلِكَ جَزَاؤُهَا، قَوْمِي فَأَنْتَ مِنِّي بِحَيْثُ تُحِبُّ. قَالَ: فَأُغْمِي عَلَى الْجَارِيَةِ. فقال يحيى بن خالد:

جَزَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَمْنِهَا مِنْ اللَّهِ جَنَاتٍ تَفُوزُ بِعَدْنِهَا وَمِنْهَا:

تَقَدَّتْ بِي الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
تَزُورُ أَمْرًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ تَجُودُ لَهُ كَفٌّ بَطِيءٌ غِرَارُهَا
وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ تَزُورَ ابْنَ جَعْفَرٍ لَكَانَ قَلِيلًا فِي دِمَشْقَ قَرَارُهَا

[الطويل]

عَرَوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ. عَنَّا مَعْبُدٌ ثَانِيٌّ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ. قَوْلُهُ: «تَقَدَّتْ» أَيَّ سَارَتْ سِيرًا لَيْسَ بِعَجَلٍ وَلَا مُبْطِئٍ، فَيُقَالُ: تَقَدَّى فُلَانٌ إِذَا سَارَ سِيرَ مَنْ لَا يَخَافُ فُوتَ مَقْصِدَهُ فَلَمْ يَعْجَلْ. وَقَوْلُهُ: «بَطِيءٌ غِرَارُهَا» يَعْنِي أَنَّ مَنَعَهَا الْمَعْرُوفَ بَطِيءٌ. وَأَصْلُ الْغِرَارِ: أَنْ تَمْنَعَ النَّاقَةُ دُرَّتَهَا، ثُمَّ يُسْتَعَارُ فِي كُلِّ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ:

إِنَّ لِكُلِّ نَهْلَاتٍ شَرَّهُ ثُمَّ غِرَارًا كَغِرَارِ الدَّرَّةِ

[الرجز]

(١) أصل البيت:

وَأَنَّهُمْ مَعْدِنُ الْمُلُوكِ فَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

(٢) تسنى: تُجْزَلُ حَتَّى تَكُونَ سَنِةً.

وقال جميلٌ في مثل ذلك :

لَا حَتَّ لِعَيْنِكَ مِنْ بُشَيْنَةٍ نَارٍ فَدُمُوعُ عَيْنِكَ دَرَّةٌ وَغَرَارُ
[الكامل]

[مما عيب في شعره]

قال الزُّبَيْرُ : وهذا البيت مما عيبَ على ابن قيسٍ ، لأنه نَقَضَ صدره بِعَجْزِهِ ، فقال في أولِهِ : إِنَّهُ سار سِيراً بِغَيْرِ عَجَلٍ ، ثم قال :

سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

وهذا غايةُ الدَّأبِ في السَّيْرِ ، فناقض معناه في بيت واحد . ومما عيبَ على ابن قيس الرقيات قوله - وفي هذين البيتين غناء - :

تُرَضِّعُ شِبْلَيْنِ وَسَطَ غَيْلِهِمَا^(١) قَدْ نَاهَزَا لِلفِطَامِ أَوْ فُطِمَا
مَا مَرَّ يَوْمٌ إِلَّا وَعِنْدَهُمَا لَحْمُ رِجَالٍ أَوْ يَوْلُغَانِ^(٢) دَمًا^(٣)
[المنسرح]

- غَنَاءُ الغريضِ خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه - وهي قصيدة مدح بها عبد العزيز بن مروان ، وفيها يقول :

أَغْنِي ابْنَ لَيْلَى عَبْدَ الْعَزِيزِ بِبَا بَلْيُونٍ^(٤) تَغْدُو جَفَانَهُ رُدْمًا^(٥)

(١) الغَيْلُ بالكسر : الأجمة . وموضع الأسد غَيْلٌ ، والجمع غُيُولٌ .

(٢) الْوَلُغُ : شُرْبُ السَّبَاعِ بِالسِّنِّهَا ، وبعض العرب يقول : يَالُغٌ ، أرادوا تبيان الواو فجعلوها مكانها ألفاً . قال قيس بن الرقيات :

مَا مَرَّ يَوْمٌ إِلَّا وَعِنْدَهُمَا لَحْمُ رِجَالٍ أَوْ يَالُغَانِ دَمًا
وَرَجُلٌ مُسْتَوْلَغٌ : لا يبالي دَمًا ولا عارًا ، بمنزلة الكلب يَلُغُ في كُلِّ قَدَرٍ .
(٣) ورد البيتان في الديوان على الشكل التالي :

يَقْتُو شِبْلَيْنِ عِنْدَ مُطْرِقَةٍ قَدْ نَاهَزَا لِلفِطَامِ أَوْ فُطِمَا
لَمْ يَأْتِ يَوْمٌ إِلَّا وَعِنْدَهُمَا لَحْمُ رِجَالٍ أَوْ يَوْلُغَانِ دَمًا

(٤) بابليون : حصن بناه الفرس أيام تملكهم لمصر ، وكان يسميه العرب قصر الشمع وكان على الضفة الشرقية من النيل قرب الكنيسة المعلقة في مصر القديمة فتحه عمرو بن العاص وفتحته تم الصلح مع المقوقس .

(٥) الرَّدْمُ : الْقَضْعَةُ التي امْتَلَأَتْ حَتَّى تَتَصَبَّبَ ، والفِعْلُ : رَدَمْتُ تَرْدِمُ . والرَّدَمُ : الامْتِلَاءُ . وَكُلُّ رَاذِمٍ قَاطِرٌ .

أَلَوَاهِبِ النَّجْبِ^(١) وَالْوَلَايِدِ^(٢) كَالْغِزْلَانِ وَالْخَيْلَ تَعْلُكُ اللَّجْمَا^(٣)(٤)
[المنسرح]

وكان قال في قصيدته هذه: أو: «يا لغان دماً» بالألف، وكذلك رُوي عنه، ثم
عَيَّرَتْهُ الرواة.

[من ذهب إلى إسقاط الاحتجاج بشعره]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حَدَّثَنَا أحمد بن الحارث الخزاز
قال: سَمِعْتُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ يَقُولُ: سِئْلُ يُونُسَ عَنْ قَوْلِ ابْنِ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ:

مَا مَرَّ يَوْمٌ إِلَّا وَعِنْدَهُمَا لَحْمٌ رِجَالٍ أَوْ يُولُغَانِ دَمًا
[المنسرح]

فقال يونس: يجوز يولغان ولا يجوز يالغان؛ فقليل له: فقد قال ذلك ابن قيس
الرقيات وهو حجازي فصيح؛ فقال: ليس بفصيح ولا ثقة، شَغَلَ نَفْسَهُ بالشرب
بِتَكْرِيتٍ^(٥).

[أخبار متفرقة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حمّاد: قَرَأْتُ عَلَى أَبِي: أَوْ بَلَعَكَ أَنَّ ابْنَ
أَبِي عَتِيقٍ أَنَشَدَ قَوْلَ ابْنِ قَيْسٍ:

سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا

(١) رجلٌ نجيبٌ، أي كريم بين النجابة. والنُّجْبَةُ: النجيب؛ يقال هو نُجْبَةُ القوم إذا كان النجيب منهم.

(٢) الولائد: جمع وليدة وهي الصبية والأمة.

(٣) تعلق اللحم: تلوكها وتحركها في فيها.

(٤) ورد البيت في الديوان على الشك التالي:

مَنْ يَهَبُ الْبُخْتَ وَالْوَلَايِدَ كَالْغِزْلَانِ وَالْخَيْلَ تَعْلُكُ اللَّجْمَا

(٥) بالعراق بين دجلة والفرات، وقيل هي من كور الموصل، من سر من رأى إلى تكريت، وهي مدينة
قديمة كبيرة واسعة الأرجاء جميلة الأسواق كثيرة المساجد غاصة بالأهل، أهلها أحسن أخلاقاً
وقسطاً في الموازين من أهل بغداد، ودجلة منها في جوفها ولها قلعة حصينة على الشط هي قصبته
المنبعة وبطيف بالبلد سور، وهي من المدن العتيقة، وهي على شاطئ دجلة في الجانب الغربي
ينزلها قوم يقال لهم الجرامقة وبها تجار مياسير، ومنها تأخذ فوهة النهر الإسحاقى الذي حفره
المعتصم إلى الضبائع التي استنبطها في الجانب الغربي بسر من رأى، وبين تكريت والموصل ثلاث
مراحل، والغالب على أهل تكريت أنهم نصارى وأبنيتهم بالجص والآجر، ومن تكريت يشق نهر
دجيل الآخذ من الدجلة فيشق ربضها ويمر إلى سواد سر من رأى فيعبره إلى قرب بغداد.

فقال: كانت هذه يابن أم فيما أرى عمياء.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِي مُصْعَبٌ عَنْ جَدِّي عَنْ هِشَامِ بْنِ سَلِيمَانَ الْمَخْزُومِيِّ قَالَ: قَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ وَقَدْ مَرَّ بِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا فَارَسَ الْعَمِيَاءِ؛ فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا الْأَسْمُ الْحَادِثُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ! بِأَبِي أَنْتَ! قَالَ: أَنْتَ سَمَيْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ تَقُولُ:

سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا

فَمَا يَسْتَوِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ إِلَّا عَلَى عَمِيَاءٍ، قَالَ: إِنَّمَا عَنَيْتُ التَّعَبَ، قَالَ: فَبَيَّنْتَكَ هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى تَرْجُمان يُترجم عنه.

ومنها:

صوت

ذَكَرْتُكَ إِذْ فَاضَ الْفُرَاتُ بِأَرْضِنَا وَفَاضَتْ^(١) بِأَعْلَى الرَّفَّتَيْنِ بِحَارُهَا
وَحَوْلِي مِمَّا خَوَّلَ اللَّهُ هَجْمَةً عَطَاؤُكَ مِنْهَا شَوْلُهَا وَعِشَارُهَا
فَجِئْنَاكَ^(٢) نُثْنِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَيْكَ كَمَا أَثْنَى عَلَى الرَّوْضِ جَارُهَا
إِذَا مِتُّ لَمْ يَوْصَلْ صَدِيقٌ وَلَمْ تُقَمِّمْ طَرِيقٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْتَ مَنَارُهَا
[الطويل]

- الشول: التوق التي شالت بأذنانها وكهرت الفحل، وذلك حين تُلْفَحُ، واحداً شائل - غناه حكَم الوادي ثَقِيلاً أَوَّل بالوسطى.

[حكم الوادي ودنانير]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: قَالَ حَكَمُ الْوَادِي: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا يَحْيَى، مَا رَأَيْكَ فِي خَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ قَدْ حَضَرْتُ؟ قُلْتُ: وَمَنْ لِي بِهَا؟ قَالَ: تَلْقَى لَحْنَكَ فِي:

ذَكَرْتُكَ أَنْ فَاضَ الْفُرَاتُ بِأَرْضِنَا

على دنانيرِ فها هي ذِه، وهذا سلامٌ واقفٌ معك ومُخرجها إليك، وأنا راكبٌ إلى

(١) ورد في الديوان «جاش» بدل «فاض».

(٢) ورد في الديوان «أَتَيْنَاكَ» بدل «فَجِئْنَاكَ».

أمير المؤمنين، وَلَسْتُ أَنْصَرِفُ مِنْ مَجْلِسِ الْمَظَالِمِ إِلَى وَقْتِ الظَّهْرِ، فَكُدَّهَا فِيهِ، فَإِذَا أَحْكَمْتَهُ فَلَكَ خَمْسُمِائَةٍ، فَقَالَتْ دَنَانِيرُ: يَا سَيِّدِي، أَبُو يَحْيَى يَأْخُذُ خَمْسُمِائَةَ دِينَارٍ وَيَنْصَرِفُ وَأَنَا أَبْقَى مَعَكَ أَفَاسِيكَ عُمْرِي كُلَّهُ! فَقَالَ لَهَا: إِنْ حَفِظْتِيهِ فَلَكَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَقَامَ فَمَضَى؛ فَقُلْتُ لَهَا: يَا سَيِّدَتِي اشْغَلِي نَفْسَكَ بِذَا، فَإِنَّكَ أَنْتَ تَهْبِئِينَ لِي الْخَمْسُمِائَةَ الدِّينَارَ بِحَفِظِكَ إِيَّاهُ وَتَفُوزِينَ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ، وَإِلَّا بَطُلَ هَذَا، فَلَمْ أَرْزُ مَعَهَا أَكْثَرًا وَنَفْسِي وَتُغْنِيَنِي حَتَّى أَنْصَرِفَ يَحْيَى، فَدَعَا بِمَاءٍ وَطَسَّتْ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا يَحْيَى، غَنَّ الصَّوْتَ كَمَا كُنْتَ تُغْنِيهِ فَقُلْتُ: هَلِ كُنْتُ! يَسْمَعُهُ مِنِّي، وَلَيْسَ هُوَ بِمَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسْمَعُهُ مِنْهَا فَلَا يَرْضَاهُ - فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنَ الْغَنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: غَنِّيهِ أَنْتِ الْآنَ؛ فَغَنَنْتُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَى إِلَّا خَيْرًا، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! أَنَا أَمْضِغُ هَذَا مِنْذُ أَكْثَرِ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً كَمَا أَمْضِغُ الْحُبْزَ، وَهَذِهِ أَخَذْتَهُ السَّاعَةَ وَهُوَ يَذِلُّ لَهَا بَعْدِي وَتَجْتَرِيءُ عَلَيْهِ وَيَزِدَادُ حُسْنًا فِي صَوْتِهَا؛ فَقَالَ: صَدَقْتُ، هَاتِي يَا سَلَامُ خَمْسُمِائَةَ دِينَارٍ وَلَهَا أَلْفَ دِينَارٍ، فَفَعَلْتُ، فَقَالَتْ لَهُ: وَحَيَاتِكَ يَا سَيِّدِي لِأَشَاطِرَنَّ أَسْتَازِي الْأَلْفَ الدِّينَارَ، قَالَ: ذَلِكَ إِلَيْكَ، فَفَعَلْتُ. فَانصَرَفْتُ وَقَدْ أَخَذْتُ بِهَذَا الصَّوْتَ أَلْفَ دِينَارٍ.

رجع الحديث إلى عبيد الله بن قيس الرقيّات

[شعر ابن قيس في كثيرة]

قال الزبير بن بكار حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ النَّضِيرِ عَنْ أَبِيهِ:

أَنَّ ابْنَ قَيْسٍ الرَّقِيَّاتِ قَالَ فِي الْكُوفِيَّةِ الَّتِي نَزَلَ عَلَيْهَا:

بَانَتْ لِحَزْنُنَا كَثِيرَهُ وَلَقَدْ تَكُونُ لَنَا أَمِيرَهُ ^(١)
حَلَّتْ فَلَالِيَجَ السَّوَا دِ ^(٢) وَحَلَّ أَهْلِي بِالْجَزِيرَهُ

[مجزوء الكامل]

قال: وَلَقَدْ رَحَلَ مِنْ عِنْدَهَا وَمَا يَتَعَارَفَانِ.

قال: وَقَالَ فِيهَا أَيْضًا - وَفِيهِ لَحْنٌ مِنْ خَفِيفِ الثَّقِيلِ لِابْنِ الْمَكِيِّ - :

(١) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:

ظَعَنْتُ لِحَزْنُنَا كَثِيرَهُ وَلَقَدْ تَكُونُ لَنَا أَمِيرَهُ

(٢) فلاليج السواد: قراه، واحده فلوجة والمراد بالسواد العراق، سمي بذلك لسوادها بالزرع والنخيل والأشجار.

صوت

لَجِجْتَ بِحُبِّكَ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَلَوْلَا كَثِيرَةٌ لَمْ تَلَجِجْ
فَلَيْتَ كَثِيرَةٌ لَمْ تَلْقَنِي كَثِيرَةٌ أُخْتُ بَنِي الْخَزَرَجِ
[المتقارب]

[سعيد بن المسيب وابن قيس الرقيات]

أخبرنا الحرمي قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَاصِمٍ الْقَحْطَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ حَزْمَلَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، فَجَاءَ ابْنُ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ، فَهَشَّ وَقَالَ: مَرْحَبًا بِظَفَرٍ مِنْ أَظْفَارِ الْعَشِيرَةِ، مَا أَحَدُتْ بَعْدِي؟ قَالَ: قَدْ قُلْتُ أَبْيَاتًا وَأَسْتَفْتِيكَ فِي بَيْتٍ مِنْهَا فَاسْمِعْهَا، قَالَ: هَاتِ، فَأَنْشَدَهُ:

هَلْ لِلدِّيارِ بِأَهْلِهَا عِلْمٌ أَمْ هَلْ تُبَيِّنُ فَيَنْطِقُ الرَّسْمُ
قَالَتْ رُقِيَّةٌ^(١) فِيمَ تَصْرِمُنَا أَرْقِي لَيْسَ لِوَجْهِكَ الصَّرْمُ
تَخْطُو بِخُلُخَالَيْنِ حَشْوُهُمَا سَاقَانِ مَارَ^(٢) عَلَيْهِمَا اللَّحْمُ
يَا صَاحِ هَلْ أَبْكَاكُ مَوْقِفُنَا أَمْ هَلْ عَلَيْنَا فِي الْبُكَاءِ إِثْمُ
[الكامل]

فقال سعيد: لا والله ما أبكاني؛ قال ابن قيس الرقيات:

بَلْ مَا بُكَاءُكَ مَنْزِلًا خَلَقًا قَفَرًا يَلُوحُ كَأَنَّهُ الْوَشْمُ
[الكامل]

فقال سعيد: اعتذر الرجل. ثم أنشد:

أَتَلَبَثُ^(٣) فِي تَكْرِيتٍ لَا فِي عَشِيرَةٍ شُهُودٍ وَلَا السُّلْطَانِ مِنْكَ قَرِيبُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ لِلْحَزَمِ عِنْدَكَ مَنْزِلُ وَلِلدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مِنْكَ نَصِيبُ
[الطويل]

فقال سعيد: لا مُقَامَ عَلَى ذَلِكَ، فَاخْرُجْ مِنْهَا، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ: قَدْ أَصَبْتَ أَصَابَ اللَّهِ بِكَ.

(١) ورد في بعض المصادر «سكينة» بدل «رقية».

(٢) مار: تردد وتحرك واضطرب.

(٣) ورد في بعض المصادر «اتقعد» بدل «أتلبث».

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

قَامَتْ^(١) بِخَلْخَالَيْنِ حَشْوُهُمَا سَاقَانِ مَارَ عَلَيْهِمَا اللَّحْمُ
يَا صَاحِ هَلْ أَبْكَأكَ مَوْقِفُنَا أَمْ هَلْ عَلَيْنَا فِي الْبُكَاءِ إِثْمُ
[الكامل]

غَتَّى فِيهِمَا ابْنُ سُرَيْجٍ رَمَلًا بِالْبَنْصَرِ.

[ابن قيس الرقيات وعمر بن أبي ربيعة]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكْرِيُّ وَهَارُونُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ سَعِيدِ الْمُسَاحِقِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ وَهْبٍ مَوْلَى بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤْيٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ نُوْفَلٍ بْنِ مُسَاحِقٍ وَإِنَّهُ لَمُعْتَمِدٌ عَلَى يَدَيَّ إِذْ مَرَرْنَا بِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فِي مَجْلِسِهِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَرَدَّ سَلَامَنَا، ثُمَّ قَالَ لِنُوْفَلٍ: يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ أَشْعُرُ، أَصَاحِبُنَا أَمْ صَاحِبُكُمْ؟ يَعْنِي: عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ أَوْ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ؟ فَقَالَ نُوْفَلٌ: حِينَ يَقُولَانِ مَاذَا؟ فَقَالَ: حِينَ يَقُولُ صَاحِبُنَا^(٢):

خَلِيلِي مَا بَالُ الْمَطِيِّ^(٣) كَأَنَّمَا نَرَاهَا عَلَى الْأَدْبَارِ بِالْقَوْمِ تَنْكِصُ
وَقَدْ أَبْعَدَ الْحَادِي سُرَاهُنَّ وَانْتَحَى بِهِنَّ فَمَا يَأْلُو عَجُولٌ مُقَلِّصُ
وَقَدْ قُطِعَتْ أَعْنَاقُهُنَّ صَبَابَةً فَأَنْفُسُنَا مِمَّا تُكَلِّفُ^(٤) شَخْصُ
يَزِدُنَ بِنَا قُرْبًا فَيَزِدَادُ شَوْقُنَا إِذَا زَادَ طَوْلُ الْعَهْدِ وَالْبُعْدُ يَنْقُصُ
[الطويل]

ويقول صاحبكم ما شئت؛ قال: فقال له نوفل: صاحبكم أشهر بالقول في الغزل أمتع الله بك، وصاحبنا أكثر أفانين شعر؛ قال: صدقت؛ فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر، جعل سعيد يستغفر الله ويعقّد بيده ويعده بالخمس [كلها] حتى وقى مائة.

(١) ورد في بعض «تخطو» بدل «قامت».

(٢) يقصد عمر بن أبي ربيعة.

(٣) ورد في الديوان «المطايا» بدل «المطي».

(٤) ورد في الديوان «يلاقين» بدل «تكلّف».

قال البكري في حديثه عن عبد الجبار: فقال مُسْلِمٌ بن وَهَب: فلما فارقه فُلْتُ لنوفل: أترأه استغفر الله من إنشاده الشعر في مسجد رسول الله ﷺ؟ قال: كلا! هو كثير الإنشاد والإستشاد للشعر، ولكنني أحسبه للفخر بصاحبه.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال: حَدَّثَنَا محمد بن الضحاك عن أبيه قال:

إستأذن عبيد الله بن قيس الرقيات على حمزة بن عبد الله بن الزبير؛ فقالت له الجارية: ليس عليه إذن الآن، فقال: أما إنَّه لو عَلِمَ بمكاني ما احتجب عني! قال: فَدَخَلَتِ الجاريةُ على حمزة فأخبرته، فقال: ينبغي أن يكونَ هذا ابن قيس الرقيات، ائذني له، فأذنت له؛ فقال: مَرَحَباً بك يابنَ قيس، هل من حاجةٍ نَزَعَتْ بك؟ قال: نعم، زَوَّجْتُ بنينَ لي ثلاثةً بناتٍ أخ لي ثلاثٍ، وزَوَّجْتُ ثلاثةً من بني أخ لي بثلاثٍ بناتٍ لي؛ قال: فلبنيك الثلاثة أربعمئة دينارٍ أربعمئة دينارٍ، ولبني أخيك الثلاثة أربعمئة دينارٍ أربعمئة دينارٍ، ولبناتك الثلاث ثلثمائة دينارٍ ثلثمائة دينارٍ، ولبنات أخيك الثلاث ثلثمائة دينارٍ، هل بقيت لك من حاجة يابن قيس؟ قال: لا والله إلا مؤونة السفر؛ فأمر له بما يُصلِحُه لِسَفَرِهِ حتى رِقاع أخفاف^(١) الإبل.

ذكر ما قاله

ابن قيس الرقيات وُعْنِي فيه

صوت

أَمَسْتُ^(٢) رُقِيَّةً دُونَهَا الْبِشْرُ^(٣) فَالرَّقَّةُ السَّودَاءُ^(٤) فَالْغَمْرُ^(٥)
[الكامل]

(١) الخُفُّ: واحد أخفاف البعير. والخُفُّ: واحد الخفاف التي تُلبَسُ. والخُفُّ في الأرض: أغلظ من النعل.

(٢) ورد في بعض المصادر «أضحت» بدل «أمسّت».

(٣) البشر: اسم جبل يمتد من عرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية، وهو من منازل بني تغلب بن وائل.

(٤) الرقة السوداء: بلدة كبيرة ذات بساتين كثيرة.

(٥) الغمر: اسم لمواضع كثيرة.

عَنَّاهُ يُونُسَ ثَقِيلًا أَوَّلَ بِالْوَسْطَى ، وَفِيهِ لِعَزَّةَ الْمِيلَاءِ ثَانِي ثَقِيلٌ .
ومنها :

صوت

رُقَيَّ بَعِيشِكُمْ^(١) لَا تَهْجُرِينَا وَمَتَيْنَا الْمُنَى ثُمَّ أَمْطَلِينَا
عِدِينَا فِي عَدٍ مَا شِئْتِ إِنَّا نُحِبُّ وَلَوْ مَطَلْتِ الْوَاعِدِينَا
أَغْرَكِ أُنْبِي لَا صَبَرَ عِنْدِي عَلَى هَجْرٍ وَأَنْتِ تَصْبِرِينَا
وَيَوْمَ تَبْعَتُكُمْ وَتَرْكُتُ أَهْلِي حَنِينَ^(٢) الْعُودِ^(٣) يَتَّبِعُ الْقَرِينَا
[الوافر]

عَرُوضُهُ مِنَ الْوَافِرِ . عَنَّاهُ ابْنُ مُحَرَّرٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى .
ومنها :

صوت

رُقَيَّةُ تَيَّمَتْ قَلْبِي فَوَاكَيْدِي مِنَ الْحُبِّ نَهَانِي إِخْوَتِي عَنْهَا
وَمَا بِالْقَلْبِ مِنْ عَتَبٍ^(٤) [مَجْزُوءُ الْوَافِرِ]

عَنَّاهُ مَالِكٌ ثَانِي ثَقِيلٌ أَوَّلَ بِالْبَنْصَرِ عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ .
وَقَدْ ذَكَرْتُ بَدْلُ أَنْ فِيهِ لَابِنُ الْمَكِّيِّ لِحْنًا .

[تفضيل ابن أبي عتيق له]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ
عَمْرِو بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : أَنْشَدَ كُثَيْرٌ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ
كَلِمَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلٍ بِنَائِلٍ قَلِيلٍ وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلٍ
[الطويل]

(١) ورد في بعض المصادر «بعمركم» بدل «بعيشكم» .

(٢) ورد في بعض المصادر «عجيج» بدل «حنين» .

(٣) الْعُودُ: الْجَمَلُ الْمُسَنَّ فِيهِ سَوْرَةٌ، أَيْ: بَقِيَّةٌ، وَيَجْمَعُ: عَوْدَةٌ، وَعِيدَةٌ .

(٤) ورد في بعض المصادر «ذنب» بدل «عتب» .

فقال له: هذا كلامٌ مكافئٍ ليس بعاشقٍ، القُرشيان أقنع وأصدقُ منك: ابنُ أبي ربيعة حيث يقول:

لَيْتَ حَظِّي كَلَحْظَةٍ^(١) الْعَيْنِ مِنْهَا وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمُهَنَّا
[الخفيف]

وقوله أيضاً:

فَعِدِي نَائِلًا وَإِنْ لَمْ تُنِيلِي إِنَّهُ يُقْنِعُ الْمُحِبَّ الرَّجَاءُ
[الخفيف]

وابنُ قيس الرقيات حيث يقول:

رُقَيَّ بَعِيشُكُمْ لَا تَهْجُرِينَا وَمَتَيْنَا الْمُنَى ثُمَّ أَمْطَلِينَا
عِدِينَا فِي غَدٍ مَا شِئْتَ إِنَّا نَحِبُّ وَإِنْ مَطَلْتَ الْوَاعِدِينَا
فَأِمَّا تُنْجِزِي عِدَّتِي وَإِمَّا نَعِيشُ بِمَا نُوْمُلُ مِنْكَ حِينَا
[الوافر]

قال: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي السَّائِبِ الْمَخْزُومِيِّ وَمَعَهُ ابْنُ الْمُوَلَى، فَقَالَ: صَدَقَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ وَفَقَهُ اللَّهُ، أَلَا قَالَ الْمَدْيُونُ كَثِيرٌ كَمَا قَالَ هَذَا حَيْثُ يَقُولُ:

وَأَبْكِي فَلَا لَيْلَى بَكَتْ مِنْ صَبَابَةٍ لِبَاكِ وَلَا لَيْلَى لَذِي الْوَدِّ تَبْذُلُ
وَأَخْنَعُ بِالْعُتْبَى إِذَا كُنْتُ مُذْنِبًا وَإِنْ أَدْنَبْتُ كُنْتُ الَّذِي أَتَنْصَلُّ
[الطويل]

[خبره مع رقية بنت عبد الواحد]

أخبرني الحرمي قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ: سَمِعْتُ عُبَيْدَةَ بْنَ أَشْعَبَ بْنَ جُبَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي فِنْدٌ مَوْلَى عَائِشَةَ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: حَجَّتْ رُقِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي سَعْدِ الْعَامِرِيَّةِ، فَكُنْتُ أَتِيهَا وَأُحَدِّثُهَا فَتَسْتَظَرُّ حَدِيثِي وَتَضْحَكُ مِنِّي؛ فَطَافَتْ لَيْلَةً بِالْبَيْتِ ثُمَّ أَهَوَتْ لِتَسْتَلِمَ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ وَقَبَّلَتْهُ، وَقَدْ طُفْتُ مَعَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ، فَصَادَفَ فِرَاعُنَا فِرَاعَهَا وَلَمْ أَشْعُرْ بِهَا، فَأَهْوَى ابْنُ قَيْسٍ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ وَيُقَبِّلُهُ، فَصَادَفَهَا قَدْ سَبَقَتْ إِلَيْهِ، فَتَفَحَّحَتْ^(٢) بِرُدْنِهَا فَارْتَدَعَ^(٣)؛ وَقَالَ لِي: مَنْ هَذِهِ؟ فَقُلْتُ: أَوْ لَا تَعْرِفُهَا! هَذِهِ رُقِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي سَعْدٍ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ:

(١) ورد في الديوان «كطرفة» بدل «كلحظة».

(٢) نفحته: أصابته.

(٣) ارتدع: تطيب بالطيب.

مَنْ عَذِيرِي مَمَّنْ يَضُنُّ بِمَبْذُولٍ لِعَيْرِي عَلَيَّ عِنْدَ الطَّوَافِ
[الخفيف]

يُرِيدُ أَنَّهَا تُقَبَّلُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ وَتَضُنُّ عَنْهُ بِقَبْلِهَا. وقال في ذلك :

حَدَّثُونِي هَلْ عَلَى رَجُلٍ عَاشِقٍ فِي قُبْلَةٍ حَرَجٍ
[المديد]

وفيه غِنَاءٌ يُنْسَبُ بَعْدَ هَذَا الْخَبَرِ. قال : وَلَمَّا نَفَحَتْهُ بِرُدْنِهَا فَاحَتْ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمَسْكِ حَتَّى عَجِبَ مَنْ فِي الْمَسْجِدِ، وَكَأَنَّمَا فُتِحَتْ بَيْنَ أَهْلِ الْمَسْجِدِ لَطِيمَةٌ^(١) عَطَارٍ، فَسَبَّحَ مِنْ حَوْلِ الْبَيْتِ. قال : وقال فِينْدُ : فَقُلْتُ بَعْدَ انْصِرَافِهَا لِابْنِ قَيْسٍ : هَلْ وَجَدْتَ رَائِحَةَ رُدْنِهَا لَشَيْءٍ طَيِّباً. فعند ذلك قال أبياته التي يقول فيها :

سَائِلًا فِينْدًا خَلِيلِي كَيْفَ أَزْدَانُ رُقِيَّهِ
إِنِّي عُلِقْتُ^(٢) خَوْدًا^(٣) ذَاتَ دَلٍّ بِخَنْزِيرِيهِ^(٤)

[مجزوء الرمل]

غَنَاءُ فِينْدُ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ حَبَشٍ.

نسبة هذا الصوت الذي في الخبر المتقدم وخبره وهو أيضاً مما قاله ابن قيس في رقية

صوت

حَبِّ ذَاكَ الدَّلِّ^(٥) وَالْغُنْجِ^(٦) وَالَّتِي فِي عَيْنِهَا^(٧) دَعَجُ^(٨)

(١) اللطيمة واللطائم، وكأن فاهها لطيمة تاجر وهي وعاء العطر وقيل غيره.

(٢) ورد في الديوان «علقت» بدل «بذلت».

(٣) الخَوْدُ: الجارية الناعمة. والجمع خَوْدٌ. والتَّخْوِيدُ: سرعة السير.

(٤) التَّبَخُّرُ في المشي. يقال: فلانٌ يَمْشِي التَّبَخُّرِيَّةَ، وهي مشية المتكبر المعجب بنفسه.

(٥) الدَّلُّ: تدللت المرأة على زوجها، ودلت تدل، وهي حسنة الدلّ والدلال. وذلك أن تريه جرأة عليه في تعنّج وتشكّل، كأنها تخالفه وليس بها خلاف.

(٦) «الغُنْجُ، بالضم، وبضمّتين، وكُغْرَابٍ»، الأخيرة عن كُرَاع: الشُّكْلُ، بالكسر، وقيل: مَلَاخَةٌ الْعَيْنَيْنِ. وقد «عَنِجَتِ الْجَارِيَةُ، كَسَمِعَ، وَتَعَنَّجَتِ، وهي مِعْنَجٌ وَعَنِجَةٌ». وفي حديث البخاري في تفسير العربة: هي العَنِجَةُ، الغُنْجُ في الجارية تكسر وتدلّ.

(٧) ورد في بعض المصادر «طرفها» بدل «عينها».

(٨) عين دعجاء: بينة الدعج وهو شدة السواد في العين مع سعتها.

[و]التي إن حَدَّثْتُ كَذَبْتُ وَالتي في وعدها خَلَجُ^(١)
وَتَرى في البَيْتِ صَوْرَتَهَا^(٢) مِثْلَمَا في البَيْعَةِ^(٣) السُّرْجُ
خَبَّرُونِي^(٤) هَلْ عَلَى رَجُلٍ عَاشِقٍ في قُبْلَةٍ حَرَجُ
[المديد]

الشعر لابن قيس الرقيات يقوله في رُقِيَّة بنت عبد الواحد. والغناء لمالك خفيف
ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر. وفيه خفيف ثقيل آخر لابن مُحَرِّز من رواية
عمرو بن بانه، وقيل: بل هو هذا.

[أخبار متفرقة]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثَنِي
سليمان بن عِيَّاش السَّعْدِيُّ قال: حَدَّثَنِي سَائِبُ رَاوِيَةٌ كَثِيرٌ قال: كَانَ كَثِيرٌ مَدْيُونًا،
فقال لي يوماً وَنَحْنُ بِالمَدِينَةِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ نَتَحَدَّثُ عِنْدَهُ؛ قال:
فذهبت إليه معه؛ فاستنشدته ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ، فَأَنشده قوله:

أَبَائِنَّةٌ سَعْدِي نَعَمَ سَتَبِينُ^(٥)

حتى بلغ إلى قوله:

وَأَخْلَفَنَ مِيعَادِي وَخُنَّ أَمَانَتِي وَلَيْسَ لِمَنْ خَانَ الْأَمَانَةَ دِينَ
[الطويل]

فقال له ابن أبي عتيق: أعلى الأمانة تَبِعْتَهَا فَاكْفَ واستغضب نفسه وصاح وقال:
كَذَبَنَ صَفَاءَ الْوُدِّ يَوْمَ مَحَلَّةٍ وَأَنكَدَنِي مِنْ وَعْدِهِنَّ دِيُونُ^(٦)
[الطويل]

(١) الخلع: جذب الشيء وانتزاعه بسرعة. والحركة أيضاً، خلج عينيه وحاجبيه؛ يخلج ويخلج،
واختلجت العين. واختلج في صدري هم. وتخالجتني هموم: تنازعني. وبيننا وبينهم خلجة: أي
قدر ما يعيي مرة واحدة.

(٢) ورد في بعض المصادر «ستتها» بدل «صورتها».

(٣) أتيناها للبياع والمبايعة والبيعة وهو من أهل البيعة أي نصراني.

(٤) ورد «حدوثني» بدل «خبروني».

(٥) البيت هو:

أَبَائِنَّةٌ سَعْدِي نَعَمَ سَتَبِينُ كَمَا أَنَبْتُ مِنْ حَبْلِ الْقَرِينِ قَرِينُ
(٦) ورد البيت على الشكل التالي:

كَذَبَنَ صَفَاءَ الْوُدِّ يَوْمَ شَنُوكَةٍ وَأَدْرَكَنِي مِنْ عَهْدِهِنَّ وَهُونُ

فقال له ابن أبي عتيق: وَيْلَكَ! هذا أملح لَهْنٍ وأدعى للقلوب إليهنّ، سيّدك ابن قيس الرقيّات كان أعلم منك وأوضع للصواب موضعه فيهنّ؛ أما سمعت قوله:

حَبِّ ذَاكَ الدَّلَّ وَالْعُنْجُ وَالَّتِي فِي عَيْنِهَا دَعَجُ
[و]الَّتِي إِنْ حَدَّثْتُ كَذَبْتُ وَالَّتِي فِي وَعْدِهَا خَلَجُ
وَتَرَى فِي الْبَيْتِ صَوْرَتَهَا مِثْلَمَا فِي الْبَيْعَةِ السُّرْجُ
خَبَّرُونِي هَلْ عَلَى رَجُلٍ عَاشِقٍ فِي قُبْلَةٍ حَرَجُ
[المديد]

قال: فَسَكَنَ كَثِيرٌ وَاسْتَحْلَى ذَلِكَ، وقال: لَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ فَضَحِكَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ حَتَّى ذَهَبَ بِهِ.

أخبرنا الحرميّ قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غُرَيْرٍ الزُّهْرِيُّ قال: أَنَشَدْتُ أَبَا السَّائِبِ الْمَخْزُومِيَّ قَوْلَ ابْنِ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ:

قَدْ أَتَانَا مِنْ آلِ سُعْدَى رَسُولُ حَبَّذَا مَا تَقُولُ لِي وَأَقُولُ
مِنْ فَتَاةٍ كَأَنَّهَا قَرْنُ شَمْسٍ ضَاقَ عَنْهَا دَمَالِجٌ^(١) وَحُجُولُ
حَبَّذَا لَيْلَتِي بِمَزَّةٍ^(٢) كَلْبٍ غَالٍ عَنِّي بِهَا الْكَوَانِينُ^(٣) غَوْلُ^(٤)
[الخفيف]

فقال لي: يَا بَنَ الْأَمِيرِ مَا تَرَاهُ كَانَ يَقُولُ وَتَقُولُ؟ فَقُلْتُ:

حَدِيثًا كَمَا يَسْرِي النَّدَى لَوْ سَمِعْتُهُ شَفَاكَ مِنْ أَدْوَاءٍ كَثِيرٍ وَأَسْقَمَا
[الطويل]

فَطُرِبَ وقال: أَبُيْ أَنْتَ وَأُمِّي! مَا زِلْتُ أَحْبُّكَ، وَلَقَدْ أضعف حبي إياك حين تفهم عني هذا الفهم.

غَنَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ابْنُ سُرَيْجٍ ثَقِيلًا أَوَّلَ بِالْوَسْطَى. وَلِمَالِكٍ فِيهَا ثَانِي ثَقِيلٌ، كِلَاهُمَا عَنِ الْهَشَامِيِّ.

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدَلَانِي النَّحْوِيُّ صَهْرُ الْمُبَرَّدِ قال: حَدَّثَنِي طَلْحَةُ بْنُ

(١) الدُّمْلُجُ: المِعْضَدُ مِنَ الْحَلِيِّ. وَالدَّمْلَجَةُ: تَسْوِيَةُ صَنْعَةِ الشَّيْءِ كَمَا يُدْمَلَجُ السَّوَارُ.

(٢) الْمَزَّةُ: قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ فِي وَسْطِ بَسَاتِينَ دِمَشْقَ.

(٣) الْكَوَانِينُ: الثَّقَلَاءُ مِنَ الرِّجَالِ.

(٤) الْغَوْلُ: الدَّاهِيَةُ.

عبد الله أبو إسحاق الطَّلحي قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو بن عثمان بن عفَّان قال: أَنشد أشْعَبُ بْنُ جُبَيْرٍ أَبِي أبياتَ عبيد الله بن قيس الرقيات التي يقول فيها:

قَدْ أَتَانَا مِنْ آلِ سُعْدَى رَسُولٌ حَبَّذَا مَا تَقُولُ لِي وَأَقُولُ
[الخفيف]

فقال أبي: وَيَحَكَ يَا أَشْعَبُ! ما تراه قال وقالت له؟ فقال:

حَدِيثًا لَوْ أَنَّ اللَّحْمَ يَصْلِي بِحَرِّهِ غَرِيضًا^(١) أَتَى أَصْحَابَهُ وَهُوَ مُنْضَجٌ
[الطويل]

ذَكَرَ شَوْقًا وَوَصَفَ تَوْقًا، ووعد ووفى، والتقىا بمزة كَلْب فَشَفَى واشتفى، فذلك قوله:

حَبَّذَا لَيْلَتِي بِمَزَّةِ كَلْبٍ غَالَ عَتِي بِهَا الْكَوَانِينِ غَوْلٌ
[الخفيف]

فقال له: إِنَّكَ لَعَلَّامَةٌ بهذه الأحوال؛ قال: أجل! بأبي أنت فاسأل عالماً عن علمه.

ومما في المائة الصوت المختارة من شعر عبيد الله بن قيس الرقيات.

صوت

يَا قَلْبُ وَيَحَكَ لَا تَذْهَبِ بِكَ الْحَرْقُ إِنَّ الْأَلَى كُنْتَ تَهَوَّاهُمْ قَدْ أَنْطَلَقُوا
[البسيط]

وذكر أنه لوضَّاح^(٢)، وقد أخرج في موضع آخر.

(١) الْغَرِيضُ: كُلُّ غَنَاءٍ مُخَدَّثٍ طَرِيٍّ، ومنه سُمِّيَ الْمُغَنَّى الْغَرِيضُ، لَأَنَّهُ أَتَى بِغَنَاءٍ مُخَدَّثٍ.

(٢) وضاح اليمن، عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال من آل خوذان الحميري. شاعر رقيق الغزل عجيب النسب كان جميل الطلعة يتنقع في المواسم. له أخبار مع عشيقته له اسمها روضة من أهل اليمن. قدم مكة حاجاً في خلافة الوليد بن عبد الملك فرأى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، زوجة الوليد فتغزل بها فقتله الوليد سنة ٩٠هـ. وهو صاحب الأبيات التي منها:

قالت ألا لا تلجن دارنا إن أبانا رجل غائر

وفي المؤرخين من يسميه عبد الله بن إسماعيل.

ذكر مالك بن أبي السمح وأخباره

[نسبه]

هو مالك بن أبي السَّمَح. واسم أبي السَّمَح جابر بن ثعلبة الطائي أحد بني ثعل ثم أحد بني عمرو بن دَرَماء^(١). ويكنى أبا الوليد. وأمه قُرَشِيَّة من بني مخزوم، وقيل: بل أم أبيه منهم، وهو الصحيح. وقال ابن الكلبي: هو مالك بن أبي السَّمَح بن سليمان بن أَوْس بن سِمَاك بن سعد بن أوس بن عمرو بن دَرَماء أحد بني ثعل. وأم أبيه بنت مُدْرِك بن عوف بن عُبيد بن عمرو بن مخزوم. وكان أبوه مُنْقَطِعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ویتیماً في حجره أوصى به أبوه إليه، فكان ابن جعفر يَكْفُلُهُ ويمونُهُ، وأدخله وسائر إخوانه في دعوة بني هاشم، فهم معهم إلى اليوم. وكان أحوال طويلاً أحنى^(٢). قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب في قوله فيه:

أبيض كالبدْرِ أو كما يَلْمَعُ البَّارِقُ في حالِكٍ مِنَ الظُّلَمِ
فقال له الوليد^(٣): بل أنت.

أحوَلُ كالقِرْدِ أو كما يَرْقُبُ السَّارِقُ في حالِكٍ مِنَ الظُّلَمِ
[المنسرح]

(١) بنو الدرمام: أولاد عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل الطائي، ودرمام أهمهم، وكانوا بالشام بقلعة الداروم وما يجاورها.

(٢) أحنى: في ظهره إحدیداب.

(٣) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس، ولد سنة ٨٨هـ، من ملوك الدولة مروانية بالشام، كان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم، يعاب بالانهماك في اللهو وسماع الغناء. له شعر رقيق وعلم بالموسيقى. قال أبو الفرج: (له أصوات صنعها مشهورة وكان يضرب بالعود ويوقع بالطل ويمشي بالدف على مذهب أهل الحجاز). ولي الخلافة سنة ١٢٥هـ بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك. خلعه الناس وبايعوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك بينما كان غائباً في الأغداف (شرقي الأردن) فجاءه النبأ فانصرف إلى النجاء فقصده جمع من أصحاب يزيد فقتلوه في قصر النعمان بن بشير وحمل رأسه إلى دمشق فنصب في الجامع ولم يزل أثر دمه على الجدران إلى أن قدم المأمون دمشق سنة ٢١٥هـ وأمر بحكه.

[أساتذته في الغناء]

وأخذ الغناء عن جَمِيلَة وَمَعْبُد وَعُمَر^(١) حتى أدرك الدولة العباسية، وكان مُنْقَطِعاً إلى بني سليمان بن علي، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور.

[السبب في انقطاع أبي السَّمَح إلى ابن جعفر]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: نَسَخْتُ من كتاب حَمَّاد: قَرَأْتُ على أبي: أَنَّ السبب في انقطاع أبي السَّمَح إلى ابن جعفر أَنَّ السَّنَةَ أَفْحَمْتُ طَبِئاً، فَكَانَ ثَعْلَبُهُ جَدُّ مَالِكٍ أَحَدَهُمْ، فَوُلِدَ أَبُو السَّمَحَ بِالْمَدِينَةِ؛ وَكَانَ صَدِيقاً لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْهَاشِمِيِّ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ مَوَدَّةً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آلِ شُعَيْبِ السَّهْمِيِّينَ؛ فَلَمَّا تَزَوَّجَ حُسَيْنٌ عَابِدَةَ بِنْتَ شُعَيْبِ السَّهْمِيَّةِ خَاصِمَهُمْ بِسَبَبِهَا؛ وَكَانَ جَدُّ مَالِكٍ مَعَهُ وَعَوْناً لَهُ مَعَ مَنْ عَاوَنَهُ، فَتَشَبَّهَ بِذَلِكَ حَالُ بَيْنِهِ وَبَيْنَ بَنِي هَاشِمٍ، حَتَّى وُلِدَ مَالِكٌ فِي دَوْرِهِمْ، فَصَارَتْ دَعْوَتُهُ فِيهِمْ.

[عُمَرُ مَالِكٍ حَتَّى أَدْرَكَ دَوْلَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قَالَ حَمَّاد: قَرَأْتُ على أبي: وَعُمَرُ مَالِكٍ حَتَّى أَدْرَكَ دَوْلَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَقَدِمَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بِالْبَصْرَةِ، فَمَتَّ إِلَيْهِ بِخَوْولَتِهِ فِي قَرِيشٍ، وَدَعْوَتِهِ لِبَنِي هَاشِمٍ، وَانْقِطَاعِهِ إِلَى ابْنِ جَعْفَرٍ، فَعَجَّلَ لَهُ سُلَيْمَانُ صِلَتَهُ وَكِسَاهَ وَكَتَبَ لَهُ بِأَوْسَاقٍ^(٢) مِنْ تَمَرٍ.

[تعلّمه الغناء على يد معبد]

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ يَوْسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنِي الْوَرْدَانِيُّ قَالَ: كَانَ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمَحِ الْمُعَنِّيِّ مِنَ

(١) هو عمر الوادي المغني، وقد كان مُعَاَصِراً لَهُ وَكَانَ أَسْتَاذاً مُبْرَزاً فِي الْغَنَاءِ.

(٢) الْوَسْقُ بِالْفَتْحِ، كَمَا ضَبَطَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ، وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى بِكَسْرِ الْوَاوِ. نَقَلَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ، وَعِيَاضُ وَابْنُ قُرْفُولٍ، وَالْفَيَّومِيُّ، وَهُوَ مَكِيلَةٌ مَعْلُومَةٌ، وَهُوَ سِتُّونَ صَاعاً بِصَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ خُمْسَةُ أَرْطَالٍ وَثُلُثٌ. فَالْوَسْقُ عَلَى هَذَا الْحِسَابِ مِائَةٌ وَسِتُّونَ مَتَّاً. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: كُلُّ وَسْقٍ بِالْمُلْحَمِ ثَلَاثَةُ أَفْئِزَةٍ. قَالَ: وَسِتُّونَ صَاعاً: أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ مَكُوكاً بِالْمُلْحَمِ، وَذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَفْئِزَةٍ. وَفِي التَّهْذِيبِ: الْوَسْقُ بِالْفَتْحِ: سِتُّونَ صَاعاً وَهُوَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَعِشْرُونَ رِطْلاً عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَثَمَانُونَ رِطْلاً عِنْدَ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي مِقْدَارِ الصَّاعِ وَالْمُدِّ. وَالْجَمْعُ أَوْسُقٌ، وَوُسُوقٌ.

طيء، فأصابتهُم حَطْمَةٌ^(١) في بلادهم بالجبيلين^(٢)، فَقَدِمَتْ به أمه وبإخوة له وأخوات أيتام لا شيء لهم؛ فكان يسأل الناس على باب حمزة بن عبد الله بن الزبير، وكان معبداً مُنْقَطِعاً إلى حمزة يكون عنده في كل يوم يُغْنِيه؛ فَسَمِعَ مالك غناءه فأعجبه واشتهاه، فكان لا يُفَارِقُ باب حمزة يَسْمَعُ غناء معبد إلى الليل، فلا يطوف بالمدينة ولا يَطْلُبُ من أحد شيئاً ولا يَرِيْمُ موضِعَهُ، فَيَنْصَرِفُ إلى أمه ولم يَكْتَسِبْ شيئاً، فتضربه، وهو مع ذلك يترنم بالحنان معبد ويؤدّيها دوراً دوراً في مواضع صيحاته وإسجحاته ونبراتهِ^(٣) نَغْماً بغير لفظ ولا رواية شيء من الشعر؛ وجعل حمزة كلما غدا وراح رآه مُلازماً لبابه؛ فقال لِعَلامِهِ يوماً: أدخل هذا الغلام الأعرابي إليّ؛ فأدخله؛ فقال له: من أنت؟ فقال: أنا غلام من طيء أصابتنا حَطْمَةٌ بالجبيلين فَحَطَّتْنا إليكم ومعني أم لي وإخوة، وإني لَرَمْتُ بابك فَسَمِعْتُ من دارك صوتاً أعجبنى، فَلَزِمْتُ بابك من أجله؛ قال: فهل تعرف منه شيئاً؟ قال: أعرف لَحْنَهُ كُلَّهُ ولا أعرف الشعر؛ فقال: إن كُنْتَ صادقاً إِنَّكَ لَفَهُم. ودعا بِمَعْبَد فأمره أن يُغْنِي صوتاً فغناه، ثم قال لمالك: هل تستطيع أن تقوله؟ قال نعم؛ قال: هاته؛ فاندفع فغناه فأدّى نَغْمَهُ بغير شعر، يؤدّي مَدَّاتِهِ وَلَيَّاتِهِ وَعَظَفَاتِهِ وَنَبْرَاتِهِ وتعليقاتِهِ لا يَخْرِمُ حرفاً؛ فقال لمعبد: خذ هذا الغلام إليك وخَرِّجْه، فليكوننَّ له شأن؛ قال معبد: ولم أفعل ذلك؟ قال: لتكون محاسنُهُ منسوبة إليك، وإلا عدَلْ إلى غيرك فكانت محاسنُهُ منسوبة إليه؛ فقال: صدَقَ الأمير، وأنا أفعل ما أمرتني به. ثم قال حمزة لمالك: كيف وَجَدْتَ ملازمتَكَ لبابنا؟ قال: أَرَأَيْتَ لو قُلْتُ فيك غير الذي أنت له مستحقٌّ من الباطل أَكُنْتَ ترضى بذلك؟ قال: لا؛ قال: وكذلك لا يسرُّك أن تُحمدَ بما لم تفعل؛ قال: نعم؛ قال: فوالله ما شَبِعْتُ على بابك شَبْعَةً قطُّ ولا انقلبْتُ منه إلى أهلي بخير؛ فأمر له ولأُمِّهِ وإخوته بمنزل، وأجرى لهم رِزْقاً وكسوة، وأمر لهم بخادم يَحْدُمُهُمْ وعبد يسقيهم الماء، وأجلس مالكا معه في مجالسه، وأمر معبداً أن يُطَارِحَهُ، فلم ينشب^(٤) أن مَهَرَ وَحَدَّقَ؛ وكان ذلك بعقب مقتل هُدْبَةَ بن خَشْرَم فَخَرَجَ مالك يوماً فَسَمِعَ امرأة تَنُوحُ على زيادة الذي قتله هُدْبَةُ بن خَشْرَم بشعر أخي^(٥) زيادة:

(١) حَطْمَتُهُ حَطْماً، أي كسرتَه فأنحطَمَ وَتَحَطَّمَ. والتَّحْطِيمُ: التَّكْسِيرُ. وأصابتهُم حَطْمَةٌ، أي سَنَةٌ وجذب.

(٢) الجبلان هما أجأ وسلمى لأنهما جبلا طيء.

(٣) نبرة المغني: رفع صوته عن خفض.

(٤) لم ينشب: لم يلبث.

(٥) هو عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة بن زيد المقتول.

أَبْعَدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ^(١) نَعْفٌ كُؤْيَكِبِ
أَذْكَرُ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي
فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِزَيْدِ بْنِ مَالِكٍ
وَلَا أَنْلُ ثَأْرِي مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ
أَنْخُتُمْ عَلَيْنَا كَلْكَلَ الْحَرْبِ مَرَّةً
رَهْيَنَةَ رَمْسٍ ذِي ثَرَابٍ وَجُنْدَلٍ
وَبُقْيَايَ أَنِّي جَاهِدٌ غَيْرُ مُؤْتَلِي
لَنْ لَمْ أَعْجَلْ ضَرْبَةً أَوْ أَعْجَلِ
بَنِي عَمَّنَا فَالْدَهْرُ ذُو مُتَطَوَّلٍ
فَنَحْنُ مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكَلْكَلِ
[الطويل]

فغنى في هذا الشعر لَحْنَيْنِ، أحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورققته وأصلحه وزاد فيه، والآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه؛ ثم دَخَلَ على حمزة فقال له: أيها الأمير، إِنِّي قد صَنَعْتُ غَنَاءً في شِعْرِ سَمِعتُ بعضَ أهل المدينة يُشِدُّهُ وقد أعجبني، فَإِنْ أَدِنَ الأميرُ عَنِّيْتُهُ فيه؛ قال: هاته، فغَنَّاه اللحن الذي نحا فيه نحو معبد؛ فَطَرِبَ حمزة وقال له: أَحَسَنْتَ يا غُلامَ، هذا الغناء غناء معبد وطريقته؛ فقال: لا تَعَجَّلْ أيها الأمير واسمع مِنِّي شيئاً ليس من غناء معبد ولا طريقته؛ قال: هاتِ، فَغَنَّاه اللحن الذي تشبَّه فيه بنوح المرأة، فَطَرِبَ حمزة حتى ألقى عليه حُلَّةً كانت عليه قيمتها مائتا دينار؛ ودَخَلَ معبد فرأى حُلَّةً حَمَزَةٍ عليه فأنكرها؛ وَعَلِمَ حَمَزَةً بذلك فأخبر معبداً بالسبب، وأمر مالكاً فغَنَّاه الصوتين؛ فَغَضِبَ معبد لما سَمِعَ الصوت الأول وقال: قد كَرِهْتُ أَنْ آخِذَ هذا الغلام فيتعلَّم غَنَائِي فيدَّعيه لنفسه؛ فقال له حمزة: لا تَعَجَّلْ واسمع غَنَاءَ صَنَعَهُ ليس من شأنك ولا غَنَائِكَ، وأمره أَنْ يُعَنِّي الصوت الآخر فَغَنَّاه؛ فأطرق معبد؛ فقال له حمزة: واللَّهِ لو انفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الأيام، وكلما كَبُرَ وزاد شِخْتُ أنت ونقصت، فَلِأَنَّ يكون منسوباً إِلَيْكَ أجمل؛ فقال له معبد وهو منكسر: صدق الأميرُ. فَأَمَرَ حَمَزَةً لِمَعْبَدٍ بِخَلْعَةٍ من ثيابه وجائزة حتى سَكَنَ وطابت نفسه؛ فقام مالك على رجله فَقَبَّلَ رَأْسَ معبد، وقال له: يا أبا عَبَّادِ أساءك ما سَمِعتُ مِنِّي؟ واللَّهِ لا أَغْنِي لِنَفْسِي شيئاً أبداً ما دمت حيّاً، وإن غلبتني نفسي فَغَنَيْتُ في شعر استحسنته لا نسبته إلا إِلَيْكَ، فَطَبَّ نفساً وارضَ عَنِّي؛ فقال له معبد: أَوْ تَفْعَلْ هذا وتَقِي به؟ قال: إي واللَّهِ وأزِيدُ؛ فكان مالك بعد ذلك إذا غَنَى صوتاً وسُئِلَ عنه قال: هذا لمعبد، ما غَنَيْتُ لِنَفْسِي شيئاً قط، وَإِنَّمَا آخِذُ غَنَاءَ معبد فأنقله إلى الأشعار وأحسنته وأزِيدُ فيه وأنقص منه.

(١) النَّعْفُ: ما انحدر من حُزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي. فما بينهما نَعْفٌ، وسَرُوٌّ، وخَيْفٌ. والجمع نِعاْفٌ.

[الغناء ليلة الجمعة]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال: حَدَّثَنَا حَمَّاد بن إِسْحاق عن أَبِيهِ قال: حَدَّثَنَا الحسن بن عُتْبَةَ اللَّهْبِيِّ عن عبد الرحمن بن محمد بن عُبَيْدِ اللَّهِ أَحَدِ بني الحارث بن عبد المَطَّلَب قال: خَرَجْتُ من مكة أريدُ العراقَ، فَحَمَلْتُ معي مالَكَ بن أَبِي السَّمْح من المدينة، وذلك في أيام أَبِي العَبَّاسِ السَّفَّاح، فكان إذا كانت عَشِيَّةُ الخميس قال لنا: يا معشر الرُّفْقَةِ إِنَّ الليلةَ لَيْلَةُ الجمعةِ وأنا أعلم أنكم تسألوني الغناء، وعليّ وعليّ إِنْ عَتَيْتُ ليلةَ الجمعةِ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ شيئاً فالسَّاعَةَ اقترحوا ما أَحْبَبْتُمْ؛ فَنَسَّألهُ فَيُغَنِّينا، حتى إذا كادت الشمس أن تغيبَ طُرِبَ ثم صاح: الحريق في دار سَلَمَعَانَ، ثم يمرّ في الغناء فما يكون في ليلة أكثر غناءً منه في تلك الليلة بعد الأيمان المُعْلَظَةِ.

[حسرة من لم يسمع غناؤه]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال: حَدَّثَنَا حَمَّاد بن إِسْحاق عن أَبِيهِ قال: كان سليمان بن عليّ يَسْمَعُ من مالِك بن أَبِي السَّمْح بالسَّراة^(١)، لَأَنَّهُ كان إذا قَدِمَ الشَّامَ على الوليد بن يزيد، عَدَلَ إليهم في بَدْأَتِهِ وَعَوْدَتِهِ لانْقِطَاعِهِ إليهم، فَيَبْرُونَهُ وَيَصْلُونَهُ. فلما أَفْضَى إليهم الأمرُ رأى سليمانُ مالِكاً على باب ابنه جعفر؛ فقال له: يا بُنَيَّ، لقد رأيتُ بِبابِكَ أَشْبَهَ الناسَ بِمالِكٍ؛ فقال له جعفر: وَمَنْ مالِكٌ؟ - يُوهِمُهُ أَنَّهُ لا يعرفه - فَتَعَاوَلَ عنه سليمانُ لئلا يَنْبَهَ عليه فيطْلُبُهُ، وَتَوَهَّمَ أَنَّهُ لا يعرفُهُ ولا سَمِعَ غناؤه.

قال حَمَّادُ: وَحَدَّثَنِي أَبِي عن جَدِّي إبراهيم أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رأى مالِكاً بالبصرة على باب جعفر بن سليمان، أو أخيه محمد، ولم يعرفه، فسألَ عَنْهُ بعد ذلك فَعَرَفَهُ وقد كان خَرَجَ عن البصرة؛ قال: فما لي حَسْرَةٌ مثل حَسْرَتِي بِأَنِّي ماسَمِعْتُ غناؤه.

[سبب دخوله في دعوة بني هاشم]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّه قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَسَّان محمد بن يحيى قال: كان مالِك بن أَبِي السَّمْح يَتِيماً في جِجَرِ عبدِ اللَّهِ بن جعفر، وكان أبوه أَبُو السَّمْح صار إلى عبدِ اللَّهِ بن جعفر وانقطع إليه، فلما احْتَضَرَ أَوْصَى بِمالِكٍ إليه، فَكَفَلَهُ وعاله ورباه، وأدخله في دعوة بني هاشم، فهو فيهم إلى اليوم. ثم خَطَبَ حسينُ بن عبدِ اللَّهِ بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن العباسِ العابدةَ بِنْتَ شُعَيْب بن محمد بن

(١) السَّراة: جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء سمي بذلك لعلوه، وسراة كل شيء ظهره. يقال: سراة ثقيف ثم سراة فهم وعدوان ثم سراة الأزد.

عبد الله بن عمرو بن العاص، فَمَنَعَهُ بعضُ أهلها منها وخطبها لنفسه، فعاونَ مالِكُ حُسَيْنًا، وكانت العابدةُ تستنصحه، وكانت بين أبيها شُعَيْبٍ وبينه مودةٌ، فأجابت حُسَيْنًا وتزوَّجته، فانقطع مالِكُ إلى حُسين؛ فلما أفضى الأمرُ إلى بني هاشم قَدِمَ البصرةَ على سليمان بن عليٍّ، فلما دخل إليه مَتَّ بصحبته عبدُ الله بن جعفر ودعوته في بني هاشم وانقطاعه إلى حُسين، فقال له سليمان: أنا عارفٌ بِكُلِّ ما قلته يا مالِك، وَلَكِنَّكَ كما تعلم، وأخاف أن تُفْسِدَ عليَّ أولادي، وأنا واصلك ومُعطيك ما تريد وجاعل لك شيئاً أبعث به إليك ما دمت حيًّا في كلِّ عام، على أن تَخْرُجَ عن البصرة وترجع إلى بلدك؛ قَالَ: أَفْعَلْ جعلني الله فداك؛ فأمر له بِجائزةٍ وكُسوةٍ وحمله وزوَّده إلى المدينة.

[مالك في حمام المدينة]

أخبرني عمِّي الحسن بن محمد قال: حَدَّثَنَا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حَدَّثَنِي محمد بن هارون بن جَنَاح قال: أَخْبَرَنِي يعقوبُ بن إبراهيم الكوفي عَمَّنْ أخبره قال: دَخَلْتُ المدينةَ حاجًّا فَدَخَلْتُ الحَمَّامَ، فبينما أنا فيه إذ دَخَلَ صاحبُ الحَمَّامِ فَغَسَلَهُ وَنَظَّفَهُ، ثم دَخَلَ شيخٌ أعمى له هيئةٌ، مؤتَرِّزٌ بمنديلٍ أبيض؛ فلما جَلَسَ خَرَجْتُ إلى صاحبِ الحَمَّامِ فَقُلْتُ له: من هذا الشيخ؟ قال: هذا مالِك بن أبي السَّمْحِ المَعْنِي، فَدَخَلْتُ عليه فقلت له: يا عمَّاه، مَنْ أَحْسَنُ الناسِ غناءً؟ فقال: يَأْبَنُ أخِي، «على الخبير سَقَطَتْ»^(١)، أَحْسَنُ الناسِ غناءً أَحْسَنُهُمْ صوتاً.

أخبرني عمِّي قال: حَدَّثَنِي أبو أيوب المديني قال: حَدَّثَنِي أبو يحيى العبادي عن إسحاق قال: كان فتيةٌ من قريش جلوساً في مجلس، فَمَرَّ بهم مالِك بن أبي السَّمْحِ، فقال بعضهم لبعض: لو سألنا مالِكاً فَعَنَّا صوتاً! فقام إليه بعضهم فسأله النزولَ عندهم، فَعَدَّلَ إليهم؛ فسألوه أن يُعْنِيَهُمْ؛ فقال: نعم والله بالحُبِّ والكرامة، ثم اندفع يُعْنِي، وأوقع بالمقرعة على قَرَبُوسٍ^(٢) سَرَجَه، فَرَفَعَ صَوْتَهُ فلم يَقْدِر، ثم خفضه فلم يَقْدِر، فَجَعَلَ يبكي ويقول: واشباباه.

أخبرني عمِّي قال: حَدَّثَنِي هارون بن محمد عن الزُّبَيْر بن بَكَّار عن عمه عن

(١) قال أبو عبيد: يقال: إن المثل لمالك بن جبير العامري، وكان من حكماء العرب. وبه تمثل الفرزدق للحسين بن علي عليه السلام حين أقبل يريد العراق، فلقيه يريد الحجاز، فقال له الحسين: ما وراءك؟ فقال: «على الخبير سقطت، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والأمر ينزل من السماء» فقال له الحسين: «صدقني».

(٢) القَرَبُوسُ: حنو السرج، وبعض أهل الشام يثقله وهو خطأ. ويجمعه: قَرَبَايس، وهو أشد خطأ.

جده أنه كان في هؤلاء الفتيّة الذين كانوا سألوه الغناء؛ ودَكَرَ باقي الخبر مثل ما ذكره إسحاق.

[مع مخنث]

أخبرني عمّي قال: حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ أَبِي الصَّقَرِ قَالَ: قَدِمَ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ الْمُعَنِّي الْبَصْرَةَ، فَلَقِيَهُ عَجَاجَةُ الْمُخَنَّثُ، وَكَانَ أَشْهَرَ مَنْ بِهَا مِنَ الْمُخَنَّثِينَ، وَقَالَ لَهُ: فَدَيْتُكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، إِنِّي كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَلْقَاكَ وَأَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ صَوْتًا مِنْ غَنَائِكَ أَخَذْتُهُ عَنْ بَعْضِ الْمُخَنَّثِينَ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَنْزِلَ عِنْدِي فَعَلْتُ؛ فَتَزَلَ مَالِكُ عِنْدَهُ فَبَسَطَ لَهُ الْمُخَنَّثُ جَرْدًا^(١) قُطِيفَةً كَانَتْ عِنْدَهُ فَجَلَسَ، ثُمَّ أَخَذَ عَجَاجَةَ الدَّفِّ فَغَنَى:

حَبِّ إِنَّ الْخِمَارَ كَانَ عَلَيْهَا شَاهِدًا يَوْمَ زَارَتِ الْجَوْشَنِيَّةَ^(٢)
قَدْ سَبَّهَتْهُ بِدَلِّهَا حِينَ جَاءَتْ تَتَهَادَى فِي مَشِيَةِ بَخْتَرِيَّةِ
[الخفيف]

فَجَعَلَ مَالِكُ يَقُولُ لَهُ: وَيْلَكَ مَنْ قَالَ هَذَا لَعَنَهُ اللَّهُ! وَيَحَكَ مِنْ غَنَى هَذَا! قَبَّحَهُ اللَّهُ! وَيَحَكَ مَنْ رَوَى عَنِّي هَذَا! أَخْزَاهُ اللَّهُ! ثُمَّ قَامَ فَرَكِبَ وَهُوَ يَضْحَكُ عَجَبًا مِنْ عَجَاجَةٍ.

[عند خليفة]

أخبرني محمد بن خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ: أَخْبَرَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ جَنَاحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ عَثْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يَحْيَى بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ قَالَ: قَدِمْنَا عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوَّلَ قُدُومِنَا عَلَيْهِ مَعَ مَعْبُدِ بْنِ عَائِشَةَ، فَغَنَيْنَاهُ لَيْلَةً فَأَطْرَبْنَاهُ، فَأَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكَتَبَ لَنَا بِهَا إِلَى كَاتِبِهِ، فَغَدَوْنَا عَلَيْهِ بِالْكِتَابِ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ أَنْكَرَهُ وَقَالَ: أَيُّمَرُ لِمِثْلِكُمْ بِأَلْفِ دِينَارٍ أَلْفَ دِينَارٍ! لَا وَاللَّهِ وَلَا حُبًّا وَلَا كِرَامَةً. فَرَجَعْنَا إِلَى يَزِيدَ فَأَخْبَرْنَاهُ بِمَقَالَتِهِ وَكَرَرْنَا عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: كَأَنَّهُ اسْتَنَكَرَ ذَلِكَ؟ فَقُلْنَا: نَعَمْ؛ فَقَالَ: مِثْلَهُ وَاللَّهِ يَسْتَنَكَرُهُ وَدَعَاهُ؛ فَلَمَّا حَضَرَ وَرَأَانَا عِنْدَهُ اسْتَأْمَرَهُ فِيهَا، فَأَطْرَقَ مُسْتَحْيِيًّا؛ وَقَالَ لَهُ: إِنِّي قَدْ قُلْتُهَا لَهُمْ وَلَا يَجْمُلُ أَنْ أَرْجِعَ عَمَّا قُلْتُ، وَلَكِنْ قَطَّعُهَا عَلَيْهِمْ. قَالَ مَالِكُ: فَمَاتَ وَاللَّهِ يَزِيدُ، وَقَدْ بَقِيَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنَا أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ.

(١) الْجَرْدَةُ بِالْفَتْحِ: الْبُرْدَةُ الْمُتَجَرِّدَةُ الْخَلْقُ. التَّجْرِيدُ: التَّعْرِيفُ مِنَ الثِّيَابِ.

(٢) الْجَوْشَنِيَّةُ: لَعْلَهَا نِسْبَةٌ إِلَى جَوْشَنِ الَّذِي هُوَ بَطْنٌ مِنْ غُطْفَانَ. أَوْ نِسْبَةٌ لَجَبَلٍ لِلضَّبَابِ.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: نَسَخْتُ من كتاب حمَّاد قال: قَرَأْتُ على أبي، وحدَّثنا الحسن بن محمد قال: لما انهزم عبد الله بن عليٍّ من أبي مسلم قَدِمَ البصرة، وكان عند سليمان بن عليٍّ، وكان مالك بن أبي السَّمَح يومئذٍ بها، فاستزاره جعفر ومحمد فزارهما، وغنَّاهما مالك في جوف الليل في دار سليمان بن عليٍّ، وبلغ الخبرُ سليمان، فَدَخَلَ عليهم فعذَلَ جعفرًا ومحمدًا، وقال: نحن نتوقَّع الطَّامَةَ^(١) الكبرى وأنتم تسمعون الغناء! فقالوا: ألا تجلس وتسمع! ففعل، فغنَّاهم مالك:

ما كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ خَاسَ الزَّمانَ بِهِ قد كُنْتُ ذا نَجْدَةٍ أَخشى وذا بأسٍ
أبلغ أبا معبدٍ عَنِّي وإخوتَهُ شوقي إليهم وأحزاني ووسواسي
[البسيط]

فَخَرَجَ وَتَرَكَهُمْ ولم يُنْكِرْ عليهم شيئاً.

وفي مالك بن أبي السَّمَح يقول الحسين بن عبد الله، بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن العبَّاس:

لا عيشَ إلا بِمَالِكِ بن أبي السَّمَح فلا تَلَحْني ولا تَلَمِ
أبيضُ كالبدْرِ أو كما يَلَمُعُ البارقُ في حالِك من الظُّلَمِ
مَنْ ليس يَعْصِيكَ إن رَشَدْتَ ولا يَهْتِكُ حقَّ الإسلامِ والحُرَمِ
يُصِيبُ من لَذَّةِ الكَريمِ ولا يجهلُ أي الترخيص في اللَّمَمِ^(٢)
يارُبِّ ليلٍ لنا كحاشية البُردِ ويوم كذاك لم يَدُمِ
نَعِمْتُ فيه ومالك بن أبي السَّمَح الكَريمَ الأخلاقِ والشَّيمِ
[المنسرح]

- غَنَّاهُ مالِكُ في الأوَّل والثاني والثالث رملاً بالبنصر في مجراها - فيَقَالُ: إنَّ مالِكاً

(١) من المجاز: طمت الشدة والفتنة. وما من طامة إلا وفوقها طامة «فإذا جاءت الطامة الكبرى» وهذا أطم من ذلك. وهذا أمر يطم ولا يتم. قال النابغة:

وكان إليها كالذي اصطاد بكرها شفاقاً وبغضاً أو أطم وأهجرها
وطم الحصان الفرس، وطم عليها: نزا عليها.

(٢) الإلمام: النزول. وقد أَلَمَّ به، أي نَزَلَ به. وغلَّامٌ مُلَمٌّ، أي قارب البلوغ. وفي الحديث: «وإنَّ مما يُنبئ الربيعُ ما يقتل حَبَطاً أو يُلِمْ» أي يَقْرُبُ من ذلك. وألَمَّ الرجل من اللَّمَمِ، وهو صغار الذنوب. وقال:

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرُ جَمًّا
وَأَيُّ عِبْدٍ لَكَ لَا أَلَمًّا

ويقال: هو مقارنة المعصية من غير واقعة. وقال الأخفش: اللَّمَمُ: المتقارب من الذنوب.

قال له: لا والله ولا إن غَوَيْتَ أيضاً أعصيك؛ ذَكَرَ ذلك الزُّبَيْرُ عن عمِّه مصعب. ويقال: إِنَّه قال هذه المقالة للوليد بن يزيد، فَسُرَّ بذلك وأجزل صلته.

[غناؤه الوليد]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: نَسَخْتُ من كتاب حَمَاد قال حَدَّثَنِي أَبِي قال: قال ابن الكلبي: قال الوليد بن يزيد لِمَعْبُدٍ قد آذَنِي وَلَوْلْتُكَ هذه، وقال لابن عائشة: قد آذاني استهلالُك هذا، فانظرا لي رَجُلًا يكون مذهبه متوسطاً بين مذهبيكما؛ فقالا له: مالك بن أبي السَّمُح؛ فَكَتَبَ في إشخاصه إليه وسائر مُعَنِّي الحجاز المذكورين؛ فلما قَدِمَ مالك على الوليد بن يزيد فيمن معه من المُعَنِّي نَزَلَ على العُمَرُ بن يزيد، فأدخله على الوليد فغناه فلم يُعْجِبْهُ؛ فلما انصرف العُمَرُ قال له: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لم يُعْجِبْهُ شيء من غنائِكَ؛ فقال له: جَعَلَنِي اللَّهُ فداك؛ اطلب لي الإذنَ عليه مرَّةً واحدة، فإن أعجبه شيء مما أَعْنِيهِ وإلا انصرفْتُ إلى بلادي. فلما جلس الوليد في مجلس اللُّهُو ذَكَرَ العُمَرُ وطلب له الإذنَ، وقال له: إِنَّه هابك فَحَضَرَ؛ قال: فأذَنَ له، فَبَعَثَ إليه؛ فأمر مالك الغلام فسقاه ثلاثَ صُراحيَّاتٍ^(١) صِرْفًا؛ فَخَرَجَ حتى دَخَلَ عليه يَخْطُرُ في مِشْيَتِهِ. وقال غير ابن الكلبي: إِنَّه قال لِفَرَّاشٍ للوليد: اسقني عُسًا^(٢) مِنْ شرابٍ ولك دينار، فسقاه إِيَّاه وأعطاه الدينار؛ ثم قال له: زِدْنِي آخَرَ فَأَزِيدُكَ آخَرَ، فَفَعَلَ حتى شَرِبَ ثلاثَةً، ثم دَخَلَ على الوليد يَخْطُرُ في مِشْيَتِهِ، فلما بَلَغَ بابَ المجلس وَقَفَ ولم يسلم، وأخذ بِحَلْقَةِ الباب فَفَقَعَقَعَهَا، ثم رَفَعَ صَوْتَهُ فغَنَّى:

لَا عَيْشَ إِلَّا بِمَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ فَلَا تَلْحَنِي وَلَا تَلْمِ
[المنسرح]

فَطُرِبَ الوليد، وَرَفَعَ يديه، حتى بدا إبطاه إليه ماداً لهما، وقام فاعتنقه قائماً، وقال له: أَدُنْ يَا بَنَ أَخِي، فدنا حتى اعتنقه؛ ثم أخذ في صوته ذلك، فلم يزالوا فيه أياماً، وأجزل صلته حين أراد الانصراف. قال: ولما أتى مالك على قوله:

(١) صَرَّحَ ما في نفسه تصرحياً أي أبداه. وَخَمَرٌ وكَأْسٌ صُراجِيَّةٌ وَصُراخٌ: أي لم تُشَبَّ بمزاج، وَصَرَّحَتِ الخمر تصريحاً: ذهب عنها الزُّبْد، قال الأعشى:

كُمَيْتاً تَكْشِفُ عَنْ حُمَرَةٍ إِذَا صَرَّحَتْ بَعْدَ إِزْبَادِهَا

ويقال الصراجية: إناء من الخمر ولا يعرف أصلها. وقيل عربية صحيحة استعملها الفرس والروم لزجاجة معروفة يوضع فيها الشراب.

(٢) العُسُّ: القدح الضخم، وقيل: هو أكبر من الغمر، وهو إلى الطول، يروى الثلاثة والأربعة والجمع: عَساس، وعَسَسَة.

أَبْيَضُ كَالسَّيْفِ^(١) أَوْ كَمَا يَلْمَعُ الْبَارِقُ فِي حَالِكٍ مِنَ الظُّلَمِ
[المنسرح]

قال له الوليد:

أَحُولُ كَالْقِرْدِ^(٢) أَوْ كَمَا يَرْقُبُ السَّارِقُ فِي حَالِكٍ مِنَ الظُّلَمِ
[المنسرح]

[يأخذ أغاني غيره]

وكان مالك طويلاً أجنى^(٣) فيه حول. وقد قال قوم: إِنَّ مَالِكاً لَمْ يَصْنَعْ لِحْناً
قَطُّ غَيْرَ هَذَا - أعني: «لا عيش إلا بمالك بن أبي السمح» - وإنه كان يأخذ
غناء الناس فَيَزِيدُ فِيهِ وَيَنْقِصُ مِنْهُ وَيَنْسِبُهُ النَّاسَ إِلَيْهِ، وَكَانَ إِسْحَاقُ يُنْكَرُ ذَلِكَ غَايَةَ
الْإِنْكَارِ، وَيَقُولُ: غِنَاءُ مَالِكٍ كُلُّهُ مَذْهَبٌ وَاحِدٌ لَا تَبَايُنَ فِيهِ، وَلَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُ
النَّاسُ لَا خْتَلَفَ غِنَاؤُهُ، وَإِنَّمَا كَانَ إِذَا غَنَّى الْهَانَ مَعْبِدِ الطَّوَالِ خَفَّفَهَا وَحَذَفَ بَعْضَ
نَعْمِهَا، وَقَالَ: أَطَالَهُ مَعْبِدٌ وَمَطَّطَهُ، وَحَذَفْتُهُ أَنَا وَحَسَّنْتُهُ، فَأَمَّا أَلَّا يَكُونَ صَنَعَ شَيْئاً
فَلَا.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ حَمَّادٍ: قَرَأْتُ عَلَى أَبِي وَذَكَرَ
بَكَارِ بْنِ النَّبَالِ: أَنَّ الْوَلِيدَ قَالَ لِمَالِكٍ: هَلْ تَصْنَعُ الْغِنَاءَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَزِيدُ فِيهِ
وَأُنْقِصُ مِنْهُ؛ فَقَالَ لَهُ: فَأَنْتَ الْمُحَلِّي إِذَا.

قال إسحاق وذكّر الحسن بن عتبة اللّهي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد
الله الهاشمي الحارثي الذي يُقال له سنابل - وفيه يقول الشاعر:

فَإِنْ هِيَ ضَمَّتْ عَنْكَ أَوْ حِيلَ دُونَهَا قَدَعَهَا وَقُلْ فِي ابْنِ الْكَرَامِ سَنَابِلِ
- قَالَ: خَرَجْتُ مِنْ مَكَّةَ أَرِيدُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَرَرْتُ عَلَى الْمَدِينَةِ
فَحَمَلْتُ مَعِيَ مَالِكَ بْنَ أَبِي السَّمْحِ، فَسَأَلْتُهُ يَوْمَاً عَنْ بَعْضِ مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَاءِ؛
فَقَالَ: يَا أَبَا الْفَضْلِ، عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ إِنْ كَانَ غَنَى صَوْتاً قَطُّ، وَلَكِنِّي آخِذُهُ وَأُحْسِنُهُ وَأُهَيِّئُهُ
وَأُطَيِّبُهُ، فَأُصِيبُ وَيُخْطِئُونَ فَيُنْسَبُ إِلَيَّ. قَالَ إِسْحَاقُ: وَلَيْسَ الْأَمْرُ هَكَذَا، لِمَالِكٍ
صَنْعَةٌ كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ، وَصَنْعَتُهُ تَجْرِي فِي أَسْلُوبٍ وَاحِدٍ، وَيُشَبِّهُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلَوْ كَانَ
كَمَا قِيلَ لَا خْتَلَفَ غِنَاؤُهُ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَالِكاً كَانَ يَنْتَفِي مِنَ الصَّنْعَةِ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَشْرَافِ

(١) ورد في بعض المصادر «كالبدر» بدل «السيف».

(٢) ورد في بعض المصادر «كالبدر» بدل «القرد».

(٣) الأجنبي: لغة في الإجناء وهو الذي أشرف كاهله على صدره.

هناك كانوا يُنْكِرُونَ عليه، فَكَانَ يَتَبَدَّلُ به عند من يراه، وَيُنْكِرُهُ عند من يَدُمُّهُ، لمحلّه في بني هاشم.

وأخبرني بِخَبَرِ سَنَابِلَ هذا مُحَمَّدُ بن مَزِيدَ قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال: حَدَّثَنِي حمزة بن عتبة عن سَنَابِلَ، فَذَكَرَ الخبر وخالف ما رواه إِسْحَاقُ أَنَّ الحسن بن عتبة حَدَّثَهُ وحكاه عن حمزة بن عُبْتَةَ أخيه.

[أخذ صوتاً عن خربندة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن هشام بن الكلبي عن أبيه عن محمد بن يزيد الليثي قال: سُئِلَ مالك بن أبي السَّمُح عن صنعته في:

لاح بالدير من أُمَامَةِ نَارٍ

فقال: أَخَذْتُهُ وَاللَّهِ من خَرْبَنْدَةٍ^(١) بالشام يَسُوقُ أَحْمَرَةً، فكان يترنم بهذا اللحن بلا كلام، فَأَخَذْتُهُ فَكَسَوْتُهُ هذا الشعر.

[أخذ صوتاً من حائك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: نَزَلَ مالِكُ بن أبي السَّمُح عند رجل بمكة مخزومي، وكان له غلامٌ حائك، فَأَتَاه آتٍ فقال: أَمَا سَمِعْتَ غناء غلامك الحائك؟ قال: لا! أَوْ يُعْنِي؟ قال: نعم بشعر لأبي دَهْبَل الجُمَحِيّ؛ فبعث إليه فَأَتَاه، فقال: تَعَنَّه؛ ما أَحْسِنَ ذاك إِلَّا على حَفِيّ^(٢)؛ فَخَرَجَ مولاه ومعه مالِكُ إلى بيته، فلما جَلَسَ على حَفِّهِ تَعَنَّى:

تَطَاوَلَ هذا اللَّيْلُ مَا يَتَبَلَّجُ

فأخذه مالِكُ عنه وَغَنَّاه فنسبه الناس إليه؛ وكان يقول: وَاللَّهِ ما غَنَّيْتَهُ قَطَّ ولا غَنَّاه إِلَّا الحائك.

لَا ح بالدير من أُمَامَةِ نَارٍ لِمُجِبِّ لَهُ بِيَثْرِبَ دَارٍ قَدْ تَرَاهَا وَلَوْ تَشَاءُ مِنَ الْقُرْبِ لِأَغْنَاكَ عَنْ نَدَاهَا^(٣) السَّرَارُ [الخفيف]

الشعرُ للأحوص، ويُقال: إِنَّهُ لعبد الرحمن بن حَسَّان بن ثابت. والغناء

(١) الخربندة: المكارى، وهي كلمة فارسية مركبة من «خر» الحمار و «بندة» وهو الخادم.

(٢) الحف: المنوال والمنسج، وهو أيضاً القصة التي تجيء وتذهب.

(٣) الندى: بعد الصوت.

لمالك بن أبي السمح ثقیل أولُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لحن لمعبد ذكره إسحاق .

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ مَا يَتَبَلَّجُ وَأَعْيَتْ عَوَاشِي سَكْرَتِي مَا تَفَرِّجُ
أَبَيْتُ بِهِمْ مَا أَنَا كَأَنَّمَا خَلَالَ ضُلُوعِي جَمْرَةٌ تَتَوَهَّجُ
فَطَوَّرًا أُمْنِي النَّفْسَ مِنْ تُكْتَمُ^(١) الْمُنَى وَطَوَّرًا إِذَا مَا لَجَّ بِي الْحَبُّ أَنْشَجُ^(٢)
[الطويل]

عروضه من الطويل ، الشعر لأبي دَهْبَل ، والغناء لمالك بن أبي السمح ثقیل أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه .

[هربه مع ابن عائشة]

أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جدّه قال : قال ابن عائشة :
حَضَرْتُ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ يَوْمَ قُتِلَ ، وَكَانَ مَعَنَا مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ وَكَانَ مِنْ أَحْمَقِ
النَّاسِ ، فَلَمَّا قُتِلَ الْوَلِيدُ قَالَ : أَهْرُبْ بِنَا ؛ فَقُلْتُ : وَمَا يَرِيدُونَ مِنَّا ؟ قَالَ : وَمَا يُؤْمِنُكَ
أَنْ يَأْخُذُوا رَأْسَيْنَا فَيَجْعَلُوا رَأْسَهُ بَيْنَهُمَا لِيُحَسِّنُوا أَمْرَهُمْ بِذَلِكَ ؛ قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : فَمَا
رَأَيْتُ مِنْهُ عَقْلًا قَطَّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

[لما كبر كان يعلم ابنه الغناء]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيع قال : قال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ حَدَّثَنِي ظَبِيَّةُ
قَالَتْ : رَأَيْتُ مَالِكَ بْنَ أَبِي السَّمْحِ وَهُوَ عَلَى مَنَامَتِهِ يُلْقِي عَلَى ابْنِهِ وَقَدْ كَبُرَ
وَانْقَطَعَ :

صوت

إِعْتَادَ هَذَا الْقَلْبَ بَلْبَالُهُ^(٣) إِذْ قُرَّبْتُ لِلْبَيْنِ أَجْمَالُهُ
خَوْدُ^(٤) إِذَا قَامَتْ إِلَى خِدْرِهَا قَامَتْ قَطُوفُ^(٥) الْمَشْيِ مِكَسَالُهُ

(١) تكتم : اسم المرأة المشب بها .

(٢) نَشَجُ الْبَاكِ يَنْشَجُ نَشِيجًا إِذَا غَصَّ الْبُكَاءُ فِي حَلْقِهِ عِنْدَ الْفَزَعَةِ .

(٣) الْبَلْبَلَةُ : وَسْوَاسُ الْهُمُومِ فِي الصَّدْرِ ، وَهُوَ الْبَلْبَالُ ، وَالْجَمْعُ : الْبَلَابِلُ .

(٤) الْخَوْدُ : الْجَارِيَةُ النَّاعِمَةُ . وَالْجَمْعُ خَوْدٌ . وَالتَّخْوِيدُ : سُرْعَةُ السَّيْرِ .

(٥) قَطُوفُ الْمَشْيِ : ضَيْقَةُ الْخَطَى بِطَيْئَةِ الْمَشْيِ .

تَفْتَرُ^(١) عَنْ ذِي أُشْرِ^(٢) بَارِدٍ عَذِبٍ إِذَا مَا ذِيقَ سَلْسَالِهِ

[السريع]

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة، ولمالك بن أبي السَّمْح فيه ثلاثة أَلحان: خفيفٌ ثَقِيلٌ مطلق في مجرى الوسطى، وثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى في مجراها جميعاً عن إِسحاق، وخفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانه، وقيل: إنه لابن سُريج، وفيه رَمْلٌ يُنسَبُ إلى ابن جامع وابن سُريج.

[شعره في رثائه]

أخبرني وكيع قال: حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: سَمِعْتُ مُشْدِداً يُشْدِدُ لِنَفْسِهِ يَرْتِي مَالِكاً بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

يَا مَالُ إِنِّي قَضْتُ نَفْسِي عَلَيْكَ وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ قُرْبَى وَلَا رَحِمٍ
إِلَّا الَّذِي لَكَ فِي قَلْبِي خُصِصَتْ بِهِ مِنَ الْمَوَدَّةِ فِي سِتْرِ وَفِي كَرَمِ
[البسيط]

قال إِسحاق: قال أَبُو عُبَيْدَةَ: هُوَ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ. - إنْقَضَتْ أَخْبَارُهُ. -

صوت

من المائة المختارة

من رواية هارون بن الحسن بن سهل وابن المَكِّي وأبي العُبَيْس ومن روى جَحْظَةُ عَنْهُ:

فإِلَّا تَجَلَّلَ لَهَا^(٣) يُعَالُوكُ^(٤) فَوْقَهَا
هَمْ قَتَلُوهُ كِي يَكُونُوا مَكَانَهُ
وَكَيْفَ تَوَقَّى ظَهَرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ
بَنِي هَاشِمٍ رُدُّوا سِلَاحَ ابْنِ أَخْتِكَم
كَمَا عَدَرْتُ يَوْمًا بِكَسْرَى مَرَازِبُهُ
وَلَا تَنْهَبُوهُ لَا تَحِلُّ مَنَاهِبُهُ
[الطويل]

(١) تَفْتَرُ: تَبْتَسِمُ.

(٢) الْأَشْرُ: تَأْشِيرُ الْأَسْنَانِ: تَحْزِيرُهَا وَتَحْدِيدُ أَطْرَافِهَا وَالْجَعْلُ مُؤَشِّرُ الْعُضْدَيْنِ. وَيُقَالُ: بِأَسْنَانِهِ أُشِّرَ وَأُشِّرَ، مِثَالُ شُطْبِ السِّيفِ وَشُطْبِهِ، وَأُشُورٌ أَيْضًا، قَالَ جَمِيلُ:

سَبَبْتُكَ بِمِصْقُولٍ تَرِفُ أُشُورُهُ

(٣) تَجَلَّلَ الرَّجُلُ الْبَعِيرُ: عَلَا ظَهْرُهُ.

(٤) يُعَالُوكُ: يَرْفَعُوكُ.

عروضه من الطويل . البيت الأول من الشعر لِرَجُلٍ من بني نَهْدٍ جاهليٍّ ، وباقي الأبيات للوليد بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ . والغناء لابن مُحَرِّزٍ ، ولحنُهُ من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن يونس وإسحاق ، وهو اللحن المختار . وفيه للغريض ثقیل أولُ بالسَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمُعبد ثقیل أولُ آخرُ مطلق في مجرى الوسطى عن عمرو وعن الهشامي . وفيه لِسُلْسَلٍ في الثاني والثالث ثقیلُ أولُ بالبنصر عن حَبَشٍ ، وفيه لِعَطَرَدٍ خفيف ثقیل .

خبر الهندي في هذا الشعر

وخبر الوليد بن عقبة وقد مضى نسبه في أول الكتاب

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: أخبرني عَمِّي عن ابن الكلبي عن أبيه عن عبد الرحمن المدائني، وكان عالماً بأخبار قومه، قال وحدثني أبو مسكين أيضاً، قالاً: كان الحارث بن مارية الغساني الجفني مكرماً لزهير بن جناب الكلبي يُنادمُهُ ويُحادثُهُ، فَقَدِمَ على الملك رجلاً من بني نَهْد بن زيد يُقالُ لهما حَزْنٌ وسَهْلٌ ابنا رِزاح، وكان عندهما حديثٌ من أحاديث العرب، فاجتباهما الملك ونزلاً بالمكان الأثير منه، فَحَسَدَهما زهير بن جناب، فقال: أيها الملك، هما والله عَيْنٌ لذي القرنين عليك (يعني المُنْذِر الأكبر جدّ النعمان بن المنذر)، وهما يَكْتُبَانِ إليه بِعَوْرَتِكَ وَخَلَّلَ ما يريان منك؛ قال: كلاً! فلم يَزَلْ به زهير حتى أوغر صدره، وكان إذا رَكِبَ يَبْعَثُ إليهما ببعيرين يركبان معه، فَبَعَثَ إليهما بناقة واحدة؛ فَعَرَفَا الشر فلم يركب أحدهما وتوقّف؛ فقال له الآخر:

فإِلَّا تَجَلَّلَها يُعَالُوكَ فَوْقَها وكيف تَوْقَى ظَهَرَ ما أنت راكِبُهُ
[الطويل]

فَرَكِبَها مع أخيه، وَمَضَى بهما فُقْتِلا، ثم بحث عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلاً فَشَتَمَ زهيراً وطرده، فانصرف إلى بلاد قومه؛ وقَدِمَ رِزاحُ أبو الغلامين إلى الملك، وكان شيخاً عالماً مُجَرَّباً، فأكرمه الملك وأعطاه دية ابنه؛ وَبَلَغَ زهيراً مكانَهُ، فدعا ابناً له يُقالُ له عامر، وكان من فتيان العرب لساناً وبياناً، فقال له: إن رِزاحاً قد قَدِمَ على الملك، فالحق به واحتل في أن تَكْفِيَنِيهِ، وقال له: اذْمُمني عند الملك ونلّ مِنِّي، وأثر به آثاراً؛ فَخَرَجَ العُلامُ حتى قَدِمَ الشام، فَتَلَطَّفَ للدخول على الملك حتى وصل إليه؛ فأعجبه ما رأى منه؛ فَقَالَ له: من أنت؟ قال: أنا عامِرُ بنُ زهير بن جناب؛ قال: فلا حيّاك الله ولا حيّا أباك الغادرَ الكذوبَ السّاعي! فقال العُلامُ: نعم، فلا حيّاك الله؛ أَنْظِرْ أيها الملك ما صَنَعَ بِظَهري! وأراه آثارَ الضرب؛ فَقَبِلَ ذلك منه وأدخله في نُدُمائِهِ؛ فَبَيْنَا هو يُحَدِّثُهُ يوماً إذ قال له: أيها الملك، إنَّ أبي وإن كان مُسِيئاً فَلَسْتُ أدْعُ أن أقول الحق، قد والله نصحك أبي، ثم أنشأ يقول:

فِيَا لَكَ نَصْحَةً لِّمَا نَذَقُهَا أَرَاهَا نَصْحَةً ذَهَبَتْ ضَالَا

[الوافر]

ثم تركه أيّاماً، وقال له بعد ذلك: أيها الملك، ما تقول في حيّة قد قُطِعَ ذَنْبُهَا
وَبَقِيَ رَأْسُهَا؟ قال: ذاك أبوك وصنيعه بالرجلين ما صنع؛ قال: أبيت اللعن! واللّه ما
قَدِمَ رِزَاحٌ إِلَّا لِيثَارَ بهما؛ فقال له: وما آية ذلك؟ قال: اسقِه الخمر ثم ابعث إليه عينا
يأتِكَ بِخَبْرِهِ؛ فلما انتشى صرّفه إلى قُبَّتِهِ ومعه بنتٌ له، وَبَعَثَ عليه عيوناً؛ فلما دخل
قُبَّتَهُ قامت إليه ابنته تُسَانِدُهُ فقال:

دَعَيْنِي مِنْ سِنَادِكَ إِنَّ حَزْناً وَسَهْلاً لَيْسَ بَعْدَهُمَا رُقُودُ
أَلَا تَسْلِينُ عَنْ شِبْلِي مَاذَا أَصَابَهُمَا إِذَا أَهْتَرَشَ^(١) الْأَسْوَدُ
فَلِإِنِّي لَوَثَّارُ الْمَرَّةِ حَزْناً وَسَهْلاً قَدْ بَدَا لَكَ مَا أُرِيدُ

[الوافر]

فَرَجَعَ الْقَوْمُ إِلَى الْمَلِكِ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا سَمِعُوا، فَأَمَرَ بِقَتْلِ التَّهْدِي رِزَاحٍ، وَرَدَّ زَهيراً
إِلَى مَوْضِعِهِ.

[شعر للوليد^(٢) بن عقبة]

وقد أنشدني محمد بن العباس اليزيدي قال: أنشدنا محمد بن حبيب أبيات
الوليد هذه على الولاء^(٣)، وهي:

(١) هَرَشَ الدَّهْرُ يَهْرِشُ وَيَهْرِشُ، مِنْ حَدَّثِي ضَرَبَ وَنَصَرَ: اشْتَدَّ، عَنْ ابْنِ عَبَّادٍ، وَهُوَ مَجَازٌ. وَهَرَشَ
الرَّجُلُ، كَفَرِحَ: سَاءَ خُلُقُهُ، نَقَلَهُ الصَّاعَانِيُّ. وَالتَّهْرِيشُ: التَّحْرِيشُ بَيْنَ الْكِلَابِ. وَمِنْ الْمَجَازِ:
التَّهْرِيشُ: الْإِفْسَادُ بَيْنَ النَّاسِ، نَقَلَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ. وَالمُهَارَشَةُ وَالمُهَارَشُ: تَهْرِيشُ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ.

(٢) الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبو وهب الأموي القرشي. وال، من فتیان قريش وشعرائهم
وأجوادهم فيه ظرف ومجون ولهو، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه
رسول الله - ﷺ - على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب وولاه عثمان
الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة (٢٥هـ) فانصرف إليها وأقام هناك إلى سنة ٢٩هـ فشهد عليه
جماعة عند عثمان بشرب الخمر فحده وحسبه. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية
فسكنها واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ولكنه رثى عثمان وحرص معاوية على الأخذ بثأره،
ومات بالرقعة سنة ٦١هـ.

(٣) وَلَاءٌ بِالْفَتْحِ، أَيِ قِرَابَةٍ. وَالْوَلَاءُ: وَلَاءُ الْمُعْتَقِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «نَهَى عَنْ بَيْعِ الْوَلَاءِ وَعَنْ هَبْيِهِ».
وَالْوَلَاءُ: الْمُوَالُونَ. يُقَالُ: هُمْ وَلَاءُ فُلَانٍ. وَالْمُوَالَاءُ: ضِدُّ الْمَعَادَاةِ. وَيُقَالُ: وَالَى بَيْنَهُمَا وَلَاءً، أَيِ
تَابَعَ. وَافْعَلْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ عَلَى الْوَلَاءِ، أَيِ مُتَابَعَةٍ. وَتَوَالَى عَلَيْهِ شَهْرَانِ، أَيِ تَتَابَعَ. وَاسْتَوَالَى عَلَى
الْأَمَدِ، أَيِ بَلَغَ الْغَايَةَ. وَالْوَلَايَةُ بِالْكَسْرِ: السُّلْطَانُ. وَالْوَلَايَةُ وَالْوَلَايَةُ: النُّصْرَةُ.

أَلَا مِنْ لَيْلٍ لَا تَغُورُ كَوَاكِبُهُ
 بَنِي هَاشِمٍ رُدُّوا سِلَاحَ ابْنِ أَخْتِكُمْ^(١)
 بَنِي هَاشِمٍ لَا تَعْجَلُوا بِإِقَادَةِ
 فَقَدْ يُجْبِرُ الْعِظْمُ الْكَسِيرُ وَيَنْبِرِي
 وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ وَمَا كَانَ مِنْكُمْ
 بَنِي هَاشِمٍ كَيْفَ التَّعَاقُدُ بَيْنَنَا
 لَعَمْرُكَ لَا أَنْسَى ابْنَ أَرْوَى وَقَتْلَهُ
 هُمْ قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ
 وَإِنِّي لَمَجْتَابٌ إِلَيْكُمْ بِجَحْفَلٍ

[الطويل]

وقد أجاب الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الوليد عن هذه الأبيات،
 وقيل: بل أبوه العباس بن عتبة المجيب له أيضاً. والجواب:

فَلَا تَسْأَلُونَا بِالسَّلَاحِ فَإِنَّهُ
 أَضِيعَ وَأَلْقَاهُ لَدَى الرَّوْعِ صَاحِبُهُ
 وَشَبَّهَتْهُ كَسْرَى وَقَدْ كَانَ مِثْلُهُ
 شَبِيهًا بِكَسْرَى هَذِيهُ وَعَصَائِبُهُ^(٢)

[الطويل]

ذكر أحمد بن المكي أنّ لابن مسجح فيه لحناً وأنّ لحنه من الثقيل الأول
 بالسبابة في مجرى الوسطى، وقال غيره: إنه من منحول أبيه يحيى إلى ابن مسجح.

(١) يروى في بعض المصادر «ابن عمكم» بدل «ابن اختكم».

(٢) الحرائب: مال الرجل الذي يعيش به، وقيل: ما يسلب من المال.

(٣) الجرس: الصوت.

(٤) هذا البيت للأخضر اللّهي، وهو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، من قريش. شاعر من فصحاء بني هاشم، كان معاصراً للفرزدق والأحوص، وله معهما أخبار. ومدح عبد الملك بن مروان، وهو أول هاشمي مدح أموياً بعد ما كان بينهما، فأكرمه. وكان شديد السمرة، جاءته من جدته وكانت حبشية. ويقال له (الأخضر) لذلك واللّهي نسبة إلى أبي لهب. في شعره رقة وهو دون الطبقة الأولى من معاصريه. توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٥هـ.

ذكر باقي خبر الوليد بن عقبة ونسبه

الوليدُ بنُ عقبة بن أبي مُعيط، وقد مضى نسبه مع أخبار ابنه أبي قُطيفة. ويكنى الوليدُ أبا وَهْب. وهو أخو عثمان بن عفَّان لِأُمِّهِ، أمهما أروى بنت كُريز، وأمها البَيْضاء بنت عبد المطلب. وكان من فتيان قُريش وشُعرائهم وشُجعانهم وأجوادهم، وكان فاسقًا، ووليَّ لعثمان رضي الله عنه الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، فَشَرِبَ الخمرَ وشَهِدَ عليه بذلك، فَحَدَّه وعَزَلَهُ.

[رثاؤه عثمان]

وهو الذي يقول يرثي عثمان رضي الله عنه ويُحرِّضُ معاوية:

وَاللَّهِ مَا هِنْدُ بِأَمْكٍ إِنْ مَضَى النَّهَارُ وَلَمْ يَثَارْ بِعُثْمَانَ ثَائِرٌ
أَيَقْتُلُ عَبْدُ الْقَوْمِ سَيِّدَ أَهْلِهِ وَلَمْ يَقْتُلُوهُ لَيْتَ أَمْكٌ عَاقِرٌ
وَإِنَّا مَتَى نَقْتُلُهُمْ لَا يُقْدِ بِهِمْ مُقَيِّدٌ فَقَدْ دَارَتْ عَلَيْكَ الدَّوَائِرُ
[الطويل]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثَنَا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال: لَمْ يَكُنْ يَجْلِسُ مع عثمان رضي الله عنه على سريره إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاصي والوليد بن عقبة، فأقبل الوليد يوماً فَجَلَسَ، ثم أَقْبَلَ الحكم، فلما رآه عثمان زَحَلَ^(١) له عن مجلسه، فلما قام الحكم قال له الوليدُ: واللَّهِ يا أمير المؤمنين، لقد تَلَجَّلَجَ في صدري بيتان قُلْتُهما حين رأيْتُكَ أثرت عمك على ابن أُمِّكَ؛ فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه: إِنَّهُ شَيْخُ قُريش، فما البيتان اللذان قُلْتُهما؟ قال: قلت:

رَأَيْتُ لِعَمِّ الْمَرءِ زُلْفَى قَرَابَةٍ دُوَيْنَ أَخِيهِ حَادِثًا لَمْ يَكُنْ قَدِمًا

(١) زحل: تنحى وتباعد.

فَأَمَلْتُ عَمراً أَنْ يَشِبَّ وَخَالِداً لِكِي يَدْعُوَنِي يَوْمَ مَزْحَمَةِ عَمَّا
[الطويل]

يعني عمراً وخالداً ابني عثمان. قال: فرق له عثمان، وقال له: قد وليتكَ
العراق يعني (الكوفة).

[ولايته الكوفة]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ ابْنِ
دَأْبٍ قَالَ: لَمَّا وَلَّى عِثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْوَلِيدَ بْنِ عَقْبَةَ الْكُوفَةَ قَدَمَهَا وَعَلَيْهَا
سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَأُخْبِرَ بِقُدُومِهِ؛ فَقَالَ: وَمَا صَنَعَ؟ قَالَ: وَقَفَ فِي السُّوقِ فَهُوَ
يُحَدِّثُ النَّاسَ هُنَاكَ وَلِسْنَا نُنْكِرُ شَيْئاً مِنْ شَأْنِهِ؛ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ نَصَفَ النَّهَارِ،
فَاسْتَأْذَنَ عَلَى سَعْدٍ فَأَذِنَ لَهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ وَجَلَسَ مَعَهُ؛ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا أَقْدَمَكَ
أَبَا وَهَبٍ؟ قَالَ: أَحَبَبْتُ زِيَارَتَكَ؛ قَالَ: وَعَلَى ذَلِكَ أَجِئْتُ بِرِيداً؟ قَالَ: أَنَا أَرْزَنُ^(١)
مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ الْقَوْمُ احْتَاجُوا إِلَى عَمَلِهِمْ فَسَرَّحُونِي إِلَيْهِ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَنِي أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكُوفَةِ؛ فَمَكَثْتُ طَوِيلاً ثُمَّ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَصْلَحْتَ بَعْدَنَا أَمْ
فَسَدْنَا بَعْدَكَ ثُمَّ قَالَ:

خُذْنِي فَجَرِّبْنِي ضِبَاعُ وَأَبْشِرِي بِلَحْمِ أَمْرِي لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ
[الطويل]

فقال: أما والله لأنا أقول للشعر وأروى له منك، ولو شئت لأجبتك، ولكني
أدع ذلك لما تعلم؛ نعم والله قد أمرت بمحاسبتك والنظر في أمر عمالك؛ ثم بعث
إلى عماله فحبسهم وضيّق عليهم، فكتبوا إلى سعد يستغيثون، فكلّمه فيهم؛ فقال له:
أو للمعروف عندك موضع؟ قال: نعم والله فخلّي سبيلهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثَنِي عُمَرُ قَالَ: حَدَّثَنَا جَنَادُ بْنُ بَشْرِ
قَالَ: حَدَّثَنِي جَرِيرٌ^(٢) عَنْ مُغِيرَةَ^(٣) بَنَحُوهُ.

قال أبو زيد عمر بن شبة أخبرنا أبو بكر الباهلي قال: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ عَنْ
الْعَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ: أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ عَلَى سَعْدٍ قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا أَدْرِي أَكِسْتَ بَعْدَنَا أَمْ

(١) من المجاز: رزن فلان في مجلسه وهو رزين: حليم وقور، وفيه رزاة. وهو رزين الرأي: وزينه.
وامرأة رزان، ولا يقال: رزينة.

(٢) هو جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي.

(٣) هو مغيرة بن مقسم الضبي.

حَمُّقُنَا بَعْدُكَ؟ فَقَالَ: لَا تَجْزَعَنَّ أَبَا إِسْحَاقَ، فَإِنَّمَا هُوَ الْمُلْكُ يَتَغَدَّاهُ قَوْمٌ وَيَتَعَشَّاهُ آخَرُونَ؛ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: أَرَأَيْكُمْ وَاللَّهِ سَتَجْعَلُونَهُ مُلْكًا.

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ قَالَ حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ عَنْ بَشْرِ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ^(١) قَالَ: قَدِمَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ عَامِلًا لِعُثْمَانَ عَلَى الْكُوفَةِ وَعَبَدَ اللَّهَ بْنَ مَسْعُودٍ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ، وَكَانَ سَعْدٌ قَدْ أَخَذَ مَالًا، فَقَالَ الْوَلِيدُ لِعَبْدِ اللَّهِ: خُذْهُ بِالْمَالِ، فَكَلَّمَهُ عَبْدُ اللَّهِ بِمَحْضَرٍ مِنَ الْوَلِيدِ فِي ذَلِكَ؛ فَقَالَ سَعْدٌ: آتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ أَخَذَنِي بِهِ أَدَيْتَهُ. فَعَمَرَ الْوَلِيدُ عَبْدَ اللَّهِ، وَنَظَرَ إِلَيْهِمَا سَعْدٌ فَتَهَضَّ وَقَالَ: فَعَلْتُمَاهَا! وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يُغْرِيَ بَيْنَهُمَا وَأَدَّى الْمَالَ.

[صلاته الصبح أربع ركعات]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّهٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ بْنُ رَبِيعَةَ عَنْ ابْنِ شَوْذَبٍ قَالَ: صَلَّى الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ بِأَهْلِ الْكُوفَةِ الْغَدَاةَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَأَزِيدُكُمْ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: مَا زِلْنَا مَعَكُمْ فِي زِيَادَةِ مَنْذُ الْيَوْمِ.

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّهٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْأَجَلَحِ^(٢) عَنِ الشَّعْبِيِّ^(٣) فِي حَدِيثِ الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ حِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِ قَالَ: قَالَ الْخُطِيبَةُ^(٤):

شَهِدَ الْخُطِيبَةُ يَوْمَ^(٥) يَلْقَى رَبَّهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعُذْرِ نَادَى وَقَدْ تَمَّتْ^(٦) صَلَاتُهُمْ أَأَزِيدُكُمْ سُكْرًا^(٧) وَمَا يَدْرِي

(١) شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي الراوي وهو الذي يروي عنه الأعمش.

(٢) هو الأجلح بن عبد الله بن حجية الكندي.

(٣) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي.

(٤) الخطيئة، وهو جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو ملكية. شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجاءً عنيفاً، لم يكذب يسلم من لسانه أحد، وهجا أمه وأباه ونفسه. وأكثر من هجاء الزريقان بن بدر، فشكاها إلى عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس، توفي سنة ٤٥هـ.

(٥) ورد في بعض المصادر «حين» بدل «يوم».

(٦) ورد في بعض المصادر «كملت» بدل «تمت».

(٧) ورد في بعض المصادر «ثملاً» بدل «سكراً».

فَأَبَوْا أَبَا وَهَبٍ وَلَوْ أذْنُوا^(١) لَقَرَنْتَ بَيْنَ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ^(٢)
كَفُّوا عِنَّاكَ إِذْ جَرَيْتَ وَلَوْ تَرَكَوْا عِنَّاكَ لَمْ تَزَلْ تَجْرِي
وقال الحطيئة أيضاً:

تَكَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ وَزَادَ فِيهَا عَلَانِيَةً^(٣) وَجَاهَرَ بِالنِّفَاقِ
وَمَجَّ الْخَمْرَ فِي سِنَنِ الْمُصَلِّي وَنَادَى وَالْجَمِيعُ إِلَى افْتِرَاقِ
أَزِيدَكُمْ عَلَى أَنْ تَحْمِدُونِي وَمَالَكُمْ وَمَالِي مِنْ خَلَاقٍ
[الوافر]

[سكران يصلي]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: قال حماد بن إسحاق حدَّثني أبي قال: ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَهْشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ وَالْأَصْمَعِيُّ قَالُوا: كَانَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ زَانِيًا شَرِيبَ خَمْرٍ، فَشَرِبَ الْخَمْرَ بِالْكُوفَةِ وَقَامَ لِيُصَلِّيَ بِهِمُ الصُّبْحُ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، فَصَلَّى بِهِمْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: أَزِيدُكُمْ؟ وَتَقِيًّا فِي الْمَحْرَابِ، وَقَرَأَ بِهِمْ فِي الصَّلَاةِ وَهُوَ رَافِعُ صَوْتِهِ:

عَلِقَ الْقَلْبُ الرَّبَّابَا بَعْدَ مَا شَابَتْ وَشَابَا
فَشَخَّصَ أَهْلُ الْكُوفَةِ إِلَى عَثْمَانَ، فَأَخْبَرُوهُ خَبْرَهُ وَشَهِدُوا عَلَيْهِ بِشُرْبِهِ الْخَمْرَ، فَأَتَيْتُ بِهِ، فَأَمَرَ رَجُلًا بِضَرْبِهِ الْحَدَّ؛ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ: نَسَدْتُكَ اللَّهُ وَقَرَابَتِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَهُ؛ فَخَافَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُعْطَلَ الْحَدُّ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَحَدَّهُ؛ فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: نَسَدْتُكَ بِاللَّهِ وَبِالْقَرَابَةِ؛ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: اسْكُتْ أَبَا وَهَبٍ فَإِنَّمَا هَلِكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِتَعْطِيلِهِمُ الْحُدُودَ، فَضْرَبَهُ وَقَالَ: لَتَدْعُونِي قَرِيشٌ بَعْدَ هَذَا جَلَادَهَا. قَالَ إِسْحَاقُ: فَأَخْبَرَنِي مُضْعَبُ الزُّبَيْرِيِّ قَالَ: قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بَعْدَ مَا جُلِدَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ شَهِدُوا عَلَيَّ بِزُورٍ، فَلَا تُرْضِهِمْ عَنْ أَمِيرٍ وَلَا تُرْضِ عَنْهُمْ أَمِيرًا. فَقَالَ الْحَاطِيَّةُ يَكْذِبُ عَنْهُ:

شَهِدَ الْحُطَيْيَّةُ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعُذْرِ

(١) ورد في بعض المصادر «أذنوا» بدل «فعلوا».

(٢) ورد عجز البيت على الشكل التالي:

زَادَتْ صَلَاتُهُمْ عَلَى الْعَشْرِ

(٣) ورد في بعض المصادر «مجاهرة» بدل «علانية».

خَلَعُوا عِنَانَكَ إِذْ جَرَيْتَ وَلَوْ تَرَكَوْا عِنَانَكَ لَمْ تَزَلْ تَجْرِي
وَرَأَوْا شَمَائِلَ مَا جِدِ أَنْفٍ^(١) يُعْطِي عَلَى الْمَيْسُورِ وَالْعُسْرِ
فَنُزِعْتَ مَكْذُوباً عَلَيْكَ وَلَمْ تَنْزِعْ إِلَى طَمَعٍ وَلَا فَقْرٍ^(٢)
[الكامل]

فقال رجل من بني عجل يردّ على الحطيئة :

نَادَى وَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُهُمْ أَأَزِيدُكُمْ ثَمِلاً وَمَا يَدْرِي
لِيَزِيدَهُمْ خَيْراً وَلَوْ قَبِلُوا لَقَرَنْتَ بَيْنَ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
فَأَبَوْا أَبَا وَهَبٍ وَلَوْ فَعَلُوا وَصَلَتْ صَلَاتُهُمْ عَلَى الْعَشْرِ
[الكامل]

وروى العباس ميمون طائع عن ابن عائشة قال حَدَّثَنِي أَبِي قال : لما أحضر
عثمان رضي الله عنه الوليد لأهل الكوفة في شُرْب الخمر، حَضَرَ الحطيئة فاستأذن
على عثمان وعنده بنو أمية متوافرون، فَطَمِعُوا أَنْ يَأْتِيَ الوليدَ بعذر، فقال :

شَهِدَ الْحُطَيْئَةُ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعُذْرِ
خَلَعُوا عِنَانَكَ إِذْ جَرَيْتَ وَلَوْ تَرَكَوْا عِنَانَكَ لَمْ تَزَلْ تَجْرِي
وَرَأَوْا شَمَائِلَ مَا جِدِ أَنْفٍ يُعْطِي عَلَى الْمَيْسُورِ وَالْعُسْرِ
فَنُزِعْتَ مَكْذُوباً عَلَيْكَ وَلَمْ تَنْزِعْ إِلَى طَمَعٍ وَلَا فَقْرٍ
[الكامل]

قال : فَسُرُّوا بِذَلِكَ وَظَنُّوا أَنْ قَدْ قَامَ بعذره؛ فقال رجل من بني عجل يرد على
الحطيئة :

نَادَى وَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُهُمْ أَأَزِيدُكُمْ ثَمِلاً وَمَا يَدْرِي
فَأَبَوْا أَبَا وَهَبٍ وَلَوْ فَعَلُوا وَصَلَتْ صَلَاتُهُمْ عَلَى الْعَشْرِ
[الكامل]

فَوَجَمَ الْقَوْمُ وَأَطْرَقُوا، فَأَمَرَ بِهِ عثمانُ رضي الله تعالى عنه فحَدَّ.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيُّ قال حَدَّثَنِي محمد بن الفضل من حفظه قال :
حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة من حفظه، وَنَسَخْتُ من كتابِ لهارون بن الزِّيَّات بخطه عن

(١) الأنف: الذي يأبى أن يضام.

(٢) ورد العجز في ديوان الحطيئة على الشكل التالي :

تردد إلى عوز ولا فقر

عمر بن شَبَّه، وروايته أَنَّمْ، فَحَكَيْتُ لفظه، قال: شَهِدَ رجل عند أبي العَجَّاج، وكان على البصرة، على رجل من الْمُعِيطِيِّين شهادة، وكان الرجل الشاهد سكران؛ فقال المشهود عليه وهو الْمُعِيطِي: أَعَزَّكَ اللَّهُ إنه لا يُحسن أن يقرأ من السكر؛ فقال الشاهد: بلى إني لأحسن؛ فقال: اقرأ؛ فقال:

عَلِقَ الْقَلْبُ الرَّبَابَا بَعْدَ مَا شَابَتْ وَشَابَا
[مجزوء الرمل]

قال: وإنما تَماجن بذلك على الْمُعِيطِي، لِيَحْكِي به ما صنع الوليد بن عُقْبَةَ في محراب الكوفة وقد تَقَدَّمَ للصلاة وهو سكران، فَأَنشَد في صلاته هذا الشَّعر؛ وكان أبو العَجَّاج مُحَمِّقاً فَظَنَّ أن هذا قرآن، فقال: صدق الله ورسوله، ويلكم! فلم تعلمون ولا تعملون! ولقد رُوي أيضاً في الشهادة على الوليد في السُّكر غير ما ذَكَر من زيادته في الصلاة.

[جلد الوالي]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّه قال: عَرَضْتُ على المدائني عن مبارك بن سَلَام عن فطر بن خليفة عن أبي الضُّحَى^(١) قال: كان أبو زَيْنَب الأزدِيّ وأبو مُورَع يطلبان عَثْرَةَ الوليد بن عُقْبَةَ، فجاء يوماً فلم يَحْضُر الصلاة، فسألَا عنه وتلطَّفا حتى عَلِمَا أنه يشرب، فافتحما عليه الدارَ فوجداه يقيء، فاحتملاه وهو سكران فوضعا على سريره وأخذا خاتَمَهُ من يده، فأفاق فافتقد خاتمه فسأل عنه؛ فقالوا: لا ندري وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك؛ فقال: صِفُوهُمَا لي؛ فقالوا: أحدهما آدم^(٢) طويلٌ حسنُ الوجه، والآخر عريضُ مربع عليه خَمِيصَةٌ^(٣)؛ فقال: هذا أبو زَيْنَب وأبو مُورَع. ولقي أبو زَيْنَب وصاحبُهُ عبد الله بن حُبَيْش الأَسَدِيّ وَعَلَقَمَةَ بن يزيد الْبَكْرِيّ وَغَيْرَهُمَا فَأَخْبَرَاهُم، فقالوا: اشخصوا إلى أمير المؤمنين فأعلموه؛ فقال بعضهم: لا يَقْبَل قولنا في أخيه؛ فشخصوا إليه وقالوا: إِنَّمَا جِئْنَاكَ في أمرٍ ونحن مُخْرِجُوهُ إِلَيْكَ من أعناقنا، وقد قُلْنَا: إِنَّكَ لا تَقْبَلُهُ، قال: وما هو؟ قالوا: رأينا الوليد وهو سكرانٌ من خمر قد شربها وهذا خاتَمُهُ أَخَذْنَاهُ وهو لا يَعْقِلُ؛ فَأَرْسَل إلى عليّ رضي الله تعالى عنه فشاوره؛ فقال: أَرى أن تُشَخِّصَهُ، فَإِنْ شَهِدُوا عَلَيْهِ بِمَحْضَرٍ مِنْهُ حَدِّثْهُ؛ فَكَتَبَ عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الوليد بن

(١) هو مسلم بن صبيح الهمداني أحد شيوخ فطر بن خليفة.

(٢) الآدم: الأسمر.

(٣) الخميصة: كساء أسود معلّم من المرعزي والصوف ونحوها.

عُقْبَةُ فَقَدِمَ عَلَيْهِ، فَشَهِدَ عَلَيْهِ أَبُو زَيْنَبَ وَأَبُو مُورَّعَ وَجُنْدَبُ الْأَسَدِيُّ^(١) وسعد بن مالك الأشعري، ولم يشهد عليه إِلَّا يَمَانٍ؛ فقال عثمان لعلي: قم فاضربه؛ فقال عليّ لِلْحَسَنِ: قم فاضربه؛ فقال الحسن: مالك ولهذا! يكفيك غيرك؛ فقال عليّ لعبد الله بن جعفر: قم فاضربه، فَضْرَبَهُ بِمُخَصَّرَةٍ^(٢) فيها سِرٌّ له رأسان، فلما بلغ أربعين قال له عليّ: حَسْبُكَ.

[بين عثمان وعائشة]

أخبرنا أحمد قال: حَدَّثَنَا عمر قال: حَدَّثَنَا المدائني عن الوَقَّاصِي^(٣) عن الزُّهْرِيِّ قال: خَرَجَ رَهْطٌ من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد، فقال: أَكُلَّمَا غَضِبَ رجل منكم على أميره رماه بالباطل! لئن أَصْبَحْتُ لكم لَأَنْكَلَنَّ بكم؛ فاستجاروا بعائشة؛ وأصبح عثمان فَسَمِعَ من حُجْرَتِهَا صوتاً وكلاماً فيه بعضُ الغِلْظَةِ، فقال: أما يجد مُرَّاقُ أهل العراق وفُسَّافُهُمْ ملجأً إِلَّا بيتَ عائشة! فَسَمِعَتْ فَرَفَعَتْ نعل رسول الله ﷺ وقالت: تَرَكْتُ سَنَةَ رسول الله ﷺ صاحبِ هذه النعل؛ فتسامع الناسُ فجاؤوا حتى ملؤوا المسجدَ، فمن قائل: أحسنت، ومن قائل: ما للنساء ولهذا! حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنُّعال؛ ودَخَلَ رَهْطٌ من أصحاب رسول الله ﷺ على عثمان، فقالوا له: اتَّقِ اللَّهَ ولا تُعْطِلِ الحدَّ، واعزل أخاك عنهم؛ فعزله عنهم.

أخبرني أحمد قال: حَدَّثَنَا عمر قال: حَدَّثَنَا المدائني عن أبي محمد الناجي عن مَطَرِ الْوَرَّاقِ قال: قَدِمَ رجل المدينة فقال لعثمان رضي الله عنه: إِنِّي صَلَّيْتُ الغداةَ خَلْفَ الوليد بن عقبة، فالتفتَ إلينا فقال: أَأَزِيدُكُمْ؟ إِنِّي أَجِدُ اليومَ نشاطاً، وأنا أَشَمُّ منه رائحةَ الخمر؛ فَضْرَبَ عثمانُ الرجلَ؛ فقال الناس: عَطَلَتِ الحدودَ وضربت الشُّهُودَ.

أخبرني أحمد قال: حَدَّثَنِي عمر قال: حَدَّثَنَا أبو بكر الباهلي عن بعض من حدّثه قال: لما شَهِدَ على الوليد عند عثمان بِشُرْبِ الخمر كتب إليه يأمره بالشخص،

(١) الأسد بإسكان السين: لغة في الأزد، يقال في أزد سنؤة: أسد سنؤة.

(٢) الْمُخَصَّرَةُ شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه مثل العصا ونحوها، وهو أيضاً ما يأخذه الملك يُشير به إذا خطب.

(٣) هو عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقاص، وهو ممن يروون عن الزهري.

فخرج وخرج معه قوم يَعْذِرُونَهُ، فِيهِمْ عَدِيّ بْن حَاتِمٍ، فَنَزَلَ الْوَلِيدُ يَوْمًا يَسُوقُ بِهِمْ، فَقَالَ يَرْتَجِزُ:

لَا تَحْسَبِينَا قَدْ نَسِينَا الْإِيْجَافَ^(١)
وَالنَّشَوَاتِ مِنْ عَتِيقٍ صَافٍ
وَعَزَفَ قَيْنَاتٍ عَلَيْنَا عُرَافٍ

[الرجز]

فَقَالَ عَدِيّ: إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ بَنَا أَقْمَ!.

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ قَالَ: عَرَضْتُ عَلَى الْمَدَائِنِيِّ عَنْ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنِ الْأَجْلَحِ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ جُنْدَبٍ قَالَ: كُنْتُ فِي مَنْ شَهِدَ عَلَى الْوَلِيدِ، فَلَمَّا اسْتَمْتَمْنَا عَلَيْهِ الشَّهَادَةَ حَبَسَهُ عُثْمَانُ، ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ خَبْرِهِ وَضَرَبَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِيَّاهُ، وَقَوْلُ الْحَسَنِ: « مَا لَكَ وَلِهَذَا! » فَزَادَ فِيهِ: فَقَالَ لَهُ عَلِيّ: لَسْتُ إِذَا مُسْلِمًا، أَوْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ.

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَخْزُومِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْبٍ^(٢) قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الدَّانَاجِ قَالَ: سَمِعْتُ الْحُضَيْنِ بْنَ الْمُنْذِرِ أَبَا سَاسَانَ^(٣) يُحَدِّثُ، وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُثَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ الدَّانَاجِ عَنْ حُضَيْنِ أَبِي سَاسَانَ قَالَ: لَمَّا جِئْتُ بِالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ وَقَدْ شَهِدُوا عَلَيْهِ بِشَرْبِ الْخَمْرِ، قَالَ لِعَلِيّ: دُونَكَ ابْنُ عَمِّكَ فَأَقِمْ عَلَيْهِ الْحَدَّ؛ فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ أَرْبَعِينَ. ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ هَذَا الْحَدِيثِ وَقَالَ فِيهِ: فَقَالَ عَلِيٌّ لِلْحَسَنِ: بَلْ ضَعُفَتْ وَوَهَنْتْ، وَعَجَزَتْ، قُمْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ، فَقَامَ فَجَلَدَهُ وَعَلَيٌّ يَعُدُّ حَتَّى بَلَغَ أَرْبَعِينَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَمْسِكْ، جَلَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعِينَ، وَجُلِدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ، وَأَتَمَّهَا عُمَرُ ثَمَانِينَ، وَكُلُّ سُنَّةٍ.

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

(١) الحديث: لَمْ يُوجِفُوا عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رُكَّابٍ؛ الْإِيْجَافُ: سُرْعَةُ السَّيْرِ.

(٢) هُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَقْسَمٍ، وَعُثَيْبٌ: أَمُّهُ.

(٣) هُوَ حُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ الرَّقَاشِيِّ أَبُو سَاسَانَ صَاحِبُ رَايَةِ عَلِيٍّ يَوْمَ صَفِّينَ، وَلَا يَعْرِفُ حُضَيْنٌ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةَ وَغَيْرَهُ.

محمد بن حَكِيم عن خالد بن سَعِيد قال: لما ضَرَبَ عثمانُ الوليدَ الحدَّ قال: إِنَّكَ لتضربني اليومَ بشهادة قوم لَيَقْتُلَنَّكَ عاماً قابلاً.

[أبو زيد الطائي من ندمائه]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمِّه عبيد الله قال أخبرني محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي قال، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شُبَّة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن حَكِيم عن خالد بن سَعِيد، وأخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مُسْلِم، قالوا جميعاً: كان أبو زُبَيْد الطائي نديماً للوليد بن عُقْبَةَ أيام ولايته الكوفة، فلما شُهِدَ عليه بالسكر من الخمر وخرج من الكوفة قال أبو زُبَيْد^(١) - واللفظ في القصيدة لليزيدي لأنها في روايته أتم - :

مَنْ يَرَى الْعَيْرَ لِابْنِ أَرَوَى^(٢) عَلَى ظَهْرِ الْمَرْوَرَى حُدَاتُهُنَّ عَجَالُ
مُصْعَدَاتٍ وَالْبَيْتُ بَيْتُ أَبِي وَهَبٍ خَلَاءَ تَحْنُ فِيهِ الشَّمَالُ
يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الْمُضَلُّ أَنَّ الدَّهْرَ فِيهِ النُّكْرَاءُ وَالزَّلْزَالُ
لَيْتَ شِعْرِي كَذَاكَمُ الْعَهْدِ أَمْ كَانُوا أَنْسَاءً كَمَنْ يَزُولُ فَزَالُوا
بَعْدَ مَا تَعَلَّمِينَ يَا أُمَّ زَيْدٍ كَانَ فِيهِمْ عَزْلُنَا وَجَمَالُ
وُجُوهٍ بُوْدُنَا مُشْرِقَاتٍ وَنَوَالٍ إِذَا أُرِيدَ النَّوَالُ
أَصْبَحَ الْبَيْتُ قَدْ تَبَدَّلَ بِالْحَيِّ وَجُوهًا كَأَنَّهَا الْأَقْتَالُ^(٣)
كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَالُ فِيهِ الرَّجَالُ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ لِلْمَنَايَا أَحْتِيَالُ

(١) أبو زبيد الطائي، هو حرمله بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة يتصل نسبة بيعرب بن قحطان. شاعر جاهلي من قبيلة طيء في اليمن، هاجرت قبيلته إلى الحجاز واستولت على جبلي أجأ وسلمى فعرفا بجبل طيء وكان جده (النعمان بن حية بن سعدة) قد ولي ملك الحيرة من قبل كسرى. وهو من المعمرين ويروى أنه عاش مائة وخمسين عاماً وأدرك الإسلام وأسلم واستعمله عمر بن الخطاب على صدقات قومه بني طيء وفي بعض الروايات أنه بقي على النصرانية ولم يعتنق الإسلام بينما تقول روايات أخرى أنه أسلم على يد صديقه الحميم الوليد بن عقبة بن أبي معيط. وكان قد رثى عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب. ورافق الوليد في اعتزاله علياً ومعوية فأقام معه نديماً في الرقة ثم توفي بعده بقليل ودفن إلى جانبه هناك سنة ٤١هـ.

(٢) ابن أروى: هو الوليد بن عقبة وأروى أمه وأم الخليفة عثمان بن عفان.

(٣) المُقَاتَلَةُ: الْقِتَالُ. وقد قَاتَلَهُ قِتَالاً وَقِيَتَالاً. وهو من كلام العرب. والمُقَاتِلَةُ، بكسر التاء: القوم الذين يصلحون للقتال. والقِتْلُ بالكسر: العدو.

وَلَعَمْرُ الْإِلَهِ لَوْ كَانَ لِلْسَّيْفِ مَصَالٌ^(١) وَلِلَّسَانِ مَقَالٌ
 مَا تَنَاسَيْتُكَ الصَّفَاءَ وَلَا الْوُدَّ وَلَا حَالَ دُونَكَ الْأَشْغَالَ
 وَلَحَرَمْتُ لَحْمَكَ الْمُتَعَضَّى^(٢) ضَلَّةً ضَلَّ جِلْمُهُمْ مَا أَغْتَالُوا
 قَوْلُهُمْ شُرْبُكَ الْحَرَامَ وَقَدْ كَانَ شَرَابٌ سِوَى الْحَرَامِ حَالٌ
 وَأَبَى الظَّاهِرُ الْعَدَاوَةَ إِلَّا شَنَانًا وَقَوْلٌ مَا لَا يُقَالُ
 مِنْ رِجَالٍ تَقَارَضُوا مُنْكَرَاتٍ لِيَنَالُوا الَّذِي أَرَادُوا فَنَالُوا
 غَيْرَ مَا طَالِبِينَ دَحَلًا^(٣) وَلَكِنْ مَالٌ دَهْرٌ عَلَى أَنْاسٍ فَمَالُوا
 مَنْ يَخُنُّكَ الصَّفَاءُ أَوْ يَتَبَدَّلُ أَوْ يَزُلْ مِثْلَمَا تَزُولُ الظُّلَالُ
 فَأَعْلَمَنْ أَنَّنِي أَخُوكَ أَخُو الْوُدِّ حَيَاتِي حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ
 لَيْسَ بُخْلًا عَلَيْكَ عِنْدِي بِمَالٍ أَبَدًا مَا أَقَلَّ نَعْلًا قِبَالَ^(٤)
 وَلَكَ النَّصْرُ بِاللَّسَانِ وَبِالْكَفِّ إِذَا كَانَ لِلْيَدَيْنِ مَصَالٌ
 [الخفيف]

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

صوت

مَنْ يَرَى الْعَيْرَ لَا بَنَ أَرَوَى عَلَى ظَهْرِ الْمَرْوَرَى حُدَاتُهُنَّ عِجَالُ
 مُصْعَدَاتٍ وَالْبَيْتُ بَيْتُ أَبِي وَهَبٍ خَلَاءَ تَحْنُ فِيهِ الشَّمَالُ
 [الخفيف]

عروضه من الخفيف. المَرَوَرَى: جمع مَرَوْرَةٍ وهي الصحراء. غَنَى الدَّلَال فيه
 خفيفٌ ثقيل بإطلاق الوتر في مَجْرَى النِّصْر عن إِسْحَاق وغيره.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّه قال: لما قَدِمَ الوليدُ بن
 عُقْبَةَ الكوفةَ قَدِمَ عليه أبو زُبَيْد، فَأَنْزَلَهُ دَارَ عَقِيلِ بنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى بابِ المسجدِ وهي

(١) مِنَ الْمَجَازِ: صَالَ فَلَانٌ عَلَى فَلَانٍ. إِذَا اسْتَطَالَ عَلَيْهِ، وَقَهَرَهُ. وَصَالَ الْفُلُّ عَلَى الْإِبِلِ، صَوْلًا،
 فَهُوَ صَوُّوْلٌ: قَاتَلَهَا، وَقَدَّمَهَا. وَصَالَ الْعَيْرُ عَلَى الْعَانَةِ: شَلَّهَا، وَحَمَلَ عَلَيْهَا، يَكْدُمُهَا وَيَرْمَحُهَا.
 وَصَالَ عَلَيْهِ صَوْلًا، وَصَوْلَةٌ: وَتْبٌ، وَالصَّوْلَةُ: الْوَتْبَةُ.

(٢) المتعضى: المتقطع والمتفرق.

(٣) دَحَلًا: ثَارًا.

(٤) أَقَلَّ الشَّيْءُ: حَمَلَهُ وَرَفَعَهُ. وَقَبَالَ النَعْلُ: زَمَامُهَا وَهُوَ السَّيْرُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الإِصْبَعَيْنِ.

دارُ القِبْطِي، فكان مما احتَجَّ به عليه أهلُ الكوفة أنَّ أبا زُبَيْد كان يخرج إليه من داره يخرق المسجد وهو نصراني فيجعلهُ طريقاً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حَدَّثَنِي عَمِّي عُبَيْدُ اللَّهِ^(١) عن أبي حَبِيب بن جَبَلَةَ عن ابن الأعرابي: أن أبا زُبَيْد وَقَدَ على الوليد حين استعمله عثمانُ على الكوفة، فأنزله الوليد داراً لِعَقِيل بن أبي طالب على باب المسجد، فاستَوْهَبها منه فَوَهَبها له، فكان ذلك أَوَّلَ الطَّعْنِ عليه من أهل الكوفة؛ لأنَّ أبا زُبَيْد كان يخرجُ من منزله حتى يَشُقُّ الجامعَ إلى الوليد، فَيَسْمُرُ عنده ويشرب معه ويخرج فيشُقُّ المسجدَ وهو سكران، فذلك نَبَهُهم عليه.

قال: وقد كان عمرُ بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه ولَّى الوليدَ بن عُقْبَةَ صَدَقَاتِ بني تَغْلِب، فَبَلَغَهُ عنه بيتُ قاله وهو:

إِذَا مَا شَدَدْتُ الرَّأْسَ مِثِّي بِمِشْوَذٍ^(٢) فَغَيْكَ^(٣) مِثِّي تَغْلِبَ ابْنَةَ وائِلٍ
[الطويل]

فعزله.

وكان أبو زُبَيْد قد استودع بني كِنَانَةَ بن تَيْم بن أُسَامَةَ بن مالك بن بَكْر بن حَبِيب بن غَنَم بن تَغْلِب إبلاً فلم يردوها عليه حين طلبها، وكانت بنو تغلب أحوالَ أبي زُبَيْد، فَوَجَدَ الوليدُ بني تغلبَ ظالمين لأبي زُبَيْد، فأخذَ له الوليدُ بِحَقِّهِ؛ فقال يمدحُ الوليد:

يَا لَيْتَ شِعْرِي بِأَنْبَاءِ أَنْبُؤِهَا قَدْ كَانَ يَعْيا بِهَا صَدْرِي وَتَقْدِيرِي
عَنْ أَمْرِي مَا يَزِدُهُ اللَّهُ مِنْ شَرَفٍ أَفْرَحَ بِهِ وَمُرِّي غَيْرُ مَسْرُورٍ
[البسيط]

(يعني مَرِيَّ بن أَوْس بن حارِثة بن لَأَم). وهي طويلة يقول فيها:

إِنَّ الْوَلِيدَ لَهُ عِنْدِي وَحَقُّ لَهُ وَدُ الْخَلِيلِ وَنُصْحُ غَيْرِ مَذْخُورٍ
لَقَدْ رَعَانِي وَأَدْنَانِي وَأَظْهَرَنِي عَلَى الْأَعَادِي بِنَصْرِ غَيْرِ تَعْذِيرٍ
فَشَذَّبَ^(٤) الْقَوْمَ عَنِّي غَيْرُ مُكْتَرِثٍ حَتَّى تَنَاهَوْا عَلَى رَغَمٍ وَتَصْغِيرٍ

(١) هو عبيد الله بن محمد اليزيدي.

(٢) المِشْوَذُ: العمامة. وَشَوَذَ الرجل واشتاد، أي تعمم.

(٣) يريد غيًّا لك ما أطوله مني.

(٤) شذب: طرد ودفع.

نَفْسِي فِدَاءُ أَبِي وَهَبٍ وَقَلَ لَهُ يَا أُمَّ عَمْرٍو فَحُلِّي الْيَوْمَ أَوْ سِيرِي
[البسيط]

وفي رواية ابن حبيب: «يا أمّ زيد»، يعني: يا أمّ أبي زبيد.

[إقطاعه أبا زبيد أرضاً]

أخبرني محمد بن العباس عن عمه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان الوليد بن عتبة قد استعمل الربيع بن مريّ بن أوس بن حارثة بن لام الطائي على الحمى فيما بين الجزيرة وطهر الحيرة، فأجدبت الجزيرة، وكان أبو زبيد في تغلب، فخرّج بهم ليرعيهم؛ فأبى عليه الأوسي وقال: إن شئت أن أروعك وحدك فعلت وإلا فلا؛ فأتى أبو زبيد الوليد بن عتبة، فأعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة وجعله له حمى، وأخذها من الآخر. هكذا روى ابن حبيب. وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: كانت الجنيّة^(١) في يد مريّ بن أوس، فلما قدّم الوليد بن عتبة الكوفة انتزعها منه ودفعها إلى أبي زبيد. والقول الأول أصح، وشعر أبي زبيد يدلّ عليه في قوله في الوليد بن عتبة يمدّحه:

لَعَمْرُ أَبِيكَ يَا بَنَ أَبِي مُرِّي لَعَيْرُكَ مَنْ أَبَاحَ لَهَا الدِّيَارَا
أَبَاحَ لَهَا أَبَارِقَ^(٢) ذَاتَ نَوْرٍ تَرَعَى الْقَفَّ^(٣) مِنْهَا وَالْعَرَارَا^(٤)
بِحَمْدِ اللَّهِ ثُمَّ فَتَى قُرَيْشٍ أَبِي وَهَبٍ عَدَّتْ بُطْنًا غَزَارَا^(٥)
أَبَاحَ لَهَا وَلَا يُحْمَى عَلَيْهَا إِذَا مَا كُنْتُمْ سَنَةً جَزَارَا
[الوافر]

يريد جزراً من الجذب والشدّة.

فَتَى طَالَتْ يَدَاهُ إِلَى الْمَعَالِي وَطَحَطَحَتْ^(٦) الْمُقَطَّعَةَ الْقِصَارَا
[الوافر]

(١) الجنيّة: اسم علم لمواضع كثيرة.

(٢) الأبارق: الأكام يخالطها الحصى والرمال.

(٣) القفّ، بالفتح: يبيس أحرار البقول وذكورها. يقال للشوب إذا جفّ بعد الغسل: قد قَفَّ قُفُوفًا.

وَقَفَّ العشب، إذا اشتدّ يُبسه. يقال: الإبل فيما شاءت من جَفِيفٍ وَقَفِيفٍ.

(٤) العرار: نبت أصفر طيب الريح، وقيل: هو بهار البر، واحدته عرارة.

(٥) غزار: جمع غزيرة، وهي الإبل الكثيرة اللبن.

(٦) طحطح الرجل ماله: فرقه.

وهي أبيات .

قال عمر بن شبة في خبره خاصة : فلما عُزِلَ الوليدُ وولَّيها سعيد انتزعها منه وأخرجها من يده ؛ فقال :

وَلَقَدْ مُتَّ غَيْرَ أَنِّي حَيٌّ يَوْمَ بَانَتْ بِوُدِّهَا خَنَسَاءُ
مِنْ بَنِي عَامِرٍ [لَهَا] ^(١) شِقُّ نَفْسِي قِسْمَةً مِثْلَ مَا يُشَقُّ الرِّدَاءُ
أَشْرِبْتُ لَوْنُ صُفْرَةٍ فِي بَيَاضٍ وَهِيَ فِي ذَاكَ لَدَنَةٌ ^(٢) غِيدَاءُ ^(٣)
كُلُّ عَيْنٍ مِمَّنْ يَرَاهَا مِنْ النَّاسِ إِلَيْهَا مُدِيمَةٌ حَوْلَاءُ وَذَرُّوا مَا تُزَيِّنُ الْأَهْوَاءُ
لَيْتَ شَعْرِي وَأَيْنَ مِنِّي لَيْتَ إِنْ لَيْتَا وَإِنْ لَوَّا عَنَاءُ
أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبِي حِينَ لَاحَتْ لِلصَّابِحِ ^(٤) الْجُوزَاءُ ^(٥)
وَأَسْتَظِلُّ الْعُصْفُورَ كُرْهًا مَعَ الضَّبِّ وَأَوْفَى فِي عَوْدِهِ الْحِرْبَاءُ وَنَفَى الْجُنْدُبُ ^(٦) الْحَصَى بِكُرَاعِيهِ ^(٧) وَأَذَكْتُ نِيرَانَهَا الْمَعْرَاءُ ^(٨)
مِنْ سُمُومٍ كَأَنَّهَا حَرُّ نَارٍ سَعَفَتَهَا ^(٩) ظَهِيرَةٌ غَرَاءُ
وَإِذَا أَهْلُ بَلَدَةٍ أَنْكَرُونِي عَرَفْتَنِي الدَّوْيَةَ ^(١٠) الْمَلْسَاءُ
عَرَفْتُ نَاقَتِي الشَّمَائِلَ مِنِّي فَهِيَ إِلَّا بُغَامَهَا ^(١١) خَرَسَاءُ

(١) لعل من الأفضل حذفها .

(٢) اللدنة : الغيداء .

(٣) العادة : الفتاة الناعمة ، وكذلك الغيداء . ورجلٌ أَعْيِدُ . والأَعْيِدُ : الوَسْنَانُ المائل العُنُقِ . وهو يَتَغَايِدُ في مَشْيِهِ أَي يَتَمَايَلُ ، والجمع الغَيْدُ ، وكذلك الْعُصْنُ يَتَغَايِدُ من رُطوبته أَي يَتَمَايَلُ .

(٤) الصَّبْحُ : سَقْيُكَ مَنْ جَاءَ صَبُوحًا ، والفِعْلُ : الاضْطَبَّاحُ . وَصَبَحَنِي فَلَانٌ : أَنَانِي صَبَاحًا أَوْ نَاوَلَنِي الصَّبُوحَ صَبَاحًا .

(٥) الجوزاء : نجم يقال إنه يعترض في جُوز السماء أَي وسطها ، وإذا طلعت الجوزاء اشتدَّ الحرُّ .

(٦) الجندب : الجراد الصغير .

(٧) الكراع : الأرجل .

(٨) الأَمْعَزُ والمَعْرَاءُ : في الأرض الحزنة ذات الحجارة .

(٩) السَّفْعُ : أَثْنِيَّةٌ من حديد يوضع عليها القدر . الواحدة سفعاء بوزن حمراء . وَسُمِّيَ سفعاءً لسواده وشبهت الشعراء به . فسموا ثلاثة أحجار يُنْصَبُ عليها القدرُ سَفْعًا .

(١٠) الدَّوْ والدَّوْيُ : المفازة ، وكذلك الدَّوْيَةُ لَأَنَّهَا مفازة مثلها فُتْسَبَ إليها . وقولهم : ما بها دَوْيٌ ، أَي أَحَدٌ مِمَّنْ يسكن الدَّوْ ، كما يقال : ما بها دورِيٌّ وطوريٌّ .

(١١) بغام الناقة : صوت لا تفصح به ، وقيل : إذا قطعت الحنين ولم تمده .

عَرَفْتُ لَيْلَهَا الطَّوِيلَ وَلَيْلِي إِنَّ ذَا اللَّيْلِ لِلْعُيُونِ غِطَاءٌ

[الخفيف]

نسبة ما يغنى من هذا الشعر

صوت

أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبِي حِينَ لَاحَتْ لِلصَّاحِجِ الْجَوَازُءُ
وَاسْتَكَنَّ الْعَصْفُورُ كُرْهًا مَعَ الضَّبِّ وَأَوْفَى فِي عَوْدِهِ الْحِرْبَاءُ
وَإِذَا الدَّارُ أَهْلُهَا أَنْكَرُونِي عَرَفْتَنِي الدَّوِيَّةَ الْمَلَسَاءُ
عَرَفْتُ نَاقَتِي الشَّمَائِلَ مِثِّي فَهِيَ إِلَّا بُغَامَهَا خَرَسَاءُ
عَرَفْتُ لَيْلَهَا الطَّوِيلَ وَلَيْلِي إِنَّ ذَا اللَّيْلِ لِلْعُيُونِ غِطَاءُ

[الخفيف]

عَرُوضُهُ مِنَ الْخَفِيفِ . عَنَاهُ ابْنُ سُرَيْجٍ خَفِيفَ رَمَلٍ مُطْلَقٍ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ
إِسْحَاقَ ، وَعَنْ دَاوُدَ بْنِ الْعَبَّاسِ الْهَاشِمِيِّ فِي الْخَامِسِ ثُمَّ الثَّالِثِ خَفِيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلٍ
بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو .

[أبو زيد يتشوق للكوفة]

قال ابن حبيب في خبره : وقال أبو زُبَيْدٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى الْوَلِيدِ لَمَّا خَرَجَ عَنْ
الْكُوفَةِ :

لَعَمْرِي لَئِنْ أَمْسَى الْوَلِيدُ بِبَلَدَةٍ سِوَايَ لَقَدْ أَمْسَيْتُ لِلدَّهْرِ مُعَوَّرًا^(١)
[الطويل]

قال ابن حبيب : «ويروى سويّ لقد . . .» وهي لغة طيء .

خَلَا أَنْ رَزَقَ اللَّهَ غَادٍ وَرَائِحٍ وَإِنِّي لَهُ رَاجٍ وَإِنْ سِرْتُ أَشْهَرَا
وَكَانَ هُوَ الْحِصْنَ الَّذِي لَيْسَ مُسْلِمِي إِذَا أَنَا بِالنَّكْرَاءِ هَيَّجْتُ مَعَشَرَا
إِذَا صَادَفُوا دُونِي الْوَلِيدَ كَأَنَّمَا يَرُونَ بِوَادِي ذِي حِمَاسٍ^(٢) مُزْعَفَرَا^(٣)

(١) المعور: الذي لا حافظ له .

(٢) ذو حماس: موضع تلقاء عرعر، وقيل: هو مأسدة .

(٣) الْمُزْعَفَرُ: الْأَسَدُ الْوَرْدُ، لِأَنَّهُ وَرَدُ اللَّوْنِ، وَقِيلَ: لِمَا عَلَيْهِ مِنْ أَثَرِ الدَّمِ .

خَضِيبُ بَنَانٍ مَا يَزَالُ بِرَاكِبٍ يَخْبُ وَضَاحِي جِلْدِهِ قَدْ تَقَشَّرَا^(١)
[الطويل]
وهي طويلة .

[بين الوليد وعلي]

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ بَنَانِ الْأَنْمَاطِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا حُبَيْشُ بْنُ مُبَشَّرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي لَيْلَى عَنْ الْحَكَمِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ^(٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : أَنَا أَحَدُ مِنْكَ سِنَانًا، وَأَبْسَطُ مِنْكَ لِسَانًا، وَأَمْلَأُ لِلْكِتَابَةِ طِعَانًا، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : اسْكُتْ ! فَإِنَّمَا أَنْتَ فَاسِقٌ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ : ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة : ١٨] .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ قَالَ : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَانُ^(٣) عَنْ قَتَادَةَ^(٤) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنِإٍ﴾ [الحجرات : ٦] قَالَ : هَذَا ابْنُ أَبِي مُعَيْطٍ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ، بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ مُصَدِّقًا، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَقْبَلُوا نَحْوَهُ فَهَابَهُمْ؛ فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ قَدْ ارْتَدَّوْا عَنِ الْإِسْلَامِ؛ فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّبِعَ وَلَا يَعْجَلْ؛ فَاَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَاهُمْ لَيْلًا فَبَعَثَ عِيُونَهُ؛ فَلَمَّا جَاؤُوهُ أَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُمْ مُتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ وَاسْمَعُوا أَذَانَهُمْ وَصَلَاتَهُمْ؛ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَتَاهُمْ خَالِدٌ فَرَأَى مَا يُعْجِبُهُ، فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ .

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى قَالَ : حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَكِيمٍ عَنْ أَبِي مَرْيَمَ^(٥) عَنْ عَلِيٍّ : أَنَّ امْرَأَةَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَشْتَكِي الْوَلِيدَ وَقَالَتْ : إِنَّهُ يَضْرِبُهَا؛ فَقَالَ لَهَا : « ارجعي وقولي إن رسول الله ﷺ قد أجارني »، فَاَنْطَلَقَتْ فَمَكَثَتْ سَاعَةً، ثُمَّ رَجَعَتْ فَقَالَتْ : مَا أَقْلَعَ عَنِّي؛ فَقَطَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَدْيَةً مِنْ ثَوْبِهِ ثُمَّ قَالَ : « امضي بهذا ثم قولي إن رسول الله ﷺ أجارني »؛ فَاَنْطَلَقَتْ فَمَكَثَتْ سَاعَةً ثُمَّ رَجَعَتْ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا

(١) ورد في بعض المصادر «تسيرا» بدل «تقشرا» .

(٢) هو الحكم بن عتيبة الكندي .

(٣) هو شيبان بن عبد الرحمن التميمي .

(٤) هو قتادة بن دعامة بن قنادة أبو الخطاب السدوسي .

(٥) هو أبو مريم الثقفي .

زادني إلا ضرباً؛ فَرَفَعَ يديه وقال: «اللَّهُمَّ عليك الوليد» مرتين أو ثلاثاً.

أخبرنا أحمد قال: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة، وَحَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْد الصَّيرَفِيُّ قال: حَدَّثَنِي الفضل بن الحسن البصري قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّة قال: حَدَّثَنَا أَيُّوب بن عمر قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوب

قال: حَدَّثَنَا جعفر بن بُرقان عن ثابت بن الحَجَّاج عن أبي موسى عبد الله الهَمْدَانِي: أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ قَالَ: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ، جَعَلَ أَهْلُ مَكَّةَ يَأْتُونَهُ بِصُبْيَانِهِمْ فِيدَعُو لَهُمْ بِالْبِرْكَ وَيَمَسِّحُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَجِيءَ بِي إِلَيْهِ وَأَنَا مُخَلَّقٌ^(١) فَلَمْ يَمَسِّسْنِي، وَمَا مَنَعَهُ إِلَّا أَنْ أُمِّي خَلَقْتَنِي بِخُلُقٍ فَلَمْ يَمَسِّسْنِي مِنْ أَجْلِ الْخُلُقِ.

أخبرنا أحمد قال: حَدَّثَنَا عمر قال: حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ الْوَلِيدِ قال: حَدَّثَنَا المُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ عَنِ الْحَسَنِ^(٢): أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ كَانَ عِنْدَهُ سَاحِرٌ يُرِيهِ كَيْبَتَيْنِ تَقْتَتِلَانِ، فَتَحْمِلُ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَتَهْزِمُهَا؛ فَقَالَ لَهُ السَّاحِرُ: أَيْسُرُكَ أَنْ أُرِيكَ هَذِهِ الْمَنْهَزِمَةَ تَغْلِبُ الْغَالِبَةَ فَتَهْزِمُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ؛ وَأُخْبِرَ جُنْدَبٌ بِذَلِكَ، فَاشْتَمَلَ عَلَى السِّيفِ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَفَرَجُوا، فَضْرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ، فَفَزَعَ النَّاسُ وَخَرَجُوا؛ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا قَتَلْتُ هَذَا السَّاحِرَ لَثَلَا يُفْتِنَكُمْ فِي دِينِكُمْ، فَحَبَسَهُ قَلِيلاً ثُمَّ تَرَكَهُ.

أخبرنا أحمد قال: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثَنَا عمر بن سَعِيد الدَّمَشَقِيُّ، وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنِ الزُّهْرِيِّ^(٣): أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَسْتَعْلِنُ بِالسَّحَرِ، فَقَالَ: أَوْ إِنَّ السَّحَرَ لَيُعْلَنَ بِهِ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ فَقَتَلَهُ؛ فَأَتَى بِهِ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ فَحَبَسَهُ؛ فَقَالَ لَهُ دِينَارُ بْنُ دِينَارٍ: فِيمَ حَبَسْتَهُ؟ فَأَخْبَرَهُ فَخَلَّى سَبِيلَهُ؛ فَأَرْسَلَ الْوَلِيدُ إِلَى دِينَارٍ فَقَتَلَهُ.

أخبرنا أحمد قال: حَدَّثَنَا عمر قال: حَدَّثَنَا موسى بن إسماعيل قال: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍانَ الْجَوْنِيُّ: أَنَّ سَاحِرًا كَانَ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، فَجَعَلَ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ بَقْرَةٍ وَيَخْرُجُ مِنْهُ؛ فَرَأَاهُ جُنْدَبٌ، فَذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ فَاشْتَمَلَ عَلَى سِيفٍ، فَلَمَّا دَخَلَ السَّاحِرُ فِي جَوْفِ الْبَقْرَةِ، قَالَ: ﴿أَفْتَأْتُونَكَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ بُصْرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣]، ثُمَّ ضَرَبَ وَسَطَ الْبَقْرَةِ فَقَطَعَهَا وَقَطَعَ السَّاحِرَ فِي الْبَقْرَةِ فَاذْعَرَ النَّاسَ،

(١) خَلَقَهُ بِخُلُقٍ تَخْلِيقًا أَي: طَيَّبَهُ بِهِ فَتَخَلَّقَ بِهِ: إِذَا تَطَيَّبَ بِهِ، وَخَلَقَتْ الْمَرْأَةُ جَسْمَهَا: إِذَا طَلَّتْهُ بِالْخُلُقِ.

(٢) هو الحسن البصري.

(٣) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

فَسَجَنَهُ الْوَلِيدُ وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وَكَانَ السَّجَانُ يَفْتَحُ لَهُ الْبَابَ بِاللَّيْلِ فَيَذْهَبُ إِلَى أَهْلِهِ فَإِذَا أَصْبَحَ دَخَلَ السَّجْنَ.

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ نُصَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا قُرَّةٌ^(١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: انْطَلَقَ بِجُنْدَبِ بْنِ كَعْبٍ إِلَى سِجْنٍ خَارِجٍ مِنَ الْكُوفَةِ وَعَلَى السَّجْنِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ، فَلَمَّا رَأَى جُنْدَبَ بْنَ كَعْبٍ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ، قَالَ النَّصْرَانِيٌّ: وَاللَّهِ إِنَّ قَوْمًا هَذَا شَرُّهُمْ لِقَوْمٍ صِدْقٍ؛ فَوَكَّلَ بِالسَّجْنِ رَجُلًا وَدَخَلَ الْكُوفَةَ فَسَأَلَ عَنْ أَفْضَلِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقَالُوا: الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ؛ فَاسْتَضَافَهُ، فَجَعَلَ يَرَى أَبَا مُحَمَّدٍ يَنَامُ اللَّيْلَ ثُمَّ يُصْبِحُ فَيَدْعُو بَغْدَائِهِ؛ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَسَأَلَ: أَيُّ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَفْضَلُ؟ فَقَالُوا: جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَوَجَدَهُ يَنَامُ اللَّيْلَ ثُمَّ يُصْبِحُ فَيَدْعُو بَغْدَائِهِ، فَاسْتَقْبَلَ الْقَبْلَةَ ثُمَّ قَالَ: رَبِّي رَبُّ جُنْدَبٍ وَدِينِي عَلَى دِينِ جُنْدَبٍ، وَأَسْلَمَ.

حَدَّثَنِي عَمِّي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْخَزَّازُ^(٢) عَنْ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ عَنْ الزُّهْرِيِّ وَغَيْرِهِ، قَالُوا: لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، نَزَلَ رَجُلٌ فَسَاقَ بِالْقَوْمِ وَرَجَزَ، ثُمَّ نَزَلَ آخَرُ فَسَاقَ بِالْقَوْمِ وَرَجَزَ، ثُمَّ بَدَأَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُوَاسِيَ أَصْحَابَهُ، فَنَزَلَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «جُنْدَبُ وَمَا جُنْدَبُ وَالْأَقْطَعُ»^(٣) الْخَيْرُ زَيْدٌ؛ فَدَنَا مِنْهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَنْفَعُنَا مَشِيئُكَ مَخَافَةً أَنْ تَلْسَعَكَ دَابَّةُ الْأَرْضِ أَوْ تُصِيبَكَ نَكْبَةٌ؛ فَكَرَبَ وَدَنُوا مِنْهُ فَقَالُوا: لَقَدْ قُلْتَ قَوْلًا لَا نَدْرِي مَا هُوَ؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: قَوْلُكَ «جُنْدَبُ وَمَا جُنْدَبُ وَالْأَقْطَعُ الْخَيْرُ زَيْدٌ»؛ فَقَالَ: «رَجُلَانِ يَكُونَانِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ يُضْرَبُ أَحَدُهُمَا ضَرْبَةً يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَتُقَطَّعُ يَدُ الْآخَرِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَتَّبِعُ اللَّهُ آخَرَ جَسَدِهِ بِأَوَّلِهِ»؛ فَكَانَ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ، قُطِعَتْ يَدُهُ يَوْمَ جُلُولَاءَ^(٤) وَقُتِلَ يَوْمَ الْجَمَلِ مَعَ عَلِيٍّ. وَأَمَّا جُنْدَبُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ دَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَعِنْدَهُ سَاحِرٌ يُكْنَى أَبُو شَيْبَانَ

(١) هو قرة بن خالد السدوسي.

(٢) هو أحمد بن الحارث الخزاز.

(٣) القطعة موضع القطع من يد الأقطع، يقال ضربه بقطعته. وقال الليث: يقولون قُطِعَ الرجل، ولا يقولون قُطِعَ الأقطع لأن الأقطع لا يكون أقطع حتى يقطعه غيره.

(٤) جلولاء: اسم لبليدة ونهر عليه عدة قرى من سواد بغداد، في طريق خراسان من بغداد. وهناك كانت وقعة جلولاء المشهورة التي كانت للمسلمين على الفرس، وبين جلولاء وبين مدينة خانقين سبعة فراسخ.

يَأْخُذُ أَغْيَنَ النَّاسِ فَيُخْرِجُ مَصَارِينَ بَطْنَهُ ثُمَّ يُعِيدُهَا فِيهِ ؛ فَجَاءَ مِنْ خَلْفِهِ فَقَتَلَهُ ، وَقَالَ :
إِلْعَنَ وَلِيداً وَأَبَا شَيْبَانَ وَابْنَ حُبَيْشٍ رَاكِبَ الشَّيْطَانِ
رَسُولَ فِرْعَوْنَ إِلَى هَامَانَ

[الرجز]

[ولاية سعيد بن العاص الكوفة]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّهٍ قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ
الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ وَهَبٍ ^(١) عَنْ يُونُسَ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ : نَزَعَ
عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ الْوَلِيدَ عَنْ عَقْبَةِ الْكُوفَةِ وَأَمَرَ عَلَيْهَا سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ . قَالَ أَبُو زَيْدٍ :
فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جَامِعٍ الْهَجَمِيُّ قَالَ : لَمَّا أَقْبَلَ
سَعِيدٌ مِنَ الْمَدِينَةِ عَامِداً لِلْكُوفَةِ بَعْدَ مَا خَرَجَ وَالِيَا لِعُثْمَانَ جَعَلَ يَرْتَجِزُ فِي طَرِيقِهِ :

وَيْلَ نُسَيَّاتِ الْعِرَاقِ مِنِّي كَأَنَّنِي سَمِعْتُ ^(٢) مِنْ جَنَّ
[الرجز]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَرُ قَالَ : حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ عَنْ أَبِي عَلْقَمَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ
أَشْوَعٍ ^(٣) قَالَ : قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ : قَدِمَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ الْكُوفَةَ فَقَالَ : اغْسِلُوا هَذَا
الْمَنْبِرَ ، فَإِنَّ الْوَلِيدَ كَانَ رَجِسًا نَجِسًا ؛ فَلَمْ يَصْعَدْهُ حَتَّى غُسِلَ ، عَيْبًا عَلَى الْوَلِيدِ . وَكَانَ الْوَلِيدُ
أَسَنَ مِنْهُ وَأَسْخَى نَفْسًا وَأَلَيْنَ جَانِبًا وَأَرْضَى عَنْدهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِهِمْ :

يَا وَيْلَنَا قَدْ ذَهَبَ الْوَلِيدُ وَجَاءَنَا مِنْ بَعْدِهِ سَعِيدُ
يُنْقِصُ فِي الصَّاعِ وَلَا يَزِيدُ

[الرجز]

وقال آخر :

فَرَزْتُ مِنَ الْوَلِيدِ إِلَى سَعِيدِ كَأَهْلِ الْحِجْرِ ^(٤) إِذْ جَزَعُوا فَبَارُوا
يَلِينَا مِنْ قَرِيشٍ كُلِّ عَامٍ أَمِيرٌ مُحَدَّثٌ أَوْ مُسْتَشَارٌ
لَنَا نَارٌ تُحَرِّقُنَا فَتَخْشَى وَلَيْسَ لَهُمْ فَلَا يَخْشَوْنَ نَارُ

[الوافر]

(١) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي .

(٢) يقال : السَّمْعَمُ مِنَ الرِّجَالِ : الصَّغِيرُ الرَّأْسِ وَالْجَثَّةِ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ مِنْكَرٌ دَاهِيَةٌ .

(٣) هو سعيد بن عمرو بن أشوع الهمداني الكوفي القاضي .

(٤) الْحِجْرُ : بِلَادُ ثُمُودَ بَيْنَ الشَّامِ وَالْحِجَازِ ، وَحَجَرُ الْكَعْبَةِ فِيهِ قَبْرُ هَاجِرٍ وَإِسْمَاعِيلَ .

[في الكوفة بعد عزله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثَنَا عمر قال: حَدَّثَنَا المدائني قال: قَدِمَ الوليدُ بنُ عُقْبَةَ الكوفةَ زائراً للمغيرة بنِ شُعْبَةَ، فَأَتَاهُ أَشْرَافُ أَهْلِ الكوفةِ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا بَعْدَكَ مِثْلَكَ؛ فَقَالَ: أَحْيَرًا أَمْ شَرًّا؟ فَقَالُوا: بَلْ خَيْرًا؛ قَالَ: وَلَكِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ بَعْدَكُمْ شَرًّا مِنْكُمْ؛ فَأَعَادُوا الثَّنَاءَ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: بَعْضُ مَا تُثْنُونَ بِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بُغْضَكُمْ لَتَلْفَ، وَإِنَّ حُبَّكُمْ لَصَلَفَ.

قال أبو زيد: وَذَكَرُوا أَنَّ قَبِيصَةَ بنَ جَابِرٍ كَانَ مِمَّنْ كَثُرَ^(١) عَلَى الْوَلِيدِ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ يَوْمًا وَالْوَلِيدُ وَقَبِيصَةُ عَنْده: يَا قَبِيصَةُ، مَا كَانَ شَأْنُكَ وَشَأْنُ الْوَلِيدِ؟ فَقَالَ: خَيْرًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فِي أَوَّلِ وَصَلِ الرَّجَمِ وَأَحْسَنِ الْكَلَامِ فَلَا تَسْأَلَنَّ عَنِ الشُّكْرِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ، ثُمَّ غَضِبَ عَلَى النَّاسِ وَغَضِبُوا عَلَيْهِ وَكُنَّا مِنْهُمْ، فَإِمَّا ظَالِمُونَ فَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَإِمَّا مَظْلُومُونَ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَخُذْ فِي غَيْرِ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ يُنْسِي الْقَدِيمَ؛ قَالَ: وَلِمَ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَحْسَنَ السَّيْرَةَ وَبَسَطَ الْخَيْرَ وَكَفَّ الشَّرَّ؛ قَالَ: فَأَنْتَ أَقْدَرُ عَلَى ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ فَافْعَلْ؛ قَالَ: اسْكُتْ لَا سَكْتٌ، فَسَكَّتْ وَسَكَّتِ الْقَوْمُ؛ فَقَالَ لَهُ: مَالِكَ لَا تَتَحَدَّثْ؟ قَالَ: نَهَيْتَنِي عَمَّا كُنْتُ أَحِبُّ فَسَكَّتْ عَمَّا أَكْرَهُ.

[قبران في موضع]

أخبرني أحمد قال حَدَّثَنِي عمر قال: حَدَّثَنِي المدائني قال: مَاتَ الْوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ فُوقَ الرِّقَّةِ، وَمَاتَ أَبُو زُبَيْدٍ، فَدَفَنَّا جَمِيعًا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ. فَقَالَ فِي ذَلِكَ أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ وَقَدْ مَرَّ بِقَبْرَيْهِمَا:

مَرَزْتُ عَلَى عِظَامِ أَبِي زُبَيْدٍ وَقَدْ لَاحَتْ بِبَلَقَعَةٍ^(٢) صَلُودٍ^(٣)
وَكَانَ لَهُ الْوَلِيدُ نَدِيمٌ صِدْقٍ فَنَادَمَ قَبْرُهُ قَبْرَ الْوَلِيدِ
وَمَا أَدْرِي بِمَنْ تَبَدَّلَا الْمَنَايَا بِأَحْمَدَ أَوْ بِأَشْجَعَ أَوْ بِزَيْدٍ
[الوافر]

(١) أَي أَكْثَرَ الْقَوْلِ فِي عَيْبِهِ وَالتَّشْنِيعِ عَلَيْهِ.

(٢) الْبَلَقَعُ وَالْبَلَقَعَةُ: الْأَرْضُ الْفَقْرُ الَّتِي لَا شَيْءَ بِهَا؛ يُقَالُ مَنْزِلٌ بَلَقَعٌ، وَدَارٌ بَلَقَعٌ بِغَيْرِ هَاءٍ إِذَا كَانَ نَعْتًا، فَإِنْ كَانَ اسْمًا قُلْتَ انْتَهَيْنَا إِلَى بَلَقَعَةٍ مَلَسَاءَ.

(٣) مِنَ الْمَجَازِ: الصُّلُودُ: الْقَدْرُ الْبَطِيئَةُ الْعَلْيَى، كَذَا فِي الْمَحْكَمِ، وَالْأَسَاسُ. وَمِنَ الْمَجَازِ: الصُّلُودُ: النَاقَةُ الْبَكِيَّةُ، كَالْمِضْلَادَةِ وَالْمِضْلَادِ وَالصُّلُودُ مَنْ يُصْعَدُ فِي الْجَبَلِ فَرْعًا، وَخَوْفًا. وَعَنْ ابْنِ السَّكَيْتِ: الصُّلْدَاءُ وَالصُّلْدَاءُ بِكَسْرِهِمَا: الْأَرْضُ الْعَلِيظَةُ الصُّلْبَةُ، لَا تُثْبِتُ شَيْئًا.

[غزوة الروم]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال: خَرَجَ الوليد بن عُقْبَةَ غازياً للروم وعلى مقدّمته عُتْبَةُ بن فَرْقَد، فلقيه الروم فقاتلوه: فقال له رَجُلٌ من العرب نصرانيّ: لَسْتُ على دينكم ولكنّي أنصحكم للنسب، فالقوْمُ مُقاتلوكم إلى نصف النهار، فإن رَأَوْكم ضعفاءً أَفْتَوْكم وإن صبرتم هَرَبُوا وتركوكم؛ فقال سلمان بن ربيعة: يا معشر المُسلمين، ما عذرکم عند الله غداً إن أُصِيب عُتْبَةُ بن فَرْقَد وأصحابه ولم يُعْنِهِمْ أَحَدٌ منكم! فَركب معه ثلاثة آلاف رجل على البغال يجنبون^(١) الخيل، فَلاحقوا عُتْبَةَ وأصحابه، فقاتلوا معهم قتالاً شديداً حتى هَزَمَ الله الروم. فقال الوليد بن عُقْبَةَ:

أَتَانِي مِنَ الْفَجِّ الَّذِي كُنْتُ آمِنًا بَقِيَّةُ شُدَاذٍ^(٢) مِنَ الْخَيْلِ ظُلَّعٍ^(٣)
عَلَيْهَا الْعَبِيدُ يَضْرِبُونَ جُنُوبَهَا وَنَازَلَ مِنَّا كُلُّ خِرْقٍ^(٤) سَمِيدَعٍ^(٥)
فَإِنِّي زَعِيمٌ أَنْ تَصِيحَ نِسَاؤُهُمْ صِيَاخَ دَجَاجِ الْقَرْيَةِ الْمُتَوَزِعِ^(٦)
[الطويل]

[الحطيئة يمدحه]

وقال الحطيئة يمدحُ الوليد بذلك، وكان قد وصله وكان الوليد جواداً:

أَرَى^(٧) لَأَبْنَ أَرَوَى^(٨) خَلَّتَانِ أَصْطَفَاهُمَا قِتَالٌ إِذَا يَلْقَى الْعَدُوَّ وَنَائِلُهُ
فَتَى يَمَلَأُ الشَّيْزَى^(٩) وَيُرَوَى بِكَفِّهِ سِنَانُ الرُّدَيْنِيِّ^(١٠) الْأَصَمِّ وَعَامِلُهُ^(١١)

(١) جنب الدابة: قادها إلى جنبه.

(٢) الشذاذ: القلال والمتفرقون.

(٣) أدبر مطيته وأطلعها: أعرجها.

(٤) الخِرْقُ: الكريم المُتَخَرِّقُ في الكرم، وقل: هو الفتى الحسن الكريم الخليفة، والجمع أخراقٌ وخُرُوقٌ.

(٥) السَّمِيدَعُ بالفتح: السيّد الموطأ الأكناف، ولا تقال: سُمِيدَعُ بضم السين.

(٦) المتوزع: المفرق.

(٧) ورد في بعض المصادر «أبي» بدل «أرى».

(٨) أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد الشمس وهي أم عثمان بن عفان.

(٩) مشط من الشيز وهو خشبة سوداء يعمل منها، وجفان من الشيزى وهي شجر تعمل منه. قال الشماخ:

فتى يملأ الشيزى ويروى سنانه ويضرب في رأس الكمي المدجج

(١٠) الرديني: الرمح نسبة إلى ردينة، وهي امرأة رجل اسمه سمهر كانت تبيع الرماح، فنسبت الرماح لها.

(١١) عامل الرمح: صدره.

يَوْمُ الْعَدُوِّ حَيْثُ كَانَ بِجَحْفَلٍ يُصِمْ السَّمِيعَ جَرُّهُ وَصَوَاهِلُهُ
إِذَا حَانَ مِنْهُ مَنْزِلُ اللَّيْلِ أَوْقَدَتْ لِأَخْرَاهُ فِي أَعْلَى الْيَفَاعِ أَوَائِلُهُ
نَفَيْتَ الْجِعَادَ الْبَيْضَ عَنْ حُرِّ دَارِهِمْ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا حَيَّةٌ أَنْتَ قَاتِلُهُ
[الطويل]

فَقَالَ الْحُلَيْسُ بْنُ نُعَيْمٍ التَّهْدِي يُكَذِّبُ الْحُطِيَّةَ :

وَأَبْلَغُ أَبَا وَهَبٍ إِذَا مَا لَقَيْتَهُ فَقَدْ حَارِبَتْكَ الرُّومُ فَيَمَنْ تُحَارِبُ
وَفِي الْأَرْضِ حَيَّاتٌ وَأُسْدٌ كَثِيرَةٌ عَدُوٌّ وَلَكِنَّ الْحُطِيَّةَ كَاذِبُ
أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ
مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي مِخْنَفٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ قَطَنٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

لَمَّا قُتِلَ عَثْمَانُ أَرْسَلَ عَلِيٌّ فَأَخَذَ كُلَّ مَا كَانَ فِي دَارِهِ مِنَ السِّلَاحِ وَإِبِلًا مِنْ إِبِلِ
الْصَّدَقَةِ ، فَلِذَلِكَ قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ :

بَنِي هَاشِمٍ رُدُّوا سِلَاحَ ابْنِ أَخْتَكُم^(١) وَلَا تَنْهَبُوهُ لَا تَحِلُّ مَنَاهِبُهُ
وَيُرَوَّى :

وَلَا تَنْهَبُوهُ لَا تَحِلُّ مَوَاهِبُهُ

بَنِي هَاشِمٍ كَيْفَ الْهَوَادَةُ بَيْنَنَا وَعِنْدَ عَلِيٍّ سَيْفُهُ وَنَجَائِبُهُ
قَتَلْتُمْ أَخِي كَيْمَا تَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا فَعَلْتُ يَوْمًا بِكَسْرَى مَرَايِبُهُ
[الطويل]

هَكَذَا فِي الْخَبَرِ :

وَلَا تَنْهَبُوهُ لَا تَحِلُّ مَوَاهِبُهُ

أَخْبَرَنِي الطُّوسِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ الْجَعْفَرِيُّ :
أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ لَقِيَ بِجَادًا مَوْلَى عَثْمَانَ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَثْمَانَ قَدْ قُتِلَ ؛ فَقَالَ :

لَيْتَ أَنِّي هَلَكْتُ قَبْلَ حَدِيثِ سَلِّ جِسْمِي وَرِيعَ مِنْهُ فُوَادِي
يَوْمَ لَا قَيْتُ بِالْبَلَاطِ^(٢) بِجَادًا لَيْتَ أَنِّي هَلَكْتُ قَبْلَ بِجَادٍ
[الخفيف]

وَقَدْ زِيدَ فِي هَذَا الشَّعْرِ بَيْتٌ وَنُقِصَ مِنْهُ آخِرُ مَكَانَهُ وَعُغِّي فِيهِ ، وَهُوَ :

(١) يروى في بعض المصادر «ابن عمكم» بدل «ابن اختكم» .

(٢) موقع في المدينة مبلط بالحجارة بين المسجد وبين سوق المدينة .

صوت

طَالَ لَيْلَى وَمَلَّنِي عُوَادِي وَتَجَافَى عَنِ الضُّلُوعِ مِهَادِي
 مِنْ حَدِيثِ نُمِي إِلَيَّ فَمَا يَرْقَأُ دَمْعِي وَلَا أُحَسُّ رُقَادِي
 يَوْمَ لَا قَيْتُ بِالْبَلَاطِ بِجَادًا لَيْتَ أَتَى هَلَكْتُ قَبْلَ بِجَادِ
 وَبِنَفْسِي الَّتِي أُحِبُّ وَأَهْلِي وَبِمَالِي وَطَارِفِي وَتِلَادِي
 قُلْتُ لَا تَغْضَبِي فَذَلِكَ قَوْلِي بِلِسَانِي وَمَا يُجْنُ فُؤَادِي
 [الخفيف]

غَنَى فِيهِ ابْنُ عَبَّادٍ ثَانِي ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ فِي الْأَوَّلِ وَالرَّابِعِ مِنَ الْأَبْيَاتِ، وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّهُ لَا بَنَ مُحَرِّزٌ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُنسَبُهُ إِلَى ابْنِ سُرَيْجٍ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، وَذَكَرَ ابْنُ الْمَكِّي أَنَّهُ لِلْغَرِيضِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ، وَوَافَقَهُ يُونُسٌ. وَذَكَرَ أَنَّ فِي هَذَا الشَّعْرِ لَا بَنَ سُرَيْجٍ وَالْغَرِيضُ لَحْنَيْنِ فِي الْخَمْسَةِ الْأَبْيَاتِ. وَذَكَرَ حَبَشٌ أَنَّ فِيهَا لِمَعْبُدٍ ثَقِيلًا أَوَّلٌ بِالْوُسْطَى، وَلِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيِّ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوُسْطَى، وَلِلْغَرِيضِ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْوُسْطَى، وَلِسَلِيمٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوُسْطَى. وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ أَنَّ فِيهِ رَمَلًا لَا بَنَ جَامِعٌ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَحَدَهُ، وَأَنَّ فِيهِ هَزَجًا لَا يُعْرَفُ صَانِعُهُ.

[التطير بشعر الوليد]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ جَحْظَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي هُبَةُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ مُحَمَّدُ بْنُ زُبَيْدَةَ فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الصَّيْفِ مُقَمَّرَةً: يَا عَمَّ إِنَّ الْحَرْبَ بَيْنِي وَبَيْنَ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ قَدْ سَكَنْتُ، فَصِرْ إِلَيَّ، فَإِنِّي إِلَيْكَ مُشْتَاقٌ؛ فَجِئْتُهُ وَقَدْ بُسِطَ لَهُ عَلَى سَطْحِ زُبَيْدَةَ، وَعِنْدَهُ سَلِيمَانُ بْنُ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ كِسَاءُ رُودَبَارِيٍّ^(١) وَقَلَنْسُوَّةٌ طَوِيلَةٌ، وَجَوَارِيهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَضَعْفُ جَارِيَّتِهِ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهَا: غَنِّينِي فَقَدْ سُرِرْتُ بِعُمُومَتِي؛ فَاذْدَفَعَتْ تُغْنِيَهُ:

هُمْ قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا فَعَلْتُ يَوْمًا بِكَسْرَى مَرَازِبُهُ
 بَنِي هَاشِمٍ كَيْفَ التَّوَاصَّلُ بَيْنَنَا وَعِنْدَ أَخِيهِ سَيْفُهُ وَنَجَائِبُهُ
 [الطويل]

هَكَذَا غَنَّتْ؛ وَإِنَّمَا هُوَ:

وَعِنْدَ عَلِيِّ سَيْفُهُ وَنَجَائِبُهُ

(١) رُودَبَارِيٌّ: نَسَبَةٌ إِلَى رُودَبَارٍ وَهُوَ اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ فِي أَصْفَهَانَ وَبَغْدَادَ.

فَعَضِبَ وَتَطَيَّرَ وَقَالَ لَهَا: مَا قِصَّتُكَ وَيَحْكُ انْثَنِي وانتهي وَعَنِّيَني مَا يُسْرُنِي! فاندفعت وعنت:

هَذَا مَقَامٌ مُطَرَّدٌ هُدِمَتْ مِنْ أَرْزَالِهِ وَدَوْرُهُ [الطويل]

فازداد تطيُّراً، ثم قال لها: وَيَحْكُ انتهي، عَنِّيَني غير هذا، فَعَنَّتْ:

كُلِّبَ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً وَأَيَسَرَ جُرْماً مِنْكَ ضُرِّجَ بِالْدَمِّ [الطويل]

فقال لها: قومي إلى لعنة الله فوثبت وكان بين يديه قدح بلور وكان لحبه إياه سماء باسمه مُحَمَّدًا، فأصابه طَرْفٌ ذيلها فَسَقَطَ على بعض الصواني فأنكسر وتفتت؛ فأقبل علي وقال: أرى والله يا عم أن هذا آخر أيامنا؛ فقلت: كلا بل يُبْقِيكَ الله يا أمير المؤمنين ويسرك؛ قال: ودجلة والله يا بني هادئة ما فيها صوتٌ مجداف ولا أحدٌ يَتَحَرَّكُ وهي كالطست هادئة، فَسَمِعْتُ هَاتِفًا يَهْتَفُ: «قُضِيَ الأَمْرُ الذي فيه تَسْتَفْتِيَانِ». قال: فقال لي: أَسَمِعْتَ مَا سَمِعْتُ يا عم؟ فقلت: وما هو؟ - وقد والله سمعته - فقال: الصوت الذي جاء الساعة من دجلة؛ فقلت: ما سمعتُ شيئاً، وما هذا إلا توهم؛ فإذا الصوت قد عاد يقول: «قُضِيَ الأَمْرُ الذي فيه تَسْتَفْتِيَانِ». فقال: انصرف يا عم بَيْنَكَ الله بخير، فمحال ألا تكون الآن قد سَمِعْتَ مَا سَمِعْتُ؛ فانصرفت، وكان آخر العهد به.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرى ومحمد بن يحيى الصُولِي واللفظ له، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَا الْعَلَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الضَّحَّاكِ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ جَمِيعاً عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عِيسَى بْنِ يَزِيدٍ، قَالَ: وَقَدْ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ، وَكَانَ جَوَاداً، عَلَى مَعَاوِيَةَ، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بِالْبَابِ؛ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَيَرْجِعَنَّ مُعَطِيّاً غَيْرَ مُعْطَى، فَإِنَّهُ الْآنَ قَدْ أَتَانَا يَقُولُ: عَلِيٌّ دَيْنٌ وَعَلِيٌّ كَذَا وَكَذَا؛ يَا غَلَامُ ائْذَنْ لِي، فَأَذِنَ لَهُ؛ فَسَأَلَهُ وَتَحَدَّثَ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنُحِبُّ إِثَارَ مَالِكٍ بِالْوَادِي وَقَدْ أَعْجَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَهَبَهُ لِيَزِيدَ فَعَلْتَ؛ فَقَالَ الْوَلِيدُ: هُوَ لِيَزِيدَ، ثُمَّ خَرَجَ وَجَعَلَ يَخْتَلِفُ إِلَى مَعَاوِيَةَ أَيَّاماً، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا: أَنْظُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي شَأْنِي، فَإِنَّ عَلِيَّ مَوْوَنَةٌ وَقَدْ أَرَهَقَنِي دَيْنٌ؛ فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: أَلَا تَسْتَحِي لِحَسْبِكَ وَنَسَبِكَ تَأْخُذُ مَا تَأْخُذُ فُتَبَدَّرَهُ ثُمَّ لَا تَتَفَكَّرُ تَشْكُو دَيْنًا، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: أَفْعَلُ، ثُمَّ انْطَلَقَ مَكَانَهُ^(١) فَصَارَ إِلَى الْجَزِيرَةِ، فَقَالَ:

(١) يريد أنه انطلق من فوره.

فَإِذَا سُئِلْتَ تَقُولُ لَا وَإِذَا سَأَلْتَ تَقُولُ هَاتِ
تَأْبَى فِعَالِ الْخَيْرِ لَا تُرَوِي وَأَنْتَ عَلَى الْفُرَاتِ
أَفَلَا تَمِيلُ إِلَى نَعَمٍ أَوْ تَرْكُ لَا حَتَّى الْمَمَاتِ
[مجزوء الكامل]

قال: فبلغ معاوية مقدّمه الجزيرة، فخافه وكتب إليه: أن أقبل إلي؛ فكتب إليه:

أَعِفُّ وَأَسْتَحْيِي كَمَا قَدْ أَمَرْتَنِي فَأَعْطِ سِوَايَ مَا بَدَا لَكَ وَأَنْحَلِ
سَاحِدُو رِكَابِي عَنْكَ إِنَّ عَزِيمَتِي إِذَا نَابَنِي أَمْرٌ كَسَلَّةٍ مُنْصَلٍ^(١)
وَإِنِّي أَمْرٌ لِلرَّأْيِ مِنِّي تَطْرُفُ وَلَيْسَ شَبَابُ فُلٍ عَلَيَّ بِمُقْفَلٍ
[الطويل]

ورحل إلى الحجاز، فبعث إليه معاوية بجائزة.

صوت

إنقضت أخبار الوليد بن عقبة.

رُبَّمَا نَبَّهَنِي الْإِخْوَانُ وَاللَّيْلُ بِهَيْمٍ حِينَ غَارَتْ وَتَدَلَّتْ
وَنُعَاسُ اللَّيْلِ فِي عَيْنِي كَالثَّأْوِي مُقِيمٍ فِي مَهَاوِيهَا النُّجُومُ
لَلَّتِي تُعْصِرُ لَمَّا أَيْنَعَتْ مِنْهَا الْكُرومُ
أَنَا بِالرَّيِّ مُقِيمٍ فِي قُرَى الرِّيِّ أَهْيَمُ
مَا أَرَانِي عَنْ قُرَى الرِّيِّ مَدَى دَهْرِي أَرِيمُ
[مجزوء الرمل]

الشعر والغناء لإبراهيم الموصلي. ولحنه المختار ثقیل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. ولإبراهيم أيضاً فيه خفيف ثقیل، وقيل: إنه لابنه إسحاق. وفيه لأحمد بن يحيى المكي ثاني ثقیل بالوسطى عن الهشامي وأحمد بن عبيد.

(١) المنصل: السيف.

نسب إبراهيم الموصلي وأخباره

هو - فيما أخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى المُنْجَم عن حَمَاد عن أبيه، وأخبرني به عبدُ الله بن الرِّبيع عن وَسْوَسةَ، وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي عن أبيه عن جَدِّه وعن حَمَاد عن أبيه - إبراهيم بن ميمون أو ابن ماهان بن بَهْمَن بن نَسَك، وكان سبب نسبه إلى ميمون أنه كتب إلى صديق له فَعَنُونُ كتابه: من إبراهيم بن ماهان؛ فقال له بعضُ فتيان الكوفة: أما تَسْتَحِي من هذا الاسم! فقال: هو اسم أبي؛ فقال: غيره؛ فقال: وكيف أُغَيِّرُه! فأخذ الكتابَ فمحا ماهان وكتب ميمونَ، فَبَقِيَ إبراهيم بن ميمون.

قال إسحاق عن أبيه: وأصلنا من فارس، ولنا بيت شريف في العجم، وكان جَدُّنا ميمون هَرَبَ من جَوْرِ بعضِ عُمَال بني أُمَيَّة، فَتَزَلَّ بالكوفة في بني عبد الله بن دارم، فكان بين إبراهيم وبين وَلَدٍ نَضَلَه بن نَعِيم رَضَاع. وأُمُ إبراهيم امرأة من بنات الدَّهَاقِين^(١) الذين هَرَبُوا من فارس لما هرب ميمون أبو إبراهيم، فَتَزَلُّوا جميعاً بالكوفة في بني عبد الله بن دارم، فَتَزَوَّجَهَا ماهانُ بالكوفة فَوَلَدَتْ إبراهيمَ ومات في الطاعون الجارف^(٢)، وَخَلَفَ إبراهيمَ طفلاً. وكان مولدُ إبراهيم سنة خمس وعشرين ومائة بالكوفة، وتُوفِّي ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، وله ثلاثٌ وستون سنة.

[يتمه]

قال أحمد بن أحمد بن إسماعيل وسوَسة في خبره: ومات ماهان وخَلَفَ

(١) التَّدَهَّقُن: التَّكَيْسُ: قال سيبويه: سألتُه، يعني الخليل، عن دَهْقَان فقال: إن سميته من التَّدَهَّقُن فهو مصروف، وقد قال سيبويه: إنك إن جعلت دَهْقَاناً من الدَّهْق لم تصرفه لأنه فعْلان؛ قال الجوهري: إن جعلت النون أصلية، من قولهم تَدَهَّقَن الرجلُ وله دَهْقَنَةٌ موضع كذا، صرَفْتَه لأنه فَعْلَال. والدَّهْقَان والدَّهْقَان: التاجر، فارسي معرَّب، وهم الدَّهَاقِنَة والدَّهَاقِين.

(٢) تتحدث كتب التاريخ أن الطاعون أصاب المسلمين مرات عدة منها: الأول وكان على عهد النبي، والثاني في عهد عمر، والثالث في الكوفة في زمن أبي موسى الأشعري، والرابع في زمن المغيرة بن شعبة، والخامس الطاعون الذي مات فيه زياد، والسادس حصل في مصر سنة ٦٦هـ، والسابع حصل سنة ٦٩هـ في البصرة، والثامن بالشام سنة تسع وسبعين، ثم الطاعون التاسع الذي أصاب القينات في سنة ٨٦هـ، ثم طاعون غراب الشام سنة ١٢٧هـ، ولعلَّه هو المقصود.

إبراهيم طفلاً، فَكَفَلَهُ آلُ خُزَيْمَةَ بنِ خازم. وقال يحيى بن عليّ في خبره: إِنَّهُ كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ لَمَّا مَاتَ أَبُوهُ سِتْنَانِ أَوْ ثَلَاثَ، وَخَلَفَ مَعَهُ أَخَوَيْنِ لَهُ مِنْ غَيْرِ أُمِّهِ أَكْبَرَ مِنْهُ، فَأَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مَعَ أُمِّهِ وَأَخْوَالِهِ حَتَّى تَرَعَّرَعَ، فَكَانَ مَعَ وَلَدِ خُزَيْمَةَ بنِ خازم فِي الْكُتَّابِ^(١)، فَبِهَذَا السَّبَبِ صَارَ وَلَاؤُهُ لِبَنِي تَمِيمٍ. وَسَأَلَهُ الرَّشِيدُ فَقَالَ: مَا السَّبَبُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ؟ فَأَقْتَصَرَ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ، وَقَالَ: رَبَّنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحْسِنُوا تَرْبِيَتَنَا، وَنَشَأْتُ فِيهِمْ وَكَانَ بَيْنَنَا رِضَاعٌ، فَتَوَلَّوْنَا بِهَذَا السَّبَبِ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: وَيَحْكُ فَمَا أُرَاكَ إِذَا إِلَّا مَوْلَايَ؛ فَقَالَ: فَهَذِهِ وَاللَّهِ قِصَّتِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

[سبب نسبته إلى الموصل]

قال يحيى بن عليّ في خبره: وَكَانَ سَبَبُ قَوْلِهِمْ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيَّ أَنَّهُ لَمَّا نَشَأَ وَاشْتَدَّ، وَأَدْرَكَ، صَحِبَ الْفَتِيَانَ وَاشْتَهَى الْغَنَاءَ فَطَلَبَهُ، وَاشْتَدَّ أَخْوَالُهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَبَلَّغُوا^(٢) مِنْهُ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ إِلَى الْمَوْصِلِ، فَأَقَامَ بِهَا نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى الْكُوفَةِ قَالَ لَهُ إِخْوَانُهُ مِنَ الْفَتِيَانِ: مَرْحَبًا بِالْفَتَى الْمَوْصِلِيِّ، فَلَقَّبَ بِهِ. وَقَالَ أَحْمَدُ فِي خَبَرِهِ: إِنَّ سَبَبَ طَلَبِهِ الْغَنَاءَ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْمَوْصِلِ، فَصَحِبَ جَمَاعَةً مِنَ الصَّعَالِيكِ^(٣) كَانُوا يُصِيبُونَ الطَّرِيقَ وَيُصِيبِيهِ مَعَهُمْ، وَيَجْمَعُونَ مَا يُفِيدُونَهُ فَيَقْصِفُونَ^(٤) وَيَشْرَبُونَ وَيُعْنُونَ، فَتَعَلَّمَ مِنْهُمْ شَيْئًا مِنَ الْغَنَاءِ وَشَدَا، فَكَانَ أَطْيَبَهُمْ وَأَحَذَقَهُمْ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ اشْتَهَى الْغَنَاءَ وَطَلَبَهُ وَسَافَرَ إِلَى الْمَوَاضِعِ الْبَعِيدَةِ فِيهِ. وَذَكَرَ ابْنُ خُرْدَادْبَه وَهُوَ قَلِيلُ التَّحْصِيلِ لَمَّا يَقُولُهُ وَيُضَمُّهُ كُتِبَهُ - أَنَّ سَبَبَ نَسَبِهِ إِلَى الْمَوْصِلِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَكِرَ، كَثِيرًا مَا يُعْنِي عَلَى سَبِيلِ الْوَلَعِ:

أَنَاجَتَ مِنْ طَرَقَ مَوْصِلَ أَحْمَلُ قَلِيلَ خُمْرِيَا

(١) المَكْتَبُ وَالْكِتَابُ: مَوْضِعُ تَعْلِيمِ الْكِتَابِ.

(٢) بَلَغَ الشَّيْءُ يُبَلِّغُ بُلُوغًا، وَبَلَغَتْهُ وَأُبْلَغَتْهُ. وَكَذَلِكَ الْإِبْلَاجُ فِي الرِّسَالَةِ. وَلَهُ بَلَاجٌ وَبُلُغَةٌ وَتَبْلُغٌ: أَيُ كِفَايَةٌ. وَفِي النَّصِّ بِمَعْنَى الْبُلُوغِ فِي إِذِائِهِ وَتَعْنِيفِهِ.

(٣) الصَّعْلُوكُ، كَعُصْفُورٍ: الْفَقِيرُ كَمَا فِي الصَّحَاحِ، زَادَ ابْنُ سَيِّدِهِ: الَّذِي لَا مَالَ لَهُ، زَادَ الْأَزْهَرِيُّ: وَلَا اعْتِمَادَ، قَالَ أَبُو الشُّنَّاسِ:

وَسَائِلَةٌ بِالْعَيْبِ عَنِّي وَسَائِلٍ وَمَنْ يَسْأَلُ الصَّعْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ؟
وَالْجَمْعُ الصَّعَالِيكُ، وَأَنْشَدَ اللَّيْثُ:

إِنْ أَتْبَاعَكَ مَوْلَى السَّوِّءِ يَتَّبِعُهُ لَكَ الصَّعَالِيكُ مَا لَمْ يَتَّخِذْ نَشَبًا
وَتَصْعَلُكَ الرَّجُلُ: افْتَقَرَ وَأَنْشَدَ الْجَوْهَرِيُّ لِحَاتِمِ طَيِّءٍ:

عُنِينَا زَمَانًا بِالتَّصْعَلُوكِ وَالْغِنَى فَكَلَّا سَقَانَاهُ بِكَأْسِيهِمَا الدَّهْرُ

(٤) يَقْصِفُونَ: يَرْقِصُونَ وَيَلْعَبُونَ.

من شارب المملوك فلا بد من سُكْرِيَا^(١)
وما سَمِعْتُ بهذه الحكاية إلا عنه، وإنما ذَكَرْتُها على غَثَائِهَا لِشُهْرَتِهَا عند
الناس، وأنها عندهم كالصحيح من الرواية في نسبة إبراهيم إلى الموصل، فذكرته دالاً
على عواره.

أخبرني الحسين بن يحيى المِرْدَاسِيّ وابنُ أبي الأزهر قالا: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ
إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَسْلَمَ أَبِي إِلَى الْكُتَّابِ فَكَانَ لَا يَتَعَلَّمُ شَيْئاً، وَلَا يَزَالُ يُضْرَبُ
وَيُحْبَسُ وَلَا يَنْجَعُ ذَلِكَ فِيهِ، فَهَرَبَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَهَنَّاكَ تَعَلَّمَ الْغِنَاءَ، ثُمَّ صَارَ إِلَى الرَّيِّ
وَتَعَلَّمَ بِهَا أَيْضاً، وَمَهَرَ وَتَزَوَّجَ هُنَاكَ امْرَأَتَهُ دُوشَارَ - وتفسير هذا الاسم أسدان -
وطال مقامه هناك، وأخذ الغِنَاءَ الْفَارِسِيَّ وَالْعَرَبِيَّ، وَتَزَوَّجَ بِهَا أَيْضاً شَاهَكَ أُمَّ إِسْحَاقَ
ابْنِهِ وَسَائِرَ وَلَدِهِ. قَالَ: وَفِي دُوشَارِ هَذِهِ يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ، وَلَهُ فِيهِ غِنَاءٌ مِنَ الْهَزَجِ:

دُوشَارُ يَا سَيِّدَتِي يَا غَايَتِي وَمُنِيَّتِي
وَيَا سُرُورِي مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ رُدِّي سَنَتِي
[الهمز]

قَالَ إِسْحَاقُ وَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: أَوَّلُ شَيْءٍ أُعْطِيْتُهُ بِالْغِنَاءِ أَنِّي كُنْتُ بِالرَّيِّ أَنَا دِمُّ
أَهْلَهَا بِالسَّوِيَّةِ لَا أَرْزُوهُمْ شَيْئاً، وَلَا أَنْفِقُ إِلَّا مِنْ بَقِيَّةِ مَالٍ كَانَ مَعِيَ انصرفتُ بِهِ مِنْ
الموصل؛ فَمَرَّ بِنَا خَادِمُ أَنْفَذَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ إِلَى بَعْضِ عُمَالِهِ بِرِسَالَةٍ، فَسَمِعَنِي
عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ، فَشَغِفَ بِي وَخَلَعَ عَلَيَّ دُؤَاجَ سَمُورٍ^(٢)، لَهُ قِيَمَةٌ، وَمَضَى
بِالرِّسَالَةِ وَرَجَعَ وَقَدْ وَصَلَهُ الْعَامِلُ بِسَبْعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَكَسَاهُ كُسُوَّةً كَثِيرَةً، فَجَاءَنِي إِلَى
مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ أَسْكُنُهُ فَأَقَامَ عِنْدِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَوَهَبَ لِي نِصْفَ الْكُسُوَّةِ الَّتِي مَعَهُ
وَأَلْفِي دِرْهَمٍ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا اكْتَسَبْتُهُ بِالْغِنَاءِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ هَذِهِ الدَّرَاهِمَ
إِلَّا عَلَى الصَّنَاعَةِ الَّتِي أَفَادَتْنِيهَا، وَوَصَفَ لِي رَجُلٌ بِالْأُبُلَّةِ^(٣) يُقَالُ لَهُ جُؤَانُويَه كَانَ

(١) هذا من الأشعار الشعبية التي كانت سائدة في زمان الكاتب.

(٢) دُؤَاجَ سَمُورٍ: ضرب من الثياب يُتخذ من جلد حيوان يشبه السنور له فراء ثمين، تتخذ للينها
وخفتها وحسنها وقدرتها على التدفئة.

(٣) بضم الهمزة والباء واللام المشددة، مدينة بالعراق بينها وبين البصرة أربعة فراسخ ونهرها الذي في
شمالها، وجانبها الآخر على غربي دجلة، وهي صغيرة المقدار حسنة الديار واسعة العمارة متصلة
بساتين عامرة بالناس المياسير وهم في خصب من العيش ورفاهية. وهي في قول محمد بن سبرين
القرية التي مر بها موسى والخضر عليهما السلام فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما، قالوا: وهم
أبخل أهل قرية وأبعدها من السخاء، ويحكى أن أهلها رغبوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه =

حاذقاً، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَصَحِبْتُ فِتْيَانَهَا، فَأَخَذْتُ عَنْهُمْ وَعَنْتِيهِمْ فَشَغَفُوا بِي .

[إتصاله بالمهدي]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه قال : لما أتيتُ جُوانُويّه لم أصادفه في منزله، فانتظرته حتى جاء، فلما رأيته احتشمتني وكان مَجُوسِيّاً، فأخبرته بِصِنَاعَتِي والحال التي قصدته فيها، فَرَحَّبَ بِي وَأَفْرَدَ لِي جَنَاحاً فِي دَارِهِ، وَوَكَّلَ بِي أُخْتَهُ، فَقَدَّمَتْ إِلَيَّ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ؛ فلما كان العشيّ عاد إلى منزله ومعه جماعة من الفُرسِ ممن يُعَنِّي، فَتَزَلَّتْ إِلَيْهِ، فَجَلَسْنَا فِي مَجْلِسٍ قَدْ صُنِّيَ لَنَا فِيهِ نَبِيذٌ وَأُعِدَّتْ لَنَا فَاكِهَةٌ وَرِيّاحِينُ، فَجَلَسْنَا وَأَخَذُوا فِي شَأْنِهِمْ وَضَرَبُوا وَغَنَوْا، فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَائِدةً؛ وَبَلَغَتِ الثُّوبَةُ إِلَيَّ، فَضَرَبْتُ وَعَنَيْتُ، فَقَامُوا كُلُّهُمْ إِلَيَّ وَقَبَّلُوا رَأْسِي، وَقَالُوا: سَخِرْتَ مِنَّا، نحن إلى تعليمك لنا أحوجُّ منك إلينا، فَأَقَمْتُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَيَّاماً، حَتَّى بَلَغَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ بْنُ عَلِيٍّ خَبْرِي، فَوَجَّهَ إِلَيَّ فَأَحْضَرَنِي وَأَمَرَنِي بِمُلازِمَتِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنِّي لَسْتُ أَتَكَسَّبُ بِالْغِنَاءِ وَإِنَّمَا أَلْتَذُّهُ فَلِذَلِكَ تَعَلَّمْتُهُ، وَأُرِيدُ الْعَوْدَ إِلَى الْكُوفَةِ، فَلَمْ أَتَنْفَعْ بِذَلِكَ عِنْدَهُ وَأَخَذَنِي بِمُلازِمَتِهِ، وَسَأَلَنِي: مَنْ أَيْنَ أَنَا؟ فَانْتَسَبْتُ إِلَى الْمَوْصِلِ، فَلَزِمْتَنِي وَعُرِفْتُ بِهَا؛ وَلَمْ أَزَلْ عِنْدَهُ أَثِيراً مُكْرَماً حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ خَادِمٌ مِنْ خَدَمِ الْمَهْدِيِّ، فَلَمَّا رَأَى عِنْدَهُ قَالَ لَهُ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَحْوَجُ إِلَى هَذَا مِنْكَ، فَدَافَعَهُ عَنِّي، فَلَمَّا قَدِمَ الرَّسُولُ عَلَى الْمَهْدِيِّ سَأَلَهُ عَمَّا رَأَى فِي طَرِيقِهِ وَمَقْصِدِهِ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ذِكْرِي فَوَصَفَنِي لَهُ؛ فَأَمَرَهُ الْمَهْدِيُّ بِالرَّجُوعِ إِلَى مُحَمَّدٍ وَإِشْخَاصِي إِلَيْهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَجَاءَ فَأَشْخَصَنِي إِلَى الْمَهْدِيِّ، فَحَظِيتُ عِنْدَهُ وَقَدَّمَنِي .

[أول هاشميّ صحبه وأول خليفة سمعه]

قال وسواسة في خبره عن إسحاق فَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: كَانَ أَوَّلُ هَاشِمِيٍّ صَحْبَتَهُ عَلِيٌّ بْنُ سَلِيمَانَ بْنِ عَلِيٍّ أَخُو جَعْفَرٍ وَمُحَمَّدٍ، وَكَانَ فَتَاهِمَ ظَرْفاً وَلَهُوَ وَسَمَاحَةً، وَوَصَفَنِي لَهُ جُوانُويّه وَمَضَى بِي إِلَيْهِ، فَوَقَعْتُ مِنْ قَلْبِهِ كُلَّ مَوْقِعٍ. وَأَوَّلُ خَلِيفَةٍ سَمِعَنِي الْمَهْدِيُّ، وَصِفْتُ لَهُ فَأَخَذَنِي مِنْ عَلِيٍّ بْنِ سَلِيمَانَ، وَمَا سَمِعَ قَبْلِي مِنَ الْمُعَنِّينَ أَحَداً سِوَى فُلَيْحِ بْنِ أَبِي الْعَوْرَاءِ وَسَيَّاطٍ، فَإِنَّ الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ وَصَلَهُمَا بِهِ .

= في أن يثبت في المصحف: فأتوا أن يضيفوهما بالتاء المثناة بدل الباء وقالت فرقة: بل القرية أنطاكية، وقيل: هي برقة، ويقال: إنها الجزيرة الخضراء بالأندلس.

[صحبه لابني الخليفة]

قال إسحاق: فَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: كَانَ الْمَهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ فَأَرَادَنِي عَلَى مُلَازِمَتِهِ وَتَرَكَ الشَّرْبَ فَأَبَيْتُ عَلَيْهِ، وَكُنْتُ أَغِيبُ عَنْهُ الْأَيَّامَ، فَإِذَا جِئْتُهُ، جِئْتُهُ مُنْتَشِياً، فَعَاظَهُ ذَلِكَ مِنِّي فَضَرَبَنِي وَحَبَسَنِي، فَحَدَّثْتُ الْكِتَابَةَ وَالْقِرَاءَةَ فِي الْحِجْسِ، ثُمَّ دَعَانِي يَوْمًا فَعَاتَبَنِي عَلَى شُرْبِي فِي مَنَازِلِ النَّاسِ وَالتَّبَذُّلِ مَعَهُمْ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا تَعَلَّمْتُ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ لِلذَّتِي وَعِشْرَتِي لِأَخَوَانِي، وَلَوْ أَمَكَّنِي تَرْكُهَا لَتَرَكْتُهَا وَجَمِيعَ مَا أَنَا فِيهِ لِلَّهِ جَلٌّ وَعِزٌّ، فَعُضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ: لَا تَدْخُلْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ الْبَتَّةَ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمَا لِأَفْعَلَنَّ وَلَا أَصْنَعَنَّ؛ فَقُلْتُ: نَعَمْ، ثُمَّ بَلَغَهُ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا وَشَرِبْتُ مَعَهُمَا، وَكَانَا مُسْتَهْتَرَيْنِ بِالنَّبِيدِ، فَضَرَبَنِي ثَلَاثَةَ سَوَاطِ، وَقَيَّدَنِي وَحَبَسَنِي.

قال أحمد بن إسماعيل في حَبْرِهِ قَالَ عَمِّي إِسْحَاقُ فَحَدَّثَنِي أَبِي: أَنَّهُ كَانَ مَعَهُمَا فِي نَزْهَةٍ لَهُمَا وَمَعَهُمْ أَبَانُ الْخَادِمِ، فَسَعَى بِهِمَا وَبَيَّ إِلَى الْمَهْدِيِّ وَحَدَّثَهُ بِمَا كُنَّا فِيهِ، فَدَعَانِي فَسَأَلَنِي فَأَتَكَّرْتُ، فَأَمَرَ بِي فَجَرَّدْتُ فَضَرَبْتُ ثَلَاثَةَ سَوَاطِ؛ فَقُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي: إِنَّ جُرْمِي لَيْسَ مِنَ الْأَجْرَامِ الَّتِي يَحِلُّ لَكَ بِهَا سَفْكُ دَمِي، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ سِرُّ ابْنِكَ تَحْتَ قَدَمِي مَا رَفَعْتُهُمَا عَنْهُ وَلَوْ قُطِعَتَا، وَلَوْ فَعَلْتُ ذَلِكَ لَكُنْتُ فِي حَالَةِ أَبَانِ السَّاعِي الْعَبْدِ؛ فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ هَذَا ضَرَبَنِي بِالسَّيْفِ فِي جَفْنِهِ^(١) فَشَجَّنِي بِهِ، وَسَقَطَتْ مَغْشِيًّا عَلَيَّ سَاعَةً، ثُمَّ فَتَحْتُ عَيْنِي فَوَقَعَتَا عَلَى عَيْنِي الْمَهْدِيُّ، فَرَأَيْتُهُمَا عَيْنِي نَادِمًا؛ وَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ: خُذْهُ إِلَيْكَ. قَالَ: وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا تَنَاوَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ السَّوْطَ مِنْ يَدِ سَلَامِ الْأَبْرَشِ فَضَرَبَنِي، فَكَانَ ضَرْبُ عَبْدِ اللَّهِ عِنْدِي بَعْدَ ضَرْبِ سَلَامٍ عَافِيَةً، ثُمَّ أَخْرَجَنِي عَبْدُ اللَّهِ إِلَى دَارِهِ وَأَنَا أَرَى الدُّنْيَا فِي عَيْنِي صَفْرَاءَ وَخَضْرَاءَ وَحُمْرَاءَ مِنْ حَرِّ السَّوْطِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شَبِيهًا بِالْقَبْرِ فَيُصَيِّرَنِي فِيهِ؛ فَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بِكَبْشٍ فَذُبَحَ وَسُلِخَ وَأَلْبَسَنِي جِلْدَهُ لَيْسَكُنِ الضَّرْبُ، وَدَفَعَنِي إِلَى خَادِمٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ أَبُو عَثْمَانَ سَعِيدُ التُّرْكِيِّ فَصَيَّرَنِي فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ، وَوَكَّلَ بِي جَارِيَةً لَهُ يُقَالُ لَهَا جَشَّةٌ؛ فَتَأَذَّيْتُ بَنَزُّ كَانَ^(٢) فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ وَبِالْبَقِّ، وَكَانَ فِيهِ حَلِيٌّ^(٣) أُسْتَرِيحُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لِحَشَّةٍ: اطْلُبْ لِي آجِرَةً عَلَيْهَا فَحَمٌ وَكُنْدُرٌ^(٤) يَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الْبَقُّ، فَاتَتَنِي بِذَلِكَ، فَلَمَّا دَخَلْتُ أَظْلَمَ الْقَبْرُ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنَ الْغَمِّ، فَاسْتَرَحْتُ مِنْ أَذَاهُ إِلَى النَّزْرِ فَالْصَّقْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى

(١) الْجَفْنُ: جَفْنُ الْعَيْنِ. وَالْجَفْنُ أَيْضًا: غِمْدُ السَّيْفِ.

(٢) النَّزُّ: مَا يَتَحَلَّبُ مِنَ الْأَرْضِ مِنَ الْمَاءِ.

(٣) الْحَلِي: يَبِيسُ ضَرْبٌ مِنَ الْكَلَأِ يُسَمَّى النَّصِي.

(٤) الْكُنْدُرُ: اللَّبَانُ.

خَفَّ الدُّخَانُ ، فلما طَنَنْتُ أَنِّي قد استرحت ممَّا كُنْتُ فيه ، إذا حَيَّتَانِ مُقْبِلَتَانِ نَحْوِي مِنْ شَقِّ الْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي بِحَفِيفٍ شَدِيدٍ ، فَهَمَمْتُ أَنْ آخِذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الْيُمْنَى وَالْأُخْرَى بِيَدِي الْيَسْرَى فِيمَا عَلَيَّ وَإِمَّا لِي ، ثُمَّ كُفَيْتُهُمَا ، فَدَخَلْنَا مِنَ الثُّقْبِ الَّذِي خَرَجْنَا مِنْهُ ، فَمَكَّنْتُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أُخْرِجْتُ مِنْهُ ؛ وَوَجَّهْتُ إِلَى أَبِي عَثْمَانَ الْخَادِمَ أَسْأَلُهُ أَنْ يَبْعِنِي جَسَّةً لَأُكَافِئَهَا عَمَّا أَوْلَتْنِي فَفَعَلَ ، فَزَوَّجْتُهَا مِنْ حَاجِبٍ لِي ، وَلَمْ تَزَلْ عِنْدَنَا . قَالَ إِسْحَاقُ : مَكَّنْتُ عِنْدَنَا حَتَّى مَاتَتْ ، وَبَقِيَتْ بِنْتُ لَهَا يُقَالُ لَهَا جُمُعَةٌ ، فَزَوَّجْتُهَا مِنْ مَوْلَى لِي فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ .

قال إبراهيم : وَفُلْتُ فِي الْحَبْسِ وَأَنَا مُقَيَّدٌ :

أَلَا طَالَ لَيْلِي أُرَاعِي النُّجُومَ أَعَالِجُ فِي السَّاقِ كَبْلًا ثَقِيلًا
بِدَارِ الْهَوَانِ وَشَرِّ الدِّيارِ أَسَامُ بِهَا الْخَسْفَ صَبْرًا جَمِيلًا
كَثِيرِ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرِّخَاءِ فَلَمَّا حُبِسْتُ أَرَاهِمُ قَلِيلًا
لَطُولِ بِلَائِي مَلِّ الصَّدِيقِ فَلَا يَأْمَنَنَّ خَلِيلٌ خَلِيلًا

[المتقارب]

قال : ثُمَّ أَخْرَجَنِي الْمَهْدِيَّ وَأَحْلَفَنِي بِالطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ وَكُلِّ يَمِينٍ لَا فُسْحَةَ لِي فِيهَا أَلَا أَدْخَلَ عَلَى ابْنِهِ مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدًا وَلَا أَغْنِيَهُمَا ، وَخَلَّى سَبِيلِي .

[تلحين في السجن]

قال : وَصَنَعْتُ ، فِي الْحَبْسِ لِحْنًا فِي شَعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ لَمَّا حَبَسَهُ الْمَهْدِيَّ بِسَبَبِ عُتْبَةَ ، وَهُوَ :

أَيَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ نَجْيِ الْبَلَابِلِ وَيَا وَيْحَ سَاقِي مِنْ قُرُوحِ السَّلَاسِلِ
وَيَا وَيْحَ نَفْسِي وَيَحَهَا نَمَّ وَيَحَهَا أَلَمْ تَنْجُ يَوْمًا مِنْ شِبَاكِ الْحَبَائِلِ
وَيَا وَيْحَ عَيْنِي قَدْ أَضَرَّ بِهَا الْبُكَاءُ فَلَمْ يُغْنِ عَنْهَا طِبُّ مَا فِي الْمَكَاحِلِ
ذَرِينِي أَعْلَلْ نَفْسِي الْيَوْمَ إِنَّهَا رَهِيْنَةٌ رَمَسٍ فِي ثَرَى وَجَنَادِلِ
ذَرِينِي أَعْلَلْ بِالشَّرَابِ فَقَدْ أَرَى بَقِيَّةَ عَيْشِي هَذِهِ غَيْرَ طَائِلِ

[الطويل]

الشعرُ لأبي العتاهية ، وَذَكَرَ حَمَادٌ أَنَّهُ لَجَدَهُ إِبْرَاهِيمَ . وَالْغِنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ رَمْلٌ بِالْوَسْطَى فِي الثَّلَاثَةِ الْآيَاتِ الْأَوَّلِ ، وَلَهُ فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى .

قال حَمَادُ : فَلَمَّا وُلِّيَ مُوسَى الْهَادِي الْخِلَافَةَ اسْتَتَرَ جَدِّي مِنْهُ وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ بِسَبَبِ

الأيمان التي حَلَفَهُ بها المهديّ، فَكَانَتْ مَنَازِلُنَا تُكَبِّسُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَهْلُنَا يُرَوِّعُونَ بِطَلَبِهِ حَتَّى أَصَابُوهُ فَمَضَوْا بِهِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا عَايَنَهُ قَالَ: يَا سَيِّدِي، فَارَقْتُ أُمَّ وَلَدِي وَأَعَزَّ خَلْقَ اللَّهِ عَلَيَّ، ثُمَّ غَنَّا لَحْنَهُ فِي شِعْرِهِ:

يَا بَنَ خَيْرِ الْمُلُوكِ لَا تَتْرُكْنِي عَرَضاً لِلْعَدُوِّ يَرْمِي حِيَالِي
فَلَقَدْ فِي هَوَاكَ فَارَقْتُ أَهْلِي ثُمَّ عَرَضْتُ مُهْجَتِي لِلزَّوَالِ
وَلَقَدْ عَفْتُ فِي هَوَاكَ حَيَاتِي وَتَعَرَّبْتُ بَيْنَ أَهْلِي وَمَالِي

[الخفيف]

الشعرُ والغناءُ لإبراهيم خفيف رَمَلٍ بالوسطى. قال إسحاق: ^(١) فَمَوَّلَهُ ^(١) واللَّهُ الهادي وَحَوَّلَهُ، وَبَحَسْبِكَ أَنَّهُ أَخَذَ مِنْهُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِائَةً وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَلَوْ عَاشَ لَنَا لَبَنَيْنَا حَيْطَانُ دُورِنَا بِالذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ.

[ما وصل إليه من الاموال]

قال حَمَادُ قَالَ لِي أَبِي: نَظَرْتُ إِلَى مَا صَارَ إِلَى جَدِّكَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْغَلَاتِ وَثَمَنٍ مَا بَاعَ مِنْ جَوَارِيهِ، فَوَجَدْتُهُ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ سِوَى أَرْزَاقِهِ الْجَارِيَةِ، وَهِيَ عَشْرَةُ أَلْفِ دَرَاهِمٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ، وَسِوَى غَلَّاتِ ضِيَاعِهِ، وَسِوَى الصَّلَاتِ النَّزْرَةِ الَّتِي لَمْ يَحْفَظْهَا، وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَكْمَلَ مَرْوَةٍ مِنْهُ، كَانَ لَهُ طَعَامٌ مُعَدٌّ فِي كُلِّ وَقْتٍ؛ فَقُلْتُ لِأَبِي: أَكَانَ يُمَكِّنُهُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: كَانَ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثُ شِيَاهٍ: وَاحِدَةٌ مُقَطَّعَةٌ فِي الْقَدُورِ، وَأُخْرَى مَسْلُوخَةٌ وَمُعَلَّقَةٌ، وَأُخْرَى حَيَّةٌ، فَإِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ طَعِمُوا مَا فِي الْقَدُورِ، فَإِذَا فَرَعَتْ قُطِعَتِ الشَّاةُ الْمُعَلَّقَةُ وَنُصِبَتِ الْقَدُورُ وَذُبِحَتِ الْحَيَّةُ فَعُلِّقَتْ وَأُتِيَ بِأُخْرَى فَجُعِلَتْ وَهِيَ حَيَّةٌ فِي الْمَطْبَخِ؛ وَكَانَتْ وَظِيفَتُهُ لَطْعَامِهِ وَطِيبِهِ وَمَا يَتَّخِذُ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ سِوَى مَا كَانَ يُجْرِي وَسِوَى كُسُوتِهِ؛ وَلَقَدْ اتَّفَقَ عِنْدَنَا مَرَّةً مِنَ الْجَوَارِيِ الْوَدَائِعِ لِإِخْوَانِهِ ثَمَانُونَ جَارِيَةً، مَا مِنْهُمْ وَاحِدَةٌ إِلَّا وَيُجْرِي عَلَيْهَا مِنَ الطَّعَامِ وَالْكُسُوءِ وَالطِّيبِ مِثْلَ مَا يُجْرِي لِأَخَصِّ جَوَارِيهِ، فَإِذَا رُدَّتِ الْوَاحِدَةُ مِنْهُمْ إِلَى مَوْلَاهَا وَصَلَّاهَا وَكَسَاهَا، وَمَاتَ وَمَا فِي مَلِكِهِ إِلَّا ثَلَاثَةُ أَلْفِ دِينَارٍ، وَعَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ سَبْعُمِائَةِ دِينَارٍ قُضِيَتْ مِنْهَا.

[محاطة في ثمن بينه وبين الرشيد]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ وَيَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ وَابْنُ الْمَرْزُبَانِ قَالُوا

(١) مَوَّلَهُ: أَعْطَاهُ مَالًا.

أخبرنا حماد بن إسحاق قال: كان أبي يُحَدِّثُ أَنَّ الرَّشِيدَ اشْتَرَى مِنْ جَدِّي جَارِيَةً بَسْتَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَقَامَتْ عِنْدَهُ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ: إِنَّا أَشْتَرِينَا هَذِهِ الْجَارِيَةَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، وَنَحْنُ نَحْسَبُ أَنَّهَا مِنْ بَابَتِنَا^(١) وَلَيْسَتْ كَمَا ظَنَنْتُهَا، وَمَا قَرَّبْتُهَا، وَقَدْ ثَقُلَ عَلَيَّ الثَّمَنُ وَبَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَا بَيْنَكُمَا، فَاذْهَبْ إِلَيْهِ فَسَلْهُ أَنْ يَحْطِنَا مِنْ ثَمَنِهَا سِتَّةَ أَلْفِ دِينَارٍ؛ قَالَ: فَصَارَ الْفَضْلُ إِلَيْهِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَخَرَجَ جَدِّي فَتَلَقَّاهُ؛ فَقَالَ: دَعْنِي مِنْ هَذِهِ الْكَرَامَةِ الَّتِي لَا مُؤَنَّةَ بَيْنَنَا فِيهَا، لَسْتُ مِمَّنْ يُخَدَعُ، وَقَدْ جِئْتُكَ فِي أَمْرِ أَصْدُقْكَ عَنْهُ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ الْخَبَرَ كُلَّهُ؛ فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَ قَدْرَكَ عِنْدِي؛ قَالَ: ذَاكَ أَرَادَ! قَالَ: فَمَالِي كُلُّهُ صَدَقَةٌ فِي الْمَسَاكِينِ إِنْ لَمْ أُضْعِفْهُ لَكَ، قَدْ حَطَّطْتُكَ اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ؛ فَرَجَعَ الْفَضْلُ إِلَيْهِ بِالْخَبَرِ، فَقَالَ: وَيْلَكَ ادْفَعْ إِلَى هَذَا مَالَهُ، فَمَا رَأَيْتُ سُوقَةً قَطُّ أَنْبَلَ نَفْسًا مِنْهُ. قَالَ أَبِي: وَكُنْتُ قَدْ أَتَيْتُ جَدَّكَ فَقُلْتُ: مَا كَانَ لِحَاطِيطَةٍ هَذَا الْمَالِ مَعْنَى وَمَا هُوَ بَقِيلٌ، فَتَعَاوَلَ عَنِّي وَقَالَ: أَنْتَ أَحْمَقُ، أَنَا أَعْرَفُ النَّاسَ بِهِ، وَاللَّهِ لَوْ أَخَذْتُ الْمَالَ مِنْهُ كَمَا^(٢) مَا أَخَذْتُهُ إِلَّا وَهُوَ كَارِهِ، وَيَحْقُدُ ذَلِكَ عَلَيَّ وَكُنْتُ أَكُونُ عِنْدَهُ صَغِيرَ الْقَدْرِ، وَقَدْ مَنَنْتُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْفَضْلِ، انْبَسَطَتْ نَفْسُهُ وَنَشِطَ وَعَظَمَ قَدْرِي عِنْدَهُ، وَإِنَّمَا اشْتَرَيْتُ الْجَارِيَةَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَقَدْ أَخَذْتُ بِهَا أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَلَمَّا حُمِلَ الْمَالُ إِلَيْهِ بَلََا حَاطِيطَةً دَعَانِي فَقَالَ لِي: كَيْفَ رَأَيْتَ يَا إِسْحَاقُ! مَنْ الْبَصِيرُ أَنَا أَمْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ.

حَدَّثَنِي وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادٌ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: لَقِيَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى أَبِي وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ عِنْدِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَا مُتَجَاوِرِينَ فِي الشَّمَاسِيَّةِ^(٣)، فَقَالَ: مَنْ أَيْنَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ؟ أَمِنْ عِنْدِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، غَيْرَ مُعْتَذِرٍ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: خَرُوجٌ مِنْ عِنْدِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى هَذَانِ وَاللَّهِ أَمْرَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ لَكَ! فَقَالَ: وَاللَّهِ لَنْ لَمْ يَكُنْ فِيَّ مَا يَنْتَسِعُ لَكُمَا حَتَّى يَكُونَ الْوَفَاءُ لَكُمَا جَمِيعاً وَاحِداً مَا فِيَّ خَيْرٌ، وَاللَّهِ لَا أَتْرُكُ وَاحِداً مِنْكُمَا لِصَاحِبِهِ، فَمَنْ قَبَلَنِي عَلَى هَذَا قَبَلَنِي، وَمَنْ لَمْ يَقْبَلْنِي فَهُوَ أَعْلَمُ؛ فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى: أَنْتَ عِنْدِي غَيْرُ مُتَّهِمٍ، وَالْأَمْرُ كَمَا قُلْتَ، وَقَدْ قَبِلْتُكَ عَلَى ذَلِكَ.

(١) قَالَ يَعْقُوبُ بْنُ السَّكَيْتِ وَغَيْرُهُ: الْبَابَةُ، عِنْدَ الْعَرَبِ: الْوَجْهَ الَّذِي أُرِيدُهُ وَيُصْلَحُ لِي.

(٢) كَمَلَ الشَّيْءُ يَكْمُلُ كَمَالاً، وَلُغَةٌ أُخْرَى: كَمُلُ يَكْمُلُ فَهُوَ كَامِلٌ فِي اللَّغَتَيْنِ. وَالْكَمَالُ: التَّمَامُ الَّذِي يَجْزَأُ مِنْهُ أَجْزَاؤُهُ، تَقُولُ: لَكَ نَصْفُهُ وَبَعْضُهُ وَكَمَالُهُ.

(٣) الشَّمَاسِيَّةُ: بِالْعِرَاقِ، كَانَ الْمَعْتَصِمُ خَرَجَ مِنْ بَغْدَادٍ يَرْتَادُ مَوْضِعاً لِمَدِينَةِ بَيْنِيهَا فَمَرَّ بِالشَّمَاسِيَّةِ، وَهِيَ خَارِجُ بَغْدَادٍ فَضَاقَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَرْضَها حَتَّى أَتَى مَوْضِعَ سَرٍّ مِنْ رَأْيِ فَأَرْضَاهُ، فَابْتَدَأَ بِنَاقِهَا.

[من السجن إلى مجلس الخليفة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثَنِي إِسْحَاق قال حَدَّثَنِي أَبِي: أَنَّ الرَّشِيدَ غَضِبَ عَلَيْهِ فَقِيدَهُ وَحَبَسَهُ بِالرَّقَّة^(١)، ثُمَّ جَلَسَ لِلشُّرْبِ يَوْمًا فِي مَجْلَسٍ قَدْ زَيْنَهُ وَحَسَّنَهُ، فَقَالَ لِعِيسَى بْنِ جَعْفَرٍ: هَلْ لِمَجْلِسِنَا عَيْبٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، غَيْبَةُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصَلِيِّ عَنْهُ؛ فَأَمَرَ بِأَحْضَارِي فَأَحْضَرْتُ فِي قِيُودِي، فَفُكْتُ عَنِّي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَمَرَهُمْ فَنَاولُونِي عُودًا وَقَالَ: عَنِّي يَا إِبْرَاهِيمَ؛ فَغَنَيْتُهُ:

تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ^(٢) نُعْمَانَ إِنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةِ خَفَرَاتِ^(٣)

[الطويل]

فَاسْتَعَادَهُ وَشَرَبَ وَطَرَبَ، وَقَالَ: هَنَأْتَنِي يَوْمِي وَسَأْهَنْتُكَ بِالصَّلَةِ، وَقَدْ وَهَبْتُ لَكَ الْهَنِيءَ وَالْمَرِيءَ^(٤)؛ فَانْصَرَفْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ عُوضْتُ مِنْهُمَا مَائِي أَلْفَ دِرْهَمٍ.

نسبة هذا الصوت

صوت

تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نُعْمَانَ إِنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةِ خَفَرَاتِ
مَرَّرَ بَفَيْحٍ^(٥) رَائِحَاتٍ عَشِيَّةً يُلْبِّينَ لِلرَّحْمَنِ مُعْتَمِرَاتِ
يُخْمَرْنَ^(٦) أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثَّقَى وَيَقْتُلْنَ بِالْأَلْحَاطِ مُقْتَدِرَاتِ
وَلَمَّا رَأَتْ رَكَبَ النُّمَيْرِيِّ^(٧) أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

[الطويل]

(١) الرقة: مدينة بالعراق مما يلي الجزيرة، وكل أرض إلى جانب واد ينبسط عليها الماء عند المد فهي رقة، وبه سميت المدينة. والرقة واسطة بلاد مضر، ومن مدنها الرها وسروج وشمشاط ورأس العين وغيرها، والرقة على شريعة الفرات في الشمال منه، وعليها سوران، وهي في فحص يبعد عن الجبال على مسافة أكثر من يومين، وفي شرقها جبالان يسميان المنخرين.

(٢) بطن نعمان: واد بين مكة والطائف كثير الأراك.

(٣) ورد في بعض المصادر «عطرات» بدل «خفرات».

(٤) يريد أنه أقطعه ضيعتهما، والهنيء والمريء هما نهران بإزاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما مدينة «واسط الرقة»، كما ورد عند ياقوت الحموي.

(٥) فح: موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال.

(٦) ورد في بعض المصادر «يُخْبِن» بدل «يُخْمَر».

(٧) محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة الثقفي النميري. شاعر غزل، من شعراء العصر الأموي، =

الشعر للنميري الثَّقَفِيّ. والغناء لابن سُرَيْج ثاني ثَقِيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ويحيى المكي وعمرو بن بانه. وَذَكَرَ حَبَش أَنَّ فِيهِ لِعَزَّةَ المِثْلَ لِحَنًا من الثَقِيل الأول.

أخبرني محمد بن مَزِيد وأحمد بن جعفر جَحْظَةَ قَالَا حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ، وَأَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَمِيعًا عَنْ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ خَارِجًا مِنْ قَصْرِهِ الَّذِي عِنْدَ بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ يَرِيدُ قَصْرَهُ الَّذِي بِيَابِ الْبَرْدَانِ^(١) وَهُوَ يَتِمَثَّلُ:

صوت

هَوَى بِتَهَامَةٍ وَهَوَى بِنَجْدٍ فَأَبْلَتَنِي التَّهَائِمُ وَالنُّجُودُ
[الوافر]

قال أبي: فزدته عليه:

أَقِيمْ بَذَا وَأَذْكَرْ عَهْدَ هَذَا فَلِي مَا بَيْنَ دَيْنِ هَوَى جَدِيدُ
[الوافر]

قال: وَصَنَعْتُ فِيهِ لِحَنًا - قال الصُّوْلِيُّ في خبره: وهو من خفيف الثَقِيل - ثم صِرْتُ إِلَيْهِ فَعَنَيْتُهُ إِيَّاهُ؛ فَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ وَبِدَابَّتِهِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَهُ يَوْمَئِذٍ بِسَرَجِهَا وَلِجَامِهَا؛ فَقُلْتُ لَهُ: جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ سَيِّدٍ خَيْرًا، فَإِنَّكَ تَأْتِي الْأَنْفُسَ وَهِيَ شَوَارِدُ فَتَقْرُهَا، وَالْأَهْوَاءَ وَهِيَ سَقِيمَةٌ فَتُصَحِّهَا؛ فَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ أُخْرَى.

قال إبراهيم: ثم ضَرَبَ الدَّهْرُ مَنْ ضَرَبَهُ^(٢)، فَبَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَهُ إِذْ لَقِيَهِ الْعَبَّاسُ ابْنُ الْأَحْنَفِ، وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِ لَشَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ، فَتَرَجَّلَ لَهُ وَأَنشَدَهُ:

= مولده ومنشؤه ووفاته في الطائف. كان كثير التشبيب بزَيْنَبِ أخت الحجاج، وأرق شعره ما قاله فيها من قصيدته التي مطلعها:

تَضُوعُ مَسْكَاً بِطَنِ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نَسْوَةِ عَطْرَاتٍ

وتهدده الحجاج فلم يأبه له النميري. فلما بلغ الحجاج من الشأن ما بلغ طلب النميري، ففر إلى اليمن وأقام بعدن مدة. ثم قصد عبد الملك بن مروان مستجيراً به، فأجاره. وعفا عنه الحجاج على ألا يعود إلى ما كان عليه، توفي سنة ٩٠هـ.

(١) البردان: قرية من قرى بغداد عامرة وهي على شاطئ دجلة الشرقي، وبينها وبين بغداد خمسة فراسخ.

(٢) ضَرَبَ الدَّهْرُ مَنْ ضَرَبَاتِهِ أَي كَذَا وَكَذَا.

بِاللَّهِ يَا غَضَبَانُ إِلَّا رَضِيتُ أَذَاكَرُ لِلْعَهْدِ أَمْ قَدْ نَسِيتُ
[السريع]

فقال: بل ذاكرُ يا أبا الفضل؛ فَأَصَفْتُ إِلَى هذا البيت:

لَوْ كُنْتُ أَبْغِي غَيْرَ مَا تَشْتَهِي دَعَوْتُ أَنْ تُبْلَى كَمَا قَدْ بُلِيتُ
[السريع]

وَصَنَعْتُ فِيهِ لِحْنًا - قَالَ الصُّوْلِيُّ فِي خَبْرِهِ: هُوَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ - قَالَ: وَعَيْنَيْتُهُ بِهِ، فَأَمَرَ لِي بِأَلْفِي دِينَارٍ وَضَحِكَ؛ فَقُلْتُ: مَنْ أَيِّ شَيْءٍ تَضْحَكُ يَا سَيِّدِي؟ لَا زِلْتُ ضَاحِكًا مَسْرُورًا! فَقَالَ: ذَكَرْتُ مَا جَرَى فِي الصَّوْتِ الْأَوَّلِ وَأَنَّهُ كَانَ مَعَ الْجَائِزَةِ دَابَّةً بِسَرَجِهِ وَلِجَامِهِ، وَلَنْ تَنْصَرِفَ اللَّيْلَةَ إِلَّا عَلَى مِثْلِهِ، فَقُمْتُ فَقَبَّلْتُ يَدَهُ؛ فَأَمَرَ لِي بِأَلْفِي دِينَارٍ آخَرِينَ، وَقَالَ: تِلْكَ الْكَرَّةُ شَكَرْتُ عَلَى الْجَائِزَةِ بِكَلَامِ فَرْدَانِكَ، وَالْآنَ شَكَرْتُ بِفِعْلٍ أَوْجَبَ الزِّيَادَةَ، وَلَوْلَا أَنِّي مُضِيقٌ فِي هَذَا الْوَقْتِ لَضَاعَفْتُهَا، وَلَكِنَّ الدَّهْرَ بَيْنَنَا مُسْتَأَنَفٌ جَدِيدٌ.

[غناؤه الرشيد بشعره]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي هَيْبَةُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ الرَّشِيدُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى طُوسَ^(١) بِشَبْدَازَ^(٢) جَلَسَ يَشْرَبُ عِنْدَهُ، فَكَانَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ أَوَّلَ مَنْ غَنَّاهُ، فَابْتَدَأَ بِهَذَا الصَّوْتِ، وَالشَّعْرُ لَهُ:

رَأَيْتُ الدِّينَ وَالْدُّنْيَا مُقِيمَيْنِ بِشَبْدَازِ
أَقَامَا بَيْنَ حَجَّاجٍ وَغَازِ أَيْمَازِ
[الهج]

- وَهُوَ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ - فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَلَمْ يَسْتَحْسِنِ الشَّعْرَ، وَقَالَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمَ صَنَعْتُكَ فِيهِ أَحْسَنَ مِنْ شَعْرِكَ؛ فَحَجَلْ وَقَالَ: يَا سَيِّدِي شَغَلَ خَاطِرِي الْغَنَاءُ فَقُلْتُ لَوْ قَتَيْتُ مَا حَضَرَنِي؛ فَضَحِكَ الرَّشِيدُ مِنْ قَوْلِهِ وَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ.

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ جَدُّكَ مُحِبًّا لِلْأَشْرَافِ كَثِيرِ الْأَصْدِقَاءِ مِنْهُ، حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّشِيدُ لَيَقُولُ كَثِيرًا: مَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَكْثَرَ أَصْدِقَاءَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ.

(١) طوس: مدينة معروفة ما بين الري ونيسابور في أول أعمال خراسان وفيها دُفِنَ هارون الرشيد.

(٢) شنداز: موضع بين حلوان وقرميسين تبعد عن قرميسين يسرة بأقل من فرسخين.

[مُغْنٍ كَاتِبٍ شَاعِرٍ خَطِيبٍ]

قال إسحاق: وما سَمِعْتُ أَحْسَنَ غَنَاءٍ مِنْ أَرْبَعَةٍ: أَبِي، وَحَكَمِ الْوَادِي، وَفُلَيْحِ بْنِ أَبِي الْعَوَاءِ، وَسَيَاطٍ؛ فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا بَلَغَ مِنْ حِدْقِهِمْ؟ قَالَ: كَانُوا يَصْنَعُونَ فَيُحْسِنُونَ، وَيُؤَدُّونَ غَنَاءَ غَيْرِهِمْ فَيُحْسِنُونَ؛ فَقُلْتُ: فَأَيُّهُمْ كَانَ أَحْدَقُ؟ قَالَ: كَانُوا بِمَنْزِلَةِ خَطِيبٍ أَوْ كَاتِبٍ أَوْ شَاعِرٍ يُحْسِنُ صِنَاعَتَهُ، فَإِذَا انْتَقَلَ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا لَمْ يَبْلُغْ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ مِنْ صِنَاعَتِهِ، وَكَانَ جَدُّكَ كَرَجَلٍ مُفَوَّهِ، إِنَّ خَطْبَ أَجْزَلٍ، وَإِنْ كَتَبَ رِسَالَةً أَحْسَنَ، وَإِنْ قَالَ شِعْرًا أَحْسَنَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مِثْلُهُ.

[أَوَّلُ مَنْ عَلَّمَ الْجَوَارِيَّ الْحَسَانَ الْغَنَاءَ]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: حَدَّثَنَا حَمَادٌ عَنْ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ ابْنِ خُرْدَاذْبَةَ، وَأَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ عَنْ عُمَرَ بْنِ شَبَّهٍ جَمِيعًا عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: لَمْ يَكُنْ النَّاسُ يُعَلِّمُونَ الْجَارِيَةَ الْحَسَنَاءَ الْغَنَاءَ، وَإِنَّمَا كَانُوا يُعَلِّمُونَهُ الصُّفْرَ وَالسُّودَّ، وَأَوَّلَ مَنْ عَلَّمَ الْجَوَارِيَّ الْمُثَمَّنَاتِ أَبِي، فَإِنَّهُ بَلَغَ بِالْقِيَانِ كُلِّ مَبْلَغٍ، وَرَفَعَ مِنْ أَقْدَارِهِنَّ. وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو عُيَيْنَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ الْمَهَلَّبِيِّ وَقَدْ كَانَ هَوِيَّ جَارِيَةً يُقَالُ لَهَا أَمَانُ فَأَغْلَى بِهَا مَوْلَاهَا السُّومَ، وَجَعَلَ يُرَدِّدُهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ابْنِهِ فَتَأْخُذُ عَنْهُمَا، فَكُلَّمَا زَادَتْ فِي الْغَنَاءِ زَادَ فِي سَوْمِهِ، فَقَالَ أَبُو عُيَيْنَةَ^(١):

قُلْتُ لَمَّا رَأَيْتُ مَوْلَى أَمَانٍ قَدْ طَغَى سَوْمُهُ بِهَا طَغِيَانَا
لَا جَزَى اللَّهَ الْمَوْصِلِيَّ أَبَا إِسْحَاقَ عَنَّا خَيْرًا وَلَا إِحْسَانَا
جَاءَنَا مُرْسَلًا بُوْحِي مِنَ الشَّيْطَانِ أَغْلَى بِهِ عَلَيْنَا الْقِيَانَا
مِنْ غَنَاءٍ كَأَنَّهُ سَكَّرَاتُ الْحَبِّ يُصْبِي الْقُلُوبَ وَالْآذَانَا
[الخفيف]

وَقَالَ فِيهِ ابْنُ سِيَابَةَ^(٢):

مَا لِإِبْرَاهِيمَ فِي الْعِلْمِ بِهَذَا الشَّانِ ثَانِي
إِنَّمَا عُمَرُ أَبِي إِسْحَاقَ زَيْنٌ لِلزَّمَانِ

(١) أَبُو عُيَيْنَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ، أَبُو الْمُنْهَالِ. عَاشَ فِي نَهَايَةِ الْقَرْنِ الثَّانِي وَبَدَايَةِ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ الْهَجْرِيِّ. يَغْلِبُ عَلَى شِعْرِهِ الْحَمَاسَةُ وَالشَّبَابُ وَحُبُّ الطَّبِيعَةِ، اشتهر بحب فاطمة التي رفضته عندما تقدم لها وتزوجت من آخر. تداخل شعره مع شعر أخيه الأكبر عبد الله.

(٢) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سِيَابَةَ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ.

جَنَّةُ الدُّنْيَا أَبُو إِسْحَاقَ فِي كُلِّ مَكَانٍ
فَإِذَا غَنَّى أَبُو إِسْحَاقَ أَجَابَتْهُ الْمِثْلَانِي
مِنْهُ يُجْنِي ثَمَرُ اللَّهْوِ وَرِيحَانُ الْجَنَانِ
[مجزوء الكامل]

لإبراهيم في هذا الشعر لحنان: خفيف ثقيل بالبنصر، وخفيف رمل بالوسطى
عن عمرو والهشامي.

أخبرني عمي عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي دُعامة^(١) قال: كان سلم الخاسر
عند أبي العتاهية، فأخبره سلم أن الرشيد حبس إبراهيم الموصلي في المطبق^(٢)؛
فأقبل عليه أبو العتاهية فقال:

سَلَمُ يَا سَلَمُ لَيْسَ دُونَكَ سِتْرُ حُبْسِ الْمَوْصِلِيِّ فَالْعَيْشُ مُرٌّ
مَا اسْتَطَابَ اللَّذَاتِ مُذْ سَكَنَ الْمُطْبِقَ رَأْسَ اللَّذَاتِ فِي النَّاسِ حُرٌّ
تَرَكَ الْمَوْصِلِيَّ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ جَمِيعاً وَعَيْشُهُمْ مُقْشَعِرٌّ
حُبْسَ اللَّهِوُ وَالسُّرُورُ فَمَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ يُلْهِى بِهِ أَوْ يَسُرُّ
[الخفيف]

وأنشدني بعض أصحابنا عن ابن المَرْزُبَانِ عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن أبي
فَنَنْ لَأَبِي الْعَتَاهِيَةِ يُخَاطَبُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيَّ لَمَّا حُبِسَ:

أَيَا عَمِّي لِعَمِّكَ يَا خَلِيلِي وَيَا وَيْلِي عَلَيْكَ وَيَا عَوِيلِي
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنَّكَ لَا تَرَانِي وَإِنِّي لَا أَرَاكَ وَلَا رَسُولِي
وَأَنَّكَ فِي مَحَلٍّ أَدَى وَضْنِكَ وَلَيْسَ إِلَيَّ لِقَائِكَ مِنْ سَبِيلِ
وَأَنِّي لَسْتُ أَمْلِكُ عَنْكَ دَفْعاً وَقَدْ فُوجِئْتُ بِالْخَطْبِ الْجَلِيلِ

[الوافر]

[بينه وبين إبراهيم بن المهدي]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويهِ
قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو تَوْبَةَ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْقَطِرَانِيِّ
الْمُعْنِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَبْرِ، وَكَانَ الْمَهْدِيُّ رَبَاهُ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ

(١) هو عليّ بن يزيد أبو دُعامة.

(٢) المطبق وهو السجن تحت الأرض.

قال: انصرفت ليلة من الشَّماسيَّة فَمَرَزْتُ بدار إبراهيم الموصلي، وإذا هو في رَوْشَن^(١) له وقد صَنَعَ لَحْنَهُ:

أَلَا رَبَّ نَدْمَانٍ عَلَيَّ دَمُوعُهُ تَفِيضُ عَلَى الْخَدَّيْنِ سَحَا^(٢) سُجُومُهَا^(٣)
وهو يُعِيدُهُ وَيَلْعَبُ بِهِ بِنَعْمِهِ وَيُكْرِّرُهُ لِتَسْتَوِيَ لَهُ أَجْزَاؤُهُ، وجواريه يَضْرِبْنَ عَلَيْهِ،
فَوَقَفْتُ تَحْتَ الرُّوشَنِ حَتَّى أَخَذْتُهُ ثُمَّ انصرفتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَمَا زِلْتُ أَعِيدُهُ حَتَّى بَلَغْتُ
فِيهِ الْغَايَةَ، وَأَصْبَحْتُ فَعَدَوْتُ إِلَى الشَّمَّاسِيَّةِ وَاجْتَمَعْنَا عِنْدَ الرَّشِيدِ، فَاَنْدَفَعَ إِبْرَاهِيمُ
فَعَنَّاهُ أَوَّلَ شَيْءٍ عَنِّي، فَلَمَّا سَمِعَهُ الرَّشِيدُ طَرَبَ وَاسْتَحْسَنَهُ وَشَرَبَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:
لِمَنْ هَذَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟ قَالَ: لِي يَا سَيِّدِي، صَنَعْتُهُ الْبَارِحَةَ، فَقُلْتُ: كَذَبَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا الصَّوْتُ قَدِيمٌ وَأَنَا أَغْنِيهِ؛ فَقَالَ لِي: غَنِّ يَا حَبِيبِي، فَعَنَيْتُهُ كَمَا عَنَّاهُ؛
فَبُهِتَ إِبْرَاهِيمُ وَغَضِبَ الرَّشِيدُ، وَقَالَ لَهُ: يَا بَنَ الْفَاجِرَةِ! أَتُكْذِبُنِي وَتَدَّعِي مَا لَيْسَ لَكَ!
قَالَ: فَظَلَّ إِبْرَاهِيمُ بِأَسْوَأِ حَالٍ، فَلَمَّا صَلَّيْتُ الْعَصْرَ قُلْتُ لِلرَّشِيدِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
الصَّوْتُ وَحْيَاتِكَ لَهُ وَمَا كَذَبَ، وَلَكِنِّي مَرَزْتُ بِهِ الْبَارِحَةَ وَهُوَ يُرَدِّدُهُ عَلَى جَارِيَةٍ لَهُ
فَوَقَفْتُ حَتَّى دَارَ لِي وَاسْتَوَى فَأَخَذْتُهُ مِنْهُ؛ فَدَعَا بِهِ الرَّشِيدُ وَرَضِيَ عَنْهُ، وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَةِ
آلَافٍ دِينَارٍ.

نسبة هذا الصوت

صوت

أَلَا رَبَّ نَدْمَانٍ عَلَيَّ دَمُوعُهُ تَفِيضُ عَلَى الْخَدَّيْنِ سَحَا سُجُومُهَا
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْكَأْسُ دَارَتْ وَهَرَّهَا رَجَالٌ لَدَيْهَا قَدْ تَخَفَ حُلُومُهَا
[الطويل]

الغناء لإبراهيم رَمَلٌ بِالسَّبَّابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ.

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ طَيَّابِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ

(١) الرُّوشَنُ: الرَّفُّ. أَبُو عَمْرٍو: الرَّفِيفُ الرُّوشَنُ، وَالرُّوشَنُ الْكُوَّةُ.

(٢) قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: السَّاحِيَةُ الْمَطَرَةُ الشَّدِيدَةُ الْوَقْعِ الَّتِي تَقْشُرُ الرِّضَ.

(٣) قَالَ اللَّيْثُ: سَجَمَتِ الْعَيْنُ تَسْجُمُ سُجُومًا، وَهُوَ قَطْرَانُ الدَّمْعِ وَسِيلُهُ، قَلَّ أَوْ كَثُرَ، وَكَذَلِكَ السَّاجِمُ مِنَ الْمَطَرِ، وَتَقُولُ الْعَرَبُ: دَمَعُ سَاجِمٍ، وَقَدْ سَجِمَ سُجُومًا، وَدَمَعُ مَسْجُومٍ: سَجَمَتُهُ الْعَيْنُ سَجْمًا، وَأَمَّا قَوْلُ الْهَذَلِيِّ:

حَتَّى أُتِيحَ لَهُ رَامٌ بِمُحْدَلَةٍ جَشٍّ وَبَيْضٍ نَوَاحِيهِنَّ كَالسَّجَمِ
فَإِنَّ السَّجَمَ هَاهُنَا: مَاءُ السَّمَاءِ، شَبَهُ النَّصَالِ فِي بَيَاضِهَا بِهِ.

الموصلي قال: كان إبراهيم بن المهدي يُقدِّم ابن جامع ولا يُفَضِّل عليه أحداً، فأخبرني إبراهيم بن المهدي قال: كُنَّا في مجلس الرشيد وقد غَلَبَ النيذُّ على ابن جامع، فَعَنَى صوتاً فأخطأ في أقسامه؛ فالتفت إلي إبراهيم فقال: قَدْ خَرِيَ قَدْ خَرِيَ أستاذك فيه! وفهمتُ صدقه فيما قال؛ قال: فَقُلْتُ له: انتبه أيها الشيخ وأعد الصوت، ففطنَ وأعادَهُ وَتَحَفَّظَ فيه وأصاب؛ فَعَضِبَ إبراهيم وأقبل علي فقال:

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ^(١) سَاعِدُهُ رَمَانِي^(٢)

[الوافر]

وَتَنَكَّرَ لي وَحَلَفَ أَلَّا يُكَلِّمَنِي؛ فَقُلْتُ لِلرَّشِيدِ بعد أيام: إِنَّ لي حاجة؛ قال: وما هي؟ قُلْتُ: تأمر إبراهيم الموصلي أن يرضى عني ويعود إلى ما كان عليه؛ فقال: ومن إبراهيم حتى يُطَلَّبَ رِضَاهُ فَقُلْتُ: يا أمير المؤمنين، إِنَّ الذي أُرِيدُهُ منه لا يُنَالُ إلا برضاه؛ فقال: قُمْ إليه يا إبراهيم فَقَبِّلْ رَأْسَهُ؛ فقام إلي لِيَقْبَلَ رَأْسِي، فلما أَكَبَّ علي قال: تَعُودُ؟ قُلْتُ: لا؛ قال: قد رَضِيتُ عَنْكَ رِضاً صحيحاً، وعاد إلى ما كان عليه.

أخبرني أبو الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى قال: سَمِعْتُ جَدِّي علياً يُحَدِّثُ عن إسحاق قال: قال أبي: خَرَجْتُ مع الرشيد إلى الحيرة، فساعة نَزَلَ بها دعا بالغداء فتغدى ثم نام، فاغتنمتُ قائلته فذهبتُ فَرَكِبْتُ أدور في ظهر الحيرة، فَنَظَرْتُ إلى بستان فقصدته فإذا على بابهِ شابٌ حسن الوجه، فاستأذنته في الدخول فَأَذِنَ لي، فَدَخَلْتُ فإذا جَنَّةٌ من الجنان في أحسن ثربة وأغزرها ماءً، فخرَجْتُ فَقُلْتُ له: لمن هذا البستان؟ فَقَالَ: لبعض الأشاعثة^(٣)، فَقُلْتُ لَهُ: أبيع؟ فقال: نعم وهو على سَوِّمٍ^(٤)، فَقُلْتُ: كَمْ بَلَعُ؟ فقال: أربعة عشر ألف دينار، قلت: وما

(١) استد: استقام.

(٢) البيت لمعن بن أوس بن نصر بن زياد المزني. وهو شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، له مدائح في جماعة من الصحابة، رحل إلى الشام والبصرة، وكف بصره في أواخر أيامه، وكان يتردد إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب فيباليغان في إكرامه. له أخبار مع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكان معاوية يفضلُه ويقول: أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس. وهو صاحب لامية العجم التي أولها:

لعمرك ما أدري وإنني لأوجل على أيننا تعدو المنية أول

مات في المدينة سنة ٦٤هـ.

(٣) الأشاعثة: أتباع الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي.

(٤) السَّوِّمُ: سَوِّمُكَ في البيعة، ومنه المساومة والاستيلاء.

يُسَمَّى هذا الموضع؟ قال: شُمَارَى، فقلت:

صوت

جِنَانُ شُمَارَى لَيْسَ مِثْلَكَ مَنْظَرٌ لِذِي رَمَدٍ أَعْيَا عَلَيْهِ طَبِيبٌ
ثُرَابُكَ كَافُورٌ وَنُورُكَ زَهْرَةٌ لَهَا أَرْجٌ بَعْدَ الْهَدُوءِ يَطِيبُ
[الطويل]

قال: وَحَضَرْتَنِي فِيهِ صَنْعَةٌ حَسَنَةٌ؛ فَلَمَّا جَلَسَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ بِالْغِنَاءِ غَنَيْتُهُ إِيَّاهُ أَوَّلَ مَا غَنَيْتُ، فَقَالَ: وَيْلَكَ وَأَيْنَ شُمَارَى؟ فَأَخْبَرْتُهُ الْقِصَّةَ، فَأَمَرَ لِي بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَغَمَزَنِي جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فَقَالَ: خُذْ تَوْفِيقَهُ بِهَا إِلَيَّ؛ وَتَشَاغَلَ الرَّشِيدُ عَنِّي، فَأَعَدْتُ الصَّوْتَ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ أَعْطُوا هَذَا دَنَانِيرَهُ، فَوَثَبْتُ وَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، وَقَعَ لِي بِهَا إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى، فَقَالَ: أَفْعَلْ، وَوَقَعَ لِي بِهَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا حَصَلَ التَّوْقِيعُ عِنْدَ جَعْفَرٍ أَطْلَقَ لِي الْمَالَ وَخَمْسَةَ أَلْفِ دِينَارٍ مِنْ عِنْدِهِ؛ فَلَمَّا حَصَلَ الْمَالُ عِنْدِي كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ وَأَحْسَنَ فِي عَيْنِي مِنْ شُمَارَى.

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الْعَيْنَاءِ قَالَ: خَرَجَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ يَوْمًا مِنْ حَضْرَةِ الرَّشِيدِ^(١) وَمَعَهُ رُقْعَةٌ فِيهَا أَرْبَعَةُ آيَاتٍ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُ كُلَّ مَنْ حَضَرَ مِنْ يَقُولِ الشَّعْرِ أَنْ يُجِيزَهَا، وَهِيَ:

أَهْدَى الْحَبِيبُ مَعَ الْجَنُوبِ سَلَامَهُ فَأَرَدْتُ إِلَيْهِ مَعَ الشَّامِلِ سَلَامًا
وَاعْرِفْ بِقَلْبِكَ مَا تَضُمَّنَ قَلْبُهُ وَتَدَاوَلَا بِهِوَ اكْمَا الْأَيَامَا
فَإِذَا بَكَيْتَ لَهُ فَأَيِّقَنَّ أَنَّهُ سَتَجُودُ أَدْمُعُهُ عَلَيْكَ رِهَامَا

(١) هَارُونُ الرَّشِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ بْنِ الْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيِّ أَبُو جَعْفَرٍ، وَلَدَ سَنَةَ ١٤٩ هـ. وَهُوَ خَامِسُ خُلَفَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي الْعِرَاقِ، وَأَشْهَرُهُمْ، وَلَدَ بِالرَّيِّ، لَمَّا كَانَ أَبُوهُ أَمِيرًا عَلَيْهَا وَعَلَى خِرَاسَانَ، وَنَشَأَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ بِبَغْدَادَ. وَوَلَاهُ أَبُوهُ غَزَا الرُّومَ فِي الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ، فَصَالَحَتْهُ الْمَلِكَةُ إِيرِينِي، وَافْتَدَتْ مِنْهُ مَمْلَكَتَهَا، بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ تَبَعَتْ بِهَا إِلَى خَزَانَةِ الْخَلِيفَةِ فِي كُلِّ عَامٍ. وَبَوَيْعَ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ وَفَاةِ أَخِيهِ الْهَادِي (سَنَةِ ١٧٠ هـ) فَقَامَ بِأَعْبَائِهَا، وَازْدَهَرَتِ الدَّوْلَةُ فِي أَيَّامِهِ وَاتَّصَلَتِ الْمُودَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَلِكِ فَرَنْسَا شَارْلَمَانَ فَكَانَا يَتَهَادِيَانِ التَّحْفَ وَالْهَدَايَا. وَكَانَ الرَّشِيدُ عَالِمًا بِالْأَدَبِ وَأَخْبَارِ الْعَرَبِ وَالْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ، فَصِيحًا، لَهُ شَعْرٌ أَوْرَدَ صَاحِبُ الدِّيَارَاتِ نَمَاجَ مِنْهُ. وَلَهُ مُحَاضَرَاتٌ مَعَ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ، شَجَاعًا كَثِيرَ الْغَزَوَاتِ، يَلْقَبُ بِجَبَّارِ بَنِي الْعَبَّاسِ، حَازِمًا كَرِيمًا مُتَوَاضِعًا، يَحْجُ سَنَةَ وَيَغْزُو سَنَةَ، لَمْ يَرِ خَلِيفَةً أَجُودَ مِنْهُ. كَانَ يَطُوفُ أَكْثَرَ اللَّيَالِي مُتَخَفِيًا، لَمْ يَجْتَمِعْ عَلَى بَابِ خَلِيفَةٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْكَتَّابِ وَالنَّدَمَاءِ كَمَا اجْتَمَعَ عَلَى بَابِهِ. دَامَتْ وَلَايَتُهُ ٢٣ سَنَةً وَشَهْرَيْنِ وَأَيَّامٍ. تَوَفَّى فِي (سَنَابَذٍ) مِنْ قَرْيِ طُوسَ سَنَةَ ١٩٣ هـ، وَبِهَا قَبْرُهُ.

فَأَحْبَسْ دَمَوْعَكَ رَحْمَةً لِدَمَوْعِهِ إِنْ كُنْتَ تَحْفَظُ أَوْ تَحَوِّطُ ذِمَامَا
[الكامل]

فلم يوجد من يُجيزها، فأمر إبراهيم فَعَنَى فيها لحناً من خفيف الثقيل .

[عند خمّار]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْبَصْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: لَمَّا خَرَجَ الرَّشِيدُ إِلَى الرَّقَّةِ
أَخْرَجَ مَعَهُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيَّ، وَكَانَ بِهِ مَشْعُوفًا، فَفَقَدَهُ فِي بَعْضِ الْمَنَازِلِ أَيَّامًا وَطَلَبَهُ
فَلَمْ يُخْبِرْهُ أَحَدٌ بِقَصَّتِهِ، ثُمَّ أَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: وَيَحْكُ مَا خَبَرُكَ وَأَيْنَ كَانَتْ غَيْبَتُكَ. فَقَالَ:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَدِيثِي عَجِيبٌ، نَزَلْنَا بِمَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا، فَوُصِفَ لِي خَمَّارٌ، مِنْ
ظَرْفِهِ وَمِنْ نِظَافَةِ مَنْزِلِهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ، فَتَقَدَّمْتُ أَمَامَ ثَقَلِي^(١) وَأَتَيْتُهُ مُخْفًا، فَوَافَيْتُ أَطِيبَ
مَنْزِلٍ وَأَوْسَعَ رَحْلٍ وَأَطِيبَ طَعَامٍ وَأَسْخَى نَفْسٍ، مِنْ شَابٍّ حَسَنَ الْوَجْهِ ظَرِيفَ الْعِشْرَةِ،
فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَلَمَّا أَرَدْتُ اللَّحَاقَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَقْسَمَ عَلَيَّ وَأَخْرَجَ لِي مِنَ الشَّرَابِ مَا
هُوَ أَطِيبُ وَأَجُودُ مِمَّا رَأَيْتُ، فَأَقَمْتُ ثَلَاثًا، وَوَهَبْتُ لَهُ دَنَانِيرَ كَانَتْ مَعِيَ وَكُسُوءًا،
وَقُلْتُ فِيهِ:

صوت

سَقِيَا لِمَنْزِلِ خَمَّارٍ قَصَفْتُ^(٢) بِهِ
مَا زِلْتُ أَرْهَنُ^(٤) أَثَوَابِي وَأَشْرَبُهَا
حَتَّى إِذَا نَفِذْتُ مِنِّي بِأَجْمَعِهَا
فَقَالَ^(٦) «أَزَلْ بِشَيْنٍ» حِينَ وَدَّعَنِي
وسط^(٣) الرُّصَافَةِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمَيْنِ
صَفْرَاءَ قَدْ عَتَقْتُ فِي الدَّنِّ حَوْلَيْنِ
عَاوَدَتُهُ^(٥) بِالرَّبَادِنَا بَدْنَيْنِ
وَقَدْ لَعَمْرُكَ زَلْنَا عَنْهُ بِالشُّيْنِ
[البسيط]

(١) الثَّقُلُ: واحد الأثقال، مثل حِمْلٍ وَأَحْمَالٍ. ومنه قولهم: أعطه ثِقْلَهُ، أي وزنه. وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾. قالوا: أجساد بني آدم. والثَّقْلُ: ضد الخفة. تقول منه: ثَقُلَ الشَّيْءُ ثِقَلًا، فهو ثَقِيلٌ. والثَّقْلُ، بالتحريك متاع المسافر وَحْشَمُهُ.

(٢) ورد في بعض المصادر «نزلت» بدل «قصفت».

(٣) ورد في بعض المصادر «بين» بدل «وسط».

(٤) ورد في بعض المصادر «أعطيه» بدل «أرهن».

(٥) ورد في بعض المصادر «عاملته» بدل «عاودته».

(٦) ورد في بعض المصادر «وقال لي» بدل «فقال».

- الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر. قوله: «إِزْلُ بشين» كلمة سريانية، تفسيرها: امضِ بِسَلام، دعا له بها لما ودَّعَهُ - قال إبراهيم: فقال لي الرشيد: غَنَّيْ هذا الصوت، فَعَنَّتْهُ إياه وزَمَرَ عليه بِرُصوما، فَوَهَبَ لي الرشيد مائة ألف درهم وأقطعني ضَيْعَةً، وَبَعَثَ إلى الخَمَّارِ فَأَحْضَرَ، وأهدى إلى الرشيد من ذلك الشراب فَوَصَّلَهُ، وَوَهَبَ له إبراهيم عشرة آلاف درهم.

[مع ابن جامع]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزِيد ووَكيع قالوا جميعاً: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ ابْنُ جَامِعٍ يَوْمًا لِأَبِي: رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنِّي وَإِيَّاكَ رَاكِبَانِ فِي مَحْمَلٍ، فَسَفَلْتُ حَتَّى كِدْتُ تَلْصِقُ بِالْأَرْضِ، وَعَلَا الشَّقُّ الَّذِي أَنَا فِيهِ، فَلَأَعْلُوْنَاكَ فِي الْغَنَاءِ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: الرُّؤْيَا حَقٌّ وَالتَّأْوِيلُ بَاطِلٌ، إِنِّي وَإِيَّاكَ كُنَّا فِي مِيزَانٍ، فَرَجَحْتُ بِكَ وَشَالَتُ كِفَّتُكَ وَعَلَوْتُ فَلَصَقْتُ بِالْأَرْضِ، فَلَأَبْقَيْنَ بَعْدَكَ وَلْتَمُوتَنَّ قَبْلِي. قَالَ إِسْحَاقُ: فَكَانَ كَمَا قَالَ أَبِي، عَلَا عَلَيْهِ وَأَفَادَ أَكْثَرَ مِنْ فَوَائِدِهِ، وَمَاتَ ابْنُ جَامِعٍ قَبْلَهُ وَعَاشَ أَبِي بَعْدَهُ.

أخبرني عبد الله بن الرِّبِيعِ الرَّبِيعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي حَدِيْجَةُ بِنْتُ هَارُونَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَتْ حَدَّثَنِي خَمَارُ جَارِيَةِ أَبِي - وَكَانَتْ قَنْدَهَارِيَّةً^(١)، اشترأها جَدِّي عَبْدُ اللَّهِ وَهِيَ صَبِيَّةٌ رِيْضٌ^(٢) مِنْ آلِ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ بِمِائَتِي أَلْفِ دَرَاهِمٍ - قَالَتْ: أَلْقَى عَلَيَّ إِبْرَاهِيمُ الْمُوَصِّلِيُّ لَحْنَهُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

صوت

إِذَا سَرَّهَا أَمْرٌ وَفِيهِ مَسَاءَتِي قَضَيْتُ لَهَا فِيمَا تُرِيدُ عَلَى نَفْسِي
وَمَا مَرَّ يَوْمٌ أَرْتَجِي فِيهِ رَاحَةً فَأَذْكُرُهُ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَى أَمْسٍ
[الطويل]

- الشعرُ لِأَبِي حَفْصِ الشُّطْرَنْجِيِّ^(٣)، وَالْغَنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى -

(١) نسبة إلى قندهار، وهي بلد من بلاد السند أو الهند مشهورة في الفتوح.

(٢) قال الأصمعي وغيره: الرِّيْضُ من الدواب: الذي لم يقبل الرياضة ولم يمهر السيرة، ولم يذلَّ لراكبه فيصرفه كيف يشاء. ويقال: قصيدة رِيْضَةٌ القوافي: إذا كانت صعبة لم يقتضب الشعراء قوافيها ولا عروضها، وأمر رِيْضٌ: إذا لم يُحكم تدبيره.

(٣) عمر بن عبد العزيز، أبو حفص الشُّطْرَنْجِي، مولى بني العباس، كان أبوه أعجمياً من موالي المنصور، ونشأ عمر في دار المهدي، ومع أولاد مواليه، فكان كأحداهم، وتأدَّب، وكان مشغولاً =

فَسَمِعَنِي ابْنُ جَامِعٍ يَوْمًا وَأَنَا أَعْنِيهِ، فَسَأَلَنِي: مِمَّنْ أَخَذْتَهُ؟ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: فَأَعِيدِيهِ، فَأَعْدَتْهُ مِرَارًا، وَمَا زَالَ ابْنُ جَامِعٍ يَتَنَغَّمُ بِهِ مَعِيَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَهُ، ثُمَّ كَانَ كَلِمًا جَاءَنَا قَالَ لِي: يَا صَبِيَّةَ، غَنِّي ذَلِكَ الصَّوْتِ، فَكَانَ صَوْتُهُ عَلَيَّ.

[مع مخارق]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ: قَالَ مَخَارِقُ: أَذِنَ لَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ أَنْ نُقِيمَ فِي مَنَازِلِنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَأَعْلَمَنَا أَنَّهُ مُشْتَغَلٌ فِيهَا مَعَ الْحُرَمِ، فَمَضَى الْجُلَسَاءُ أَجْمَعُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ - وَأَخْبَرَنِي وَسْوَاسَةُ وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ بِهَذَا الْخَبَرِ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَخَارِقَ قَالَ: اشْتَغَلَ الرَّشِيدُ يَوْمًا وَاصْطَبَحَ مَعَ الْحُرَمِ وَقَدْ أَصْبَحَتِ السَّمَاءُ مُتَغَيِّمَةً، فَانْصَرَفْنَا إِلَى مَنَازِلِنَا. وَلَمْ يَذْكُرْ فِي الْخَبَرِ مَا ذَكَرَهُ عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ مِمَّا قَدَّمْتُ ذَكَرَهُ، وَاتَّفَقَا هَاهُنَا فِي أَكْثَرِ الْحِكَايَاتِ، وَاللَّفْظُ فَأَكْثَرُهُ لِرَوَايَةِ ابْنِ الْمَوْصِلِيِّ - قَالَ مَخَارِقُ: وَأَصْبَحَتِ السَّمَاءُ مُتَغَيِّمَةً تَطْشُ طَشًّا خَفِيفًا، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا ذَهَبَ إِلَى أَسْتَاذِي إِبْرَاهِيمَ فَأَعْرِفْ خَبْرَهُ ثُمَّ أَعُودْ، فَأَمَرْتُ مَنْ عِنْدِي أَنْ يُسَوُّوا مَجْلِسًا لَنَا إِلَى وَقْتِ رَجُوعِي، فَجِئْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ فَإِذَا الْبَابُ مَفْتُوحٌ وَالْدَّهْلِيزُ قَدْ كُنِسَ وَالْبُؤَابُ قَاعِدٌ، فَقُلْتُ: مَا خَبَرُ أَسْتَاذِي؟ فَقَالَ: ادْخُلْ، فَدَخَلْتُ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي رِوَاقٍ لَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ قُدُورٌ تُعْرِغِرُ^(١) وَأَبَارِيقُ تَزْهَرُ، وَالسَّتَارَةُ مَنْصُوبَةٌ وَالْجَوَارِي خَلْفُهَا، وَإِذَا قُدَّامَهُ طَسْتُ فِيهِ رِطْلِيَّةٌ وَكُوزٌ وَكَأْسٌ، فَدَخَلْتُ أَتَرَنَّمُ بَعْضَ الْأَصْوَاتِ، وَقُلْتُ لَهُ: مَا بَالُ السَّتَارَةِ لَسْتُ أَسْمَعُ مِنْ وَرَائِهَا صَوْتًا؟ فَقَالَ: اقْعُدْ وَبِحَكَ إِنِّي أَصْبَحْتُ عَلَى الَّذِي ظَنَنْتُ، فَأَتَانِي خَبْرُ ضَيْعَةٍ تَجَاوَرَنِي، قَدْ وَاللَّهِ طَلَبْتُهَا زَمَانًا وَتَمَنَّيْتُهَا فَلَمْ أَمْلِكْهَا، وَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقُلْتُ: وَمَا يَمْنَعُكَ مِنْهَا؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ أَضْعَافَ هَذَا الْمَالِ وَأَكْثَرَ، قَالَ: صَدَقْتُ، وَلَكِنْ لَسْتُ أَطِيبُ نَفْسًا أَنْ أُخْرِجَ هَذَا الْمَالَ، فَقُلْتُ: فَمَنْ يُعْطِيكَ السَّاعَةَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ؟ وَاللَّهِ مَا أَطْمَعُ فِي ذَلِكَ مِنَ الرَّشِيدِ، فَكَيْفَ بِمَنْ

= بلعب الشطرنج، ولمّا مات المهدي انقطع إلى عُلْيَةٍ، وخرج معها لَمَّا زُوِّجَتْ، وعاد معها لَمَّا عادت إلى القصر، وكان يقول لها الأشعار في ما تريده من الأمور بينها وبين إخوتها وبني أخيها من الخلفاء، فتنتحل بعض ذلك، وتترك بعضه. وقال محمد بن الجهم البرمكي: رأيت أبا حفص الشطرنجي، فرأيت منه إنساناً يلهيك حضوره عن كلّ غائب، وتسليك مجالسته عن كل الهموم والمصائب، قربه عُرْسٌ، وحديثه أُنْسٌ، وجدّه لعبٌ، ولعبه جدٌّ، دَيْنٌ ماجنٌ، إن لبسته على ظاهره لبسته مَوْمُوقًا لا تملّه، وإن تبتّعتَه لتَنظُرَ خبرته وقفتَ على مروةٍ لا تطور الفواحش بجنابتها.

(١) غرغرت القدر: صانت عند الغلي.

دونه فقال: اجلس، خُذْ هذا الصوت، ونَقَرْ بقضيب معه على الدَّوَاةِ وألقى عليّ:

نَامَ الْخَلِيُّونَ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ سَقَمٍ وَبِثُّ مِنْ كَثْرَةِ الْأَحْزَانِ لَمْ أَنْمِ
يَا طَالِبَ الْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ مُجْتَهِدًا إِعْمِدْ لِيحْيَى حَلِيفَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ
[البسيط]

- الشعر لأبي النضير^(١)، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثَقِيلَ أَوَّلَ بالبنصر -
قال: فَأَخَذْتُهُ فَأَحْكَمْتُهُ، ثم قال لي: امضِ السَّاعَةَ إِلَى بابِ الْوَزِيرِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ،
فَإِنَّكَ تَجِدُ النَّاسَ عَلَيْهِ وَتَجِدُ الْبَابَ قَدْ فُتِحَ وَلَمْ يَجْلِسْ بَعْدُ، فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ
إِلَيْهِ أَحَدٌ، فَإِنَّهُ سَيُنْكَرُ عَلَيْكَ مَجِيئَكَ وَيَقُولُ: مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ فِي هَذَا الْوَقْتِ؟ فَحَدَّثْتُهُ
بِقَصْدِكَ إِيَّايَ وَمَا أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ خَبَرِ الضَّيْعَةِ، وَأَعْلِمْتُهُ أَنِّي صَنَعْتُ هَذَا الصَّوْتِ
وَأَعْجَبَنِي، وَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا فَلَانَةَ جَارِيَتِهِ، وَأَنِّي أَلْقَيْتُهُ عَلَيْكَ حَتَّى أَحْكَمْتُهُ
لِتَطْرَحَهُ عَلَيْهَا؛ فَيَسِيدَعُو بِهَا وَيَأْمُرُ بِالسَّتَارَةِ أَنْ تُنْصَبَ وَيُوضَعَ لَهُ كُرْسِيٌّ وَيَقُولُ لَكَ:
اطْرَحْهُ عَلَيْهَا بِحَضْرَتِي، فَافْعَلْ وَأَتْنِي بِالْخَبَرِ بَعْدَ ذَلِكَ. قَالَ: فَجِئْتُ بَابَ يَحْيَى
فَوَجَدْتُهُ كَمَا وَصَفَ، وَسَأَلَنِي فَأَعْلَمْتُهُ مَا أَمْرُنِي بِهِ، فَفَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ قَالَهُ لِي إِبْرَاهِيمُ،
وَأَحْضَرَ الْجَارِيَةَ فَأَلْقَيْتُهُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ لِي: تُقِيمُ عِنْدَنَا يَا أَبَا الْمَهْنَأِ أَوْ تَنْصَرِفُ؟
فَقُلْتُ: أَنْصَرِفُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ فَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُذِنَ لَنَا فِيهِ، قَالَ: يَا غُلَامُ، احْمِلْ مَعَ
أَبِي الْمَهْنَأِ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَاحْمِلْ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ثُمَّنْ هَذِهِ
الضَّيْعَةَ، فَحَمَلْتُ الْعَشْرَةَ الْآلَافَ الدِّرْهَمَ إِلَيَّ، وَأَتَيْتُ مَنْزِلِي فَقُلْتُ: أَسْرَ يَوْمِي هَذَا
وَأَسْرَ مِنْ عِنْدِي، وَمَضَى الرَّسُولُ إِلَيْهِ بِالْمَالِ، فَدَخَلْتُ مَنْزِلِي وَنَثَرْتُ عَلَى مِنْ عِنْدِي
مِنْ الْجَوَارِي دِرْهَمٍ مِنْ تِلْكَ الْبَدْرَةِ، وَتَوَسَّدْتُهَا وَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَطَرِبْتُ وَسُرَرْتُ يَوْمِي
كُلَّهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا تَيْنَ أَسْتَاذِي وَلَا عَرَفْنَ خَبْرَهُ، فَاتَيْتُهُ فَوَجَدْتُ الْبَابَ
كَهَيْئَتِهِ بِالْأَمْسِ، وَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ، فَتَرَنَّمْتُ وَطَرِبْتُ فَلَمْ يَتَلَقَ
ذَلِكَ بِمَا يَجِبُ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا الْخَبَرُ؟ أَلَمْ يَأْتِكَ الْمَالُ؟ قَالَ: بَلَى فَمَا كَانَ خَبْرُكَ أَنْتَ
بِالْأَمْسِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا كَانَ وَهَبَ لِي وَقُلْتُ: مَا يَنْتَظِرُ مِنْ خَلْفِ السَّتَارَةِ، فَقَالَ: ارْفَعْ
السَّجْفَ^(٢) فَرَفَعْتُهُ فَإِذَا عَشْرَ بَدَرٍ^(٣)، فَقُلْتُ: وَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ عَلَيْكَ فِي أَمْرِ الضَّيْعَةِ؟

(١) هو عمر بن عبد الملك البصري مولى بني جمح، شاعر من شعراء البصرة.

(٢) سَجْفٌ: السَّجْفُ وَالسَّجْفُ: السُّرُّ. وَأَسْجَفْتُ السُّرَّ، أَي أَرَسَلْتُهُ. وَقَوْلُ النَّابِغَةِ:

خَلَّتْ سَبِيلَ أَتَيْ كَانَ يَحْبِسُهُ وَرَفَعْتُهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالْتَصَدَّ

هِمَا مَصْرَعَا السُّرِّ يَكُونَانِ فِي مَقْدَمِ الْبَيْتِ. وَأَسْجَفَ اللَّيْلُ، مِثْلُ أَسْدَفَ.

(٣) الْبَدْرَةُ كَيْسٌ فِيهِ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ أَوْ أَلْفٌ وَالْجَمْعُ: الْبَدَرُ، وَثَلَاثُ بَدَرَاتٍ.

قال: وَيَحَاكَ مَا هُوَ وَاللَّهِ إِلَّا أَنْ دَخَلْتُ مَنْزِلِي حَتَّى شَحِجْتُ عَلَيْهَا فَصَارَتْ مِثْلَ مَا حَوَيْتُ قَدِيمًا، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ فَتَصْنَعُ مَاذَا! قَالَ: فَمَنْ حَتَّى أَلْقَى عَلَيْكَ صَوْتًا صَنَعْتَهُ يَفُوقُ ذَلِكَ الصَّوْتُ؛ فَقُمْتُ وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَلْقَى عَلَيَّ:

صوت

وَيَفْرَحُ بِالمَوْلُودِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ بُغَاةُ النَّدَى وَالسَّيْفِ وَالرَّمْحِ ذُو النَّصْلِ
وَتَنْبَسِطُ الْأَمَالُ فِيهِ لِفَضْلِهِ وَلَا سِيَمَا إِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ الْفَضْلِ^(١)

[الطويل]

- الشعرُ لأبي النضير. والغناءُ لإبراهيمَ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبنصر عن الهشاميِّ، وذَكَرَ عمرو بن بَانَةَ أَنَّهُ لِإِسْحَاقَ، وَهُوَ الصَّحِيحُ. وفيه خَفِيفٌ ثَقِيلٌ، أَظْنَهُ لِحَنِ إِبْرَاهِيمَ. أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُبَّةَ عَنْ إِسْحَاقَ أَنَّ أَبَاهُ صَنَعَ هَذَا الصَّوْتُ فِي طَرِيقَةِ خَفِيفِ الثَّقِيلِ وَعَرَضَهُ عَلَى الْفَضْلِ، فَاسْتَحْسَنَهُ وَأَمَرَ مَخَارِقًا بِالْقَائِهِ عَلَى جَوَارِيهِ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَرَاقِشٍ وَقَضِيبٍ فَأَخَذَتْهُ عَنْهُ - قَالَ مُخَارِقُ: فَلَمَّا أَلْقَى عَلَيَّ الصَّوْتُ سَمِعْتُ مَا لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهُ قَطُّ، وَصَغُرَ عِنْدِي الْأَوَّلُ فَأَحْكَمْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: انْهَضِ السَّاعَةَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى، فَإِنَّكَ تَجِدُهُ لَمْ يَأْذَنْ لِأَحَدٍ بَعْدُ، وَهُوَ يَرِيدُ الْخُلُوةَ مَعَ جَوَارِيهِ الْيَوْمَ، فَاسْتَأْذِنَ عَلَيْهِ وَحَدَّثَهُ بِحَدِيثِنَا أَمْسَ، وَمَا كَانَ مِنْ أَبِيهِ إِلَيْنَا وَإِلَيْكَ، وَأَعْلَمَهُ أَنِّي قَدْ صَنَعْتُ هَذَا الصَّوْتُ وَكَانَ عِنْدِي أَرْفَعُ مَنْزِلَةً مِنَ الصَّوْتِ الَّذِي صَنَعْتَهُ بِالْأَمْسِ، وَأَنِّي أَلْقَيْتُهُ عَلَيْكَ حَتَّى أَحْكَمْتُهُ وَوَجَّهْتُ بِكَ قَاصِدًا لَتَلْقِيَهُ عَلَى فُلَانَةٍ جَارِيَتِهِ، فَصِرْتُ إِلَى بَابِ الْفَضْلِ فَوَجَدْتُ الْأَمْرَ عَلَى مَا ذَكَرَ، فَاسْتَأْذَنْتُ فَوَصَلْتُ، وَسَأَلَنِي: مَا الْخَبَرُ؟ فَأَعْلَمْتُهُ بِخَبْرِي فِي الْيَوْمِ الْمَاضِي وَمَا وَصَلَ إِلَيَّ وَإِلَيْهِ مِنَ الْمَالِ، فَقَالَ: أَخْزَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ فَمَا أَبْخَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ! ثُمَّ دَعَا خَادِمًا فَقَالَ: اضْرِبِ السَّتَارَةَ فَضْرِبْهَا، فَقَالَ لِي: أَلْقِيهِ، فَلَمَّا غَشِيَتْهُ لَمْ أَتَمَّهُ حَتَّى أَقْبَلَ يَجْرُ مِطْرَفُهُ، ثُمَّ قَعَدَ عَلَى وَسَادَةٍ دُونَ السَّتَارَةِ،

(١) ورد في بعض المصادر: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ قَالَ: لَمَّا وَلَدَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ دَخَلَ النَّاسُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى يَهْتَنُونَ بِهِ وَفِيهِمْ أَبُو النُّضَيْرِ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ:

وَيَفْرَحُ بِالمَوْلُودِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ بُغَاةُ النَّدَى وَالسَّيْفِ وَالرَّمْحِ ذُو النَّصْلِ
وَتَنْبَسِطُ الْأَمَالُ فِيهِ لِفَضْلِهِ

فَأَرْتَجَ عَلَيْهِ فَوْقَ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَجِيزَهُ. فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: يَا أَبَا النُّضَيْرِ تَمِّمْ، قَالَ: أَغْزَى اللَّهُ الْأَمِيرَ. قَالَ: وَيَحَاكَ فَقُلْ:

وَلَا سِيَمَا إِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ الْفَضْلِ
قَالَ: هَذَا وَاللَّهِ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، طَلَبْتُهُ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ وَتَعَلَّتْ بَغِيرُهُ.

وقال: أحسنَ واللهُ أستاذُك وأحسنْتَ أنت يا مخارق، فلم أخرج حتى أخذتهُ الجاريةُ وأحكمتُهُ، فسُرَّ بِذَلِكَ سُروراً شديداً، وقال: أقمْ عندي اليوم؛ فقلتُ: يا سيدي إنما بَقِيَ لنا يومٌ واحدٌ، ولولا أنني أُحِبُّ سرورك لم أخرج من منزلي، فقال: يا غلام احملْ مع أبي المهنأ عشرين ألف درهم واحملْ إلى إبراهيم مائتي ألف درهم، فانصرفتُ إلى منزلي بالمال، ففتحتُ بذرة فتترتُ منها على الجواري وشربتُ وسُررتُ أنا ومن عندي يومنا، فلما أصبحتُ بكرتُ إلى إبراهيم أتعرفُ خبره وأعرفُهُ خبري، فوجدتهُ على الحال التي كان عليها أولاً وآخراً، فدخلتُ أترنمُ وأصفقُ، فقال لي: اذنْ، فقلتُ: ما بقي؟ فقال: اجلس وارفع سَجَفَ هذا الباب فإذا عشرون بذرة مع تلك العشر؛ فقلتُ: ما تنتظرُ الآن؟ فقال: ويحك ما هو والله إلا أن حصلتُ حتى جرت مجرى ما تقدّم؛ فقلتُ: والله ما أظن أحداً نال في هذه الدولة ما نلتهُ فلم تبخلْ على نفسك بشيءٍ تَمَنِّيْتَهُ دهرأ وقد ملكك الله أضعافه! ثم قال: اجلس فخذ هذا الصوت؛ وألقى عليَّ صوتاً أنساني والله صوتي الأولين:

صوت

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ صَبٌّ وَلَيْلَةٌ إِلَى أُمِّ بَكْرٍ لَا تُفِيقُ فَتُقْصِرُ
أُحِبُّ عَلَى الْهَجْرَانِ أَكْنَافَ بَيْتِهَا فَيَا لَكَ مِنْ بَيْتٍ يُحِبُّ وَيُهَجِّرُ
إِلَى جَعْفَرٍ سَارَتْ بِنَا كُلُّ جَسْرَةٍ^(١) طَوَاهَا سُرَاهَا نَحْوَهُ وَالتَّهَجُّرُ
إِلَى وَاسِعٍ لِلْمُجْتَدِينَ فَنَاؤُهُ تَرَوْحُ عَطَايَاهُ عَلَيْهِمْ وَتُبَكِّرُ
[الطويل]

- الشعر لمروان بن أبي حفصة^(٢) يمدحُ به جعفر بن يحيى . والغناء لإبراهيم، ولم تقع إلينا طريقتُهُ - قال مخارق: ثم قال لي إبراهيم: ها سمِعتُ مثلَ هذا؟

(١) الناقة الجسرة: الجريئة على السير، والمصدر الجسارة والجسر.

(٢) مروان بن سلمان بن يحيى بن أبي حفصة، كنيته أبو الهيند أم أبو السمط، ولقبه ذو الكمر، ولد سنة ١٠٥هـ. شاعر عالي الطبقة، كان جدّه أبو حفصة مولى لمروان بن الحكم أعتقه يوم الدار، ولد باليمامة من أسرة عريقة في قول الشعر، وأدرك العصرين الأموي والعباسي، وقد وفد على المهدي فمدحه ثم الهادي من بعده ثم إلى مديح هارون الرشيد ومدح البرامكة وزراء الرشيد. وعلى كثرة ما أصابه من خلفاء بني العباس وعلى يساره، فقد كان بخيلاً بخلاً شديداً، ضربت به الأمثال ورويت عنه الحكايات. ويمتاز شعره بالعراقة والجودة ومتانة الألفاظ وسداد الرأي ودافع بشعره عن العباسيين ودعى إليهم واحتج على خصومهم وعارضهم. وقد دفع ثمن تعصبه للعباسيين حياته، إذ اغتاله بعض المتطرفين من الشيعة العلويين ببغداد سنة ١٨٢هـ.

فَقُلْتُ: ما سَمِعْتُ قَطُّ مثله. فلم يَزَلْ يُرَدِّدُهُ عَلَيَّ حَتَّى أَخَذْتُهُ، ثُمَّ قَالَ لِي: امضِ إِلَى جَعْفَرٍ فَافْعَلْ بِهِ كَمَا فَعَلْتَ بِأَخِيهِ وَأَبِيهِ، قَالَ: فَمَضَيْتُ فَفَعَلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ وَخَبَرْتُهُ مَا كَانَ مِنْهُمَا وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الصَّوْت، فَسَرَّ بِهِ وَدَعَا خَادِمًا فَأَمَرَهُ بِضَرْبِ السَّتَارَةِ وَأَحْضَرَ الْجَارِيَةَ وَقَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّ، ثُمَّ قَالَ: هَاتِ يَا مُخَارِقُ، فاندَفَعْتُ فَأَلْقَيْتُ الصَّوْتَ عَلَيْهَا حَتَّى أَخَذْتُهُ، فَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا مُخَارِقُ وَأَحْسَنَ أَسْتَاذُكَ، فَهَلْ لَكَ فِي الْمَقَامِ عِنْدَنَا الْيَوْمَ؟ فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي هَذَا آخِرُ أَيَّامِنَا، وَإِنَّمَا جِئْتُ لِمَوْقِعِ الصَّوْتِ مِنِّي حَتَّى أَلْقِيْتَهُ عَلَى الْجَارِيَةِ؛ فَقَالَ: يَا غَلَامُ احْمِلْ مَعَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَإِلَى الْمَوْصِلِيِّ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، فَصَرْتُ إِلَى مَنْزِلِي بِالْمَالِ، فَأَقَمْتُ وَمِنْ مَعِيَ مَسْرُورِينَ نَشَرَبُ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا وَنَطْرَبُ، ثُمَّ بَكَرْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَتَلَقَّانِي قَائِمًا وَقَالَ لِي: أَحْسَنْتَ يَا مُخَارِقُ؛ فَقُلْتُ: مَا الْخَبَرُ؟ فَقَالَ: اجْلِسْ فَجَلَسْتُ، فَقَالَ لِمَنْ خَلْفَ السَّتَارَةِ: خُذُوا فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ، ثُمَّ رَفَعَ السَّجْفَ فَإِذَا الْمَالُ، فَقُلْتُ: مَا خَبَرُ الضَّيْعَةِ؟ فَأَدْخَلَ يَدَهُ تَحْتَ مِسْرُورَةٍ^(١) هُوَ مُتَكِيٌّ عَلَيْهَا فَقَالَ: هَذَا صَكُّ الضَّيْعَةِ، سُئِلَ عَنْ صَاحِبِهَا فَوُجِدَ بِبَغْدَادَ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ، وَكَتَبَ إِلَيَّ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تَسْخُو نَفْسًا بِشِرَاءِ الضَّيْعَةِ مِنْ مَالٍ يَحْصُلُ لَكَ وَلَوْ حِيزَتْ لَكَ الدُّنْيَا كُلُّهَا، وَقَدْ ابْتَعْتُهَا لَكَ مِنْ مَالِي وَوَجَّهْتُ لَكَ بِصَكِّهَا، وَوَجَّهَ إِلَيَّ بِصَكِّهَا وَهَذَا الْمَالُ كَمَا تَرَى، ثُمَّ بَكَى وَقَالَ لِي: يَا مُخَارِقُ إِذَا عَاشَرْتَ فَعَاشِرَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ، وَإِذَا خَنَكَرْتَ فَخَنَكَرَ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ، هَذِهِ سِتْمِائَةُ أَلْفٍ وَضِيعَةٌ بِمِائَةِ أَلْفٍ وَسِتُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ لَكَ، حَصَلْنَا ذَلِكَ أَجْمَعُ وَأَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسِي لَمْ أَبْرَحْ مِنْهُ، فَمَتَى يُدْرِكُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ!

[عند الهادي]

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: كَانَ مُوسَى الْهَادِي شَكِسَ^(٢) الْأَخْلَاقَ صَغَبَ الْمِزَاجَ، مِنْ تَوَقَّاهُ وَعَرَفَ أَخْلَاقَهُ أَعْطَاهُ مَا أَمَّلَ، وَمِنْ فَتَحَ فَاهُ فَاتَّفَقَ لَهُ أَنْ يَفْتَحَهُ بَغِيرَ مَا يَهْوَاهُ أَقْصَاهُ وَاطَّرَحَهُ، فَكَانَ لَا يَحْتَاجُ عَنْ نُدْمَائِهِ وَلَا عَنْ الْمُغَنِّينَ، وَكَانَ يُكْثِرُ جَوَائِزَهُمْ وَصِلَاتِهِمْ وَيُؤَاتِيهِمْ^(٣)، فَتَغَنَّى أَبِي عِنْدَهُ يَوْمًا؛ فَقَالَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمَ غَنِّنِي جِنْسًا مِنَ الْغَنَاءِ أَلْذُّ بِهِ وَأَطْرَبُ لَهُ وَلَكَ حُكْمُكَ، فَقَالَ: يَا

(١) المسورة: الوسادة اللينة من الجلد، وفي حديث النبي - ﷺ - : أَنَّهُ كَانَ إِذَا عَرَّسَ بِلَيْلٍ تَوَسَّدَ لَيْتَةً، وَإِذَا عَرَّسَ عِنْدَ الصُّبْحِ نَصَبَ سَاعِدَهُ نَضْبًا وَعَمَدَهَا إِلَى الْأَرْضِ وَوَضَعَ رَأْسَهُ إِلَى كَفِّهِ. اللَّيْتَةُ: الْمُسَوْرَةُ؛ سَمِيَتْ لِلْيَنِيهَا؛ كَأَنَّهَا مُحَفَّقَةٌ مِنْ لَيْتَةٍ.

(٢) الشكس: السيء الأخلاق.

(٣) واطر الصلات: جعل بعضها يتبع بعضاً.

أمير المؤمنين، إن لم يُقابِلني رُحْلُ بَبَرْدِهِ رَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ مَا فِي نَفْسِكَ. قال:
وكنْتُ لَا أَرَاهُ يُصْغِي إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَغَانِي إِصْغَاءَهُ إِلَى النَّسِيبِ وَالرَّقِيقِ مِنْهُ، وَكَانَ
مَذْهَبُ ابْنِ سُرَيْجٍ عِنْدَهُ أَحْمَدُ مِنْ مَذْهَبِ مَعْبُدٍ، فَغَنَيْتُهُ:

وَأَتِي لَتَعْرُونِي لَذِكْرَاكِ هِزَّةً^(١) كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطَرُ^(٢)

[الطويل]

فَضْرَبَ بِيَدِهِ إِلَى جَيْبِ^(٣) دُرَاعَتِهِ^(٤) فَحَطَّهَا ذِرَاعاً، ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ!
زِدْنِي، فَغَنَيْتُ:

فِيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ

[الطويل]

فَضْرَبَ بِيَدِهِ إِلَى دُرَاعَتِهِ فَحَطَّهَا ذِرَاعاً آخَرَ أَوْ نَحْوَهُ، وَقَالَ: زِدْنِي وَيْلَكَ!
أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ، وَوَجِبَ حَكْمُكَ يَا إِبْرَاهِيمَ؛ فَغَنَيْتُ:

هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ الْهُوَى وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ

[الطويل]

فَرَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ: أَحْسَنْتَ، لِلَّهِ أَبُوكَ! هَاتِ مَا تَرِيدُ؛ قُلْتُ: يَا سَيِّدِي،
عَيْنُ مَرْوَانَ بِالْمَدِينَةِ؛ فَدَارَتْ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهُمَا جَمْرَتَانِ، وَقَالَ:
يَا بَنَ اللَّحْنَاءِ أَرَدْتُ أَنْ تَشْهَرَنِي بِهَذَا الْمَجْلِسِ فَيَقُولَ النَّاسُ: أَطْرَبَهُ فَحَكَّمَهُ،
فَتَجْعَلَنِي سَمِراً وَحَدِيثاً! يَا إِبْرَاهِيمَ الْحَرَّانِي: خُذْ بِيَدِ هَذَا الْجَاهِلِ إِذَا قُمْتُ،
فَادْخُلْهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ، فَإِنْ أَخَذَ كُلَّ مَا فِيهِ فَخَلِّهِ وَإِيَّاهُ، فَدَخَلْتُ فَأَخَذْتُ
خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.

(١) ورد في بعض المصادر «فترة» بدل «هزة».

(٢) ينسب هذا البيت لعدد كبير من الشعراء، ولعلَّ ابن منظور قد أخذه من أبي صخر الهذلي، وهو
عبد الله بن سلمة السهمي، من بني هذيل بن مدركة. شاعر، من الفصحاء، كان في العصر
الأموي، موالياً لبني مروان، متعصباً لهم، وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح. وكان قد
حبسه عبد الله بن الزبير عاماً وأطلقه بشفاعة رجال من قريش، توفي سنة ٨٠ للهجرة. وهو
صاحب الأبيات المشهورة التي أولها:

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

(٣) الجيب: الطوق.

(٤) الدراع: جبة مشقوقة المقدم.

نسبة هذا الصوت

صوت

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى [كَلَّ] لَيْلَةٍ
وَيَا هَجَرَ لَيْلَى قَدْ بَلَغْتَ بِي الْمَدَى
وَأَنِّي لَتَعْرُونِي لَذَكَرَاكِ هَزَّةٌ
هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ الْهَوَى
أَمَّا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي
لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أَرَى
فَلَمَّا أَنْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ
وَزِدْتُ عَلَى مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ الْهَجْرُ
كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ
وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ
أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرَهُ أَمْرُ
الْيَفَيْنِ مِنْهَا لَا يَرَوْعُهُمَا الذُّعْرُ^(١)

[الطويل]

- الشعر لأبي صخر الهذلي. والغناء لمعبد، وأول لحنه «ويا هجر ليلي»
وبعده الثاني ثم الأول من الأبيات ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو. ولابن سريج في
السادس والسابع والرابع والخامس ثقيل أول عن الهشامي. ولعريب في السادس
والسابع والرابع والخامس ثقيل أول أيضاً، وللواثق فيها رمل، وهو مما صنعه
الواثق قبلها فعارضته بلحنها. وقد نسب قوم لحن معبد إلى ابن سريج ولحن ابن
سريج إلى معبد.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: اشترى جدك
إبراهيم لجعفر بن يحيى جارية مَعْنِيَةً بمال عظيم، فقال جعفر: أي شيء تُحْسِنُ هذه
الجارية حتى بَلَغَتْ بها هذا المال كُلَّهُ؟ قال: لو لم تُحْسِنَ شيئاً إلا أَنَّهَا تُحْكِي قولي:

لَمَنْ الدِّيَارُ بِبُرْقَةِ الرُّوحَانِ^{(٢)(٣)}

(١) ورد في بعض النسخ «نفر» بدل «الذعر».

(٢) الشعر لابن الرومي. وهو علي بن العباس بن جريج أو جورجيس، الرومي، ولد سنة ٢٢١هـ،
وهو شاعر كبير، من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، كان جده من موالي بني العباس. ولد
ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموماً قيل: دس له السم القاسم بن عبيد الله - وزير المعتضد - وكان
ابن الرومي قد هجاه. قال المرزباني: لا أعلم أنه مدح أحداً من رئيس أو مرؤوس إلا وعاد إليه
فهجاه، ولذلك قُلَّتْ فائدته من قول الشعر وتحاماه الرؤساء وكان سبباً لوفاته سنة ٢٨٣هـ.

(٣) برقة الروحان: روضة باليمامة تنبت الرمث.

لكانت تساويه وزیاده، فَصَحِكَ جعفر وقال: أَفَرَطْتَ!

نسبة هذا الصوت

صوت

لَمَنِ الدِّيارُ بِبُرْقَةِ الرُّوحانِ إِذْ لا نَبِيعُ زَمَاننا بِزَمَانِ
صَدَعَ الغَواني إِذْ رَمِين فَوادَهُ صَدَعَ الزُّجاجةَ ما لَذاكَ تَدانِ
إِنْ زُرْتُ أَهْلَكَ لَمْ أَتُؤَلْ حاجَةً وَإِذا هَجَرْتُكَ شَفَنِي هَجْرانِي

[الطويل]

الغناء لمعبد، فيما ذكره الهشامي وأحمد بن المكي، ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى، ونَسَبَهُ
غيرُهُما إلى حُنين، وقال آخرون: إِنَّهُ لِلْغريض، وَذَكَرَ حَبَش أَنَّهُ لِيَزِيد حوراء. وفيه
لإبراهيم خفيف رمل بالنصر.

[عدد أصواته]

أخبرني الحُسين عن حمّاد قال: قال لي أبي:

صَنَعَ جَدُّكَ تِسْعَمائَةٍ صَوْتٍ، مِنْها دِينَارِيَّةٌ، وَمِنْها دِرْهَمِيَّةٌ، وَمِنْها فَلَسِيَّةٌ، وَمَا رَأَيْتُ
أَكْثَرَ مِنْ صِنْعَتِهِ، فَأَمَّا ثَلْثُمائَةٍ مِنْها فَإِنَّهُ تَقْدِمُ النّاسَ جَمِيعاً فِيها، وَأَمَّا ثَلْثُمائَةٍ، فَشَارِكُوهُ
وَشَارِكُهُمْ فِيها، وَأَمَّا الثَّلْثُمائَةُ الباقِيَّةُ، فَلَعِبٌ وَطَرَبٌ، قال: ثُمَّ أَسْقَطَ أَبِي الثَّلْثُمائَةَ الْآخِرَةَ
بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ غِناءِ أَبِيهِ، فَكان إِذا سُئِلَ عَن صِنْعَةِ أَبِيهِ قال: هِيَ سِتُّمائَةُ صَوْتٍ.

وقال أحمد بن حمدون قال لي إسحاق: من غناء أبي الذي أكرهه وأستزريه
صوتُهُ في شعر العباس بن الأحنف:

أَبْكَى وَمِثْلِي بَكَى مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ

[البسيط]

فما أعلم له فيه معنى إلا استحسانه للشعر، فإنَّ العباس أحسن فيه جداً.

نسبة هذا الصوت

صوت

أَبْكَى وَمِثْلِي بَكَى مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ لَمْ يَخْلُقِ اللّهُ لِي فِي قَلْبِها لِينا

هَلْ تَذَكِّرِينَ^(١) وَتُؤَفِّي عِنْدَ بَابِكُمْ^(٢) نِصْفَ النَّهَارِ وَأَهْلَ الدَّارِ لَاهُونَا

[البسيط]

الشعر للعباس بن الأحنف^(٣)، والغناء لإبراهيم خفيف رَمَلٍ بالوسطى.

أخبرني جَحْظَةُ قال أخبرني حَمَاد بن إِسْحَاق قال: قال رجل لأبي: أخبرني عنك، لم طَعَنْتَ على أبيك في صنعته:

قَالَ لِي فِيهَا عَتِيقٌ مَقَالاً فَجَرْتُ مِمَّا يَقُولُ الدُّمُوعُ

[المديد]

قال: لَأَنَّهُ تَعَرَّضَ لابن عائشة وله في هذا الشعر صنعة، وابن عائشة ممن لا يُعَارِضُ فلم يقاربه، وعلى أن صنعة أبي من جَيْدِ الغناء لو كان صَنَعَهَا في غير هذا الشعر، وَلَكِنَّهَا اقْتَرَنْتْ بصنعة ابن عائشة فلم تقاربها، فَسَقَطَ عندي لذلك.

نسبة هذا الصوت

صوت

قَالَ لِي فِيهَا عَتِيقٌ مَقَالاً فَجَرْتُ مِمَّا يَقُولُ الدُّمُوعُ
قَالَ لِي وَدَّعَ سُلَيْمَى وَدَّعَهَا فَأَجَابَ الْقَلْبُ لَا أَسْتَطِيعُ

[المديد]

الشعر لِعُمَرَ بن أبي ربيعة. والغناء لِمَعْبُدٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بالوسطى عن عمرو، وقيل: إِنَّهُ لابن عائشة. وفيه ثاني ثَقِيلٍ يُنْسَبُ إِلَى الْهُذَلِيِّ. وفيه خفيفٌ ثَقِيلٍ يُنْسَبُ إِلَى ابْنِ عَائِشَةَ وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ.

(١) ورد في بعض «تذكرون» بدل «تذكرين».

(٢) ورد في بعض «داركم» بدل «بابكم».

(٣) العباس بن الأحنف بن الأسود، الحنفي (نسبة إلى بني حنيفة)، اليمامي، أبو الفضل. شاعر غَزَلٍ رقيق، قال فيه البحري: أغزل الناس، أصله من اليمامة بنجد، وكان أهله في البصرة وبها مات أبوه ونشأ ببغداد وتوفي بها، وقيل بالبصرة. خالف الشعراء في طرقهم فلم يمدح ولم يهج بل كان شعره كله غزلاً وتشبيهاً، وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي، قال في البداية والنهاية: أصله من عرب خراسان ومنشؤه ببغداد توفي سنة ١٩٢هـ.

[مع تلميذة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال: حَدَّثَنِي محمد بن عبد الله بن مالك قال: حَدَّثَنِي إسحاق عن أبيه قال: دَخَلْتُ الرَّيَّ^(١) فَكُنْتُ أَلْفَ فِتْيَانًا مِنْ أَهْلِ النَّعَمِ بِهَا وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَنِي، فَطَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ إِلَى أَنْ دَعَانِي أَحَدُهُمْ لَيْلَةً إِلَى مَنْزِلِهِ فَبِتُّ عِنْدَهُ، فَأَخْرَجَ جَارِيَةً لَهُ وَمَدَّ لَهَا سِتَارَةً فَتَعَنَّتْ خَلْفَهَا، فَرَأَيْتُهَا صَالِحَةً الْأَدَاءِ كَثِيرَةَ الرِّوَايَةِ، فَشَوَّقْتَنِي إِلَى الْعِرَاقِ وَذَكَرْتَنِي أَيَّامِي بِهَا، فَدَعَوْتُ بِعُودٍ، فَلَمَّا جِئْتُ بِهِ انْدَفَعْتُ فَعَنَيْتُ صَوْتِي فِي شِعْرِي:

أَنَا بِالرَّيِّ مُقِيمٌ فِي فُرَى الرَّيِّ أَهِيْمُ
[مجزوء الرمل]

وَقَدْ كُنْتُ صَنَعْتُ هَذَا اللَّحْنَ قَدِيمًا بِالرَّيِّ، فَخَرَجَتِ الْجَارِيَةُ مِنْ وَرَاءِ السَّتَارَةِ مُبَادِرَةً إِلَيَّ، فَأَكْبَتْ عَلَى رَأْسِي وَقَالَتْ: أَسْتَاذِي وَاللَّهِ، فَقَالَ لَهَا مَوْلَاهَا: أَيُّ أَسْتَاذِيكَ هَذَا. قَالَتْ: إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ؛ فَإِذَا هِيَ إِحْدَى الْجَوَارِي اللَّاتِي أَخَذَنَ عَنِّي وَطَالَ الْعَهْدُ بِهَا، فَأَكْرَمَنِي مَوْلَاهَا وَبَرَّنِي وَخَلَعَ عَلَيَّ، فَأَقَمْتُ مُدَّةً بَعْدَ ذَلِكَ بِالرَّيِّ وَانْتَشَرَ خَبْرِي بِهَا، ثُمَّ كَتَبَ بِحَمْلِي إِلَى وَالِي الْبَلَدِ فَأُشْخِصْتُ.

[شعره شفيعه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو تَوْبَةَ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْقَطْرَانِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ يَحْيَى الْمَكِّيَّ قَالَ: كُنَّا يَوْمًا بَيْنَ يَدَيِ الْمَهْدِيِّ وَقَدْ حَبَسَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ وَضَرَبَهُ وَأَمَرَ بِأَنْ يُلْبَسَ جُبَّةً صَوْفٍ، وَكَانَ يَخْرُجُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَيَطْرَحُ عَلَى الْجَوَارِي، فَكَتَبَ إِلَيْنَا ذَاتَ يَوْمٍ، وَنَحْنُ مُصْطَبِحُونَ وَقَدْ جَادَتِ السَّمَاءُ بِمَطَرٍ صَيْفٍ، وَبَحْضَرْتَنَا شَيْءٌ مِنْ وَرْدِ مُبَكَّرٍ:

(١) الري: كورة معروفة تنسب إلى الجبل وليست منه بل هي أقرب إلى خراسان، وهي بقرب ديباوند وطبرستان وقومس وجرجان. ولما فتح نعيم بن مقرن الري خرب مدينتها القديمة، وهي التي يقال لها العتيقة، وبنى الري الحديثة. وهي مدينة ليس بعد بغداد في المشرق مدينة أعمر منها إلا نيسابور فإنها أكبر منها عرصة وأوسع رقعة، فأما اشتباك البناء وكثرة العمارة فالري أعمر من نيسابور، ومقدار الري فرسخ في مثله، ويخترقها نهر يقال له روضة، وقدام المسجد الجامع قلعة الري على قنة الجبل صعبة المرتقى متكائة المطلع، فإذا صرت فيها اطلعت على طسوج الري كلها، وأبواب الري باب باطاق يخرج منه إلى الجبال والعراق، وباب بليستان يخرج منه إلى قزوین، وباب كوهك يخرج منه إلى طبرستان، وباب هشام يخرج منه إلى قومس، وباب خراسان يخرج منه إلى قم. وزی أهلها زي العراق ولهم دهاء وتجارا، وبها قبر محمد بن الحسن الفقيه الكوفي وقبر الكسائي وقبر الفزاري المنجم.

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ قَوْمًا مِنْ أَخَوَانِي وَجِيرَانِي
هَنِيئًا لَكُمْ الشُّرْبُ عَلَى وَرْدٍ وَتَهْتَانِ
وَأَنْتِي مُفْرَدٌ وَحَدِي بِأَشْجَانِي وَأَحْزَانِي
فَمَنْ جَفَّ لَهُ جَفْنٌ فَجَفْنَايَ يَسِيلَانِ
[الهنج]

قال: فوقف المهدئي على رُقعته وقرأها فَرَقَّ له وأمر بطلبه في الوقت، ثم أطلقه بعد أيام.

[شغفه جارية]

أخبرني الحسن قال: حَدَّثَنَا هَارُونَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ الْمَكِّي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَتْ لِعَلِيِّ الْيَمَانِيِّ جَارِيَةٌ مَغْنِيَّةٌ فَهَوِيَهَا إِبْرَاهِيمُ وَاسْتُهِمَ بِهَا زَمَانًا، وَقَالَ فِيهَا:

صوت

كُنْتُ حُرًّا فَصِرْتُ عَبْدَ الْيَمَانِيِّ مِنْ هَوَى شَادِنِ هَوَاهِ بَرَانِي
هُوَ نِصْفَانِ مِنْ قَضِيبٍ وَدَغِصٍ^(١) زَانَ صَدَرَ الْقَضِيبِ رُمَّانَتَانِ
[الخفيف]

اللحن لإبراهيم في هذين البيتين ثاني ثَقِيلٍ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو. وَقَدْ زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ الشَّعْرَ لِلْحَسَنِ بْنِ الضَّحَّاكِ.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثَنَا عَمْرٌ بْنُ شَبَّهٍ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: كَانَ بَعْضُ أَهْلِ نَهْيِكَ^(٢) قَدْ تَعَاطَى الْغِنَاءَ، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَحْكَمَهُ شَاوَرَنِي وَأَبِي حَاضِرٌ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ قَبِلْتَ مِنِّي فَلَا تُعَنَّ فَلَسْتُ فِيهِ كَمَا أَرْضَى؛ فَصَاحَ أَبِي عَلِيٌّ صِيحَةً شَدِيدَةً ثُمَّ قَالَ لِي: وَمَا يُدْرِيكَ يَا صَبِي! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ: أَنْتَ يَا حَبِيبِي بَضْدٌ مَا قَالَ، وَإِنْ لَزِمْتَ الصَّنَاعَةَ بَرَعْتَ فِيهَا؛ فَلَمَّا خَلَا بِي قَالَ لِي: يَا أَحْمَقُ! مَا عَلَيْكَ أَنْ يُخْزِيَ اللَّهُ مِائَةَ أَلْفٍ مِثْلَ هَذَا! هَؤُلَاءِ أَغْنِيَاءُ مَلُوكٍ، وَهُمْ يُعَيِّرُونَنَا بِالْغِنَاءِ،

(١) الدَّغِصُ: قِطْعَةٌ مِنَ الرَّمْلِ مُسْتَدِيرَةٌ. أَبُو زَيْدٍ: أَدْعَصَ الْحُرُّ فَلَانًا، أَيَّ قَتَلَهُ فَمَاتَ. كَمَا يَقَالُ: أَهْرَاهُ الْبَرْدُ. وَالِدَّغِصَاءُ: الْأَرْضُ السَّهْلَةُ تَحْمِي عَلَىهَا الشَّمْسُ، فَتَكُونُ رَمَضَاؤُهَا أَشَدَّ مِنْ غَيْرِهَا.

(٢) لَعَلَهُ مِنْ أَسْرَةِ عُثْمَانَ بْنِ نَهْيِكَ أَحَدُ قَوَادِ الْمَنْصُورِ وَالَّذِي كَلَّفَهُ الْمَنْصُورُ قَتْلَ أَبِي مُسْلِمِ الْخُرَاسَانِيِّ حِينَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ.

فَدَعَهُمْ يَنْهَتَكُوا بِهِ وَيُعَيِّرُوا وَيُفْتَضِّحُوا وَيَحْتَاجُوا إِلَيْنَا فَتَنْتَفِعَ بِهِمْ، وَيَبِينُ فَضْلُنَا لَدَى النَّاسِ بِأَمْثَالِهِمْ. قَالَ: وَلَزِمَهُ النَّهْيُ يَأْخُذُ عَنْهُ وَيَبْرُهُ فَيَجْزِلُ، فَكَانَ إِذَا غَنَى فَأَحْسَنَ قَالَ لَهُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، وَإِذَا أَسَاءَ قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ؛ وَكَثُرَ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى عَرَفَ النَّهْيُ مَعْنَاهُ فِيهِ، فَعَنَى يَوْمًا وَأَبَى سَاهٍ عَنْهُ فَسَكَتَ وَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، يَا أَسْتَازِي، أَهَذَا الصَّوْتُ مِنْ أَصْوَاتِ «فِيكَ» أَمْ «عَلَيْكَ»؟ فَضَحِكَ أَبِي وَلَمْ يَكُنْ عَلِيمًا أَنَّهُ قَدْ فَطِنَ لِقَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: وَاللَّهِ لَا أُقْبِلَنَّ عَلَيْكَ حَتَّى تَصِيرَ كَمَا تَشْتَهِي، فَإِنَّكَ ظَرِيفٌ أَدِيبٌ، وَعُنِيَ بِهِ حَتَّى حَسُنَ غَنَاؤُهُ وَتَقَدَّمَ. وَفِيهِ يَقُولُ أَبِي:

أَوْجَبَ اللَّهُ لَكَ الْحَقَّ عَلَى مِثْلِي بِظَرْفِكَ
لَنْ تَرَانِي بَعْدَ هَذَا نَاطِقًا إِلَّا بِوَصْفِكَ
وَتَرَى الْقُوَّةَ فِيمَا تَشْتَهِيهِ بَعْدَ ضَعْفِكَ

[مجزوء الرمل]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ عَنْ إِسْحَاقَ، أَخْبَرَنِي بِهِ الصُّوْلِيُّ عَنْ عَوْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: غَنَى مُخَارِقُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ صَوْتًا فَأَخْطَأَ فِي قِسْمَتِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَعِدْ فَأَعَادَهُ، وَكَانَ الْخَطَأُ خَفِيًّا، فَقُلْتُ لِلرَّشِيدِ: يَا سَيِّدِي، قَدْ أَخْطَأَ فِيهِ؛ فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ: مَا تَقُولُ فِيمَا ذَكَرَهُ إِسْحَاقُ؟ قَالَ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ، وَلَا هَا هُنَا خَطَأٌ، فَقُلْتُ لَهُ: أَتَرْضَى بِأَبِي؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ، وَكَانَ أَبِي فِي بَقَايَا عِلَّةٍ، فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِإِحْضَارِهِ وَلَوْ مَحْمُولًا، فَجِئَ بِهِ فِي مِحْفَةٍ، فَقَالَ لِمُخَارِقَ: أَعِدِ الصَّوْتَ، فَأَعَادَهُ؛ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا إِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا الصَّوْتِ؟ فَقَالَ: قَدْ أَخْطَأَ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ: هَكَذَا قَالَ ابْنُكَ إِسْحَاقَ، وَذَكَرَ أَخِي إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ صَحِيحٌ؛ فَنَظَرَ إِلَيَّ ثُمَّ قَالَ: هَاتُوا دَوَاةً، فَأَتَيْتُ بِهَا وَكَتَبْتُ شَيْئًا لَمْ يَقِفْ عَلَيْهِ أَحَدٌ ثُمَّ قَطَعَهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ، وَقَالَ لِي: اكْتُبْ بِذِكْرِ الْمَوْضِعِ الْفَاسِدِ مِنْ قِسْمَةِ هَذَا الصَّوْتِ، فَكَتَبْتُهُ وَالْقَيْتُهُ فَقَرَأَهُ وَسُرَّ، وَقَامَ فَأَلْقَاهُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ، فَإِذَا الَّذِي قَلْنَاهُ جَمِيعًا مُتَّفَقٌ، فَضَحِكَ وَعَجِبَ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ فِي الْمَجْلِسِ إِلَّا قَرِظٌ وَأَثْنَى وَوَصَفَ، وَلَا أَحَدٌ خَالَفَ إِلَّا خَجَلٌ وَذَلٌّ وَأَذْعَنَ. وَقَالَ أَبِي فِي ذَلِكَ:

لَيْتَ مَنْ لَا يُحْسِنُ الْعِلْمَ كَفَانَا شَرَّ عِلْمِهِ
فَاخْبُرِ الْحَقَّ ابْتِدَاءً وَقِسِ الْعِلْمَ بِفَهْمِهِ
طَيْبُ الرِّيحَانِ لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا بِشَمِّهِ

[مجزوء الرمل]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي هِبَةُ اللَّهِ، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْيَدَ قَالَ:

حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: غَنَّى أَبِي يَوْمًا بِحَضْرَةِ الرَّشِيدِ:

سَلِي هَلْ قَلَانِي مِنْ عَشِيرٍ صَحْبَتُهُ وَهَلْ ذَمَّ رَحْلِي فِي الرَّفَاقِ رَفِيقُ
[الطويل]

فَطَرِبَ واستعاده وأمر له بعشرين ألف درهم، فلما كان بعد سنين، خَطَرَ ببالي ذلك الصوتُ وذكُرْتُ قِصَّتَهُ، فَعَنَيْتُهُ إِيَّاهُ، فَطَرِبَ وَشَرِبَ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا إِسْحَاقُ، كَأَنِّي فِي نَفْسِكَ ذَكُرْتُ حَدِيثَ أَبِيكَ وَأَنِّي أُعْطِيتُهُ أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى هَذَا الصَّوْتِ فَطَمَعْتُ فِي الْجَائِزَةِ! فَضَحِكْتُ ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي مَا أَخْطَأْتُ؛ فَقَالَ: قَدْ أَخَذَ ثَمَنَهُ أَبُوكَ مَرَّةً فَلَا تَطْمَعُ، فَعَجِبْتُ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا سَيِّدِي، قَدْ أَخَذَ أَبِي مِنْكَ أَكْثَرَ مِنْ مَائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ مَا رَأَيْتُكَ ذَكُرْتَ مِنْهَا غَيْرَ هَذَا الْأَلْفِ عَلَى بَحْتِي^(١) أَنَا، فَقَالَ: وَيَحَاكَ! أَكْثَرَ مِنْ مَائَتِي أَلْفَ دِينَارٍ؟ قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ! فَوَجَمَ وَقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذَلِكَ، وَيَحَاكَ! فَمَا الَّذِي خَلَفَ مِنْهَا؟ قُلْتُ: خَلَفَ عَلَيَّ دِينَارًا مَبْلَغُهَا خَمْسَةُ أَلْفِ دِينَارٍ قَضَيْتُهَا عَنْهُ، فَقَالَ: مَا أَدرِي أَتَيْنَا أَشَدَّ تَضْيِيعًا! وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ.

نسبة هذا الصوت

صوت

سَلِي هَلْ قَلَانِي مِنْ عَشِيرٍ صَحْبَتُهُ وَهَلْ ذَمَّ رَحْلِي فِي الرَّفَاقِ رَفِيقُ
وَهَلْ يَحْتَوِي الْقَوْمُ الْكِرَامُ صَحَابَتِي إِذَا غَبَرَ مَخَشِي الْفُجَاجِ عَمِيقُ
وَلَوْ تَعَلَّمِينَ الْغَيْبَ أَيقَنْتِ أَنَّنِي لَكُمْ وَالْهَدَايَا الْمُشْعِرَاتِ صَدِيقُ
[الطويل]

الشعرُ يُنسَبُ إِلَى مُضَرَّسِ بْنِ قُرْطِ الْهَلَالِيِّ وَإِلَى قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ، وَفِيهِ بَيْتٌ يُقَالُ: إِنَّهُ لَجَرِيرٌ. وَالْغِنَاءُ مُخْتَلَطٌ فِي أَشْعَارِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورِينَ، وَنَسَبَتُهُ تَأْتِي فِي أَخْبَارِ قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ، إِلَّا أَنَّ الْغِنَاءَ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَبْيَاتِ لِمَعْبَدٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ.

[الحن في المنام]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي نَشْوَةُ الْأَشْنَانِيَةِ قَالَتْ: أَخْبَرَنِي أَبُو عَثْمَانَ يَحْيَى الْمَكِّيَّ قَالَ: تَشَوَّقُ يَوْمًا إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيَّ إِلَى

(١) الْبُحْتُ وَالْبُحْتِي: دَخِيلَانِ وَهِيَ الْإِبِلُ الْخُرَّاسَانِيَّةُ. وَالْبُحْتُ: الْحَظُّ - مُعَرَّبٌ - .

سرداب له، وكانت فيه بركة ماء تَدْخُلُ من موضع إليه وتخرج إلى بستان، فقال: أشتهي أن أشربَ يومي وأبيتَ ليلتي في هذا السرداب ففعلَ ذلك، فبينما هو نائم في نصف الليل فإذا سنُورتان^(١) قد نزلتا من درجة السرداب، بيضاء وسوداء، فقالت إحداهما: أترأه نائماً؟ فقالت السوداء: هو نائم؛ فاندفعت السوداء فَعَنَّتْ بأحسن صوت:

عَفَا مُزَجَّ^(٢) إِلَى لَصَقٍ^(٣) إِلَى الْهَضَبَاتِ مِنْ هَكِرٍ^{(٤)(٥)}
إِلَى قَاعِ النَّقِيرِ^(٦) إِلَى قَرَارٍ جَلَالٍ^(٧) ذِي حَدَرٍ
[مجزوء الوافر]

قال: فمات إبراهيمُ فرحاً وقال: يا ليتهما أعاده! فأعاداه مراراً حتى أخذه، ثم تحرك فقامت السنُورتان، وسمع إحداهما تقول للأخرى: واللّه لا طَرَحَهُ على أحد إلا جُنَّ، فَطَرَحَهُ من غدٍ على جارية له فَجُنَّتْ.

نسبة هذا الصوت

الغناء فيه لمالكٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى عن يحيى المكيّ وعمرو بن بانه.

[إنالته من اصحاب الحوائج]

أخبرني الحسن بن عليّ وعمي قالوا: حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدَّثَنِي محمد بن عبد الله بن مالك قال: حَدَّثَنِي أبو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال: أَتَيْتُ الفضل بن يحيى يوماً، فَقُلْتُ له: يا أبا العباس، جُعِلْتُ فِدَاكَ هَبْ لي دراهمَ فَإِنَّ الخليفة قد حَبَسَ يَدَهُ، فقال: وَيَحَكَ يا أبا إسحاق! ما عندي مال أرضاه لك، ثم قال: هاه! إِلَّا أَنْ هَا هُنَا خَصْلَةٌ أَنَا رَسُولُ صاحب اليمن فقضينا حوائجَهُ، وَوَجَّهَ إلينا

(١) السُّورُ: السلاح الذي يُلبَسُ، وقيل: هي الدُّرْعُ خاصةً. والسُّنُورُ: الهرُّ الذَّكْرُ، والأنثى سِنُورَةٌ، والسَّارُ لُغَةٌ فيه. والعَظْمُ الشَّخِصُ في العُنُقِ مِمَّا يَلِي الكاهِلَ. وَأَصْلُ العُنُقِ المَعْرُورُ في الصُّلْبِ. والسُّرُ: شَرَاةٌ في الخُلُقِ.

(٢) مزج: ماء بينه وبين المدينة ثلاثون فرسخاً أو نحوها.

(٣) لعلَّ حصل تصحيف لهذه الكلمة والمقصود لصف، وهو بركة غربي طريق مكة بين المغيثة والعقبة وعلى ثلاثة أميال من صبيب غربي واقصة.

(٤) ينسب هذا الشعر للأحوص الأنصاري.

(٥) هكر: موضع على نحو أربعين ميلاً من المدينة.

(٦) النقير: موضع بين الإحساء والبصرة.

(٧) الحدر: ما انحدر من الأرض وهو الصبيب.

بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبتنا، فما فعلت ضياءَ جاريتك؟ قلتُ: عندي، جعلتُ فداك، قال: فهو ذا، أقول لهم يشترونها منك فلا تنقصها من خمسين ألف دينار، فقَبَلْتُ رأسَهُ ثم انصرفتُ، فَبَكَرَ عليَّ رسول صاحب اليمن ومعه صديق لي، فقال: جاريتك فلانة عندك؟ فقلتُ: عندي؛ فقال: اعرضها عليّ، فأخرجتها، قال: بِكُمْ؟ قلتُ: بخمسين ألف دينار ولا أنقص منها ديناراً واحداً، وقد أعطاني بها الفضل بن يحيى أمس هذه العطية؛ فقال لي: أريدها له، فقلتُ له: أنت أعلم، إذا اشتريتها فصيرها لمن شئت؛ فقال لي: هل لك في ثلاثين ألف دينار مُسَلَّمة لك؟ قال: وكان شراء الجارية على أربعمئة دينار، فلما وَقَعَ في أذني ذِكْرُ ثلاثين ألفاً أرتج عليّ ولَحَقَنِي زَمْعٌ^(١)، وأشار عليّ صديقي الذي معه بالبيع، وخِفْتُ واللَّهِ أن يحدث بالجارية حَدَثٌ أو بي أو بالفضل بن يحيى، فسلمتها وأخذتُ المال؛ ثم بَكَرْتُ على الفضل بن يحيى، فإذا هو جالس وحده؛ فلما نَظَرَ إِلَيَّ ضَحِكَ، ثم قال لي: يا ضَيْقُ الحَوصلة^(٢) حَرَمْتَ نفسك عشرين ألف دينار؛ فقلتُ له: جعلتُ فداك، دَغْ ذا عنك، فواللَّهِ لقد دَخَلَنِي شيء أعجز عن وصفه وخفت أن تحدث بي حادثة أو بالجارية أو بالمشتري أو بك، أعاذك الله من كل سوء، فبادرتُ بقبول الثلاثين ألف دينار؛ فقال: لا ضَيْرَ، يا غلام جئ بالجارية، فجاء بجاريتي بعينها، فقال: خُذْها مُباركاً لك فيها، فإنما أردنا منفعتك ولم نُردِ الجارية؛ فلما نَهَضْتُ، قال لي: مكانك، ونفذنا كتبه، وذكر انه قد جاءنا بثلاثين ألف دينار يشتري لنا بها ما نحب، فاعرض عليه جاريتك هذه ولا تنقصها من ثلاثين ألف دينار؛ فانصرفت بالجارية وبَكَرَ إليَّ رسول صاحب إرمينية ومعه صديق، لي آخر، فقاولني بالجارية، فقلتُ: لست أنقصها من ثلاثين ألف دينار، فقال لي: معي على الباب عشرون ألف دينار تأخذها مُسَلَّمة، بارك الله لك فيها؛ فدَخَلَنِي واللَّهِ مثل الذي دخلني في المَرَّةِ الأولى وخِفْتُ مثل خوفي الأول، فسَلَّمْتُها وأخذتُ المال؛ وبَكَرْتُ على الفضل بن يحيى فإذا هو وحده؛ فلما رَأَيْتُ ضَحِكَ وَضَرَبَ بِرِجْلِهِ الأرض وقال: ويحك! حَرَمْتَ نفسك عشرة آلاف دينار؛ فقلتُ: أصلحك الله، خِفْتُ واللَّهِ ما خِفْتُ في المَرَّةِ الأولى؛ قال: لا ضَيْرَ، أخرج يا غلام جاريتك؛ فَجَاءَ بجاريتي بعينها، فقال: خُذْها، ما أردناها ولا أردنا إلا منفعتك، فلما وَلَّتِ الجارية صَحْتُ بها: ارجعي فَرَجَعْتُ، فقلتُ: أشهدك، جعلتُ فداك، أنها حُرَّة لوجه الله وأني قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم، كَسَبَتْ لي في

(١) أصابه زمع: رعدة من الخوف أو النشاط يقال: زمع زمعاً.

(٢) ضيق الحوصلة: كناية عن التسرع وشدة الحرص.

يومين خمسين ألف دينار، فما جزاؤها إلا هذا، فقال: وَفَّقْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

[عند خمار]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال: حَدَّثَنِي محمد بن عبد الله بن مالك قال: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قال: قال لي أبي: كُنْتُ فِي شَبَابِي الْأَزْمُ أَصْحَابُ قُطْرُبُلْ^(١) وَبَارِي^(٢) وَبَنِي^(٣) وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْمَنَازِلَ، فَأَتَخَذُ فِيهِمُ الْخَمَّارَ اللَّطِيفَ، يَحْسِبُونِي بِالْشَّرَابِ الْجَيِّدِ وَيَخْبِؤُهُ لِي، فَجِئْتُ إِلَى بَارِي يَوْمًا فَلَقَّيْنِي خَمَّارِي، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا إِسْحَاقَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ بَابَتِكَ، وَقَدْ كُنْتُ عَمِلْتُ لَخْنِي هَذَا:

صوت

إِشْرَبِ الرَّاحَ وَكُنْ فِي شُرْبِكَ الرَّاحَ وَفُورًا
فَاشْرَبِ الرَّاحَ رَوَاحًا وَظِلَامًا وَبُكُورًا
[الرجز]

- الشعر والغناء لإبراهيم خفيفٌ ثَقِيلٌ بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه لمنصور زَلَزَلَ الضَّارِبَ خَفِيفٌ رَمَلَ عَنْ حَبَشٍ - قال: فَدَخَلْتُ بَيْتَهُ وَبَزَلْتُ دَنَّهُ^(٤) وَجَعَلْتُ أَرْجُعُ الصَّوْتِ، فَبَهَّتْ يَنْظُرُ إِلَيَّ وَالنَّبِيذُ يَجْرِي حَتَّى امْتَلَأَ الْإِنَاءُ وَفَاضَ، فَقُلْتُ لَهُ: وَيَحَاكَ! شَرَابُكَ قَدْ فَاضَ؛ فَقَالَ: دَعْنِي مِنْ شَرَابِي، بِاللَّهِ مَاتَ لَكَ إِنْسَانٌ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ؟ فَقُلْتُ: لَا، قال: فَمَا بَالُ حَلْقِكَ هَذَا حَزِينًا؟

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ قال: حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَمِّهِ طَيَّابِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قال: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي يَوْمًا وَعِنْدَهُ مُخَارِقٌ وَأَبِي يُلْقِي عَلَيْهِ هَذَا الصَّوْتُ:

صوت

طَرِبْتَ وَأَنْتَ مَعْنِي كَيْبٌ وَقَدْ يَشْتَاقُ ذُو الْحَزَنِ الْعَرِيبُ

- (١) قطرب: قرية بين بغداد وعكبرا تنسب إليها الخمرة كانت متنزهاً للباطالين وحانة للخمارين، وقد ورد في العديد من القصائد.
- (٢) باري: قرية من أعمال كلوازي من نواحي بغداد، كانت كلها بساتين ومنتزهات، يقصدها أهل البطالة.
- (٣) بنى: قرية على شاطئ دجلة من نواحي بغداد بينهما نحو فرسخين، وهي تحت كلوازي وكانت في بغداد قريتان تسميان بهذا الاسم.
- (٤) بزل الدن: ثقبه ليسيل منه الخمر.

وَشَاقَكَ بِالمَوْقَرِ^(١) أَهْلُ خَاخِ^(٢) فَلَا أَمَمٌ هُنَاكَ وَلَا قَرِيبُ
وَكَمْ لَكَ دُونَهَا مِنْ عُرْضِ أَرْضِ كَأَنَّ سَرَابَهَا الجَارِي سَبِيبُ
لَعَمْرُكَ إِنَّنِي بِرَقِيمِ^(٣) قَيْسِ وَجَارَةَ أَهْلِهَا لَأَنَا الحَرِيبُ
[الوافر]

- الشعر للأحوص، والغناء لإبراهيم ماخوري بالبنصر عن عمرو - قال: فلما أخذه مُخَارِقُ جعل أبي يبكي، ثم قال له: يا مُخَارِقُ، نِعَمَ وسيلة إبليس أنت في الأرض، أنت والله بعدي صاحب اللّواء في هذا الشأن.

[تفاخر بينه وبين ابنه]

أخبرني الحسن بن عليّ وعمي قالا: حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدَّثَنِي محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال: لما صَنَعَ أبي لَحْنُهُ في: لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ^(٤)
[الرمّل]

خاصمته وعبته في صنعته، وَقُلْتُ له: أما بِإِزَائِكَ مِنْ يَنْتَقِدُ أَنْفَاسَكَ وَيَعِيبُ مَحَاسِنَكَ وَأَنْتَ لَا تَفَكِّرُ! تَجِيءُ إِلَى صَوْتٍ قَدْ عَمِلَ فِيهِ ابْنُ سُرَيْجٍ لِحْنًا فَتُعَارِضُهُ بِلِحْنٍ لَا يَقَارِبُهُ وَالشَّعْرُ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ! فَدَعُ مَا قَدْ اعْتَوَرْتَهُ^(٥) صِنَاعَةَ الْقُدَمَاءِ وَخُذْ فِي غَيْرِهِ؛ فَعُضِبَ، وَكُنْتُ لَا أَزَالُ أَفَاحِرُهُ بِصُنْعَتِي وَأُعِيبُ مَا يُعَابُ مِنْ صِنْعَتِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنِّي فَذَلِكَ، وَإِنْ غَضِبَ دَارِيَّتُهُ وَتَرْضَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: مَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنِي أَدْعُكَ أَوْ تَفَاخَرَنِي بِخَيْرِ صَوْتٍ صَنَعْتُهُ فِي الثَّقِيلِ الثَّانِي فِي طَرِيقَةِ هَذَا الصَّوْتِ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ الْجِدَّ مِنْهُ اخْتَرْتُ صُنْعَتِي فِي هَذَا اللَّحْنِ:

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا وَنَأَى عَنْكَ جَانِبَا
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ وَإِنْ كُنْتُ لَاعِبَا
[مجزوء الخفيف]

وكان ما تَجَارَيْنَاهُ وَنَحْنُ نَتَسَايَرُ خَارِجِينَ إِلَى الصَّحْرَاءِ نَقْطَعُ فَضْلَةَ خُمَارٍ بِنَا^(٦)،

(١) الوقر: من أعمال البلقاء بناوحي مدينة دمشق.

(٢) خاخ: موضع بين الحرمين، ويقال له: روضة خاخ بالقرب من حمراء الأسد بالمدينة.

(٣) الرقيم: اسم موضع كثير الكهوف، كان لبني قيس.

(٤) ينسب هذا الشعر لعمر بن أبي ربيعة.

(٥) اعتور الشيء: تداوله وتعاطاه.

(٦) الخُمَار: السكر.

فقال: مَنْ تُحِبُّ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟ فَقُلْتُ: مَنْ تَرَى أَنْ يَحْكُمَ هَا هُنَا؟ قال: أَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْنَا، أُغْنِيَهُ لِحْنِي وَتُغْنِيَهُ لِحْنُكَ، فَطَمِعْتُ فِيهِ وَقُلْتُ نَعَمْ، فَأَقْبَلَ شَيْخَ نَبْطِي يَحْمِلُ شَوْكاً عَلَى حِمَارٍ لَهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَبِي فَقَالَ: إِنِّي وَصَاحِبِي هَذَا قَدْ تَرَاضَيْنَا بِكَ فِي شَيْءٍ، قَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ هُوَ؟ فَقُلْنَا: رَعِمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنَّهُ أَحْسَنُ غِنَاءً مِنْ صَاحِبِهِ، فَتَسَمَّعَ مِنِّي وَمِنْهُ وَتَحَكَّمَ، فَقَالَ: عَلَى اسْمِ اللَّهِ، فَبَدَأَ أَبِي فَعَنَّى لِحْنَهُ، وَتَبِعْتُهُ فَعَنَيْتُ لِحْنِي، فَلَمَّا فَرَعْتُ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ لِي: قَدْ حَكَمْتُ عَلَيْكَ عَافَاكَ اللَّهُ وَمَضَى، فَلَطَمَنِي أَبِي لَطْمَةً مَا مَرَّ بِي مِثْلُهَا مِنْهُ قَطُّ، وَسَكَتُ فَمَا أَعَدْتُ عَلَيْهِ حَرْفاً وَلَا رَاجِعَتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَعْنَى حَتَّى افْتَرَقْنَا.

نسبة هذين الصوتين

صوت

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفَتِ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ
وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُ
رَعَمَوْهَا سَأَلَتْ جَارَاتِهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَتَعَرَّتْ تَبْتَرِدُ^(١)
أَكَمَا يَنْعَثُنِي تُبْصِرْنِي عَمَرُكُنَّ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ
فَتَضَاحَكْنَ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُ
حَسِداً حُمِّلْنَهُ مِنْ أَجْلِهَا وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ
[الرمل]

الشعرُ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ. وَلَحْنُ إِبْرَاهِيمَ فِيهِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى. وَفِيهِ لَابَنُ سُرَيْجٍ رَمْلٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ. وَفِيهِ لِمَالِكٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْخَنْصَرِ وَالْبَنْصَرِ عَنْ يَحْيَى الْمَكِّيِّ، وَذَكَرَهُ إِسْحَاقُ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَلَمْ يَنْسِبْهُ إِلَى أَحَدٍ، وَقَالَ الْهَشَامِيُّ: أَدْلُ شَيْءٍ عَلَى أَنَّهُ لِمَالِكٍ شَبَهُهُ لِلْحَنِهِ:

إِسْلَمِي يَا دَارُ مَنْ هِنْدُ

وَفِيهِ لِمُتَيْمٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ. وَأَمَّا لَحْنُ إِسْحَاقَ الَّذِي فَاخِرَ بِهِ صَنْعَةُ أَبِيهِ، فَقَدْ كُتِبَ شَعْرُهُ وَالصَّنْعَةُ فِيهِ - وَهُمَا جَمِيعاً لِإِسْحَاقَ، وَلَحْنُهُ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو - فِي أَخْبَارِ إِسْحَاقَ.

(١) تبترد: تغتسل بالماء البارد.

[غناؤه يطلق سجيناً]

وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ أَنَّ حَمَّادَ بْنَ إِسْحَاقَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ الرَّشِيدُ قَدْ وَجَدَ عَلَى مَنْصُورٍ زَلْزَلَ لَيْشِيءَ بَلَغَهُ عَنْهُ، فَحَبَسَهُ عَشْرَ سَنِينَ أَوْ نَحْوَهَا، فَقَامَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لِحَاجَتِهِ، فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يُغَنِّي صَوْتًا صَنَعَهُ فِي شَعْرِ كَانِ قَالَهُ فِي حَبْسِ زَلْزَلٍ، وَهُوَ:

هَلْ دَهَرْنَا بِكَ رَاجِعٌ يَا زَلْزَلُ أَيَّامَ يَبْغِينَا الْعَدُوَّ الْمَبْطُلُ
أَيَّامَ أَنْتَ مِنَ الْمَكَارِهِ آمِنٌ وَالْخَيْرُ مُتَّسِعٌ عَلَيْنَا مُقْبِلُ
يَا بَوْسَ مَنْ فَقَدَ الْإِمَامَ وَفُرْبَهُ مَاذَا بِهِ مِنْ ذِلَّةٍ لَوْ يَعْقِلُ
مَا زِلْتُ بَعْدَكَ فِي الْهَمُومِ مُرَدِّدًا أَبْكِي بِأَرْبَعَةٍ^(١) كَأَنِّي مُثْكَلُ
[الكامل]

- الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو - قال: ودخل الرشيد وهو في ذلك فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيُّ شَيْءٍ كُنْتَ تَقُولُ؟ فَقَالَ: خَيْرًا يَا سَيِّدِي، فَقَالَ: هَاتِهِ فَتَلَكَّا، فَعَضِبَ الرَّشِيدُ وَقَالَ: هَاتِهِ فَلَا مَكْرُوهَ عَلَيْكَ، فَرَدَّ الْغَنَاءَ، فَقَالَ لَهُ: أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهُ؟ فَقَالَ: وَهَلْ يُنْشَرُ أَهْلُ الْقُبُورِ؟ فَقَالَ: هَاتُوا زَلْزَلًا، فَجَاؤُوا بِهِ وَقَدْ ابْيَضَّ رَأْسُهُ وَلَحِيَّتُهُ فَسَرَّ بِهِ إِبْرَاهِيمُ؛ وَأَمَرَهُ فَجَلَسَ، وَأَمَرَ إِبْرَاهِيمَ فَغَنَّى وَضَرَبَ عَلَيْهِ فَزَلَزَ الدُّنْيَا، وَشَرِبَ الرَّشِيدُ عَلَى ذَلِكَ رِطْلًا وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِ زَلْزَلٍ وَأَسْنَى جَائِزَتَهُمَا وَرَضِيَ عَنْهُ وَصَرَفَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ. قَالَ: وَزَلْزَلَ أَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ هَذِهِ الْعِيدَانَ الشَّبَابِيظَ^(٢)، وَكَانَتْ قَدِيمًا عَلَى عَمَلِ عِيدَانِ الْفُرسِ، فَجَاءَتْ عَجَبًا مِنَ الْعَجَبِ. قَالَ: وَكَانَتْ أُخْتُ زَلْزَلٍ تَحْتَ إِبْرَاهِيمَ، وَقَدْ وَلَدَتْ مِنْهُ.

[أول أستاذ له في الغناء]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدٍ عَنْ حَمَّادَ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُ الْغَنَاءَ مَجْنُونٌ، كَانَ إِذَا صَيَّحَ بِهِ: يَا مُضَرَّ، يَهْبِجُ وَيَرْجُمُ، فَبَلَغَنِي أَنَّهُ يُغَنِّي أَصْوَاتًا فَيُجِيدُهَا، أَخَذَهَا عَنْ قَدَمَاءِ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَكُنْتُ أَذْخِلُهُ إِلَيَّ فَأُطْعِمُهُ وَأَسْقِيهِ وَأَخْذَعَهُ حَتَّى أَخَذَ عَنْهُ، وَكَانَ حَازِقًا، فَأَوَّلُ صَوْتٍ أَخَذْتُهُ عَنْهُ:

أَرْسَلِي بِالسَّلَامِ يَا سَلَمُ إِنِّي مِنْذُ عُلِّقْتُكُمْ غَنِيٌّ فَقِيرُ

(١) يريد بالأربعة: اللحاظين والموقنين للعينين، فإن الدمع يجري من الموقنين فإذا غلب وكثر جرى من اللحاظين أيضاً.

(٢) الشبايط جمع الشبوط: ضرب من السمك، دقيق الذنب عريض الوسط لين المش صغير الرأس.

فَالْغَنَى إِنْ مَلَكَتْ أَمْرَكَ وَالْفَقْرُ بَأْنِي أَزُورُ مِنْ لَا يَزُورُ
وَيَحْ نَفْسِي تَسْلُو النَفُوسَ وَنَفْسِي فِي هَوَى الرِّيمِ ذَكَرُهَا مَا يَحُورُ
مَنْ لِنَفْسٍ تَتُوقُ أَنْتِ هَوَاهَا وَفَوَادٍ يَكَادُ فِيكَ يَطِيرُ
[الخفيف]

ثم مَكَثْتُ زَمَانًا أَخَذَ عَنْهُ، وَكَانَ إِذَا عَادَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ مِنْ أَحْذَقِ النَّاسِ وَأَقْوَمِهِمْ عَلَى مَا يُؤَدِّيهِ، ثُمَّ غَابَ عَنِّي فَمَا أَعْرِفُ خَبْرَهُ.

وهذا الشعر للوليد بن يزيد. والغناء ليونس خفيف رَمَلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّهُ لِعَمَرَ الْوَادِي، وفيه لوجه القرعة ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى عن حَبَشٍ.

أخبرني محمد بن مَزِيد قال: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى الشَّامِ لَمَّا غَزَا، فِدَعَانِي يَوْمًا فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ إِلَى مَجْلِسٍ لَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْهُ مَفْرُوشَ بِأَنْوَاعِ الرُّخَامِ، فَأَكَلْ وَأَمَرَنِي فَأَكَلْتُ مَعَهُ، وَجَعَلْتُ أَتَوَلَّى خِدْمَتَهُ إِلَى الْعَصْرِ، ثُمَّ دَعَا بِالنَّبِيدِ فَشَرِبَ وَسَقَانِي مَعَهُ، ثُمَّ خَلَعَ عَلَيَّ خِلْعَةً وَشَيَّ مِنْ ثِيَابِهِ وَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ، ثُمَّ قَالَ: انْظُرْ يَا إِبْرَاهِيمُ، كَمْ مِنْ يَدٍ أَوْلَيْتُكَ إِيَّاهَا الْيَوْمَ! نَادَمْتَنِي مَفْرَدًا، وَأَكَلْتَنِي، وَخَلَعْتُ عَلَيْكَ ثِيَابِي مِنْ بَدَنِي، وَوَصَلْتُكَ، وَأَجْلَسْتُكَ فِي إِيوَانِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ تَشْرَبُ مَعِي؛ فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، مَا ذَهَبَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ تَفْضُلِكَ، وَإِنَّ نِعَمَكَ عِنْدِي لَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَحْصَى، وَقَبَّلْتُ رِجْلَهُ وَالْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

[هو أول من غنى الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ: قَالَ دِغْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ: لَمَّا وَلِيَ الرَّشِيدُ الْخِلَافَةَ وَجَلَسَ لِلشُّرْبِ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ إِحْكَامِ الْأُمُورِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ الْمُعَنُّونَ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ غَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ بِشِعْرِهِ فِيهِ، وَهُوَ:

صوت

إِذَا ظَلَمَ الْبِلَادِ تَجَلَّلْتَنَا فَهَارُونَ الْإِمَامُ لَهَا ضِيَاءُ
بِهَارُونَ اسْتِقَامَ الْعَدْلُ فِينَا وَغَاضَ الْجَوْرُ وَانْفَسَحَ الرِّجَاءُ
رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ سَكَنُوا إِلَيْهِ كَمَا سَكَنْتُ إِلَى الْحَرَمِ الظُّبَاءُ
تَبِعْتُ مِنَ الرُّسُولِ سَبِيلَ حَقٍّ فَشَأْنُكَ فِي الْأُمُورِ بِهِ اقْتِدَاءُ
[الوافر]

فقال له الخادم من خَلَفِ الستارة: أَحَسَنْتَ يا إبراهيم في شعرك وغنائك، وأمر له بعشرين ألف درهم. لحن إبراهيم في هذا الصوت ثقیل أول بالسبابة والوسطى عن أحمد بن المكي.

أخبرني الحسن بن علي قال: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بن محمد الْمُهَلَّبِيُّ قال: حَدَّثَنِي أَبِي قال: كُنْتُ أَنَا وَأَبُو سَعِيدِ النَّهْدِيِّ وَهَاشِمُ بن سُلَيْمَانَ الْمُعَنِّي يَوْمًا مُجْتَمِعِينَ فِي بُسْتَانٍ لَنَا وَنَحْنُ نَشْرَبُ وَهَاشِمٌ يُعَنِّي؛ فَلَمَّا تَوَسَّطْنَا أَمَرْنَا إِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا الْبُسْتَانَ جَمِيلِ الْهَيْئَةِ حَسَنِ الزِّيِّ، فَلَمَّا بَصُرْنَا بِهِ مِنْ بَعِيدٍ، وَثَبَ هَاشِمٌ يَدْعُو حَتَّى لَقِيَهُ، فَقَبَّلَ يَدَهُ وَعَانَقَهُ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ مِنَّا، فَجَاءَ وَسَلَّمْ سَلَامَ الصَّدِيقِ عَلَى صَدِيقِهِ، ثُمَّ قَالَ: خُذُوا فِي شَأْنِكُمْ، فَإِنِّي اجْتَزْتُ بِكُمْ فَسَمِعْتُ غِنَاءَ أَبِي الْقَاسِمِ فَاسْتَخَفَّنِي وَأَطْرَبَنِي، فَدَخَلْتُ إِلَيْكُمْ وَاثِقًا بِأَنَّهُ لَا يُعَاشِرُ إِلَّا فَتًى ظَرِيفًا يَسْتَحْسِنُ هَذَا الْفِعْلَ وَيَسْرَهُ، وَلِي فِي هَذَا إِمَامٌ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بن جَعْفَرِ بن أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ سَمِعَ غِنَاءَ عِنْدَ قَوْمٍ فَدَخَلَ بِغَيْرِ إِذْنٍ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَدْخَلَنِي عَلَيْكُمْ مُعَنِّي لَمَّا غَنَى:

قُلْ لِكِرَامٍ بَبَابِنَا يَلْجُوا مَا فِي التَّصَابِي عَلَى الْفَتَى حَرَجُ [المديد]

وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ نَفْسَكُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَعْرِفَتِي، فَمَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ اكْتَفَى، وَمَنْ جَهِلَنِي فَأَنَا إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ، فَقُمْنَا فَقَبَّلْنَا رَأْسَهُ وَسُرَرْنَا بِهِ أَتَمَّ سُرُورٍ، وَانْعَقَدَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ يَوْمَئِذٍ مَوَدَّةٌ، ثُمَّ غَابَ عَنَّا غَيْبَةً طَوِيلَةً، وَإِذَا هَاشِمٌ قَدْ أَنْفَذَ إِلَيْنَا مِنْهُ رُقْعَةً فِيهَا:

أَهَاشِمُ هَلْ لِي مِنْ سَبِيلٍ إِلَى الَّتِي تُفَرِّقُ هَمَّ النَّفْسِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ
تَضُرُّ نَارًا أَوْ تَوْقُدُ كَوْكَبَ
بِهَا وَالْفَتَى النَّهْدِيُّ وَابْنُ الْمُهَلَّبِ
وَتَفْدِيَةَ بِالنَّفْسِ وَالْأُمِّ وَالْأَبِ
نُذِيرٌ مُدَامًا بَيْنَنَا بِتَحِيَّةٍ
مُعْتَقَّةٌ صِرْفًا كَأَنَّ شِعَاعَهَا
أَلَا رَبَّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ وَلَيْلَةٍ
[الطويل]

[عقق يسرق خاتمه]

أخبرني محمد بن مَزِيدٍ قال: حَدَّثَنَا حَمَادُ بن إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ لِي وَأَنَا صَبِيٌّ عَقَقْتُ^(١) قَدْ رَبَّيْتُهُ وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ شَيْءٍ سَمِعَهُ، فَسَرَقَ خَاتَمَ يَاقُوتَ كَانَ

(١) الْعَقَقُ: طَائِرٌ مَعْرُوفٌ مِنْ ذَلِكَ وَصَوْتُهُ الْعَقَقَةُ. قَالَ ابْنُ بَرِي: وَرَوَى ثَعْلَبٌ عَنْ إِسْحَاقِ الْمَوْصِلِيِّ أَنَّ الْعَقَقَ يُقَالُ لَهُ الشَّجَجَى. وَفِي حَدِيثِ النَّخَعِيِّ: يَقْتُلُ الْمُحَرِّمُ الْعَقَقَ؛ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: هُوَ طَائِرٌ مَعْرُوفٌ ذُو لَوْنَيْنِ أَبْيَضٍ وَأَسْوَدَ طَوِيلَ الذَّنْبِ، قَالَ: وَإِنَّمَا أَجَازَ قَتْلَهُ لِأَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْغُرَبَانِ.

لأبي قد وضعه على تُكَّاتِهِ ودخل الخلاء ثم خَرَجَ ولم يجدْهُ، فَطَلَبَهُ وَضَرَبَ غَلَامَهُ الذي كان واقفاً، فلم يَقِفْ له على خبر؛ فبينما أنا ذات يوم في دارنا إذ أَبْصَرْتُ العَقْعَقَ قد نَبَشَ تُرَاباً فَأَخْرَجَ الخاتم منه وَلَعِبَ بِهِ طويلاً، ثم رَدَّهُ فِيهِ وَدَفَنَهُ، فَأَخَذْتُهُ وَجِئْتُ بِهِ إلى أبي، فَسَرَّ بِذَلِكَ وقال يهجو العَقْعَقَ:

إِذَا بَارَكَ اللَّلهُ فِي طَائِرٍ فَلَا بَارَكَ اللَّلهُ فِي الْعَقْعَقِ
طَوِيلُ الذَّنَابِي^(١) قَصِيرُ الْجَنَاحِ مَتَى مَا يَجِدُ غَفْلَةً يَسْرِقُ
يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ كَأَنَّهُمَا قَطْرَتَا زُنْبُقٍ
[المقارب]

[إمتحان المغنين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدَّثَنِي أحمد بن المكيّ، وذاكرت أبا أحمد بن جعفر جَحْظَةً بهذا الخبر فقال: حَدَّثَنِي به محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ المرتجل عن أبيه عن جدّه، وَوَجَدْتُ هذا الخبر في بعض الكتب عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمْدُون بن إسماعيل فَجَمَعْتُ الروايات كُلَّهَا: أَنَّ الرّشيد قال يوماً لَجَعْفَر بن يحيى: قد طال سَمَاعِنَا هذه العَصَابَةُ على اختلاط الأمر فيها فَهَلُمَّ أَقَاسِمُكَ إِيَّاهَا وَأَخَايِرُكَ، فَاقْتَسَمَا الْمُغَنِّيْنِ، على أن جعلاً بإزاء كل رجل نظيرَهُ، وكان ابن جامع في حَيِّز الرّشيد وإبراهيم في حَيِّز جعفر بن يحيى، وَخَصَرَ الندماءَ لِمَحْنَةِ^(٢) الْمُغَنِّيْنِ، وَأَمَرَ الرّشيدُ ابنَ جامع فَعَنَّى صوتاً أحسن فيه كُلَّ الإحسان وطَرِبَ الرّشيدُ غَايَةَ الطَّرِبِ، فَلَمَّا قَطَعَهُ قال الرّشيدُ لإبراهيم: هَاتِ يَا إبراهيم هذا الصوتَ فَعَنَّهُ، فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه، وَظَهَرَ الانكسار فيه، فقال الرّشيد لجعفر: هذا واحد، ثم قال لإسماعيل بن جامع: عَنِّي يَا إسماعيل، فَعَنَّى صوتاً ثانياً أحسن من الأوّل وأَرْضَى في كل حال، فلما استوفاه قال الرّشيد لإبراهيم: هَاتِ يَا إبراهيم، قال: ولا أعرف هذا؛ فقال: هَذَانِ اثْنَانِ، عَنِّي يَا إسماعيل، فَعَنَّى ثَالِثاً يَتَقَدَّمُ الصَّوْتَيْنِ الأوّلَيْنِ وَيَفْضُلُهُمَا، فلما أتى على آخرِهِ، قال: هَاتِ يَا إبراهيم، قال: ولا أعرف هذا أيضاً؛ فقال له جعفر: أَخْزَيْتَنَا أَخْزَاكَ اللَّهُ. قال: وَأَتَمَّ ابْنُ جَامِعِ يَوْمَهُ وَالرّشيدُ مَسْرُورٌ بِهِ، وَأَجَاذَهُ بِجَوَائِزٍ كَثِيرَةٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعاً فَاحِرةً، وَلَمْ يَزَلْ إبراهيم مُنْخَذِلاً مُنْكَسِراً حَتَّى انصَرَفَ. قال: فَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ، فَلَمْ

(١) الذنابي: الذنب.

(٢) المَحْنِ التي يُمْتَحَنُ بها الإنسان من بليّة. وَمَحْنُهُ وَاُمْتَحَنَتْهُ، أي اختبرته، والاسم المِحْنَةُ.

يَسْتَقِرَّ فِيهِ حَتَّى بَعَثَ إِلَى مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِالزَّفِّ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ مِنَ الْمُعَنِّينَ الْمُحْسِنِينَ، وَكَانَ أَسْرَعَ مَنْ عُرِفَ فِي أَيَّامِهِ فِي اخْذِ صَوْتٍ يَرِيدُ اخْذَهُ، وَكَانَ الرِّشِيدَ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ مَا يَجِدُهُ الْمُلُوكُ عَلَى أَمْثَالِهِ فَأَلَزَمَهُ بَيْتَهُ وَتَنَاسَاهُ؛ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلزَّفِّ: إِنِّي اخْتَرْتُكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، لِأَمْرِ لَا يَصْلُحُ لَهُ غَيْرُكَ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ! قَالَ: أَبْلُغْ فِي ذَلِكَ مُحَبَّتَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى؛ فَأَدَّى إِلَيْهِ الْخَبَرَ وَقَالَ: أَرِيدُ أَنْ تَمْضِيَ السَّاعَةَ إِلَى ابْنِ جَامِعٍ، فَتُعَلِّمُهُ أَنَّكَ صِرْتَ إِلَيْهِ مُهْنَتًا بِمَا تَهَيَّأَ لَهُ عَلَيَّ، وَتَنْقُصُنِي وَتَثْلِبُنِي^(١)، وَتَشْتُمُنِي، وَتَحْتَالُ فِي أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ الْأَصْوَاتَ وَتَأْخُذَهَا مِنْهُ، وَلَكَ مَا تُحِبُّهُ مِنْ جِهَتِي مِنْ عَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ مَعَ رِضَا الْخَلِيفَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: فَامْضَى مِنْ عِنْدِهِ وَاسْتَأْذَنَ عَلَى ابْنِ جَامِعٍ فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ: جِئْتُكَ مُهْنَتًا بِمَا بَلَغَنِي مِنْ خَبَرِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَنِي ابْنَ الْجَرْمَقَانِيَّةِ^(٢) عَلَى يَدِكَ، وَكَشَفَ الْفَضْلَ فِي مَحَلِّكَ مِنْ صِنَاعَتِكَ، قَالَ: وَهَلْ بَلَغَكَ خَبَرُنَا؟ قَالَ: هُوَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَخْفَى عَلَى مِثْلِي؛ قَالَ: وَيَحْكُ! إِنَّهُ يَقْصُرُ عَنِ الْعَيْنِينَ، قَالَ: أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ، سُرَّنِي بِأَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ فَيْكِ حَتَّى أَرُويهِ عَنْكَ، وَأُسْقِطَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْأَسَانِيدَ؛ قَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَفْعَلَ، قَالَ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ؛ فَدَعَا لَهُ ابْنُ جَامِعٍ بِالطَّعَامِ فَأَكَلَا وَدَعَا بِالشَّرَابِ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَحَدَّثَهُ بِالْخَبَرِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى خَبَرِ الصَّوْتِ الْأَوَّلِ، فَقَالَ لَهُ الزَّفِّ: وَمَا هُوَ أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ؟ فَغَنَّاهُ ابْنُ جَامِعٍ إِيَّاهُ، فَجَعَلَ مُحَمَّدٌ يُصَفِّقُ وَيَنْعُرُ^(٣) وَيَشْرَبُ وَابْنُ جَامِعٍ مُجْتَهِدٌ فِي شَأْنِهِ حَتَّى أَخَذَهُ عَنْهُ. ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ الصَّوْتِ الثَّانِي، فَغَنَّاهُ إِيَّاهُ، وَفَعَلَ مِثْلَ فَعْلِهِ فِي الصَّوْتِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ كَذَلِكَ فِي الصَّوْتِ الثَّالِثِ؛ فَلَمَّا أَخَذَ الْأَصْوَاتَ الثَّلَاثَةَ كُلَّهَا وَأَحْكَمَهَا قَالَ لَهُ: يَا أَسْتَاذُ، قَدْ بَلَغْتُ مَا أَحَبُّ، فَتَأْذَنُ لِي فِي الْإِنْصِرَافِ؟ قَالَ: إِذَا شِئْتَ، فَانْصَرَفَ مُحَمَّدٌ مِنْ وَجْهِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَلَمَّا طَلَعَ مِنْ بَابِ دَارِهِ قَالَ لَهُ: مَا وَرَاءَكَ. قَالَ: كُلُّ مَا تَحِبُّ، ادْعُ لِي بِعُودٍ، فَدَعَا لَهُ بِهِ، فَضَرَبَ وَغَنَّاهُ الْأَصْوَاتَ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَأَبْيَكُ هِيَ بِصُورِهَا وَأَعْيَانِهَا، رَدَّدَهَا عَلَيَّ الْآنَ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهَا حَتَّى صَحَّتْ لِإِبْرَاهِيمَ، وَانْصَرَفَ الزَّفِّ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَغَدَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى الرِّشِيدِ، فَلَمَّا دَعَا

(١) الثَّلْبُ: شِدَّةُ اللَّوْمِ، وَالْأَخْذُ بِاللِّسَانِ.

(٢) الْجَرَامِقَةُ: قَوْمٌ مِنَ الْعَجَمِ صَارُوا بِالْمَوْصِلِ كَمَا فِي الصَّحَاحِ، زَادَ غَيْرُهُ: فِي أَوَائِلِ الْإِسْلَامِ وَقَالَ اللَّيْثُ: جَرَامِقَةُ الشَّامِ: أَبْنَاءُهَا الْوَاحِدُ مِنْهُمْ جَرْمَقَانِي وَهَذَا كَالِاسْمِ الْخَاصِّ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ فِي الْكُمَيْتِ: هُوَ جَرْمَقَانِي وَيُقَالُ أَيْضًا فِي الْوَاحِدِ مِنْهُمْ: الْجَرْمَقِيُّ، وَهَكَذَا نُسِبَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ.

(٣) نَعَرَ الرَّجُلُ يَنْعُرُ نَعِيرًا، وَهُوَ صَوْتُ فِي الْخَيْشُومِ. وَالثَّعْرَةُ: الْخَيْشُومُ. نَعَرَ النَّاعِرُ، أَيُّ: صَاحِ الصَّائِحِ.

بالمُعَنِّين دخل فيهم، فلما بَصَرَ به قال له: أَوْ قَدْ حَضَرْتَ! أما كان ينبغي لك أن تَجْلِسَ في منزلكَ شهراً بِسَبَبِ ما لَقِيتَ من ابن جامع! قال: ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟ جَعَلَنِي اللَّهُ فداءك! واللَّهِ لئن أَذِنْتَ لي أن أقول لأَقولَنَّ، قال: وما عساك أن تقول؟ قل، فقال: إِنَّهُ ليس ينبغي لي ولا لغيري أن يراك نَشِيطاً لشيءٍ فَيُعَارِضُكَ، ولا أن تكون مُتَعَصِّباً لِحَيِّزٍ^(١) وجنبه^(٢) فَيُعَالِبُكَ، وإلا فما في الأرض صوتٌ لا أعرفه، قال: دَغْ ذَا عَنكَ، قد أَقَرَرْتُ أَمْسَ بالجهالة بما سَمِعْتُ من صاحبنا، فَإِنْ كُنْتُ أَمْسَكْتُ عنه بالأَمْسِ على معرفة كما تقول فهاته اليوم، فليس هاهنا عصبية ولا تمييز، فاندفع فَأَمَرَ الأصوات كُلَّهَا، وابن جامع مُضْغٌ يَسْمَعُ مِنْهُ، حتى أتى على آخرها، فاندفع ابنُ جامع فَحَلَفَ بالآيمان المُحرَّجة أنه ما عرفها قط ولا سمعها ولا هي إلا من صَنَعته، ولم تَخْرُجْ إلى أحد غيره؛ فقال له: وَيَحَكْ! فما أَحدثتَ بَعْدِي؟ قال: ما أَحدثتَ حَدَثاً، فَقَالَ: يا إبراهيم بحياتي اصدُقْني! فَقَالَ: وحياتِكَ لأُصدُقَنَّكَ، رَمِيته بِحَجَرِهِ^(٣)، فَبَعَثْتُ لَهُ بِمُحَمَّدِ الزَّفِّ وَضَمَنْتُ لَهُ ضَمَانَاتٍ، أولها رضاك عنه، فَمَضَى فاحتال لي عليه حتى أخذها عنه ونقلها إليّ، وقد سَقَطَ الآن اللَّومُ عَنِّي بإقراره، لأنَّه ليس عليّ أن أعْرِفَ ما صَنَعَهُ هو ولم يُخْرِجْهُ إلى الناس، وهذا باب من الغيب، وإنَّما يلزمني أن يَعْرِفَ هو شيئاً من غناء الأوائل وأجهله أنا، وإلا فلو لزمني أن أروي صَنَعَتَهُ للزمه أن يروي صَنَعَتِي، وَلَزِمَ كُلُّ واحدٍ مِنَّا لسائر طبقته ونظرائه مثل ذلك، فَمَنْ قَصَرَ عنه كان مذموماً ساقِطاً، فقال له الرشيد: صَدَقْتَ يا إبراهيم، وَنَضَحْتَ^(٤) عن نَفْسِكَ، وَقُمْتَ بِحِجَّتِكَ، ثم أَقبلَ عليّ ابن جامع فقال له: يا إسماعيل، أَتَيْتَ أَتَيْتَ! دُهِيتَ دُهِيتَ أَبطل عليك الموصلي ما فعلته به أَمْسٍ وانتصف اليومَ مِنْكَ، ثم دعا بِالزَّفِّ فَرَضِي عَنْهُ.

قال عليّ بن محمد: سَأَلْتُ خالي أبا عبد الله بن حَمْدُونَ وقد تجارينا هذا الخبر: هل تعرف أصوات ابن جامع هذه؟ فأخبرني أَنَّهُ سَمِعَ إِسْحاقَ يحكي هذه القصة، وَذَكَرَ أَنَّ الصوت الأول منها:

(١) الْحَيِّزُ: ما انضمَّ إلى الدار من مرافقها. وكلُّ ناحية حَيِّزٌ، وأصلُّه من الواو.

(٢) الْجَنْبُ معروف. تقول: قعدت إلى جنب فلان وإلى جانب فلان بمعنى. والجنب: الناحية. وأنشد الأخفش: الناسُ جنبٌ والأُميرُ جنبُ الصاحب بالجنب: صاحبك في السفر. وأما الجارُ الجنبُ فهو جارك من قوم آخرين. والجانب: الناحية، وكذلك الجنبَةُ.

(٣) إذا قرن بمثله.

(٤) نضحت: دافعت عن نفسك بالحجة.

صوت

بَكَيْتُ نَعَمَ بَكَيْتُ وَكُلُّ الْفِ إِذَا بَأَتْ قَرِينَتُهُ بَكَاهَا
وَمَا فَارَقْتُ لُبْنَى عَنْ تَقَالٍ وَلَكِنْ شِقْوَةٌ بَلَّغَتْ مَدَاهَا

[الوافر]

الشعر لقيس بن ذريح^(١). والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى. وفيه ليحيى
المكيّ ثاني ثقيل آخر بالخنصر والبنصر من كتابه. وفيه لإبراهيم ثقيل أول عن
الهشامي. قال: والثاني منها:

صوت

عَفْتُ دَارَ سَلَمَى بِمُقْضَى الرِّغَامِ رِيَاخُ تَعَاقُبُهَا^(٢) كُلَّ عَامٍ
خِلَافَ^(٣) الْحُلُولِ بِتِلْكَ الطُّلُولِ وَسَحَبِ الدُّيُولِ بِذَلِكَ الْمَقَامِ
وَأَنْسُ الدِّيَارِ وَقَرُبُ الْجَوَارِ وَطَيْبُ الْمَزَارِ وَرَدُّ السَّلَامِ
وَدَهْرٌ غَرِيرٌ^(٤) وَعَيْشُ السَّرُورِ وَنَأْيُ الْغَيُورِ وَحُسْنُ الْكَلَامِ

[المتقارب]

الشعر لِحَمَادِ الرَّأْوِيَةِ. والغناء لابن جامع ثقيل أول بالبنصر، ذَكَرَ ذَلِكَ الْحَزَنْبُلُ
عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو، قَالَ ابْنُ حَمْدُونَ: وَهَذَا الصَّوْتُ عَجِيبُ الصَّنْعَةِ، كَثِيرُ
النَّعَمِ، مُحْكَمُ الْعَمَلِ، مِنْ صُدُورِ أَغَانِي ابْنِ جَامِعٍ وَمُتَقَدِّمُ صَنْعَتِهِ، وَكَانَ الْمُعْتَصِمُ
مُعْجَبًا بِهِ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ يُسَكِّتُ الْمُعَنِّينَ إِذَا غَنَّى بِحَضْرَتِهِ فَلَا يَسْمَعُ سَائِرَ يَوْمِهِ غَيْرَهُ.

قال: والثالث منها:

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعَزَّ عَيْنَا الْغَيْرِكَ دَمْعُهَا مِذْرَارًا
مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنُهُ تَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْنَا لَلْبُكَاءِ تُعَارُ

[الكامل]

(١) قيس بن ذريح بن سنان بن حذافة الكناني. شاعر من العشاق المتيمين، اشتهر بحب لبنى بنت
الحباب الكعبية، وهو من شعراء العصر الأموي، ومن سكان المدينة. كان رضيعاً للحسين بن
علي بن أبي طالب، أَرْضَعَتْهُ أُمُّ قَيْسٍ، وَأَخْبَارُهُ مَعَ لُبْنَى كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَشَعْرُهُ عَالِي الطَّبَقَةِ فِي
التَّشْبِيبِ وَوَصَفَ الشُّوقَ وَالْحَنِينَ تَوَفَّى سَنَةَ ٦٨ هـ.

(٢) ورد في بعض المصادر «توارثها» بدل «تعاقبها».

(٣) ورد في بعض المصادر «خلال» بدل «خلاف».

(٤) ورد في بعض المصادر «عزيز» بدل «غري».

الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء لابن جامع ثقیلٌ أوّل بالوسطى؛ وقال ابن حمدون: وعارِضُهُ إبراهيم بعد ذلك في هذا الشعر، فَصَنَعَ فيه لحناً مِنَ الرَّمَلِ بالبنصر في مجراها، فلم يَلْحَقْهُ ولا قاربه. قال: وقد صُنِعَ أيضاً في هذا الشعر لَحْنٌ خفيف فاسد الصنعة مُحدث ليس ينبغي أن يُذكَرَ ها هنا.

حدّثني محمد بن يحيى الصوليّ قال: حدّثني أبو عبد الله الحزنبليّ قال: حدّثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال: أنشدَ بشارٌ قولَ العبّاس بن الأحنف:

نَزَفَ البكاءَ دموعَ عينِكَ فاستَعِرْ عيناَ لغيرِكَ دمعُها مِذْراً
[الكامل]

فقال بشار: لَحَقَ واللّٰه هذا الفتى بالمحسنين، وما زال يُدْخِلُ نَفْسَهُ معنا ونَحْنُ نُخْرِجُهُ حتى قال هذا الشعر.

حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال: أنشد الرشيدُ قولَ العبّاس:

مَنْ ذا يَعِيرُكَ عَيْنُهُ تَبْكِي بها أَرَأَيْتَ عيناَ للبكاءِ تُعارُ

[الكامل]

فقال: يُعِيرُهُ مَنْ لا حَاطَهُ اللّٰه ولا حَفِظَهُ.

ومما يُعْنَى فيه من قصيدة العبّاس بن الأحنف الرائية التي هذا الصوت الأخير منها قوله:

صوت

أَلْحُبُّ أوّل ما يَكُونُ لَجاجةً تَأْتِي بِهِ وَتَسوِفُهُ الأَقْدارُ
حَتَّى إِذا سَلَكَ الفَتى لُجَجَ الهوى جاءتُ أُمُورٌ لا تُطاقُ كِبارُ
[الكامل]

غَنّاه ابن جامع ثانيّ ثقیل بالبنصر. وفيه لِساطرة امرأة منصورٍ زَلْزَلٌ ثقیلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ. وذَكَرَ ابن المكيّ المرتجلُ أَنَّ هذه الأصوات الثلاثة المسروقة من ابن جامع:

يا قَبْرُ بين بيوت آل مُحَرِّقٍ
و: عفا طَرَفُ القُرَيّةِ فالكثيبُ

وَأَسْقَطَ مِنْهَا قَوْلَهُ :

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعَر
و: بَكَيْتُ نَعَمَ بَكَيْتُ وَكُلُّ الْف

نسبة هذين الصوتين

صوت

يَا قَبْرُ بَيْنَ بَيُوتِ آلِ مُحَرِّقٍ جَادَتْ عَلَيَّكَ رَوَاعِدُ وَبُرُوقُ
أَمَّا الْبُكَاءُ فَقَلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَنْ بَكَيْتُ فَبِالْبُكَاءِ حَقِيقُ
[الكامل]

الشعرُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يَرِثِي خَالِدَ بْنَ نَضْلَةَ وَرَجُلًا آخَرَ^(١) مِنْ بَنِي أَسَدٍ كَانَا
نَدِيمَيْنِ لِلْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ، فَقَتَلَهُمَا فِي سُخْطِهِ عَلَيْهِمَا؛ وَخَبَرَ ذَلِكَ مَشْهُورٌ فِي
أَخْبَارِ ابْنِ جَامِعٍ. وَالْغَنَاءُ لِابْنِ جَامِعٍ، وَلَهُ فِيهِ لَحْنَانٌ: ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى، وَرَمْلٌ
بِالْبَنْصَرِ، وَقِيلَ: إِنَّ الرَّمْلَ لِابْنِ سُرَيْجٍ. وَذَكَرَ حَبَشٌ أَنَّ لِمُحَمَّدٍ صَاحِبِ الْبِرَامِ فِيهِ لَحْنًا
مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي بِالْوَسْطَى.

ومنها:

صوت

عَفَا رَسْمُ الْقُرْيَةِ فَالْكَثِيبُ تَأَبَّدَ^(٤) رَسْمُهَا وَجَرَى عَلَيْهَا
إِلَى مَلْحَاءَ^(٢) لَيْسَ بِهَا عَرِيبُ^(٣) سَفِي^(٥) الرِّيحِ وَالثَّرْبُ الْعَرِيبُ
لِأُخْرَى فِي مَوَدَّتِهَا نُكُوبُ فَإِنَّكَ وَاطْرَاحَكَ وَصَلَ سُعْدَى
بِأُذْنَيْهَا فَشَانَهُمَا الثُّقُوبُ كَثَابَةَ لِحْلِي مُسْتَعَارٍ
وَقَدْ بَقِيَتْ بِأُذْنَيْهَا نُدُوبُ^(٦) فَرَدَّتْ لِحْلِي جَارَتِهَا إِلَيْهَا

[الوافر]

(١) هو عمرو بن مسعود. وقد رثتهما هند بنت معبد بن نضلة.

(٢) ملحاء: واد من أعظم أودية اليمامة.

(٣) عريب: أحد.

(٤) تَأَبَّدَتِ الدَّارُ: خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا.

(٥) السَّفَا ما سفت الريح عليك من التراب، وفعل الريح السَّفَى، والسَفَا خَفَّةُ النَّاصِيَةِ.

(٦) الندوب: آثار الجرح في الجسم.

الشعرُ لابنَ هَرَمَةَ . والغناء لابن جامع ثاني ثَقِيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . عن إسحاق ، وفيه للغريض ثاني ثَقِيلٍ آخر بالبصر عن عمرو . وقال عمرو : فيه لحنٌ للهِذَلِيِّ ، ولم يُجَسِّسْهُ .

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكَيْعٍ قال : حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ قال : حَدَّثَنِي عَيْسَى بْنُ أَيُّوبَ الْقُرَشِيِّ قال : حَدَّثَنِي غَيْثُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ عَنْ فُلَيْحِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الْفَقِيهِ مَوْلَى حَرْبٍ عَنْ أَبِيهِ قال : مَرَرْتُ بِابْنِ هَرَمَةَ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى دُكَّانٍ^(١) فِي بَنِي زُرَيْقٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، مَا يُجْلِسُكَ هَا هُنَا؟ قال : بَيْتٌ كُنْتُ قَلْتُهُ ثُمَّ انْقَطَعَ عَلَيَّ الرَّوِيُّ فِيهِ وَتَعَدَّرَ عَلَيَّ مَا أَشْتَهِيهِ ، فَأَبْغَضْتُهُ وَتَرَكْتُهُ ، قُلْتُ : مَا هُوَ؟ قال :

فَإِنَّكَ وَاطْرَاحَكَ وَصَلَ سَعْدَى لِأُخْرَى فِي مَوَدَّتِهَا نُكُوبُ
[الوافر]

قال : قَلْتُهُ ثُمَّ انْقَطَعَ لِي فِيهِ ؛ فَمَرَّتْ بِي جُوبَرِيَّةٌ صَفْرَاءُ مَلِيحَةٌ كُنْتُ أَتَحَسَّنُهَا أَبَدًا وَأَكَلَمَهَا إِذَا مَرَّتْ بِي ، فَمَرَّتَ الْيَوْمَ فَرَأَيْتُهَا وَقَدْ وَرَمَ وَجْهَهَا وَتَغَيَّرَ خَلْقُهَا ، عَمَّا أَعْرِفُ ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ خَبَرِهَا فَقَالَتْ : كَانَ فِي بَنِي فُلَانٍ عُرْسٌ أَرَدْتُ حُضُورَهُ ، فَاسْتَعَارَ لِي أَهْلِي حَلِيًّا وَثَقَبُوا أُذُنِي لِأَلْبَسَهُ فُورَمَ وَجْهِي وَأُذُنَايَ كَمَا تَرَى ، فَرَدُّوهُ وَلَمْ أَشْهَدْ الْعُرْسَ ؛ قَالَ ابْنُ هَرَمَةَ : فَاطْرَدَ لِي الشَّعْرُ فَقُلْتُ :

كَثَاقِبَةٍ لِحَلِيِّ مُسْتَعَارٍ بِأُذُنَيْهَا فَشَانَهُمَا الثُّقُوبُ
فَرَدَّتْ حَلِيَّ جَارَتَهَا إِلَيْهَا وَقَدْ بَقِيَتْ بِأُذُنَيْهَا نُدُوبُ
[الوافر]

أخبرني الحسين بن القاسم قال : حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ قال : حَدَّثَنِي أَبِي قال : قَالَ الرَّشِيدُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ وَابْنِ جَامِعٍ وَابْنِ أَبِي الْكَثَّانَاتِ : بَاكِرُونِي غَدًا ، وَلِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَهُ ، وَغَنَى فِيهِ لِحْنًا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا غَنَى فِي شِعْرِ غَيْرِهِ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ : فَقُمْتُ فِي السَّحَرِ وَجَهَدْتُ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ أَصْنَعُهُ فَلَمْ يَتَّفِقْ لِي ، فَلَمَّا خَفْتُ طُلُوعَ الْفَجْرِ دَعَوْتُ بِعُلْمَانِي وَقُلْتُ لَهُمْ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى مَوْضِعٍ وَلَا يَشْعُرُ بِي أَحَدٌ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ ، وَكَانُوا يَبِيتُونَ عَلَى بَابِ دَارِي ، فَقُمْتُ فَكَبَيْتُ وَقَصَدْتُ دَارَ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ ، وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الصَّنْعَةَ لَمْ يَنْمَ حَتَّى يُدَبِّرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَإِذَا

(١) الدُّكَّانُ : الدَّكَّةُ الْمَبْنِيَّةُ لِلْجُلُوسِ عَلَيْهَا .

قامَ لحاجتِهِ في السَّحَرِ اعتمد على خشبة له في المُستراح، فلم يَزَلْ يَفْرُغُ عليها حتى يَفْرُغَ من الصوت وَيَرْسُخَ في قلبه، فَجِئْتُ حتى وَقَفْتُ تحت مُستراحه، فإذا هو يُرَدِّد هذا الصوت:

صوت

إِذَا سَكَبْتُ فِي الكَأْسِ قَبْلَ مِزَاجِهَا تَرَى لَوْنَهَا فِي جِلْدَةِ الكَأْسِ مُذْهَبَا
وَأِنْ مُزِجْتَ رَاعْتَ بِلَوْنِ تَخَالِهِ إِذَا ضُمَّنْتُهُ الكَأْسُ فِي الكَأْسِ كَوَكْبَا
أَبُوها نِجَاءٌ ^(١) المُزْنِ وَالكَرْمِ أُمُّهَا فَلَمْ أَرْ زَوْجاً ^(٢) مِنْهُ أَشْهَى وَأَطِيبَا
فَجَاءَتْكَ صَفْراً أَشْبَهَتْ غَيْرَ جِنْسِهَا وَمَا أَشْبَهَتْ فِي اللَوْنِ أُمًّا وَلَا أَبَا

[الطويل]

قال: فما زِلْتُ واقفاً أستمع منه الصوتَ حتى أَخَذْتُهُ، ثم عَدَوْنَا إلى الرشيد، فلَمَّا جَلَسْنَا للشربِ خَرَجَ الخادمُ إِلَيَّ فَقَالَ: يقولُ لك أمير المؤمنين: يا بن أمِّ عَنِّي، فاندَفَعْتُ فَعَنَيْتُ هذا الصوتَ والموصليَّ في الموتِ حتى فَرَعْتُ منه، فَشَرِبَ عليه وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم؛ فَوَثَبَ إبراهيم الموصليَّ فَحَلَفَ بالطلاق وحيَاة الرشيد أَنْ الشَّعْرَ له قاله البارحة وَعَنِّي فيه، ما سبقه إليه أحدٌ، فقال إبراهيم: يا سيدي، فَمَنْ أَيْنَ هو لي أنا لولا كِذْبُهُ وَبُهْتُهُ ^(٣)! وإبراهيم يَضْطَرِبُ وَيَضْجُ، فلما قَضَيْتُ أرباً مِنَ الْعَبَثِ به قُلْتُ للرشيد: الحقُّ أحقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، وَصَدَّقْتُهُ، فقال للموصلي: أما أخِي فقد أَخَذَ المالَ ولا سبيلَ إلى رَدِّهِ، وقد أَمَرْتُ لك بمائة ألف درهمٍ عَوْضاً مما جرى عليه، فلو بَدَأَتْ أَنْتَ بالصوت لكانَ هذا حَظُّكَ، فأمر له بها فَحُمِلَتْ إليه.

(١) النجاء: السَّحَابُ أَوَّلُ مَا يَنْشَأُ؛ وَالْجَمْعُ النَّجَاءُ، وقيل: هو السَّحَابُ الَّذِي هَرَقَ مَاءَهُ، وَجَمْعُهُ نُجُوءٌ أَيْضاً. وما خَرَجَ مِنَ الْبَطْنِ مِنْ رِيحٍ وَغَيْرِهَا، وَالْأَسْتِنْجَاءُ مِثْلُهُ؛ وَهُوَ التَّنَطُّفُ بِمَدَرٍ أَوْ مَاءٍ.

(٢) الزَّوْجُ: الصَّنْفُ مِنَ الشَّيْءِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَأَنْبَتَ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ﴾ وقيل: من كل لون حسن، وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾ قال معناه: ألوان من العذاب، ووصفه بالأزواج؛ لأنه عَنِ بَذَلِ الْأَنْوَاعِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْأَصْنَافِ مِنْهُ.

(٣) الْبُهْتُ: اسْتِيقْبَالُكَ أَخَاكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ. وَهُوَ الْحَيْرَةُ أَيْضاً، وَالتَّعَجُّبُ، وَبُهْتُ الرَّجُلِ وَبُهْتُ. وَفِي الْمَثَلِ: زَمَاهُ بِالْبَهِيَّةِ أَيْ بِالْبُهْتَانِ وَالْكَذِبِ. ويقولون: يَا لِلْبَهِيَّةِ وَيَا لِلْأَفْيَكَةِ. وَالْمَبَاهَتَةُ: الْمُبَاعَتَةُ فِي الْمَجَاةِ.

[فَرَّقَ هَدِيَاهُ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن مُخَارِق قال: أتى إبراهيم الموصليّ محمد بن يحيى بن خالد في يومٍ مِهْرَجَان، فسأله محمدٌ أن يُقيمَ عنده، فقال: ليس يمكنني لأنّ رسولَ أمير المؤمنين قد أتاني، قال: فتمر بنا إذا انصرفْتَ ولك عندي كلُّ ما يُهدى إليّ اليوم؟ فقال: نعم، وترك في المجلسَ صديقاً له يُحصي ما يُبعثُ به، إليه؛ قال: فجاءت هدايا عجيبةً من كلِّ ضَرْبٍ، قال: وأُهديَ إليه تِمثالٌ فيلٍ من ذَهَبٍ عَيْنَاهُ يَقوتان؛ فقالَ محمد للرجل: لا تُخبره بهذا حتى نبعثُ به إلى فلانة ففعل؛ وانصرف إبراهيم إليه فقال: أحضرني ما أُهدي لك، فأحضره ذلك كُله إلا التمثال، وقال: لا بُدَّ من صدقك، كان من الأمر كذا وكذا؛ فقال: لا! إلّا على الشريطة وكما ضمنت، فجيء بالتمثال؛ فقال إبراهيم: أليس الهدية لي فأعمل فيها ما أريد؟ قال: بلى، قال: فردّ التمثال على الجارية؛ وجعل يُفرّق الهدايا على جلساء محمد شيئاً شيئاً وعلى جميع من حضر من إخوانه وغلمانهِ وعلى من في دُور الحُرَم من جواريه حتى لم يبقَ منها شيء، ثم أخذَ من المجلس تُفاحتين لما أراد الانصراف وقال: هذا لي، وانصرف؛ فجعلَ محمد يُعجبُ من كِبَرِ نفسه ونُبُلِهِ.

[الرشيد في منزله]

وقال أحمد بن المَرْزبان حَدَّثني بعضُ كُتّاب السلطان: أنّ الرشيدَ هَبَّ ليلةً من نومه، فدعا بحمارٍ كان يركبُهُ في القصرِ أسودَ قريبٍ من الأرضِ فركبَهُ، وخرَجَ في دُرّاعةٍ وشيٍّ مُتَلَمِّماً بعمامةٍ وشيٍّ مُلتحفاً بإزارٍ وشيٍّ، بين يديه أربعُمائة خادِم أبيض سوى الفرّاشين، وكان مسرورٌ الفَرغانيّ جريئاً عليه لمكانه عنده، فلما خرَجَ من باب القصر قال: أين يريدُ أميرُ المؤمنين في هذه الساعة؟ قال: أرَدْتُ منزلَ الموصليّ. قال مسرور: فَمَضَى ونحن معه وبين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم، فخرَجَ فتلقاه وقبَّلَ حافرَ حِمَارِهِ وقال له: يا أمير المؤمنين، أفي مثل هذه الساعة تُظهِر! قال: نعم، شوقٌ طَرَقَ لك بي، ثم نَزَلَ فَجَلَسَ في طَرَفِ الإيوَان وأجلس إبراهيم؛ فقال له إبراهيم: يا سيدي أنتشط لشيءٍ تأكلُهُ؟ فقال: نعم، خاميز^(١) طبي، فأتي به كأنما

(١) الخاميزُ، أهمله الجوهريّ. وقال الأزهريّ: لا أعرفَ خَمَزَ ولا أحفظ للعرب فيه شيئاً صحيحاً، وقد قال الليث: الخاميزُ: اسمٌ أعجميٌّ إعرابه عامِصٌ وآمِصٌ، وبعضهم يقول: عامِصٌ وآمِصٌ. وقال اللسان: العامِص: الهَلَام. وقال الليث: العامِص: طعامٌ يُتخذُ من لَحْمٍ عجلٍ بجِلْدِهِ. وقال الأَطْبَاءُ: الهَلَام هو مَرَقُ السَّكْبَاجِ المُبرَّدُ المُصَفَّى من الدُّهْن. وقال ابنُ سيده: الخاميزُ أعجميٌّ. حكاه صاحبُ العَيْن ولم يُفسره قال: وأراه ضرباً من الطعام، كذا في اللسان والتكملة.

كَانَ مُعَدًّا لَهُ، فَأَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا، ثُمَّ دَعَا بِشَرَابٍ حُمِلَ مَعَهُ، فَقَالَ الْمَوْصِلِيُّ: يَا سَيِّدِي، أَوْعَيْتُكَ أَمْ تُعْنِيكَ إِمَاؤُكَ؟ فَقَالَ: بَلِ الْجَوَارِي؛ فَخَرَجَ جَوَارِي إِبْرَاهِيمَ فَأَخَذَنَ صَدْرَ الْإِيوَانِ وَجَانِبِيهِ؛ فَقَالَ: أَيُضْرِبُنِ كُلَّهُنَّ أَمْ وَاحِدَةً؟ فَقَالَ: بَلِ تَضْرِبُ اثْنَتَانِ اثْنَتَانِ وَتُعْنِي وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً، فَفَعَلْنَ ذَلِكَ حَتَّى مَرَّ صَدْرُ الْإِيوَانِ وَأَحَدُ جَانِبِيهِ وَالرَّشِيدُ يَسْمَعُ وَلَا يَنْشَطُ لَشَيْءٍ مِنْ غَنَائِهِنَّ، إِلَى أَنْ غَنَّتْ صَبِيَّةٌ مِنْ حَاشِيَتِهِ:

يَا مُؤَرِّيَ الزَّنَدِ قَدْ أَعَيْتَ قَوَادِحُهَا إِقْبَسْ إِذَا شِئْتَ مِنْ قَلْبِي بِمُقْبَاسِ
مَا أَقْبَحَ النَّاسَ فِي عَيْنِي وَأَسَمَجَهُمْ إِذَا نَظَرْتُ فَلَمْ أَبْصُرْكَ فِي النَّاسِ
[البسيط]

قَالَ: فَطُرِبَ لِغِنَائِهَا وَاسْتَعَادَ الصَّوْتُ مَرَارًا وَشَرِبَ أَرْطَالًا، ثُمَّ سَأَلَ الْجَارِيَةَ عَنْ صَانِعِهِ فَأَمْسَكَتْ، فَاسْتَدْنَاهَا فَتَقَاعَسَتْ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُقِيمَتْ حَتَّى وَقِفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَخْبَرَتْهُ بِشَيْءٍ أَسْرَتْهُ إِلَيْهِ؛ فَدَعَا بِحِمَارِهِ فَرَكِبَهُ وَانْصَرَفَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: مَا ضَرُّكَ إِلَّا تَكُونَ خَلِيفَةً! فَكَادَتْ نَفْسُهُ تَخْرُجُ، حَتَّى دَعَا بِهِ وَأَدْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ. قَالَ: وَكَانَ الَّذِي خَبَرَتْهُ بِهِ أَنَّ الصَّنْعَةَ فِي الصَّوْتِ لِأَخْتِهِ عَلِيَّةَ بِنْتِ الْمَهْدِيِّ، وَكَانَتِ الْجَارِيَةَ لَهَا وَجَّهَتْ بِهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ يُطَارِحُهَا، فَغَارَ الرَّشِيدُ. وَلَحْنُ الصَّوْتِ خَفِيفٌ رَمَلٌ.

[شعره في ابنة خمارة]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ أَبِي يَأْلَفُ خَمَّارَةً بِالرَّقَّةِ يُقَالُ لَهَا بَشْرَةٌ تَنْزِلُ الْهَنْيَاءَ وَالْمَرِيءَ، وَكَانَتْ لَهَا بِنْتُ مَنْ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجَهَا فَكَانَ أَبِي يَتَحَلَّاهَا^(١)، ثُمَّ رَحَلَ الرَّشِيدُ عَنِ الرَّقَّةِ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، فَقَالَ أَبِي فِيهَا:

أَيَا بِنْتَ بَشْرَةٍ مَا عَاقَنِي عَنْ الْعَهْدِ بَعْدُكَ مِنْ عَائِقِ
نَفَى النَّوْمِ عَنِّي سَنَا بَارِقِ وَأَشْهَقَنِي فِي ذُرَى شَاهِقِ
[المقارِب]

قَالَ: وَفِيهَا يَقُولُ أَيْضًا مِنْ أُبْيَاتِ لَهُ، وَلَهُ فِيهَا صَنْعَةٌ مِنَ الرَّمْلِ الْأَوَّلِ:

وَزَعَمْتُ أَنِّي ظَالِمٌ فَهَجَرْتَنِي وَرَمَيْتَ فِي قَلْبِي بِسَهْمٍ نَافِذِ
وَنَعَمْ ظَلَمْتُكَ فَاغْفِرِي وَتَجَاوِزِي هَذَا مَقَامُ الْمُسْتَجِيرِ الْعَائِذِ
[الكامل]

(١) تحالَى الرجل، وتحالت المرأة: أظهرت حلاوتها، وتحلَّى فلان بما ليس فيه.

ذَكَرَ حَمَادٌ فِي هَذَا الْخَبَرِ أَنَّ لَحْنَ جَدِّهِ مِنَ الرَّمْلِ . وَوَجَدْتُ فِي كِتَابِ أَحْمَدَ بْنِ الْمَكِّيِّ أَنَّ لَهُ فِيهِمَا لَحْنَيْنِ : أَحَدُهُمَا ثَقِيلٌ أَوَّلٌ وَالْآخَرُ ثَانِيٌ ثَقِيلٌ .

[أغانيه في السجن]

حَدَّثَنِي عِيسَى بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الْخُزَاعِيُّ قَالَ : حَبَسَ الرَّشِيدُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ (يَعْنِي أَبَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ^(١)) فَسَمِعْنَاهُ لَيْلَةً وَقَدْ صَنَعَ هَذَا اللَّحْنَ وَهُوَ يُكْرِرُهُ حَتَّى يَسْتَوِي لَهُ :

يَا أَخْلَاءَ قَدْ مَلَلْتُ مَكَانِي وَتَذَكَّرْتُ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِي
شُرْبِي الرَّاحِ إِذْ تَقُومُ عَلَيْنَا ذَاتُ دَلٍّ كَأَنَّهَا غُصْنُ بَانٍ
[الوافر]

قال : وَغَنَى فِي الْحَبْسِ أَيْضًا :

أَلَا طَالَ لَيْلِي أُرَاعِي النُّجُومَ أَعَالِجُ فِي السَّاقِ كَبَلًا^(٢) ثَقِيلًا
[المتقارب]

[مات في الأبن]

حَدَّثَنِي عِيسَى قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلْوِيُّ الْأَعْسَرُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ فِي عِلَّتِهِ الَّتِي تُؤْفِي فِيهَا وَهُوَ فِي الْأَبْنِ^(٣) وَبِهِ الْقَوْلُجُ^(٤) الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، وَهُوَ يَتَرَنَّمُ بِهَذَا الصَّوْتِ :

صوت

تَغَيَّرَ مِنِّي كُلُّ حُسْنٍ وَجِدَّةٍ وَعَادَ عَلَيَّ تَغْيَرِي فَأَصْبَحَ أَثْرَمًا
وَمَحَلَّ أَطْرَافِي فَزَالَتْ فُصُوصُهَا وَحَتَّى عِظَامِي غُوجَهَا وَالْمُقُومَا
[الطويل]

(١) كَانَ صَاحِبَ الشَّرْطَةِ فِي أَيَّامِ الْمَهْدِيِّ فَالْهَادِي فَالرَّشِيدِ وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْقَوَادِ وَتَوَلَّى أَرْمِينِيَّةً وَأَذْرَبِيَّجَان .

(٢) الْكَبَلُ : الْقَيْدُ .

(٣) الْأَبْنُ : حَوْضٌ مِنْ نَحَاسٍ يَسْتَنْقِعُ فِيهِ الرَّجُلُ ، وَهُوَ مَعْرَبٌ ، وَجَعَلَ صَانِعُهُ نَجَارًا لِتَجْوِيدِهِ إِيَّاهُ .

(٤) «الْقَوْلُجُ» عَجَمِيَّةٌ ، «وَقَدْ تَكْسَرُ لَامُهُ ، أَوْ هُوَ مَكْسُورُ الْلَامِ ، وَيُقْتَحُ الْقَافُ وَيُضَمُّ : مَرَضٌ» مشهور «مَعْوِيٌّ» مَنْسُوبٌ إِلَى الْمَعَى «مُؤْلِمٌ» جَذًا «يَعْسُرُ مَعَهُ حُرُوجُ الثُّفْلِ وَالرَّيْحِ» .

قال محمد: فَحَدَّثْتُ بهذا الحديث إسحاق الموصلي، فَقَالَ: كَذَبَ ابْنُ الزَّانِيَةِ! وَاللَّهِ مَا كَانَ يَجْتَرِيءُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ وَهُوَ جَالِسٌ لِلنَّاسِ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ، فَكَيْفَ يَدْخُلُ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْأَبْزَنِ.

نسبة هذا الصوت

الشعر والغناء لإبراهيم، وله فيه لحنان مأخوَرٌ بالوسطى عن عمرو، وثاني ثقيل عن ابن المكيِّ حَدَّثَنِي جحظة قال: كَانَ الْمُقْتَدِرُ يَدْعُونَا فِي الْأَحْيَانِ، فَكَانَ يَحْضُرُ مِنَ الْمُعَنِّينَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْعُبَيْسِ وَكُنَيْزُ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ قَاسِمٍ وَأَنَا وَوَصِيفُ الزَّامِرِ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَا نُدْعَى لَهُ أَنَّ جَوَارِيَهُ كُنَّ يَطْلُبْنَهُ بِأَحْضَارِنَا لِأَخْذِنَا مِنَّا أَصْوَاتًا قَدْ عَرَفْنَاهَا وَيَسْمَعُنَا. فَتُعْنِي فَيَأْخُذْنَ مَا يَسْتَحْسِنُهُ، فَإِذَا انْصَرَفْنَا أَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَكُنَيْزِ دُبَّةً وَإِبْرَاهِيمَ بِثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ، وَلِي بِمِائَتِي دِينَارٍ، وَلِوَصِيفٍ بِمِائَتِي دِينَارٍ، وَلِسَائِرِ مَنْ لَعَلَّهُ أَنْ يَحْضُرَ مَعَنَا بِمِائَتَيْنِ إِلَى الْمِائَةِ الدِّينَارِ إِلَى الْأَلْفِ الدَّرْهَمِ، فَيَكُونُ إِذَا حَضَرْنَا مِنْ وَرَاءِ سِتَارَةٍ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ الْجَوَارِي، فَإِذَا أَرَادَ اقْتِرَاحَ شَيْءٍ جَاءَنَا الْخَدَمُ فَأَمَرُونَا أَنْ نُعْنِيَهُ، وَبَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا قَيْنَةٌ فِيهَا خَمْسَةُ أَرْطَالٍ نَبِيذٍ وَقِدْحٌ وَمَغْسَلٌ^(١) وَكَوْزُ مَاءٍ؛ فَعَنَّتْ يَوْمًا صِلْفَةً جَارِيَةً زَرْيَابَ بِصَنْعَةِ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ:

تَغَيَّرَ مِنِّي كُلُّ حُسْنٍ وَجِدَّةٍ وَعَادَ عَلَى ثَغْرِي فَأُصْبَحَ أَثْرَمًا
[الطويل]

فَشَرِبْتُ عَلَيْهِ، فَاسْتَعَادَهُ الْمُقْتَدِرُ مِرَارًا وَأَنَا أَشْرَبُ عَلَيْهِ؛ فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْعُبَيْسِ بِكَتْفِي وَقَالَ: يَا مَجْنُونُ! إِنَّمَا دُعِيتَ لِتُعْنِيَ لَا لِتُعْنِيَ وَتَطْرَبَ وَتَشْرَبَ، فَلَعَلَّكَ تَسْكُرُ، حَسْبُكَ، فَأَمْسَكْتُ طُمْعًا أَنْ تَرُدَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَمَا فَعَلْتُ وَلَا اجْتَمَعْنَا بَعْدَهَا، وَمَا سَمِعْتُ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا بَعْدَهُ أَحَدًا عَنِّي هَذَا الصَّوْتَ أَحْسَنَ مِمَّا عَنَّتُهُ. قَالَ: وَكَانَ الْمُقْتَدِرُ ابْتِاعَهَا مِنْ زَرْيَابَ.

[سعيد في رد مغترب]

أخبرني عمي قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: بَيْنَا أَنَا بِمَكَّةَ أَجُولُ فِي سِكَكِهَا إِذَا أَنَا بِسُودَاءَ قَائِمَةٍ سَاهِيَةٍ بَاكِيَةٍ، فَأُنْكَرْتُ حَالَهَا وَأَدْمَنْتُ النَّظَرَ إِلَيْهَا؛ فَبَكَتْ وَقَالَتْ:

أَعْمُرُو عَلَامَ تَجَنَّبْتَنِي؟ أَخَذَتْ فَوَادِي فَعَذَّبْتَنِي.

(١) المغسل: ما يُغسل فيه.

فلو كُنت، يا عمرو، خبَرْتَنِي أَخَذْتُ حِذَارِي، فما نِلْتَنِي
[المتقارب]

فَقُلْتُ لَهَا: يا هذه، من عمرو؟ قالت: زوجي؛ قُلْتُ: وما شأنه؟ قالت:
أخبرني أَنَّهُ يَهْوَني وما زال يَطْلُبُنِي حتى تزوجتُهُ، فَلَبِثَ معي قليلاً ثم مضى إلى جُدَّة
وتركني؛ فَقُلْتُ لَهَا: صِفْه لي؛ قالت: أَحْسَنُ مَنْ أَنْتِ رَائِيهِ سُمْرَةً وَأَحْلَاهُمْ حِلَاوَةً
وقدًا، فَركِبْتُ رَواحلي مع غِلْماني وصِرْتُ إلى جُدَّة، فَوَقُفْتُ في موضع المرفأِ أَتَبَصَّرُ
مَنْ يَحْمِلُ مِنَ السفن، وَأَمَرْتُ مَنْ يَصُوت: يا عمرو يا عمرو، وإذا أنا به خارجاً من
سفينة على عُنْقِهِ صَنْ^(١) فيه طعام، فَعَرَفْتُهُ بِصِفَتِهَا وَنَعْتِهَا إِيَّاه، فَقُلْتُ:

أَعْمُرُو عَلَامَ تَجَنَّبْتَنِي؟ أَخَذْتُ فَوَّادِي فَعَذَّبْتَنِي
[المتقارب]

فقال: هِيَ^(٢) أَرَأَيْتَهَا وَسَمِعْتَ مِنْهَا؟ فَقُلْتُ: نعم، فَأَطْرَقَ هُيَّهَ يَبْكِي، ثم اندفع
فَعَنَّى به أَمْلَحَ غَنَاءَ سَمِعْتُهُ، وَرَدَّدَهُ عَلَيَّ حتى أَخَذْتُهُ مِنْهُ، وإذا هو أَحْسَنُ النَّاسِ غَنَاءً،
فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَرْجِعْ إِلَيْهَا؟ فقال: طَلُبُ الْمَعَاشِ يَمْنَعُنِي؛ فَقُلْتُ: كم يكفيك معها في
كُلِّ سَنَةٍ، فقال: ثَلَاثُمِائَةِ دِرْهَمٍ - قال إِسْحَاقُ: قال لي أَبِي: فَوَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لو قال ثَلَاثُمِائَةِ
دِينَارٍ لَطَابَتْ نَفْسِي بِهَا - فَدَعَوْتُ بِهِ فَأَعْطَيْتُهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، وَقُلْتُ لَهُ: هذا لعشر
سنين على أَنْ تُقِيمَ معها، فلا تَطْلُبِ الْمَعَاشَ إِلَّا حَيْثُ هِيَ مُقِيمَةٌ مَعَكَ، ويكون ذلك
فضلاً: وَرَدَّدْتُهُ معي إِلَيْهَا.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبِي قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بن محمد النوفلي قال: حَدَّثَنَا
صالح بن علي (يعني الأَضَحَم) عن إبراهيم الموصلي - قال: وكان صالح جاره -
قال: بينا أنا عَشِيَّةً في منزلي إذ أتاني خادمٌ من خَدَمِ الرَشِيدِ فاستَحَثَّنِي بالركوب إليه
فَخَرَجْتُ شَبِيهاً بالراكض، فلما صِرْتُ إلى الدار عُدِلَ بي عن المدخل إلى طرق لا
أعرفها، فأنتهي بي إلى دارٍ حديثِ البناء، فَدَخَلْتُ صَحْنًا واسعاً، وكان الرشيد يشتهي
الصُّحُونِ الواسعة، فإذا هو جالسٌ على كرسِيٍّ في وسط ذلك الصَّحْن، ليس عنده أحد
إلا خادمٌ يسقيه، وإذا هو في لِبَسَتِهِ التي كان يَلْبِسُهَا في الصيف: غِلَالَةٌ^(٣) رقيقة

(١) الصِنْ أَيْضاً: يَوْمٌ من أيام العجوز. والصِنْ أَيْضاً: شِبْهُ السَّلَّةِ الْمُطْبَقَةِ، يُجْعَلُ فِيهِ الْخَبْزُ.

(٢) هِيَ: معناه طلب الحديث والاستزادة منه.

(٣) الْغِلَالَةُ: شعار يلبس تحت الثوب، لأنه لا يتغلل فيها، أي: يُدْخَلُ. وَغَلَّلَ الْغِلَالَةَ: لبسها تحت ثيابه، هذه عن ابن الأعرابي. وَالْعَلَّةُ: الْغِلَالَةُ وَقِيلَ: هِيَ كَالْغِلَالَةِ تَغُلُّ تَحْتَ الدَّرْعِ، أي: تُدْخَلُ. وَالْغَلَالُ: الدَّرْعُ. وَقِيلَ: بِطَائِنِ تَلْبَسُ تَحْتَ الدَّرْعِ.

مُتَوَشِّحٌ عَلَيْهَا بِإِزَارِ رَشِيدِي عَرِيضِ الْعَلَمِ مُضَرَّجٍ^(١) فَلَمَّا رَأَنِي هَشَّ لِي وَسُرَّ، وَقَالَ: يَا مَوْصِلِي، إِنِّي اشْتَهَيْتُ أَنْ أَجْلِسَ فِي هَذَا الصَّحْنِ فَلَمْ يَتَّفَقْ لِي إِلَى الْيَوْمِ، وَأَحْبَبْتُ أَلَّا يَكُونَ مَعِيَ وَمَعَكَ أَحَدٌ، ثُمَّ صَاحَ بِالْخُدَّامِ، فَوَافَاهُ مَائَةٌ وَصِيفٌ، وَإِذَا هُمْ بِالْأَرْقَةِ مُسْتَتِرُونَ بِالْأَسَاطِينِ^(٢) حَتَّى لَا يَرَاهُمْ، فَلَمَّا نَادَاهُمْ جَاؤُوا جَمِيعًا، فَقَالَ: مُقَطَّعَةٌ لِإِبْرَاهِيمِ، وَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ قَطَعَ، الْمُصَلَّيَاتِ، فَأَتَيْتُ بِمَقْعَدٍ فَأَلْقَيْ لِي تَجَاهَ وَجْهِهِ بِالْقَرَبِ مِنْهُ، وَدَعَا بَعُودَ فَقَالَ: بِحَيَاتِي أَطْرِبُنِي بِمَا قَدَّرْتَ؟ قَالَ: فَفَعَلْتُ وَاجْتَهَدْتُ فِي ذَلِكَ وَنَشِطْتُ وَرَجَوْتُ الْجَائِزَةَ فِي عَشِيِّي، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ مَسْرُورُ الْكَبِيرِ، فَقَامَ مَقَامَهُ الَّذِي كَانَ إِذَا قَامَهُ عَلِيمُ الرَّشِيدِ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُسَارَهُ بِشَيْءٍ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِالْدَنُوءِ، فَدَنَا، فَأَلْقَى فِي أُذُنِهِ كَلِمَةً خَفِيفَةً ثُمَّ تَنَحَّى، فَاسْتَشَاظَ غَضَبًا وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، ثُمَّ قَالَ: حَتَّامٌ أَصْبِرُ عَلَى آلِ بَنِي أَبِي طَالِبٍ! وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُهُمْ وَلَا أَقْتُلَنَّ شِيعَتَهُمْ وَلَا أَفْعَلَنَّ وَلَا أَفْعَلَنَّ! فَقُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ! لَيْسَ عِنْدَ هَذَا أَحَدٌ يُخْرِجُ غَضَبَهُ عَلَيْهِ، أَحْسَبُهُ وَاللَّهِ سَيُوقِعُ بِي، فَاَنْدَفَعْتُ أَغْنِي:

صوت

نَعَمْ عَوْنًا عَلَى الْهَمُومِ ثَلَاثُ
مُتْرَعَاتٍ مِنْ بَعْدِهِنَّ ثَلَاثُ
بَعْدَهَا أَرْبَعُ تَتَمَّةٌ عَشْرُ
لَا بِطَاءٍ لَكُنَّ هُنَّ حِثَاثُ^(٣)
فَإِذَا نَاوَلْتَكُنَّ هُنَّ جَوَارِ
عَطْرَاتٍ بِيضُ الْوُجُوهِ خِنَاثُ
تَمَّ فِيهَا لَكَ السَّرُورُ وَمَا
طَيِّبَ عَيْشًا إِلَّا الْخِنَاثُ الْإِنَاثُ
[الخفيف]

قَالَ: وَيْلَكَ! اسْقِنِي ثَلَاثًا لَا أُمْتُ هَمًّا؛ فَشَرِبَ ثَلَاثًا مُتَتَابِعَةً، ثُمَّ قَالَ: عَنْ فَعْنَيْتُ، فَلَمَّا قُلْتُ:

... ثَلَاثُ ... مُتْرَعَاتٍ مِنْ بَعْدِهِنَّ ثَلَاثُ

قَالَ: هَاتِ وَيْلَكَ ثَلَاثًا! ثُمَّ قَالَ لِي: عَنْ، فَلَمَّا عَنَيْتُهُ قَالَ: حُتَّ عَلَيَّ بِأَرْبَعِ تَتَمَّةِ الْعَشْرِ، فَفَعَلَ؛ فَوَاللَّهِ مَا اسْتَوْفَى آخِرُهُنَّ حَتَّى سَكِرَ، فَتَنَهَضَ لِيَدْخُلَ، ثُمَّ قَالَ: فَمُ يَا مَوْصِلِي فَاَنْصَرَفَ، يَا مَسْرُورُ، أَفَسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَيَاتِي وَبِحَقِّي إِلَّا سَبَقْتُهُ إِلَى مَنْزِلِهِ بِمَائَةٍ

(١) طُلُ شَيْءٍ تَلَطَّخَ بِالْدمِ وَغَبِرَهُ فَقَدْ تَضَرَّجَ.

(٢) الْأَسَاطِينُ: الْأَعْمَدَةُ.

(٣) حِثَاثُ: مَسْرَعَاتُ.

ألف درهم، لا أستمأرُ فيها ولا في شيء منها؛ فَخَرَجْتُ واللَّهِ وقد أَمِنْتُ خوفي وأدركْتُ ما أَمَلْتُ، ووافيتُ منزلي وقد سَبَقَتْنِي المائةُ الألفُ الدَّرهم إليه.

أخبرني عمِّي قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي سَعْدٍ قال: حَدَّثَنِي يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال: حَدَّثَنِي عبدُ اللَّهِ بن العَبَّاسِ بن الفضل بن الرِّبيع قال: خَرَجَ رسولُ الرِّشيد ذاتَ ليلةٍ إلى المُعَيِّن فقال: غنوا:

يا خَلِيلِي قَد مَلِلْتُ ثَوَائِي بِالْمُصَلِّ^(١) وَقَد سَمِمْتُ^(٢) الْبَقِيعَا^(٣)
بَلَّغَانِي دِيَارَ هِنْدٍ وَسُعْدَى وَأَرْجِعَانِي فَقَد هَوَيْتُ الرُّجُوعَا
[الخفيف]

قال: فَغَنَّاهُ ابْنُ جَامِعٍ، فلما فَرَعَ مِنْهُ طَرِبَ الرِّشيدُ وَشَرِبَ، فقال له إبراهيم الموصلي: يا سيدي، فاسمعه من نُبَيْطِيك فَعَنَّا، فَجَعَلَ ابْنُ جَامِعٍ يَرْحَفُ من أَوَّلِ البيت إلى آخره، وطَرِبَ هَارونُ فقال: ارفعوا الستارة؛ فقال له ابْنُ جَامِعٍ: مِنِّي واللَّهِ أخذه يا أمير المؤمنين؛ فأقبلَ على إبراهيم فقال: بحياتي صدق؟ قال: صدق وحياتِكَ يا سيدي، قال: وكيف أَخَذْتُهُ وهو أَبْخَلُ النَّاسِ إذا سُئِلَ شيئاً؟ قال: تَرَكْتُهُ يُعْغِيهِ وكان إذا سَكَرَ يَسْتَرْسِلُ فِيهِ فَيُعْغِيهِ مُسْتَوِيّاً ولا يَتَحَرَّزُ مِنِّي، فَأَخَذْتُهُ على هذا منه حتى وَفَّيْتُ^(٤) به.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان بَرْصُوما الزَّامِرُ وزَلْزَل الضَّارِبُ من سَوَادِ أَهْلِ الكُوفَةِ من أَهْلِ الخُشْنَةِ^(٥)

(١) موضع في المدينة المنورة.

(٢) ورد في بعض المصادر «سَمِتْتُ» بدل «سَمِمْتُ».

(٣) وهي بَقِيع الغرقد، وهو مدفن أهل المدينة النبوية وفيه مدافن أكثر أهل المدينة، وهناك قبر إبراهيم ابن النبي ﷺ وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو يلي باب المدينة الذي في جهة الشرق الذي وراء دار عثمان بن عفان رضي الله عنه وفيه يخرج إلى بَقِيع الغرقد هذا، قال الأصمعي: قطعت غرقدات في هذا الموضع حين دفن فيه عثمان بن مظعون رضي الله عنه فسمي بَقِيع الغرقد لهذا وقال الخليل: البَقِيع من الأرض موضع فيه أروم شجر وبه سمي بَقِيع الغرقد، والغرقد شجر كان ينبت هناك. وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما أوصى أن يدفن مع النبي ﷺ إلا أن يخاف أن يراق في ذلك محجم من دم، فممنعه مروان حتى كادت الفتنة أن تقع وأبى الحسين رضي الله عنه إلا أن يدفن مع جده ﷺ فكلمه عبد الله بن جعفر والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما فدفنه بالبَقِيع.

(٤) يريد الكاتب: جِئْتُ به وافيّاً تاماً لم أنقص منه شيئاً.

(٥) الخشنة: الصعوبة التي لا تطاق.

والبدادة^(١) والدناءة، فَقَدِمَ بهما أبي معه سنة حجٍّ، ووقفهما على الغناء العربي وأراهما وجوه النِّعم وثَقَّفَهُمَا حتى بَلَغَا المبلغ الذي بلغاه من خدمة الخليفة، وكانا أطع أهل دهرهما في صناعتيهما؛ فَحَدَّثَنِي أَبِي قال: كان لِرِزْلِ جاريةٍ قد رَبَّاهَا وَعَلَّمَهَا الضربَ وسألني مطارحتها فَطَارَحْتُهَا، وكانت مطبوعةً حاذقة؛ قال: فكان يَصُونُهَا أن يسمعها أحدٌ، فلما مات بلغني أنها تُعَرِّضُ في ميراثه للبيع، فَصِرْتُ إليها لِأَعْتَرِضَهَا، فَعَنَّتْ:

أَقْفَرَ مِنْ أَوْتَارِهِ الْعُودُ فَالْعُودُ لِلْأَوْتَارِ مَعْمُودُ.
وَأَوْحَشَ الْمِزْمَارُ مِنْ صَوْتِهِ فَمَالَهُ بَعْدَكَ تَغْرِيدُ.
مَنْ لِلْمِزْمِيرِ وَعِيدَانِهَا وَعَامِرُ اللَّذَاتِ مَفْقُودُ.
الْحَمْرُ تَبْكِي فِي أَبَارِيقِهَا وَالْقَيْنَةُ الْخَمَّ صَانَةُ الرُّودِ^(٢)

[السريع]

قال: وهذا شِعْرُ رثاه به صديق له كان بِالرَّقَّةِ، قال: فَأَبَكَتِ وَاللَّهِ عَيْنِي وَأَوْجَعَتْ قلبي. فَدَخَلْتُ على الرشيد فَحَدَّثْتُهُ بِحَدِيثِهَا، فَأَمَرَ بِاحْضَارِهَا فَحَضَرَتْ، فَقَالَ لَهَا: عَنِّي الصوت الذي حَدَّثَنِي إبراهيم عنك أَنَّكَ عَنَيْتِهِ، فَعَنَّتْهُ وهي تبكي؛ فَفَرَّقَ الرشيدُ لَهَا وَتَعَرَّغَتْ عِينَاهُ، وقال لَهَا: أَتُحِبِّينَ أن أَشْتَرِيكَ؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، لقد عَرَضَتْ عَلَيَّ ما يَقْصُرُ عنه الأملُ، ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيدي فَيَنْتَفِعَ بي، فازداد رِقَّةً عَلَيْهَا، وقال: عَنِّي صوتاً آخر، فَعَنَّتْ:

الْعَيْنُ تُظْهِرُ كَتْمَانِي وَتُبْدِيهِ وَالْقَلْبُ يَكْتُمُ مَا ضَمَّنْتُهُ فِيهِ
فَكَيْفَ يَنْكَتُمُ الْمَكْتُومُ بَيْنَهُمَا وَالْعَيْنُ تُظْهِرُهُ وَالْقَلْبُ يُخْفِيهِ

[البسيط]

فَأَمَرَ بَأَن تُتَبَاعَ وَتُعْتَقَ، ولم يزل يُجْري عليها إلى أن ماتت.

أخبرنا محمد قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قال لي الرشيدُ يوماً: يا إبراهيم، بَكَرَ عَلَيَّ عَدَاً حَتَّى نَصْطَبِحَ، فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا وَالصَّبْحُ كَفَرَسَيَّ رِهَانٍ، فَبَكَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِهِ خَالِياً، وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا خُوطُ^(٣) بَانَ أَوْ جَدَلُ عِنَانٍ، حُلُوهُ الْمَنْظَرِ،

(١) في الحديث البدادة من الإيمان هي رثاءة الهيئة، قال الكسائي: هو أن يكون الرجلُ مُتَفَهِّلاً رَثَ الْهَيْئَةِ، يقال منه: رَجُلٌ بَادُ الْهَيْئَةِ وَبَدُّهَا: رَثُهَا بَيْنَ الْبَدَادَةِ وَالْبُدُودَةِ، قال ابن الأثير: أَي رَثَ اللَّبْسَةِ، أَرَادَ التَّوَضُّعَ فِي اللَّبَاسِ وَتَرَكَ التَّبَجُّحَ بِهِ، وقال ابن الأعرابي: الْبَدُّ: الرَّجُلُ الْمُتَفَهِّلُ الْفَقِيرُ، قال: والبدادة: أن يكون يوماً مُتَزَيِّناً وَيَوْماً شَعِثاً، ويقال: هو تَرَكَ مُدَاوِمَةَ الزَّيْنَةِ.

(٢) الرود: الشابة الناعمة الحسنة.

(٣) الخوط: الغصن الناعم. يقول: خوطُ بَانَ، الواحدة خوطَةٌ.

دَمِثَةُ الشَّمَائِلِ، وَفِي يَدِهَا عَوْدٌ؛ فَقَالَ لَهَا: غَنِّي، فَغَنَّتْ فِي شَعْرِ أَبِي نُوَّاسٍ وَهُوَ:

تَوَهَّمَهُ قَلْبِي فَأَصْبَحَ خَدُّهُ وَفِيهِ مَكَانُ الْوَهْمِ مِنْ نَظْرِي أَثَرُ^(١)
وَمَرَّ بِفِكْرِي خَاطِرًا فَجَرَحَتْهُ وَلَمْ أَرِ جِسْمًا قَطُّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ
وَصَافَحَهُ قَلْبِي فَالَمَ كَفَّهُ فَمِنْ غَمَزِ قَلْبِي فِي أَنَامِلِهِ عَقْرُ
[الطويل]

قال إبراهيم: فَذَهَبَتْ وَاللَّهِ بِعَقْلِي حَتَّى كِدْتُ أَنْ أَفْتَضَحَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فقال: هَذِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا الشَّاعِرُ:

لَهَا قَلْبِي الْغَدَاةَ وَقَلْبُهَا لِي فَنَحْنُ كَذَاكَ فِي جَسَدَيْنِ رُوحُ
[الوافر]

ثم قال لها: غَنِّي، فغنت:

تَقُولُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِحْدَى نِسَائِهِمْ لِي الْكَبِدُ الْحَرَّى فَسِرْ وَلَكَ الصَّبْرُ
وَقَدْ خَنَقَتْهَا عَبْرَةٌ فَدَمَوْعُهَا عَلَى خَدَّهَا بِيضٌ وَفِي نَحْرِهَا صُفْرُ
[الطويل]

- الشعر لأبي الشَّيْصِ^(٢)، والغناء لعمر بن بانه، خفيف رَمَلٌ بالوسطى من كتابه. وفيه لِمُتَيْمٍ ثَانِي ثَقِيلٌ وخفيف رَمَلٌ آخر - قال: فَشَرِبَ وَسَقَانِي ثُمَّ سَقَاها، ثُمَّ قَالَ: غَنِّي يَا إِبْرَاهِيمَ، فَغَنَيْتُ حَسَبَ مَا فِي قَلْبِي غَيْرَ مُتَحَفِّظٍ مِنْ شَيْءٍ:

تَشَرَّبَ قَلْبِي حُبَّهَا وَمَشَى بِهِ تَمْشِي حُمَيَّا الْكَاسِ فِي جِسْمِ شَارِبِ
وَدَبَّ هَوَاهَا فِي عِظَامِي فَشَفَّهَا كَمَا دَبَّ فِي الْمَلْسُوعِ سُمُّ الْعَقَّارِ^(٣)
[الطويل]

قال: فَفَطِنَ بِتَعْرِيزِي، وَكَانَتْ جِهَالَةً مِنِّي، قَالَ: فَأَمْرَنِي بِالْإِنْصِرَافِ، وَلَمْ يَدْعُنِي شَهْرًا وَلَا حَضَرْتُ مَجْلِسَهُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ شَهْرٍ دَسَّ إِلَيَّ خَادِمًا مَعَهُ رُقْعَةً، فِيهَا مَكْتُوبٌ:

(١) أثر: أثره يبقى بعد ما يبرأ.

(٢) محمد بن علي بن عبد الله بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي. شاعر مطبوع، سريع الخاطر رقيق الألفاظ ولد ١٣٠هـ. من أهل الكوفة غلبه على الشهرة معاصره صريع الغواني وأبو نواس. وانقطع إلى أمير الرقة عقبة بن جعفر الخزاعي فأغناه عقبة عن سواه. ولقبه أبو الشَّيْصِ ويقال للنخلة إذا لم يكن لها نوى وذلك رديء مذموم. وهو ابن عم دعبل الخزاعي، عمي في آخر عمره قتله خادم لعقبة في الرقة، توفي سنة ١٩٦هـ.

(٣) عامر بن مالك الفزاري. شاعر جاهلي من قبيلة ذبيان، له شعر في كتاب شعراء قبيلة ذبيان في الجاهلية.

قد تخوفتُ أن أموتَ من الوجود ولم يذر من هويث بما بي
يا كتابي فافر السلام على من لا أسمي وقل له يا كتابي
إن كُفّا إليك قد بعثتني في شقاء مواصل وعذاب
[الخفيف]

فأتاني الخادم بالرقعة؛ فقلتُ له: ما هذا؟ قال: رقعة الجارية فلانة التي
عنتك بين يدي أمير المؤمنين؛ فأحسستُ القصة فشتمتُ الخادم ووثبتُ عليه
وضربتُهُ ضرباً شفيئ به نفسي وغيظي، وركبتُ إلى الرشيد من قوري فأخبرتهُ
القصة وأعطيتهُ الرقعة، فضحك حتى كاد يستلقي، ثم قال: على عمدي فعلتُ ذلك
بك لأمتجن مذهبك، وطريقتك، ثم دعا بالخادم؛ فلما خرج رأني فقال لي:
قطع الله يديك ورجليك، ويحك قتلتنني، فقلتُ: القتل والله كان بعض حقك
لما وردت به علي، ولكن رحمتك فأبقيتُ عليك، وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتي
في عقوبتك بما تستحقه. فأمر لي الرشيد بصلة سنية، والله يعلم أني ما فعلتُ
الذي فعلتُ عفاً ولكن خوفاً.

[طريقته في صنع الألحان]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني حماد بن إسحاق قال:
أخبرني أبي أنه سمع الرشيد وقد سأل جدي إبراهيم كيف يصنع إذا أراد أن يصوغ
الألحان، فقال: يا أمير المؤمنين، أخرج الهم من فكري وأمثل الطرب بين عيني،
فتسوغ لي مسالك الألحان التي أريد، فأسلكها بدليل الإيقاع، فأرجع مضياً ظافراً بما
أريد؛ فقال: يحق لك يا إبراهيم أن تُصيب وتظفر، وإن حُسن وصفك لمشاكل حُسن
صنعتك وغنائك.

أخبرني ابن المرزبان قال: حدثني حماد عن أبيه عن جدّه قال: أدركتُ يونس
الكاتب وهو شيخ كبير فعرضتُ عليه غنائي، فقال: إن عشتَ كُنتَ مُعني دهرَكَ.

قال حماد قال لي محمد بن الحسن: كان لكل واحد من المُعنيين مذهب في
الخفيف والثقيل، وكان مَعبدٌ ينفرد بالثقيل، وابنُ سريج بالرمل، وحكم بالهزج، ولم
يكن في المُعنيين أحد يتصرف في كل مذهب من الأغاني، إلا ابن سريج وإبراهيم
جدك وأبوك إسحاق.

حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال: حدثني أحمد بن
ثابت العبدي عن أبي الهذيل العلاف رأس المعتزلة عن ثمامة بن أشرس قال: مررتُ

بإبراهيم الموصليّ ويزيدَ حَوراءَ وهما مُصطبِحان ، وقد أخذَا بينهما صوتاً يُعَنِّيَانِه : هذا بيتاً وهذا بيتاً ، وهو :

أيا جبلي نَعْمَانِ بِاللَّهِ خَلِيّاً سَبِيلَ^(١) الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَيَّ نَسِيمُهَا
فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمَتْ عَلَى نَفْسٍ مَهْمُومٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا^(٢)
[الطويل]

قال ثُمَامَة : فوالله ما خِلْتُ أَنَّ شيئاً بقي من لذات الدنيا بعد ما كانا فيه .

[إبليس يطارحه الغناء]

أخبرنا محمد بن مَزِيد قال : حَدَّثَنَا حَمَّاد بن إِسْحَاق عن أبيه عن جَدِّهِ إِبْرَاهِيم قال : سألتُ الرَشِيدَ أَن يَهَبَ لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه إليَّ بوجهٍ ولا بسببٍ ، لأخلو فيه بجواري وإخواني ، فأذن لي في يوم السبت ، وقال لي : هو يوم أستثقله ، فاله فيه بما شئت ، فأقمتُ يوم السبت بمنزلي وتقدّمتُ في إصلاح طعامي وشرابي بما احتجتُ إليه ، وأمرتُ بوابي فأغلق الأبواب وتقدّمتُ^(٣) إليه ألا يأذن عليّ لأحد ؛ فبينما أنا في مجلسي والخدم قد حَفُوا بي وجواري يتردّدن بين يدي ، إذا أنا بشيخ ذي هيئة وجمال ، عليه خُفَّان قصيران وقميصان ناعمان ، وعلى رأسه قلنسوة لاطئة^(٤) ، وبيده عُكَّازة مُقَمَّعة بِفَضَّة ، وروائح المسك تفوح منه حتى ملأ البيت والدار ؛ فدأخلني بدخوله عليّ مع ما تقدّمتُ فيه غيظٌ ما تداخلي قطُّ مثله ، وهَمَمْتُ بِطَرْدِ بَوَّابِي ومن حجّبي لأجله ؛ فسَلَّم عليّ أحسنَ سلام فرَدَدْتُ عليه ، وأمرته بالجلوس فجلّس ، ثم أخذ بي في أحاديث الناس وأيام العرب وأحاديثها وأشعارها حتى سَلَّى^(٥) ما بي من الغضب ، وظنّنتُ أَنَّ غلمانِي تَحَرَّوْا مَسَرَّتِي بإدخالهم مثله عليّ لأدبه وظرفه ، فقلْتُ : هل لك في الطعام؟ فقال : لا حاجة لي فيه ، فقلت : هل لك في الشراب؟ فقال : ذلك إليك ، فشرَبْتُ رطلاً وسَقَيْتُهُ مثله ؛ فقال لي : يا أبا إِسْحَاق ، هل لك أن تُعْني لنا شيئاً

(١) ورد في بعض المصادر «طريق» بدل «سبيل» .

(٢) هذان البيان للمُرَّار بن سعيد بن خالد بن نضلة الفقعسي الأسدي . شاعر كان جده خالد بن نضلة قائد بني أسد يوم الكلاب وعاش في العصر الأموي ، كان قصيراً مفطر القصر ، ولكنه كان شجاعاً كريماً ولكنه كان من الشعراء اللصوص وقد سجن مرتين كان من سكان البادية ، وكان كثير الشعر ، ولكن فقد أكثره وموضوعات شعره تتناول الوصف والثناء والفخر والغزل والهجاء .

(٣) تقدّمت إليه . أمرته .

(٤) تقلّس باللاطئة وهي قلنسوة صغيرة تلبأ بالرأس .

(٥) سلى : أذهب وأزال .

من صَنَعْتِكَ وما قد نَفَقْتَ به عند الخاصّ والعام؟ فغاضني قوله، ثم سَهَلْتُ على نفسي أمره فَأَخَذْتُ العودَ فَجَسَسْتُه ثم ضَرَبْتُ فَعَنَيْتُ، فَقَالَ: أحسنت يا إبراهيم؛ فازداد غيظي وقلت: ما رضي بما فعله من دخوله عليّ بغير إذن واقتراحه أن أَعْنِيه حتى سَمَّاني ولم يُكْنِي ولم يُجَمِّلْ مخاطبتي! ثم قال: هل لك أن تزيدنا؟ فَتَدَمَّمْتُ^(١) فَأَخَذْتُ العودَ فَعَنَيْتُ؛ فقال: أَجَدْتُ يا أبا إسحاق! فَأَتَمَّ حتى نكافئك وَنُعْنِيكَ، فَأَخَذْتُ العودَ وَتَغْنَيْتُ وَتَحَفَّظْتُ وَقُمْتُ بما عَنَيْتُهُ إياه قياماً تاماً ما تحَفَّظْتَ مثله ولا قُمْتُ بغناء كما قُمْتُ به له بين يَدَيَّ خليفة قطّ ولا غيره، لقوله لي: أَكُفُّكَ، فَطُرِبَ وقال: أَحَسَّنْتَ يا سيدي، ثم قال: أَتَأْذَنَ لِعَبْدِكَ بالغناء. فَقُلْتُ: شَأْنُكَ، وَاسْتَضَعَفْتُ عَقْلَهُ فِي أَنْ يُعْنِيَنِي بِحَضْرَتِي بعد ما سمعه مِنِّي، فَأَخَذَ العودَ وَجَسَّهُ وَحَبَسَهُ، فَوَاللَّهِ لَخِلَّتْهُ يَنْطِقُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ لِحَسَنٍ مَا سَمِعْتُهُ من صوته، ثم تَعَنَّى:

صوت

وَلِي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ مِنْ يَبِيعَنِي بِهَا كَبِدٌ لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحِ
أَبَاهَا عَلَيَّ النَّاسُ لَا يَشْتَرُونَهَا وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ^(٢) بَصَحِيحِ
أَنْنُ مِنَ الشَّوْقِ الَّذِي فِي جَوَانِبِي أَنْيْنَ غَصِيصٍ بِالشَّرَابِ جَرِيحِ
[الطويل]

قال إبراهيم: فوالله لقد ظَنَنْتُ الحِيطَانَ والأبوابَ وكلَّ ما في البيت يُجِيبُهُ وَيُعْنِي معه من حسن غِنَائِهِ، حَتَّى خِلْتُ واللَّهِ أَنِّي أَسْمَعُ أَعْضَائِي وَثِيَابِي تَجَاوِبُهُ، وَبَقِيَتْ مَبْهُوتًا لَا أَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ وَلَا الْجَوَابَ وَلَا الْحَرَكَةَ لِمَا خَالَطَ قَلْبِي؛ ثُمَّ عَنَّى:

صوت

أَلَا يَا حَمَامَاتِ اللَّوَى عُذْنَ عَوْدَةً فَإِنِّي إِلَى أَصَوَاتِكُنَّ حَزِينُ
فَعُذْنَ فَلَمَّا عُذْنَ كِدْنَ يُمِثَّنَنِي وَكَدْتُ بِأَسْرَارِي لَهُنَّ أَبِينُ

(١) ذم صاحبه ذمًّا ومذمة وذممه. ورجل ذام وذمام لأصحابه، وذميم وذم كحب ومذمم. وإياك والمذام والملاوم. وأذم فلان وألام: أتى بما يذم عليه ويلام. وهو مذم: مليم. وبلوت فلاناً فأذمته: خلاف أحمده. وأردت ضربه ثم تدممت من أجل حق أو حرمة أي ذممت نفسي وانتهيت. ويقال: تدمم منه: استنكف واستحيا، وإنني أتدمم من القوم أن أتحول من عندهم إلى غيرهم، ولم أر منهم إلا ما أحب. واستدم إلى فلان: فعل ما يذمه عليه.

(٢) ورد في بعض المصادر «ذا عرة» بدل «ذا علة».

دَعْوَنَ بِتَرْدَادٍ^(١) الْهَدِيرِ كَأَنَّمَا
سُقَيْنَ حُمَيًّا أَوْ بِهِنَ جُنُونُ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُنَّ حَمَائِمًا
بَكَيْنَ وَلَمْ تَدْمَعْ لَهُنَّ عُيُونُ^(٢)
[الطويل]

لَمْ أَعْرِفْ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لِحْنًا يُنْسَبُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَالَّذِي عَرَفْتُهُ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بُسْخَرٍ خَفِيفُ رَمَلٍ - فَكَادَ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ، عَقْلِي أَنْ يَذْهَبَ طَرَبًا وَارْتِياحًا لَمَّا سَمِعْتُ؛ ثُمَّ غَنَى:

صوت

أَلَا يَا صَبَا نَجِدَ مَتَى هَجَتِ مِنْ نَجْدٍ
لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجَدًا عَلَى وَجْدٍ
أِنْ هَتَفْتُ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى
عَلَى فَنَنِ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّنْدِ^(٣)
بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الْحَزِينُ صَبَابَةً
وَذُبْتُ مِنَ الْحُزَنِ الْمَبْرُحِ وَالْجَهْدِ^(٤)
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمُحِجَّبَ إِذَا دَنَا
يَمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي^(٥) مِنَ الْوَجْدِ
بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشَفِّ مَا بَنَا
عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ
[الطويل]

ثم قال: يا إبراهيم، هذا الغناء الماخوري فخذه وانح نحوه في غنائك وعلمه جواريك، فقلت: أعدّه عليّ، فقال: لست تحتاج، قد أخذته وفرغت منه؛ ثم غاب من بين يديّ، فارتعت وقمت إلى السيف فجردته، وعدوت نحو أبواب الحرم فوجدتها مغلقة، فقلت للجواري: أي شيء سمعتن عندي؟ فقلن: سمعنا أحسن غناء

(١) ورد في بعض المصادر «بقرقار» بدل «ترداد».

(٢) هذا الشعر لعبد الله بن عبيد الله بن أحمد، من بني عامر بن تميم الله، من خثعم، أبو السري، والدمينة أمه. وهو شاعر بدوي، من أرق الناس شعراً، قل أن يرى مادحاً أو هاجياً، أكثر شعره الغزل والنسيب والفخر. كان العباس بن الأحنف يطرب ويترنح لشعره، واختار له أبو تمام في باب النسيب من ديوان الحماسة ستة مقاطيع. وهو من شعراء العصر الأموي، اغتاله مصعب بن عمرو السلولي، وهو عائد من الحج، في تبالة (بقرب بيشة للذاهب من الطائف) أو في سوق العبلاء (من أرض تبالة) سنة ١٣٠هـ.

(٣) أطيب نشرًا من الرند، ومن عود الهند؛ وهو شجر شاك بالبادية أو الحنة أو الآس. وقال الجعدي: أرجات يقضم من قضب الرند بثغر عذب كشوك السيل

(٤) ورد هذا البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ جَلِيدًا وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي

(٥) ورد في بعض المصادر «يسلي» بدل «يشفي».

سَمِعَ قَطًّا، فَخَرَجْتُ مُتَحَيِّرًا إِلَى بَابِ الدَّارِ فَوَجَدْتُهُ مُغْلَقًا، فَسَأَلْتُ الْبَوَّابَ عَنِ الشَّيْخِ؛ فَقَالَ لِي: أَيُّ شَيْخٍ هُوَ؟ وَاللَّهِ مَا دَخَلَ إِلَيْكَ الْيَوْمَ أَحَدٌ؛ فَرَجَعْتُ لِأَتَأَمَّلَ أَمْرِي، فَإِذَا هُوَ قَدْ هَتَفَ بِي، مِنْ بَعْضِ جَوَانِبِ الْبَيْتِ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، أَنَا إِبْلِيسُ وَأَنَا كُنْتُ جَلِيسَكَ وَنَدِيمَكَ الْيَوْمَ، فَلَا تُرْعَ. فَرَكِبْتُ إِلَى الرَّشِيدِ وَقُلْتُ: لَا أَطْرَفُهُ^(١) أَبَدًا بِطَرَفَةٍ مِثْلَ هَذِهِ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ، فَقَالَ: وَيَحَاكَ! تَأَمَّلْ هَذِهِ الْأَصْوَاتَ، هَلْ أَخَذْتَهَا؟ فَأَخَذْتُ الْعُودَ أَمْتَحْنُهَا، فَإِذَا هِيَ رَاسِخَةٌ فِي صَدْرِي كَأَنَّهَا لَمْ تَزَلْ؛ فَطَرَبَ الرَّشِيدَ عَلَيْهَا وَجَلَسَ يَشْرَبُ وَلَمْ يَكُنْ يَعْزَمُ عَلَى الشَّرَابِ، وَأَمَرَ لِي بِصَلَةِ وَحْمَلَانِ^(٢) وَقَالَ: الشَّيْخُ كَانَ أَعْلَمَ بِمَا قَالَ لَكَ مِنْ أَنَّكَ أَخَذْتَهَا وَفَرَعْتَ مِنْهَا، فَلَيْتَهُ أَمْتَعَنَا بِنَفْسِهِ يَوْمًا وَاحِدًا كَمَا أَمْتَعَكَ.

نسبة هذا الصوت

أَمَّا الصوت الأول فالذي أعرِفُهُ فِيهِ خَفِيفٌ رَمَلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بُسْحَنَرٍ، وَلَمْ يَقَعْ إِلَيَّ فِيهِ صَنْعَةٌ لِإِبْرَاهِيمَ. وَالصَّوْتُ الثَّانِي الَّذِي أَوَّلُهُ:

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هَجَّتِ مِنْ نَجْدٍ

فَشِعْرُهُ لِيَزِيدَ بْنِ الطَّخَرِيَّةِ، وَالْغِنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْبِنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو. وَفِيهِ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُضْعَبٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ وَعَمْرٍو. وَذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ فِيهِ لِحْنًا لِدَحْمَانَ وَلِحْنًا لِابْنِهِ الزُّبَيْرِ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي أَيِّ طَرِيقَةٍ هُمَا.

هَكَذَا حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ بِهَذَا الْخَبَرِ؛ وَمَا أَدْرِي مَا أَقُولُ فِيهِ، وَلَعَلَّ إِبْرَاهِيمَ صَنَعَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ لِتَتَنَفَّقَ بِهَا، أَوْ صُنِعَتْ وَحْكِيَتْ عَنْهُ. إِلَّا أَنَّ لِلْخَبَرِ أَصْلًا الْأَشْبَهُ بِالْحَقِّ مِنْهُ مَا حَدَّثَنِي بِهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَا حَدَّثَنَا عَمْرٌ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: صَنَعْتُ لِحْنًا فَأَعْجَبَنِي، وَجَعَلْتُ أَطْلُبُ شِعْرًا فَعَسَرَ ذَلِكَ عَلَيَّ، وَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَجُلًا لَقِينِي فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمَ، أَأَعْيَاكَ شِعْرُ لَغْنَائِكَ هَذَا الَّذِي تُعَجَّبُ بِهِ. قُلْتُ: نَعَمْ؛ قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ قَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ^(٣) حَيْثُ قَالَ:

(١) أَطْرَفْتُ شَيْئًا، أَيُّ: أَصَبْتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ لِي.

(٢) الْحُمَلَانُ: مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ مِنَ الدَّوَابِّ فِي الْهَبَةِ خَاصَّةً.

(٣) غِيلَانُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ نَهَيْسَ بْنِ مَسْعُودِ الْعَدَوِيِّ، مِنْ مَضَرَ، وَلَدَ عَامَ ٧٧ هـ. مِنْ فَحُولِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ فِي عَصْرِهِ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ: فَتَحَ الشَّعْرَ بِأَمْرِ الْقَيْسِ وَخَتَمَ بِذِي الرَّمَةِ. كَانَ شَدِيدَ الْقَصْرِ دَمِيمًا، يُضْرَبُ لَوْنُهُ إِلَى السَّوَادِ، أَكْثَرَ شَعْرُهُ تَشْبِيبٌ وَبِكَاءٌ أَطْلَالٌ، يَذْهَبُ فِي ذَلِكَ مَذْهَبُ الْجَاهِلِيِّينَ وَكَانَ مَقِيمًا بِالْبَادِيَةِ، يَخْتَلِفُ إِلَى الْيَمَامَةِ وَالْبَصْرَةِ كَثِيرًا، اِمْتَارَ بِإِجَادَةِ التَّشْبِيهِ. قَالَ جَرِيرٌ: =

أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرَائِكِ^(١) الْقَطْرُ
وَأِنْ لَمْ تَكُونِي غَيْرَ شَامٍ^(٢) بِقَفْرَةٍ تَجْرُبُهَا الْأَذْيَالُ صَيْفِيَّةً كُذْرُ

[الطويل]

قال: فانتبهت وأنا فرح بالشعر، فدعوت من ضرب عليّ وعتيته فإذا هو أوفق ما خلق الله، فلمّا علمت ذلك، وعملت هذا الغناء في شعر ذي الرمة، تنبهت عليه وعلى شعره فصنعت فيه ألحاناً ماخورية، منها:

صوت

أَمْنَزَلَتِي مَيِّ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا هَلِ الْأَرْمُنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ
وَهَلِ يُرْجِعُ التَّسْلِيمَ أَوْ يَكْشِفُ الْعَمَى ثَلَاثُ الْأَثَافِي^(٣) أَوْ رَسُومٌ بِلَاقِعُ

[الطويل]

صنعة إبراهيم في هذين الشعرين جميعاً من الماخوريّ بالوسطى، وهو خفيف الثقيل الثاني. وأخباره كلها في هذا المعنى تأتي في أخبار ذي الرمة مشروحة.

[تلحينه لشعر ذي الرمة]

حدّثني محمد بن مزيد قال حدّثني حمّاد عن أبيه قال: قال لي أبي: قال لي جعفر بن يحيى يوماً وقد علم أنّ الرشيد أذن لي وللمُعَنِّين في الانصراف يومئذٍ: صرّ

= لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته (ما بال عينيك منها الماء ينسكب) لكان أشعر الناس. عشق (ميّة) المنقرية واشتهر بها. توفي بأصبهان، وقيل: بالبادية سنة ١١٧هـ.

(١) الجرعة بالتحريك: واحدة الجرّع، وهي رملة مستوية لا تنبت شيئاً. وكذلك الجرعاء.

(٢) الشّام: أرض، سميت به لأنها من مشامة القبلة. ويقال الشام جمع شامة، وهي بقعة تخالف لون

الأرض، أي وإن أصبحت جزءاً أسود من الأرض قد فقد كل ما كان له من معالم.

(٣) قال أبو عبيدة: وثلاثة الأثافي: القطعة من الجبل يُجعل إلى جنبها اثنان فتكون القطعة مُتَّصِلة بالجبل؛ وقال خفاف بن ثدبة:

وإن قصيدة شُتْعَاء مَنَى إذا حَضَرَت كِثَالُثَةُ الْأَثَافِي
وقال أبو سعيد: في قولهم: «رَمَاهُ بِثَالِثَةِ الْأَثَافِي» إنه رماه بالشر كله، ففعله أثفية بعد أثفية، حتى إذا رماه بالثالثة لم يترك منها غاية، والدليل على ذلك قول علقمة:

بل كلّ قوم وإن عزّوا وإن كُرموا عريفهم بأثافي الشّر مَرْجُومُ
إلا تراه قد جمعها له.

قلت: والأثفية، عند العرب: حجر مثل رأس الإنسان؛ وجمعها: أثافي، بالتشديد، ويجوز التخفيف. وتنصب القدور عليها.

إِلَيَّ حَتَّى أَهْبَ لَكَ شَيْئًا حَسَنًا فَصِرْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ لِي: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ: أَهْبُ لَكَ الشَّيْءَ الْحَسَنَ الَّذِي وَعَدْتُكَ بِهِ، أَمْ أُرْسِدُكَ إِلَى شَيْءٍ تَكْسِبُ بِهِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ؟ فَقُلْتُ: بَلْ يَرِشْدُنِي الْوَزِيرُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - إِلَى هَذَا الْوَجْهِ فَإِنَّهُ يَقُومُ مَقَامَ إِعْطَائِهِ إِلَيَّ هَذَا الْحَسَنَ؛ فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْفَظُ شَعْرَ ذِي الرُّمَّةِ حَفَظَ الصَّبَا وَيُعْجِبُهُ وَيُؤَثِّرُهُ، فَإِذَا سَمِعَ فِيهِ غَنَاءً، أَطْرَبَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُطْرَبُهُ غَيْرُهُ مِمَّا لَا يَحْفَظُ شَعْرَهُ؛ فَإِذَا غَنَيْتَهُ فَأَطْرَبْتَهُ وَأَمَرَ لَكَ بِجَائِزَةٍ، فَقُمِ عَلَى رَجْلَيْكَ قَائِمًا وَقَبِّلِ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقُلْ لَهُ: لِي حَاجَةٌ غَيْرُ هَذِهِ الْجَائِزَةِ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهِيَ حَاجَةٌ تَقُومُ عِنْدِي مَقَامَ كُلِّ فَائِدَةٍ وَلَا تَضُرُّهُ وَلَا تَرْزُوهُ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكَ: أَيُّ شَيْءٍ حَاجَتُكَ؟ فَقُلْ: قِطِيعَةٌ تُقَطِّعُهَا سَهْلَةٌ عَلَيْكَ لَا قِيَمَةَ لَهَا وَلَا مَنَفْعَةَ فِيهَا لِأَحَدٍ؛ فَإِذَا أَجَابَكَ إِلَى ذَلِكَ، فَقُلْ لَهُ: تُقَطِّعُنِي شَعْرَ ذِي الرُّمَّةِ أُغْنِيَنِي فِيهِ مَا أَخْتَارُهُ وَتَحْظَرُ عَلَى الْمُغْنَيْنِ جَمِيعًا أَنْ يَدْخُلُونِي فِيهِ، فَإِنِّي أَحِبُّ شِعْرَهُ وَأَسْتَحْسِنُهُ فَلَا أُحِبُّ أَنْ يُنْعَصَّهُ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَتَوَثَّقُ مِنْهُ وَفِي ذَلِكَ؛ فَقَبِّلْتُ ذَلِكَ الْقَوْلَ مِنْهُ، وَمَا انْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا بِجَائِزَةٍ؛ وَتَوَخَّيْتُ وَقْتُ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَعْنَى حَتَّى وَجَدْتُهُ، فَقُمْتُ فَسَأَلْتُ كَمَا قَالَ لِي، وَتَبَيَّنْتُ السَّرُورَ فِي وَجْهِهِ، وَقَالَ: مَا سَأَلْتَ شَطَطًا، قَدْ أَقْطَعْتَكَ سُؤْلَتَكَ، فَجَعَلُوا يَتَضَاحُكُونَ مِنْ قَوْلِي وَيَقُولُونَ: لَقَدْ اسْتَضَحَّمْتَ الْقِطِيعَةَ وَهُوَ سَاكِتٌ؛ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَأْذَنُ لِي فِي التَّوَثُّقِ؟ قَالَ: تَوَثَّقْ كَيْفَ شِئْتَ، فَقُلْتُ: بِاللَّهِ وَبِحَقِّ رَسُولِهِ وَبِثَرَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ إِلَّا جَعَلْتَنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ ذَلِكَ بِأَنَّكَ تَحْلِفُ لِي أَنَّكَ، لَا تُعْطِي أَحَدًا مِنَ الْمُغْنَيْنِ جَائِزَةً عَلَى شَيْءٍ يُغْنِيهِ فِي شَعْرِ ذِي الرُّمَّةِ فَإِنَّ ذَلِكَ وَثِيقَتِي؛ فَحَلَفَ مُجْتَهِدًا لَهُمْ لِنِ غَنَاءِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي شَعْرِ ذِي الرُّمَّةِ لَا أَثَابَهُ بِشَيْءٍ وَلَا بَرَّهَ وَلَا سَمِعَ غَنَاءَهُ؛ فَشَكَرْتُ فِعْلَهُ وَقَبِّلْتُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَانْصَرَفْنَا. فَغَنَيْتُ مِائَةَ صَوْتٍ وَزِيَادَةً فِي شَعْرِ ذِي الرُّمَّةِ، فَكَانَ إِذَا سَمِعَ مِنْهَا صَوْتًا طَرَبَ وَزَادَ طَرِبُهُ وَوَصَلَنِي فَأَجْزَلَ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرِي؛ فَأَخَذْتُ مِنْهُ وَاللَّهُ بِهَا أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ بْنِ زِيَادِ الْكَاتِبِ قَالَ: حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو خَالِدٍ الْأَسْلَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْجَرَجَانِيِّ قَالَ: قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ: أُرْتَجِ عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ شِعْرًا أَصَوِّغُ فِيهِ غَنَاءً أُغْنِيَنِي فِيهِ الرِّشِيدَ، فَدَخَلْتُ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ دَارِي مَغْمُومًا، فَأُسْبِلَتِ السُّتُورُ عَلَيَّ وَغَلَبَتْني عَيْنِي، فَتَمَثَّلَ لِي فِي الْبَيْتِ شَيْخٌ أَشْوَهُ الْخِلْقَةَ، فَقَالَ لِي: يَا مَوْصِلِي، مَا لِي أَرَاكَ مَغْمُومًا، قُلْتُ: لَمْ أَصِبْ شِعْرًا أُغْنِيَنِي فِيهِ الرِّشِيدَ اللَّيْلَةَ؛ قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ قَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ:

أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى
وَأِنْ لَمْ تَكُونِي غَيْرَ شَامٍ^(٢) بِقَفْرَةٍ
أَقَامَتْ بِهَا حَتَّى ذَوِي الْعَوْدُ فِي الثَّرَى
وَحَتَّى أَعْتَلَى الْبُهِمَى^(٤) مِنَ الصَّيْفِ نَافِضٌ
وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرْعَائِكَ^(١) الْقَطْرُ
تَجْرُبُهَا الْأَذْيَالُ صَيْفِيَّةٌ كُدرُ
وَسَاقِ الثُّرَيَّا فِي مَلَأَتِهِ^(٣) الْفَجْرُ
كَمَا نَفَضْتُ خَيْلَ نَوَاصِيهَا شُقْرُ
[الطويل]

قال: وَعَنَّا فِيهِ فِيهِ بِلَحْنٍ وَكَرَّرَهُ حَتَّى عَلِقَتْهُ فَاَنْتَبَهْتُ وَأَنَا أُدِيرُهُ، فَنَادَيْتُ جَارِيَةً لِي وَأَمَرْتُهَا بِاحْضَارِ عَوْدٍ، وَمَا زِلْتُ أَتَرْتُمُ بِالصَّوْتِ وَهِيَ تَضْرِبُ حَتَّى اسْتَوَى لِي؛ ثُمَّ صِرْتُ إِلَى هَارُونَ فَغَنَيْتُهُ إِيَّاهُ، فَأَسَكَّتِ الْمُعَنِّينَ، ثُمَّ قَالَ: أَعِدْ فَأَعَدْتُ، فَمَا زَالَ لَيْلَتُهُ يَسْتَعِيدُنِيهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَمَرَ لِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَبِفَرْشِ الْبَيْتِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ، وَقَالَ: عَلَيْكَ بِشَعْرِ ذِي الرُّمَّةِ فَعَنَّ فِيهِ، فَصَنَعْتُ فِيهِ غَنَاءً كَثِيرًا، فَكُنْتُ أَعْنِيهِ بِهِ فَيَعْجِبُهُ وَيُجْزِلُ صِلَتِي.

أَخْبَرَنِي عَمِّي وَابْنُ الْمَرْزُبَانِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالُوا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو غَانِمٍ مَوْلَى جَبَلَةَ بْنِ يَزِيدَ السُّلَمِيِّ قَالَ: اجْتَمَعَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ وَزَلْزَلُ وَبَرْصُومَا بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ، فَضَرَبَ زَلْزَلُ وَزَمَرَ بَرْصُومَا وَعَنَى إِبْرَاهِيمُ:

صوت

صَحَا قَلْبِي وَرَاعَ^(٥) إِلَيَّ عَقْلِي
رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ وَكُنَّ صَوْرًا^(٦)
وَأَقْصَرَ بَاطِلِي وَنَسِيتُ جَهْلِي
إِلَيَّ صَرَمَنِّي وَقَطَعَنَ حَبْلِي
[الوافر]

(١) الْجَرْعَةُ بِالْتَحْرِيكِ: وَاحِدَةُ الْجَرَعِ، وَهِيَ رَمْلَةٌ مُسْتَوِيَةٌ لَا تَنْبَتُ شَيْئًا. وَكَذَلِكَ الْجَرْعَاءُ.

(٢) الشَّامُ: أَرْضٌ، سَمِيَتْ بِهِ لِأَنَّهَا مِنْ مَشَاطِئِ الْقِبْلَةِ. وَيُقَالُ الشَّامُ جَمْعُ شَامَةٍ، وَهِيَ بَقْعَةٌ تَخَالِفُ لَوْنَ الْأَرْضِ، أَيْ وَإِنْ أَصْبَحَتْ جِزَاءً أَسْوَدَ مِنَ الْأَرْضِ قَدْ فَقَدَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ مِنْ مَعَالِمٍ.

(٣) مَلَاءَةُ الْفَجْرِ: بَيَاضُهُ.

(٤) الْبِهْمَةُ: اسْمٌ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ بَقَرِ الْوَحْشِ وَغَيْرِهَا. وَالْبِهَامُ: جَمْعُ بِهْمَةٍ مِنْ أَوْلَادِ الْمَعْزَى. وَالْبُهِمَى: نَبَاتٌ تَجْدُّ بِهِ الْإِبِلُ وَجَدًا شَدِيدًا مَا دَامَ أَخْضَرَ، وَالْوَحْدَةُ بُهْمَةٌ. وَأُبْهَمَتِ الْأَرْضُ: نَبَتَ عَلَيْهَا الْبُهِمَى. وَالْإِبْهَامُ: الْإِصْبَعُ الْكُبْرَى، وَالْجَمْعُ: الْأَبَاهِيمُ. وَإِبْهَامُ الْأَمْرِ: أَنْ يَسْتَبِيهِ فَلَا يُعْرَفُ وَجْهُهُ. وَاسْتَبَهَمَ الْأَمْرُ اسْتَبْهَمًا. وَأُبْهَمْتُهُ فَأَنَا مُبْهَمٌ وَهُوَ مُبْهَمٌ. وَبَابُ مُبْهَمٍ: مُغْلَقٌ لَا يُهْتَدَى لِفَتْحِهِ. وَالْبِهِيمُ مِنَ الْأَلْوَانِ: مَا كَانَ لَوْنًا وَاحِدًا لَا شَيْءَ فِيهِ.

(٥) رَاعَ: رَجَعَ.

(٦) صَوْرٌ إِلَى كَذَا إِذَا أَمَالَ عُنْقَهُ وَوَجَّهَهُ إِلَيْهِ، فَهُوَ أَصُورٌ وَالْأُنْثَى صَوْرَاءُ.

فَطُرِبَ هَارُونُ حَتَّى وَثَبَ عَلَى رَجْلَيْهِ وَصَاحَ: يَا آدَمَ، لَوْ رَأَيْتَ مَنْ يَحْضُرُنِي مِنْ وَلَدِكَ الْيَوْمَ لَسَرَّكَ ثُمَّ جَلَسَ وَقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الشعرُ الذي غَنَّى فِيهِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ. وَالْغِنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ.

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ الرَّشِيدُ يَجِدُ بِمَارِدَةٍ وَجَدًا شَدِيدًا، فَغَضِبْتُ عَلَيْهِ وَغَضِبَ عَلَيْهَا، وَتَمَادَى بَيْنَهُمَا الْهَجْرُ أَيَّامًا؛ فَأَمَرَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ فَقَالَ:

رَاجِعْ أَحِبَّتَكَ الَّذِينَ هَجَرْتَهُمْ إِنَّ الْمُتَيِّمَ فَلَمَّا يَتَجَنَّبُ
إِنَّ التَّجَنَّبَ إِنْ تَطَاوَلَ مِنْكُمْ دَبَّ السُّلُوكُ فَعَزَّ الْمَطْلَبُ
[الكامل]

وَأَمَرَ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيَّ فَغَنَّى فِيهِ الرَّشِيدَ، فَلَمَّا سَمِعَهُ بَادَرَ إِلَى مَارِدَةٍ فَتَرْضَاهَا، فَسَأَلَتْ عَنْ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ فَعَرَفَتْهُ، فَأَمَرَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْعَبَّاسِ وَإِبْرَاهِيمَ بَعْشَرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، وَسَأَلَتِ الرَّشِيدَ أَنْ يَكَاثِبَهُمَا عَنْهَا، فَأَمَرَ لَهُمَا بِأَرْبَعِينَ آلَافٍ دِرْهَمٍ.

[أول جائزة من الرشيد]

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَوَّلُ جَائِزَةٍ خَرَجَتْ لِشَاعِرٍ مِنَ الرَّشِيدِ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ جَائِزَةٌ لِإِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّهُ قَالَ يَمْدَحُهُ لَمَّا وَلِيَ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ مَرِيضَةً فَلَمَّا وَلِيَ هَارُونُ أَشْرَقَ نُورُهَا
فَأَلْبَسَتِ الدُّنْيَا جَمَالًا بِوَجْهِهِ فَهَرُونَ وَالْيَهَا وَيَحْيَى وَزِيرُهَا
[الطويل]

وَعَنَى فِيهِ، فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، وَأَمَرَ لَهُ يَحْيَى بِخَمْسِينَ آلَافٍ دِرْهَمٍ.

[قامر الرشيد بالنرد]

أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ: أَنَّ أَبَاهُ لَعِبَ يَوْمًا مَعَ الرَّشِيدِ بِالنَّرْدِ فِي الْخِلْعَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الرَّشِيدِ وَالْخِلْعَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ هُوَ، فَتَقَامَرَ لِلرَّشِيدِ، فَلَمَّا قَمَرَهُ قَامَ إِبْرَاهِيمَ فَتَنَزَعَ ثِيَابَهُ، ثُمَّ قَالَ لِلرَّشِيدِ: حُكِمَ النَّرْدُ الْوَفَاءُ بِهِ، وَقَدْ قُمِرْتُ وَوَفِّيتُ لَكَ، فَالْبَسَ مَا كَانَ عَلَيَّ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: وَيْلَكَ! أَنَا أَلْبَسُ ثِيَابَكَ! فَقَالَ: إِي وَاللَّهِ إِذَا أَنْصَفْتُ، وَإِذَا لَمْ تَنْصِفْ قَدَرْتُ وَأَمَكْنُكَ؛ قَالَ: وَيْلَكَ! أَوْ أَفْتَدَى

منك؟ قال: نعم؛ قال: وما الفداء؟ قال: قل أنت يا أمير المؤمنين فإنك أولى بالقول؛ فقال: أعطيك كل ما علي، قال: فمُر به يا أمير المؤمنين وأنا أستخير الله في ذلك، فدعا بغير ما عليه فلبسه ونزع ما كان عليه فدفعه إلى إبراهيم.

[رهافة الحاسة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثَنِي عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثَنِي علي بن عبد الكريم قال: زار ابن جامع إبراهيم الموصلي؛ فأخرج إليه ثلاثين جاريةً فَضَرَبْنَ جميعاً طريقةً واحدةً وَغَنَيْنَ، فقال ابن جامع: في الأوتار وتَر غير مُستَوٍ، فقال إبراهيم: يا فلانة شُدِّي مَثْنَاكَ، فَشَدَّتْهُ فاستوى، فَعَجِبْتُ أولاً من فطنة ابن جامع لوتر في مائة وعشرين وترًا غير مستو، ثم ازداد عَجَبِي من فطنة إبراهيم له بعينه.

أخبرني إسماعيل بن يونس وحبیب بن نصر المَهَلَبِي، قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثَنِي إسحاق بن إبراهيم قال حَدَّثَنِي أبي قال: كُنَّا مع الرشيد بالرقَّة وكان هناك خَمَّار أقصده أشتري منه شراباً حسناً طيباً، وربما شَرِبْتُ في حانتيه، فأتيته يوماً فَبَزَلَ^(١) لي دَنَّا في باطية^(٢) له، فَرَأَيْتُ لونه حسناً صافياً، فاندَفَعْتُ أَغْنِي:

إِسْقِنِي صَهْبَاءَ صِرْفاً	لَمْ تُدْنَسْ بِمِزَاجِ
إِسْقِنِي وَاللَّيْلُ دَاجٍ	قَبْلَ أَصْوَاتِ الدَّجَاجِ
يَا أَبَا وَهْبٍ خَلِيلِي	كُلُّ هَمٍّ لَانْفِرَاجِ
حِينَ تَوَهَّتَ بِقَلْبِي	فِي أَعَاصِيرِ الْفِجَاجِ ^(٣)

[مجزوء الكامل]

- الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم هَزَجٌ بالوسطى عن عمرو. وفيها لسياط ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق - قال: فَدَهَشَ الْخَمَّارُ يَسْمَعُ صَوْتِي،

(١) بزل الشراب من المبزل: أساله منه وهو شبه طبي في الدن ونحوه يسيل منه. وقد تيزل الشراب: سال من المبزل. وجمل بزل، وقد بزل بزولاً، وإبل بزل وبوازل.

(٢) الباطية: إناء، وأظنه معرباً، وهو الناجود. قال الشاعر:

قَرُّبُوا عَوْدًا وَبَاطِيَةً فَبَذَا أَذْرَكْتُ حَاجَتِيهِ

(٣) الفَج: الطريق الواسع في جبل أو في قبل جبل، وهو أوسع من الشعب. وقال ثعلب: هو ما انخفض من الطرق. وجمعه: فِجَاج، وأَفْجَة، الأخيرة نادرة، قال جندل بن المشنى الحارثي. يجثن من أَفْجَة مَنَاهِج ووادٍ إِفْجِج: عميق، يمانية.

فَقُلْتُ له: وَيَحْك! قد فاض النبيذ من الباطية، فقال: دَعْنِي من النبيذ يا أبا إسحاق، مالي أرى صوتك حزيناً حريقاً، مات لك بالله إنسان؟، فلما جِئْتُ إلى الرشيد حَدَّثْتُهُ بذلك فجعل يضحك.

[مع الرشيد في مغامرة ماجنة]

وَذَكَرَ أحمد بن أبي طاهر أَنَّ المَدَائِنِي حَدَّثَ قال: قال، إبراهيم الموصلي قال لي الرشيد يوماً: يا إبراهيم، إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ غداً للحريم، وجعلت ليلته للشرب مع الرجال، وأنا مُقْتَصِرٌ عليك من المُعَنَّين، فلا تشتغل غدا بشيء ولا تشرب نبيذاً، وكن بحضرتي في وقت العشاء الآخرة، فَقُلْتُ: السَّمْعُ والطاعةُ لأَمِيرِ المؤمنين؛ فقال: وحقُّ أبي لئن تأخَّرتَ أو اعتَلَلْتَ بشيء لأضربنَّ عنقك، أَفَهِمْتَ! فَقُلْتُ: نعم، وَخَرَجْتُ فما جاءني أحد من إخواني إلا احتجبت عنه ولا قَرَأْتُ رقعة لأحد، حتى إذا صَلَّيْتُ المغرب رَكَبْتُ قاصداً إليه، فلما قُرْبْتُ من فناء داره مَرَرْتُ بفناء قصر، وإذا زَنْبِيلٌ كبيرٌ مُسْتَوْتِقٌ منه بحبال وأربع عُرَى آدم وقد دُلِّي من القصر، وجاريةٌ قائمة تنتظر إنساناً قد وُعِدَ لِيَجْلِسَ فيه، فنارَعَتْنِي نفسي إلى الجلوس فيه، ثم قلت: هذا خطأ، ولعله أن يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك، فلم أزل أُنازِعُ نفسي وتنازعني حتى غَلَبَتْنِي، فنزلت فجلست فيه، ومُدَّ الزنبيل حتى صار في أعلى القصر، ثم خرجت فنزلت، فإذا جوارٍ كأنهنَّ المهاجلوس، فَضَحِكْنَ وطَرَبْنَ، وَقُلْنَ: قد جاء والله من أردناه؛ فلما رأيتنِي من قريب تَبَادَرْنَ إلى الحجاب وَقُلْنَ: يا عدو الله، ما أدخلك إلينا؟ فَقُلْتُ: يا عدوَاتِ الله، ومن الذي أَرَدْتَنِ إدخاله؟ ولم صار أولى بهذا مِنِّي؟ فلم يَزَلْ هذا دأبنا وهُنَّ يَضْحَكْنَ وأضحك مَعَهُنَّ، ثم قالت إحداهنَّ: أما من أردناه فقد فات، وما هذا إلا ظريف، فهلم نُعَاشِرُهُ عشرةً جميلةً، فَأُخْرِجَ إِلَيَّ طعام ودُعِيَتْ إلى أكله، فلم يكن في فضلٍ إلا أَنِّي كَرِهْتُ أن أنسب إلى سوء العشرة، فَأَصَبْتُ منه إصابةً مُعَذِّراً^(١)، ثم جِيء بالنبيذ فَجَعَلْنَا نشرب، وأخرجن إلي ثلاث جوارٍ لهن فَعَنَّين غناءً مليحاً، فَعَنَّتْ إحداهنَّ صوتاً لِمَعْبَدٍ، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر: أحسن إبراهيم، هذا له؛ فَقُلْتُ: كَذَبْتَ ليس هذا له، هذا لمعبد؛ فَقَالَتْ: يا فاسق، وما يدريك الغناء ما هو! ثم عَنَّتْ الأخرى صوتاً لِلْغَرِيضِ، فقالت تلك: أحسن إبراهيم، هذا له أيضاً، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ يا خبيثة، هذا للغريض؛ فَقَالَتْ: اللهم أخزِه، ويلك! وما يدريك! ثم عَنَّتْ الجارية صوتاً لي، فقالت تلك: أحسن ابن

(١) المعذّر: المعتذر.

سُرِّيج، هذا له؛ فَقُلْتُ: كَذِبْتَ هذا لإبراهيم، وأنت تنسُبِين غناء الناس إليه وغناءه إليهم؛ فقالت: وَيحك! وما يدريك! فقلت: أنا إبراهيم، فتباشرنَ بذلك جميعاً وطربنَ كُلهن وظهرنَ كُلهن لي وقلنَ: كتمتْنا نفسَكَ وقد سررتْنا؛ فقلت: أنا الآن أستودعكنَ الله، فقلنَ: وما السبب؟ فأخبرتْهنَّ بقصتي مع الرشيد؛ فَضَحكن وقلنَ: الآن والله طاب حبسك، علينا وعلينا إنْ خَرَجْتَ أسبوعاً؛ فقلت: هو والله القتل، قلنَ: إلى لعنة الله. فأقمتُ والله عندهنَّ أسبوعاً لا أزول فلما كان بعد الأسبوع ودَّعَني وقلنَ: إن سلمك الله فأنت بعد ثلاث عندنا، قُلْتُ: نعم، فأجلستْني في الزنبيل وسرَّختُ، فَمَضَيْتُ لوجهي حتى أتيتُ دارَ الرشيد، وإذا النداء قد أشيع ببغدادَ في طلبي وأنَّ من أحضرني فقد سُوِّغَ ملكي وأُقطعَ مالي؛ فاستأذنتُ فتبادر الخدمُ حتى أدخلوني على الرشيد؛ فلما رآني شتمني وقال: السيف والنُّطع! إيه يا إبراهيم، تهاونتَ بأمرِي وتَشَاعَلْتَ بالعوامَ عما أمرتك به وجلستَ مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدتَ عليّ لذتي، فَقُلْتُ: يا أمير المؤمنين، أنا بين يديك، وما أمرتَ به غيرَ فائت، ولي حديث عجيب ما سَمِعَ بمثله قطُّ وهو الذي قطعني عنك ضرورةً لا اختياراً، فاسمعه، فإن كان عذراً فاقبله وإلا فأنت أعلم، قال: هاتِهِ فليس يُنْجِيكَ، فَحَدَّثْتُهُ، فَوَجَمَ ساعةً ثم قال: إنَّ هذا لَعَجَبٌ، أفتُحضرني معك هذا الموضع؟ قُلْتُ: نعم، وأجلسك معهنَّ إن شئتَ قبلي حتى تحصل عندهنَّ، وإن شئتَ فعلى موعد؛ قال: بل على موعد؛ قلت: أفعل؛ فقال: انظر، قُلْتُ: ذلك حاصلٌ - إليك متى شئتَ؛ فعدل عن رأيه فيّ وأجلسني وشربَ وطربَ، فلما أصبحتُ أمرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهنَّ، فَمَضَيْتُ إليهنَّ في وقت الوعد، فلما وافيتُ الموضع إذا الزنبيل مُعلَّق، فَجَلَسْتُ فيه ومدَّه الجواري فَصَعِدْتُ، فلما رأيَني تباشرنَ وَحَمِدْنَ الله على سلامتي، وأقمتُ ليلتي، فلما أرَدْتُ الانصراف قُلْتُ لَهُنَّ: إنَّ لي أخاً هو عِدْلُ^(١) نفسي عندي، وقد أَحَبَّ معاشرتكُن ووعَدْتُهُ بذلك، فَقُلْنَ: إن كنت ترضاه فمرحباً به؛ فوعدتهن ليلةً عَدِ وانصرفْتُ وأتيت الرشيد وأخبرْتُهُ؛ فلما كان الوقتُ خَرَجَ معي مُتَخَفِياً حتى أتينا الموضع، فَصَعِدْتُ وصَعَدَ بعدي ونزلنا جميعاً، وقد كان الله وفَّقني لأن قلتَ لهن: إذا جاء صديقي فاستترِ عَنِّي وعنه ولا يسمع لكُنَّ نَظْفَةً، وليكن ما تَحْتَرُّهُ من غناء أو تَقْلُنُهُ من قولٍ مُراسلةٍ فلم يتعدَّينَ ذلك وأقمنَ على أتمِّ سترٍ وخَفَرٍ، وشربنا شرباً كثيراً، وقد كان أمرني ألا أخطبُهُ بأمر المؤمنين، فلما أخذ مِنِّي النبيذُ قُلْتُ سهواً: يا أمير

(١) قال الأخفش: العِدْلُ بالكسر: المِثْلُ.

المؤمنين، فتَوَاتَبَنَ من وراء الستارة حتى غابت عَنَّا حركاتهنَّ؛ فقال لي: يا إبراهيم لقد أفلت من أمرٍ عظيم، واللَّه لو بَرَزْتُ إليك واحدةً منهنَّ لَضَرَبْتُ عنقك، قُمْ بنا، فانصرفنا، وإذا هُنَّ له، قد كان غَضِبَ عليهنَّ فَحَبَسَهُنَّ في ذلك القصر، ثم وَجَّه من غد بِخَدَم فردَّوهنَّ إلى قصره، وَوَهَبَ لي مائة ألف درهم، وكانت الهدايا والألطف تأتيني بعد ذلك مِنْهُنَّ.

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حَدَّثَنَا حَمَاد بن إِسْحَاق عن أبيه قال حَدَّثَنِي أَبِي قال: دَخَلْتُ على الرشيد يوماً فقال لي: أنا اليوم كسلان خائر^(١)، فَإِنْ غَيَّيْتَنِي صوتاً يوقظ نشاطي أحسنت صلتك، فَعَيَّيْتُهُ:

وَلَمْ يُرَ فِي الدُّنْيَا مُحِبَّانِ مِثْلُنَا على ما نلاقي من ذوي الأعين الخُزُرِ
صَفِيَّانِ لَا نَرْضَى الوُشَاةَ إِذَا وَشَوْا عفيفان لا نَعْشَى من الأمر ما يُزْري
[الطويل]

فَطُرِبَ، ودعا بالطعام فَأَكَلَ وَشَرِبَ، وأمر لي بخمسين ألف درهم.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثَنِي إِسْحَاق قال: قال لي أبي قال لي يحيى بن خالد: إِنَّ ابنتك دَنَانِيرَ قد عَمَلَتْ صوتاً أعجبي وأُعْجِبَتْ أيضاً هي به، فَقُلْتُ لها: لَا تُعْجِبِي به حتى أَعْرِضَهُ على أبيك أبي إِسْحَاق؛ فَقُلْتُ له: واللَّه ما في معرفة الوزير - أعزَّه اللّهُ - به ولا بغيره من الصنائع مَطْعَن، وإنه لأَصْحُ العالم تَمِيُّزاً وأَثْبُهُ فُطْنَةً، وما أعجبه إلا وهو صحيح حَسَن، فقال: إِنْ كُنْتُ كما تقول أيضاً، فَإِنَّ أَهْلَ كُلِّ صِنَاعَةٍ يُمارسونها أفهمُ بها مِمَّنْ يَعْلَمُهَا عن عُرْض من غير مُمارسة، ولو كنا في هذه الصناعة متساويين لكان الاستظهارُ برأيك أجودَ، لأنَّ ميلي إلى صناعة الصوت ربما حَسَّنَ عندي ما ليس بالحسن، وإنما يتم سروري به بعد سماعك إياه واستحسانك له على الحقيقة؛ فَمَضَيْتُ فَوَجَدْتُ ستارةً منصوبةً وأمرأً قد تُقَدِّم فيه قبلي، فَجَلَسْتُ فَسَلَّمْتُ علي الجارية، وَقُلْتُ لها: تَغَيَّنِي الصوت الذي ذكره لي الوزير أعزَّه اللّهُ، فقالت: إِنْ الوزير قال لي: إِنْ استجاده فعرفني ليتم سروري به، وإلا فاطوِ الخبر عَنِّي لئلاَّ تزول رُبَّتُهُ عندي؛ فَقُلْتُ: هاتيه حتى أسمعها، فَعَمَّتْ تقول:

نَفْسِي أَكُنْتُ عَلَيْكَ مُدَّعِيَا أم حين أزمع بينهم خُنتِ

(١) عن ثعلب - عن ابن الأعرابي - : خثرت نفسه - إذا خبثت. وقال - في موضع آخر - : خثر الرجل - إذا غثت نفسه.

إِنْ كُنْتُ هَائِمَةً بِذِكْرِهِمْ فَعَلَى فِرَاقِهِمْ أَلَا حُمْتُ

[الكامل]

قال: فَأَحْسَنْتُ وَاللَّهِ وَمَا قَصَّرْتُ، فَاسْتَعْدْتُه لِأُطْلَبَ فِيهِ مَوْضِعاً لِأُصْلَحَ فِيكَونَ لِي فِيهِ مَعْنَى فَمَا وَجَدْتُ، قُلْتُ: أَحْسَنْتُ وَاللَّهِ يَا بُنَيَّةُ مَا شِئْتُ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَى يَحْيَى فَحَلَفْتُ لَهُ بِإِيْمَانٍ رَاضِيهَا أَنَّ كَثِيراً مِنْ خُذَاقِ الْمُعَنِّيْنَ لَا يُحْسِنُونَ أَنْ يَصْنَعُوا مِثْلَهُ، وَلَقَدْ اسْتَعْدْتُه لِأَرَى فِيهِ مَوْضِعاً يَكُونُ لِي فِيهِ عَمَلٌ فَمَا وَجَدْتُ، فَقَالَ: وَصَفُكَ لَهَا مِنْ أَجَلِهِ يَقُومُ مَقَامَ تَعْلِيمِكَ إِيَّاهَا، فَقَدْ وَاللَّهِ سَرَرْتَنِي وَسَاسِرُكَ، فَلَمَّا انْصَرَفْتُ أَتْبَعْنِي بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

[مع شاعرة]

حَدَّثَنِي عَمِي وَابْنُ الْمَرْزَبَانِ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، وَلَمْ يَقُلْ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَفِي مَنْزِلِي ذَاتَ يَوْمٍ وَأَنَا مَفْكُرٌ فِي الرُّكُوبِ مَرَّةً وَفِي الْقُعُودِ مَرَّةً، إِذَا غَلَامِي قَدْ دَخَلَ وَمَعَهُ خَادِمُ الرَّشِيدِ يَأْمُرُنِي بِالْحَضُورِ مِنْ وَقْتِي، فَزَكَبْتُ وَصِرْتُ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ لِي: اجْلِسْ يَا إِبْرَاهِيمَ حَتَّى أُرِيكَ عَجَباً، فَجَلَسْتُ، فَقَالَ: عَلَيَّ بِالْأَعْرَابِيَّةِ وَابْنَتِهَا؛ فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ أَعْرَابِيَّةً وَمَعَهَا بُنَيَّةٌ لَهَا عَشْرٌ أَوْ أَرْجَحُ؛ فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمَ، إِنْ هَذِهِ الصَّبِيَّةُ تَقُولُ الشَّعْرَ، فَقُلْتُ لِأُمِّهَا: مَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَتْ: هِيَ هَذِهِ قَدَامَكَ فَسَلِّهَا، فَقُلْتُ: يَا حَبِيبَةَ، أَتَقُولِينَ الشَّعْرَ. فَقَالَتْ نَعَمْ؛ فَقُلْتُ: أَنْشِدْنِي بَعْضَ مَا قُلْتَ؛ فَأَنْشَدْتَنِي:

صوت

تَقُولُ لِأَثْرَابٍ لَهَا وَهِيَ تَمْتَرِي^(١) دُمُوعاً عَلَى الْخَدَّيْنِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ
أَكُلُ فَتَاةٍ لَا مَحَالَةَ نَازِلٌ بَهَا مِثْلَ مَا بِي أَمْ بُلَيْتُ بِهِ وَحْدِي
بَرَانِي لَهُ حُبٌّ تَنْشَبُ فِي الْحَشَى فَلَمْ يُبْقِ مِنْ جَسَمِي سِوَى الْعِظَمِ وَالْجِلْدِ
وَجَدْتُ الْهَوَى حُلُوءاً لَذِيذاً بِدَيْئُهُ وَآخِرُهُ مَرٌّ لِصَاحِبِهِ مُرْدِي

[الطويل]

قال الشَّيْبِيُّ^(٢) فِي خَبَرِهِ: قَالَ إِسْحَاقُ: وَكَانَ أَبِي حَاضِراً، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا تَبْرَحْ يَا

(١) تَمْتَرِي دُمُوعاً: تَسْتَدْرِهَا وَتَسْتَخْرِجُهَا.

(٢) الشَّيْبِيُّ: هُوَ أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ، مَنْسُوبٌ إِلَى وَالِدِهِ شَبَّةٍ.

أمير المؤمنين أو نصنع في هذه الأبيات لحناً، فصغت فيها أنا وأبي وجميع من حضر. وقال الآخرون: قال إبراهيم: فما برحت حتى صنعت فيه لحناً وتغنيت به وهي حاضرة تسمع. قال ابن المرزبان في خبره، ولم يذكره عمي، فقالت: يا أمير المؤمنين، قد أحسن رواية ما قلت، أفتأذن لي أن أكافئه بمدح أقوله فيه. قال: افعلني، فقالت:

صوت

ما لإبراهيم في العلم بهذا الشأن ثاني
إنمأ عمراً أبي إسحاق زين للزمان
منه يُجنى ثمر الله وريحان الجنان
جئة الدنيا أبو إسحاق في كل مكان
[مجزوء الرمل]

قال: فأمر لها الرشيد بجائزة، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، فوهبت لها شطرها. اللحن الذي صنعه إبراهيم في شعر الأعرابية ثقیلٌ أول بالوسطى. وفيه لعلويه ثاني ثقیل. وأما الشعر الثاني فهو لابن سيابة لا يُشك فيه. ولإبراهيم فيه لحن من خفيف الثقیل.

أخبرني محمد بن مزید عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كنتُ أخذتُ بالمدينة من مجنون بها هذا الصوت، وغَيَّيْتُه الرشيد وقلْتُ:

صوت

هما فتاتان لمّا تعرّفا خلقي
رأيتُ عرسِي لمّا ضَمَنِي كبري
كلّ الفَعَال الذي يَفْعَلْنَهُ حَسَنٌ
بل احذرا صولة من صول شيخكما
وبالشباب على شَيْبِي تُدَلّانِ
وشِخْتُ، أزمعتا صرْمِي وهجراني
يُضْبِي فؤادي ويُبْدي سِرَّ أشْجاني
مَهْلاً على الشيخ مَهْلاً يا فتاتان
[البسيط]

فَطَرَبَ وأمر لي بِطَبِيَّة^(١) كانت مُلقاة بين يديه، فيها ألف دينار مَسِيفَة^(٢)، وكان

(١) الطَبِيَّة: جِرابٌ صغير من مَسَكِ البَهْمَةِ من العَنَم.

(٢) يقال: درهم مسيف إذا كانت جوانبه نقيه من النقش.

ابنُ جامع حاضِراً، فَقَالَ: اسمع يا أمير المؤمنين غناء العقلاء ودع غناء المجانين،
وكان أشدَّ خُلُقِ الله حسداً، فَعَنَّاَه:

صوت

ولقد قالت لأترابٍ لها كالمها يلعبن في حُجْرَتِها
خُذْن عَنِّي الظِّلَّ لا يتبعُني ومَضَتْ سَعياً إلى قُبَّتِها
[الرملة]

فَطَرِبَ وشَرِبَ، وأمر له بألف وخمسمائة دينار. ثم تَبِعَهُ محمد بن حمزة وَجْهَ
القرعة فَعَنَى:

صوت

يَمْشُونَ فيها بِكُلِّ سَابِغَةٍ أَحْكِم فيها القَتِيرُ^(١) والحَلَقُ
يُعرَفُ إنصافُهُمْ إذا شَهِدُوا وصبرُهُم حين تَشَخَّص الحَدَقُ
[المنسرح]

فاستحسنه وشَرِبَ عليه، وأمر له بخمسمائة دينار. ثم عَنَى عَلَوِيه:

صوت

يَجْحَدُنْ^(٢) دِينَي بالنَّهَارِ وأَقْتَضِي دِينَي إِذَا وَقَدَ النُّعَاسُ الرُّقْدَا
وأرى العَوَانِي لا يُواصِلْنَ أَمراً فَقَدَ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلْنَ الأَمْرَدَا^(٣)
[الكامل]

فدعا به الرشيد وقال له: يا عاضَّ بَطَرِ أُمِّه! أَتُعَنِّي في مدح المُرْدِ وذَمِّ الشَّيْبِ
وسِتارتي منصوبة وقد شُبْتُ وكَأَنَّكَ تُعَرِّضُ بي! ثم دعا مسروراً فأمره أن يأخذ بِيَدِهِ
فَيَضْرِبَهُ ثلاثين دِرَّةً وَيُخْرِجَهُ من مجلسِهِ، فَفَعَلَ، وما انتفعنا به بَقِيَّةَ يومنا ولا انتفع
بنفسِهِ، وجفا عَلَوِيه شهراً، ثم سألناه فيه فَأَذِنَ له.

قال أبو الفرج: لإبراهيم أخبار مع خنث المعروفة بذات الخال، وكان يهواها،

(١) ومن المجاز: لاح به القتير: أوائل الشيب وأصله: رؤوس مسامير الدرع وسمي قتيماً لأنه قتر أي
قدّر فَعِلَ بمعنى مفعول.

(٢) ورد في بعض المصادر «يلويني» بدل «يجحدن».

(٣) ينسب هذا الشعر للأعشى.

جَعَلْتُهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ؛ لِأَنَّهَا مُتَفَرِّدَةٌ بِذَاتِهَا مُسْتَعْنِيَةٌ عَنْ إِدْخَالِهَا فِي غِمَارِ أَخْبَارِهِ . وَلَهُ فِي هَذِهِ الْجَارِيَةِ شَعْرٌ كَثِيرٌ فِيهِ غِنَاءٌ لَهُ وَلِغَيْرِهِ ؛ وَقَدْ شَرَطْتُ أَنْ الشَّيْءَ مِنْ أَخْبَارِ الشُّعْرَاءِ وَالْمُغَنِّينَ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ سَبِيلُهُ أَفْرَدَهُ ، لِثَلَا يَقْطَعَ بَيْنَ الْقُرَّائِنِ وَالنَّظَائِرِ مِمَّا تُضَافُ إِلَيْهِ وَتَدْخُلُ فِيهِ .

[في مرض الموت]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدٌ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : سَمِعْتُ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيَّ يَقُولُ : لَمَّا دَخَلْتُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةً اشْتَدَّ أَمْرُ الْقَوْلَنْجِ عَلَى أَبِي وَلِزَمَهُ ، وَكَانَ يَعْتَادُهُ أَحْيَانًا ، فَقَعَدَ عَنْ خِدْمَةِ الْخَلِيفَةِ وَعَنْ نَوْبَتِهِ فِي دَارِهِ ؛ فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

مَلَّ وَاللَّهُ طَبِيبِي مِنْ مُقَاسَاةِ الَّذِي بِي
سَوْفَ أَنْعَى عَنْ قَرِيبٍ لِعَدُوٍّ وَحَبِيبٍ
[مجزوء الرمل]

وَعَنَى فِيهِ لِحْنًا مِنَ الرَّمْلِ ، فَكَانَ آخِرَ شَعْرِ قَالِهِ وَآخِرَ لِحْنِ صَنْعِهِ .

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ الرَّشِيدَ رَكِبَ حِمَارًا وَدَخَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَعُودُهُ وَهُوَ فِي الْأَبْزَنِ جَالِسٌ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ يَا إِبْرَاهِيمَ ؟ فَقَالَ : أَنَا وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

سَقِيمٌ مَلَّ مِنْهُ أَقْرَبُوه وَأَسْلَمَهُ الْمُدَاوِي وَالْحَمِيمُ^(١)
[الوافر]

فَقَالَ الرَّشِيدُ : إِنَّا لِلَّهِ ! وَخَرَجَ ، فَلَمْ يَبْعُدْ حَتَّى سَمِعَ الْوَاعِيَةَ^(٢) عَلَيْهِ .

[المأمون يصلي عليه]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَةَ قَالَ :

مَاتَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةً ، وَمَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْكِسَائِيُّ النَّحْوِيُّ وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ الشَّاعِرُ وَهُشَيْمَةُ الْخَمَّارَةُ^(٣) ، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى الرَّشِيدِ ، فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ أَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِمْ ، فَخَرَجَ فَصُفُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَقَالَ : مَنْ هَذَا الْأَوَّلُ ؟ قِيلَ :

(١) ينسب البيت لإبراهيم بن هرمة .

(٢) ارتفعت الواعية : الصراخ على الميت . وسمعت واعية القوم : أصواتهم .

(٣) امرأة كانت تباع الخمر ، وكانت جارة لإسحاق الموصلي ، وقد رثاها بأبيات يرميها فيها بالقيادة .

إبراهيم؛ فقال: أخروه وقدموا العباس بن الأحنف، فقدم فصلى عليهم؛ فلما فرغ وانصرف، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي فقال: يا سيدي، كيف أثرت العباس بالتقدمة على من حضر؟ قال: لقوله:

صوت

وسعى بها ناس فقالوا إنها^(١) لَهْيَ الَّتِي تَشْقَى بِهَا وَتُكَابِدُ
فَجَحَدْتُهُمْ لِيَكُونَ غَيْرِكَ ظَنُّهُمْ
إِنِّي لِيُعْجِبُنِي الْمُحِبُّ الْجَاهِدُ
[الكامل]

ثم قال: أتفظها؟ قلت نعم، فقال: أنشدني باقيها. فأنشدته:

لَمَّا رَأَيْتُ اللَّيْلَ سَدَّ طَرِيقَهُ عَنِّي وَعَذَّبَنِي الظَّلَامُ الرَّاكِدُ
وَالنَّجْمَ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ أَعْمَى تَحَيَّرَ مَا لَدَيْهِ قَائِدُ
نَادَيْتُ مَنْ طَرَدَ الرُّقَادَ بِصَدِّهِ عَمَّا أَعَالِجُ وَهُوَ خِلْوٌ جَاهِدُ
يَا ذَا الَّذِي صَدَعَ الْفُؤَادَ بِهَجْرِهِ أَنْتَ الْبَلَاءُ طَرِيقُهُ وَالتَّالِدُ
أَلْقَيْتَ بَيْنَ جُفُونِ عَيْنِي حُرْفَةً فإِلَى مَتَى أَنَا سَاهِرٌ يَا رَاقِدُ
[الكامل]

فقال المأمون: أليس من قال هذا الشعر حقيقاً بالتقدمة؟ فقلت: بلى والله يا سيدي.

[برصوما الزامر يباكيه]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال: قال: حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ لِي بَرَّصُومَا الزَامِرُ: أَمَا فِي حَقِّي وَخِدْمَتِي وَمِيلِي إِلَيْكُمْ وَشُكْرِي لَكُمْ مَا أَسْتَوْجِبُ بِهِ أَنْ تَهَبَ لِي يَوْمًا مِنْ عُمْرِكَ تَفْعَلُ فِيهِ مَا أُرِيدُ وَلَا تَخَالَفْنِي فِي شَيْءٍ؟ فَقُلْتُ: بلى ووعدته بيوم؛ فأتاني فقال: مُرْ لِي بِخَلْعَةٍ، فَفَعَلْتُ وَجَعَلْتُ فِيهَا جَبَّةً وَشِيءً؛ فَلَبَسَهَا ظَاهِرَةً، وَقَالَ: امْضِ بِنَا إِلَى الْمَجْلِسِ الَّذِي كُنْتُ أَتِي أَبَاكَ فِيهِ؛ فَمَضَيْنَا جَمِيعًا إِلَيْهِ وَقَدْ خَلَقْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ، فَلَمَّا صَارَ عَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ رَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ فَتَمَرَّغَ فِي التَّرَابِ وَبَكَى وَأَخْرَجَ نَايَهُ وَجَعَلَ يَنْوَحُ فِي زَمْرِهِ وَيَدُورُ فِي الْمَجْلِسِ

(١) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي:

سَمَّاكِ لِي قَوْمٌ وَقَالُوا إِنَّهَا

وَيُقْبَلُ المواضع التي كان أبو إسحاق يَجْلِسُ فيها ويبكي ويزمِرُ حتى قضى من ذلك وطراً، ثم ضَرَبَ بيده إلى ثيابه فشَقَّها، وجعلت أَسْكُتُهُ وأبكي معه، فما سَكَنَ إلا بعد حين؛ ثم دعا بثيابه فَلَبِسَهَا وقال: إِنَّمَا سَأَلْتُكَ أَنْ تخلع عليّ لئلا يقال: إن برصوما إِنَّمَا حَرَقَ ثيابه لِيُخْلَعَ عليه ما هو خير منها؛ ثم قال: امض بنا إلى منزلك فقد اشتَقَيْتُ مما أردت، فَعُدْتُ إلى منزلي وأقام عندي يومه، وانصرف بخلعة مجددة.

[المراثي التي قيلت فيه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثَنِي عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثَنِي القاسم بن يزيد قال: لَمَّا مات إبراهيم الموصلي دخلت على إبراهيم بن المهدي وهو يشرب وجواريه يُعَيِّن، فذكرنا إبراهيم الموصلي وحذقه وتقدمه، فأفضنا في ذلك وإبراهيم مُطَرِّق، فلَمَّا طال كلامنا وقال كل واحد مَثَل ما قاله صاحبه، اندفع إبراهيم بن المهدي يُعَيِّن في شعر لابن سبابة يرثي به، إبراهيم - ويقال: إِنَّ الأبيات لأبي الأسد^(١) -

تَوَلَّى الموصلي فَعَدْتُ وَلَّتْ	بشاشات المزاهر والقِيان
وَأَيُّ بِشَاشَةٍ بَقِيَتْ فَتَبَقَى	حياة الموصلي على الزمان
سَتَبَكِيهِ المِزَاهِرُ والمَلاهي	وَتُسَعِدُهُنَّ عاتقَةُ الدَّنان
وتبكيه الغَوِيَّةُ إِذْ تَوَلَّى	ولا تبكيه تالِيَةُ القُرآن

[الوافر]

قال: فأبكي من حَضَرَ؛ وَقُلْتُ أنا في نفسي: أَفْتَرَاهُ هو إذا مات من يبكيه: المحراب أم المصحف؟ قال: وكان كالشامت بموته.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: قال: أَنشدني حَمَّاد قال: أَنشدني أبي لنفسه يرثي أباه، وأنشدها غير يحيى وفيها زيادة على روايته:

أَقُولُ لَهُ لَمَّا وَقَفْتُ بِقَبْرِهِ	عليك سلامُ اللَّهِ يا صاحبَ القبرِ
أَيَا قَبْرِ إِبْرَاهِيمَ حَيَّتْ حُفْرَةٌ	ولا زِلْتُ تُسَقَى الغيثَ من سُبُلِ القَطْرِ
لَقَدْ عَزَّنِي ^(٢) وجدي عليك فلم يَدَعْ	لِقَلْبِي نصيباً من عزاءٍ ولا صبرِ
وقد كنتُ أبكي من فراقك ليلةً	فكيف وقد صارَ الفراقُ إلى الحَشْرِ

[الطويل]

(١) هو نباتة بن عبد الله الحمانى، من شعراء الدولة العباسية.

(٢) عزّه الوجد: غلبه.

أخبرني أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقب بوسواسة
قال: أنشدني حمّاد لأبيه إسحاق يرثي أباه إبراهيم الموصليّ:

سَلَامٌ عَلَى الْقَبْرِ الَّذِي لَا يُجِيبُنَا وَنَحْنُ نُحْيِي ثَرْبَهُ وَنَخَاطِبُهُ
سَتَبْكِيهِ أَشْرَافُ الْمُلُوكِ إِذَا رَأَوْا مَحَلَّ التَّصَابِي قَدْ خَلَا مِنْهُ جَانِبُهُ
وَيَبْكِيهِ أَهْلُ الظَّرْفِ طُرّاً كَمَا بَكَى عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَحَاجِبُهُ
وَلَمَّا بَدَا لِي الْيَأْسُ مِنْهُ وَأَنْزَفْتُ^(١) عُيُونُ بَوَاكِيهِ وَمَلَّتْ نَوَادِبُهُ
وَصَارَ شِفَاءَ النَّفْسِ مِنْ بَعْضِ مَا بَهَا إِفَاضَةً دَمْعٍ تَسْتَهْلُ سَوَاكِبُهُ
جَعَلْتُ عَلَى عَيْنِي لِلصُّبْحِ عَبْرَةً وَلِلَّيْلِ أُخْرَى مَا بَدَتْ لِي كَوَاكِبُهُ
[الطويل]

قال: وأنشدني أيضاً حمّاد لأبيه يرثي أباه:

عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مِنْ قَبْرِ فَاجِعٍ وَجَادَكَ مِنْ نَوْرِ السَّمَاكِينِ وَابِلٌ
هَلْ أَنْتَ مَحْيِي الْقَبْرِ أَمْ أَنْتَ سَائِلٌ وَكَيْفَ تُحْيِي تَرْبَةً وَجَنَادِلٌ
أَظِلُّ كَأَنِّي لَمْ تُصْبِنِي مَصِيبَةً وَفِي الصَّدْرِ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْكَ بِلَابِلٌ
وَهَوْنٌ عِنْدِي فَقْدَهُ أَنَّ شَخْصَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ بَيْنَ عَيْنِي مَائِلٌ
[الطويل]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ المَدِينِيُّ قَالَ: أَنَشَدَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ
عَلِيٍّ بْنِ هِشَامٍ لِرَجُلٍ يَرِثِي إِبْرَاهِيمَ المَوْصَلِيَّ:

أَصْبَحَ اللَّهُو تَحْتَ عَفْرِ الثُّرَابِ ثَاوِيّاً فِي مَحَلَّةِ الْأَحْبَابِ
إِذْ ثَوَى المَوْصَلِيّ فَأَنْقَرَضَ اللَّهُو بِخَيْرِ الْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ
بَكَتِ الْمُسْمَعَاتُ حُزْناً عَلَيْهِ وَبَكَاهُ الْهَوَى وَصَفُو الشَّرَابِ
وَبَكَتْ آلَةُ الْمَجَالِسِ حَتَّى رَحِمَ الْعُودُ دَمْعَةَ الْمِضْرَابِ
[الخفيف]

أخبرني محمد بن مزّيد قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: دَخَلْتُ إِلَى الرَّشِيدِ
بِعَقَبِ وَفَاةِ أَبِي، وَذَلِكَ بَعْدَ شَهْرٍ مِنْ يَوْمِ وَفَاتِهِ، فَلَمَّا جَلَسْتُ وَرَأَيْتُ مَوْضِعَهُ الَّذِي كَانَ
يَجْلِسُ فِيهِ خَالِياً دَمَعَتْ عَيْنِي، فَكَفَفْتُهَا وَتَصَبَّرْتُ؛ وَلَمَحَنِي الرَّشِيدُ فِدْعَانِي إِلَيْهِ وَأَدْنَانِي

(١) النَّزْفُ: نَزْحُ الْمَاءِ مِنَ الْبُئْرِ أَوْ التَّهْرِ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ وَالْفِعْلُ: يَنْزِفُ، وَالْقَلِيلُ مِنْهُ: نَزْفَةٌ. وَأَنْزَفَ الْقَوْمُ: نَزَفَ مَاءَ بُرْهِمْ. وَالنَّزْفُ: الدَّمْعُ. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الَّذِي عَطَشَ حَتَّى يَبْسُتَ عُرْوُهُ وَجَفَّ لِسَانُهُ.

منه، فَقَبَّلَتْ يَدَهُ وَرَجَلَهُ وَالْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَعْبَرَ، وَكَانَ رَقِيقًا؛ فَوَثَّبَتْ قَائِمًا ثُمَّ قُلَّتْ:

فِي بَقَاءِ الْخَلِيفَةِ الْمَيْمُونِ خَلْفٌ مِنْ مُصِيبَةِ الْمَحْزُونِ
لَا يُضِيرُ الْمَصَابَ رُزْءٌ إِذَا مَا كَانَ ذَا مَفْزَعٍ إِلَى هَارُونَ
[الخفيف]

فَقَالَ لِي: كَذَاكَ وَاللَّهِ هُوَ، وَلَنْ تَفْقِدَ مِنْ أَبْيِكَ مَا دُمْتُ حَيًّا إِلَّا شَخْصَهُ؛ وَأَمْرٌ بِإِضَافَةِ رِزْقِهِ إِلَى رِزْقِي؛ فَقُلْتُ: بَلْ يَأْمُرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ إِلَى وَلَدِهِ، فَفِي خِدْمَتِي إِيَّاهُ مَا يُغْنِينِي؛ فَقَالَ: اجْعَلُوا رِزْقَ إِبْرَاهِيمَ لَوْلَدِهِ وَأَضْعِفُوا رِزْقَ إِسْحَاقَ.

صوت

من المائة المختارة

يَا دَارَ سُعْدَى بِالْجِزْعِ مِنْ مَلَلٍ^(١) حَيَّتِ مِنْ دِمْنَةٍ وَمِنْ طَلَلِ
إِنِّي إِذَا مَا الْبَخِيلُ أَمَّنَّهَا بَاتَتْ ضُمُوزًا^(٢) مِنِّي عَلَى وَجَلِ
لَا أُمْتِعَ الْعُودَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعَ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ
[المنسرح]

الْعُودُ: الْإِبِلُ الَّتِي قَدْ تُنَبِّحُ، وَاحْدَتُهَا عَائِدٌ. يَقُولُ: أَنْحَرُهَا وَأَوْلَادُهَا لِلْأَضْيَافِ فَلَا أُمْتِعُهَا. وَالضُّمُوزُ: الْمَمْسُكَةُ عَنْ أَنْ تَجْتَرَّ. ضَمَرَ الْجَمْلُ بِجَرَّتِهِ إِذَا أَمْسَكَ عَنْهَا، وَدَسَعَ^(٣) بِهَا إِذَا اسْتَعْمَلَهَا. يَقُولُ: فَهَذِهِ النَّاقَةُ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهَا عَلَى نَفْسِهَا مِمَّا رَأَتْ مِنْ نَحْرِ نَظَائِرِهَا قَدْ امْتَنَعَتْ مِنْ جَرَّتِهَا فَهِيَ ضَامِرَةٌ.

الشعر لابن هرمة. والغناء في اللحن المختار لِمَرْزُوقِ الصَّرَافِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ، وَيُقَالُ إِنَّهُ لِيَحْيَى بْنِ وَاصِلٍ. وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّ فِيهِ لِدَحْمَانَ لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبَنْصَرِ، وَأَنَّ فِيهِ لَابْنَ مُحَرِّزٍ لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ

(١) ملل: منزل على طريق المدينة إلى مكة المكرمة بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون ميلاً.

(٢) ضَمَرَ الْبَعِيرُ يَضْمُرُ ضُمُوزًا أَي لَا يَجْتَرُّ. نَاقَةٌ ضُمُوزٌ وَضَامِرٌ أَي لَا يُسْمَعُ لَهَا رُغَاءٌ.

(٣) الدَّسَعُ: خُرُوجُ جِرَّةِ الْبَعِيرِ بِمَرَّةٍ إِذَا دَسَعَهَا وَأَخْرَجَهَا إِلَى فِيهِ. وَالْمَدْسَعُ: مَضِيقٌ مَوْلِجُ الْمَرِيِّ فِي عَظْمِ ثَغْرِ التَّحَرِّ، وَاسْمُ ذَلِكَ الْعَظْمِ الدَّسِيعِ، وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِي فِيهِ التَّرْقُوتَانِ مَشْدُودَا بَعْظِ الْكَاهِلِ. قَالَ:

يَرْقَى الدَّسِيعَ إِلَى هَادِلِهِ تَلَعٌ فِي جَوْجُو كِمْدَاكَ الطَّيِّبِ مَجِيبُ
أَي: مَتَّسَعٌ، وَهُوَ مِنَ الْجِيبِ. وَالدَّسِيعَةُ: مَائِدَةُ الرَّجُلِ إِذَا كَانَتْ كَرِيمَةً.

الثاني بالبصر في الثالث ثم الثاني، ووافقه ابن المكي. قال: وفيه لدحمان خفيف رمل بالوسطى في الأول والثالث؛ وذكر الهشامي أن هذا اللحن بعينه ليونس وأن الثقل الثاني لإبراهيم، وأن لمعبد فيه لحنا من الثقل الأول بالوسطى، وأن فيه للهدلي خفيف ثقل، وأن فيه رملاً ينسب إلى ابن مخرز أيضاً:

شيء من ذكر ابن هرمة أيضاً

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الزُّهْرِيُّ وَنُوفَلُ بْنُ مَيْمُونٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ عُرْوَةَ بْنِ أُذَيْنَةَ قَالَ: خَرَجْتُ فِي حَاجَةٍ لِي، فَلَمَّا كُنْتُ بِالسَّيَالَةِ^(١) وَقَفْتُ عَلَى مَنْزِلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ هَرْمَةَ، فَصَحْتُ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَجَابَتْنِي ابْنَتُهُ: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: انظري، فَخَرَجَتْ إِلَيَّ فَقُلْتُ: أَعْلَمِي أَبَا إِسْحَاقَ؟ فَقَالَتْ: خَرَجَ وَاللَّهِ آفِئاً قَالَ: فَقُلْتُ: هَلْ مِنْ قِرَى؟ فَإِنِّي مُقَوٌّ^(٢) مِنَ الزَّادِ؛ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ، مَا صَادَفْتُهُ حَاضِراً؛ قُلْتُ: فَأَيْنَ قَوْلُ أَبِيكَ:

لَا أُمَتِّعُ الْعَوْدَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ
[المنسرح]

قالت: بذلك والله أفناها - أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب ابن عباية بمثل هذا الخبر سواء، وزاد فيه: - قال: فأخبرت إبراهيم بن هرمة بقولها، فضمها إليه وقال: بأبي أنت وأمي! أنت والله ابنتي حقاً، الدار والمزرعة لك:

[تكرم بخيل]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي نُوفَلُ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُرْقَعٌ قَالَ: كُنْتُ مَعَ ابْنِ هَرْمَةَ فِي سَقِيفَةِ أُمِّ أُذَيْنَةَ، فَجَاءَهُ رَاعُ بَقِطْعَةٍ مِنْ غَنَمٍ يَشَاوِرُهُ فِيمَا يَبِيعُ مِنْهَا، وَكَانَ قَدْ أَمَرَهُ بِبَيْعِ بَعْضِهَا؛ قَالَ مُرْقَعٌ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، أَيْنَ عَزَبَ عَنْكَ قَوْلُكَ:

لَا غَنَمِي مُدَّ فِي الْحَيَاةِ لَهَا إِلَّا لَدَرْكَ الْقِرَى وَلَا إِبْلِي
[المنسرح]

وقولك فيها أيضاً:

لَا أُمَتِّعُ الْعَوْدَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ
[المنسرح]

(١) السيالة: أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة.

(٢) أقوى القوم: فني زادهم.

فقال لي: مالك أخزأك الله! من أخذ منها شيئاً فهو له؛ فانتهبناها حتى وقف الراعي وما معه منها شيء.

وحَدَّثَنَا بهذا الخبر أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار قال: حَدَّثَنِي علي بن محمد النُّوفلي عن أبيه: أَنَّ ابنَ هَرَمَةَ كانَ اشترى غنماً للربح، فَلَقِيَهُ رجلٌ فقال له: أَلَسْتَ القائل:

لا غنمي مُدَّ في الحياة لها إلا لَدَرْكِ القَرى ولا إبلي [المنسرح]

قال: نعم؛ قال: فوالله إنني لأحسبك تدفع عن هذه الغنم المكروهة بِنَفْسِكَ، وإنَّكَ لكاذب؛ فأحفظه ذلك فصاح: من أخذ منها شيئاً فهو له؛ فانتهبها الناس جميعاً؛ وكان ابن هَرَمَةَ أحدَ البخلاء.

[أول شعر قاله]

أخبرني الحرَمي بن أبي العلاء قال: حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثَنِي نوفل ابن ميمون قال حَدَّثَنِي زُفَر بن محمد الفُهري: أَنَّ هذه القصيدة أولُ شعرٍ قاله ابن هَرَمَةَ.

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيع قال: حَدَّثَنَا حَمَّاد بن إِسحاق قال قرأتُ على أبي: حَدَّثَنَا عبد الله بن الوليد الأزدي قال: حَدَّثَنِي جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين قال: سَمِعَ مزبد^(١) قول ابن هَرَمَةَ:

لا أمتِعُ العودَ بالفِصالِ ولا أبتاعُ إلا قَريبَةَ الأجلِ [المنسرح]

قال: صَدَقَ ابنُ الخبيثة، إنَّما كان يشتري الشاة للأضحى فيذبحها من ساعته.

[دفاع عن البخل]

أخبرنا وكيع قال: حَدَّثَنَا حَمَّاد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن محمد بن زيد عن أبيه، قال: اجتمع قوم من قريش أنا فيهم، فأحببنا أن نأتي ابنَ هَرَمَةَ فَتَعَبَتْ به، فتزوَّدنا زاداً كثيراً ثم أتيناها لِتُقيمَ عنده، فلما انتهينا إليه خرج إلينا فقال: ما جاء بكم؟ فقلنا: سمعنا شعرك فدعانا إليك لَمَّا سمعناك قُلْتَ:

إنَّ امرأً جَعَلَ الطريقَ لبيته طُنباً وأنكرَ حقَّه للئيم^(٢) [الكامل]

(١) اسم رجل صاحب نوادر.

(٢) الطنب: جبل الخباء والسراقد.

وسمعناك تقول :

وَإِذَا تَنَوَّرَ طَارِقٌ مُسْتَنْبِحٌ نَبَحَتْ فَدَلَّتْهُ عَلَيَّ كِلَابِي
وَعَوِينَ يَسْتَعْجِلْنَهُ فَلَقَيْنَهُ يَضْرِبُنَّهُ بِشَرِاشِرِ الْأَذْنَابِ^(١)
[الكامل]

وسمعناك تقول :

كَمْ نَاقَةٍ قَدْ وَجَأَتْ مَنَحَرَهَا بِمُسْتَهْلٍ الشُّؤْبُوبِ أَوْ جَمَلٍ
لَا أُمْتِعُ الْعُودَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ
[المنسرح]

قال : فنظر إلينا طويلاً ثم قال : ما على وجه الأرض عصابة أضعف عقولاً ولا أسخف ديناً منكم ؛ فقلنا له : يا عدو الله يا دعي ، أتيناك زائرين وتُسْمِعُنَا هَذَا الْكَلَامَ ! ؛ فقال : أما سمعتم الله تعالى يقول للشعراء : ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء : ٢٢٦] أفيخبركم الله أنني أقول ما لا أفعل وتريدون مِنِّي أَنْ أَفْعَلَ مَا أَقُولُ ! ؛ قال فَضَحِكُنَا مِنْهُ وَأَخْرَجَنَاهُ مَعَنَا ، فَأَقَامَ عِنْدَنَا فِي نَزْهَتِنَا يَشْرِكُنَا فِي زَادِنَا حَتَّى انْصَرَفْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ .

[إعجاب الأصمعي به]

أخبرنا عمي قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْكِرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : الْحَكَمُ الْخُضْرِيُّ ، وَابْنُ مَيَّادَةَ ، وَرُوْبَةُ ، وَابْنُ هَرْمَةَ ، وَطُفَيْلُ الْكِنَانِيِّ ، وَمَكِينُ الْعُدْرِيِّ ، كَانُوا عَلَى سَاقَةٍ^(٢) الشَّعْرَاءِ ، وَتَقَدَّمَهُمُ ابْنُ هَرْمَةَ بِقَوْلِهِ :

لَا أُمْتِعُ الْعُودَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ
[المنسرح]

قال عبد الرحمن : وَكَانَ عَمِّي مُعْجِباً بِهَذَا الْبَيْتِ مُسْتَحْسِناً لَهُ ، وَكَانَ كَثِيراً مَا يَقُولُ : أَمَا تَرَوْنَ كَيْفَ قَالَ ! وَاللَّهِ لَوْ قَالَ هَذَا حَاتِمٌ لَمَا زَادَ وَلَكَانَ كَثِيراً ؛ ثُمَّ يَقُولُ : مَا يُوْخِرُهُ عَنِ الْفُحُولِ إِلَّا قُرْبُ عَهْدِهِ . انْتَهَى .

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى ووكيعة عن حماد عن أبيه قال : قُلْتُ لِمُرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ : مَنْ أَشْعَرُ الْمُحَدِّثِينَ مِنْ طَبَقَتِكُمْ عِنْدَكَ ؟ لَا أَعْنِيكَ ، قَالَ : الَّذِي يَقُولُ :

(١) شراشر الأذنان : اطرافها .

(٢) الساقة : المؤخرة .

لَا أُمْتِعُ الْعُودَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

[المنسرح]

أخبرنا يحيى بن علي قال: حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَنْ أَبِي حُذَافَةَ قَالَ: لَمَّا قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ:

لَا أُمْتِعُ الْعُودَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

[المنسرح]

قال ابن الكوسج مولى آل حُثَيْنٍ يجيبه:

مَا يَشْرَبُ الْبَارِدَ الْقَرَّاحَ وَلَا يَذْبَحُ مِنْ جَفْرَةٍ^(١) وَلَا حَمَلٍ

كَأَنَّهُ قِرْدَةٌ يُلَاعِبُهَا قِرْدٌ بِأَعْلَى الْهَضَابِ مِنْ مَلَلٍ

[المنسرح]

قال: فقال ابن هَرْمَةَ: لئن لم أوتَ به مربوطاً لأفعلنَ بآل حُثَيْنٍ ولأفعلنَ؛ فوهبوا لابن الكوسج مائة درهم وربطوه وأتوا به ابن هَرْمَةَ فأطلقه؛ فقال ابن الكوسج: واللَّهِ لئن عاد لمثلها لأعودنَّ.

[عود إلى أخبار إبراهيم الموصلي]

أخبرني الحسن بن عليّ الحَقَّاف قال: حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ قَالَ: حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُخَارِقٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ الرَّشِيدِ فِي بَعْضِ أَيَّامِنَا وَمَعَنَا ابْنُ جَامِعٍ، فَعَنَّا ابْنَ جَامِعٍ وَنَحْنُ يَوْمئِذٍ بِالرَّقَّةِ:

هَاجَ شَوْقاً فِرَاقُكَ الْأَحْبَابَا فَتَنَاسَيْتَ أَوْ نَسَيْتَ الرَّبَّابَا

حِينَ صَاحَ الْغُرَابُ بِالْبَيْنِ مِنْهُمْ فَتَصَامَمْتَ إِذْ سَمِعْتَ الْغُرَابَا

لَوْ عَلِمْنَا أَنَّ الْفِرَاقَ وَشَيْكُ مَا انْتَهَيْنَا حَتَّى نَزُورَ الْقَبَابَا

أَوْ عَلِمْنَا حِينَ اسْتَقَلَّتْ نَوَاهِمُ مَا أَقْمْنَا حَتَّى نَزْمَ^(٢) الرِّكَابَا

[الخفيف]

الغناء لابن جامع رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضاً ثقیل أول بالوسطى عن عمرو. وَذَكَرْتُ دَنَانِيرُ عَنْ فُلَيْحٍ أَنَّ فِيهِ لَابْنَ سَرِيحٍ وَابْنَ

(١) الجفرة: هي الأُنْثَى مِنَ وَلَدِ الضَّانِ، وقال غيره: الأُنْثَى مِنَ الْمَعَزِ فَقَطْ، وقيل: منهما جميعاً، وهو الصَّوَابُ. الْجَفْرُ: الْبَيْتُ الْوَاسِعَةُ الَّتِي لَمْ تُطَوَّ، كَالْجُفْرَةِ.

ذَكَرَهُمَا السُّهَيْلِيُّ فِي الرُّوضِ، أَوْ هِيَ الَّتِي طَوِيَ بَعْضُهَا وَلَمْ يُطَوَّ بَعْضٌ. وَالْجَمْعُ جِفَارٌ.

(٢) زَمَّ الْبَعِيرُ: خَطَمَهُ وَوَضَعَ فِيهِ الزَّمَامَ.

مُحَرِّزَ لَحْنَيْنِ. قال: فاستحسنه الرشيد وأعجَبَ به واستعاده مراراً وشرب عليه أرطالاً حتى سكر، وما سَمِعَ غَيْرَهُ ولا أَقْبَلَ على أحد، وأمر لابن جامع بخمسة آلاف دينار؛ فلما انصرفنا قال لي إبراهيم: لا تَرُمُ^(١) منزلَك حتى أصير إليك؛ فصرت إلى منزلي، فلم أَغَيِّرْ ثيابي حتى أعلمني الغلام بموافاته، فتلقَّيْتُهُ في دِهْلِيزي^(٢)، فدخل وجلس وأجلسني بين يديه ثم قال لي: يا مُخَارِق، أنتَ فَسِيلَةُ^(٣) مِنِّي وحسني لك وقبيحي عليك، ومتى تركنا ابن جامع على ما ترى غَلَبْنَا على الرشيد، وقد صَنَعْتُ صوتاً على طريقة صوته الذي غَنَّا أحسنَ صنعةً منه وأجود وأشجى، وإنما يَغْلِبُنِي عند هذا الرجل بصوته، ولا مَطْعَنَ على صوتك، وإذا أَطْرَبْتُهُ وغَلَبْتُهُ عليه بما تأخذه مني قام ذلك لي مقام الظَّفَر؛ وسيُصْبِحُ أمير المؤمنين غداً فيدخل الحمام ونحضر ثم يخرج فيدعو بالطعام ويدعو بنا ويأمر ابن جامع فيردّ الصوت الذي غَنَّا ويشربُ عليه رطلاً ويأمر له بجائزة، فإذا فعل فلا تنتظره أكثر من أن يردّ رَدَّتَهُ حتى تُغْنِي ما أُعَلِّمُك إياه الساعة، فإنّه يقبل عليك ويصلك، ولستُ أبالي ألا يصلني بعد أن يكون إقبالُهُ عليك؛ فقلت: السمع والطاعة؛ فألقى عليَّ لَحْنَهُ:

يا دار سَعْدَى بِالْجَزَعِ مِنْ مَلَلٍ^(٤)

[المنسرح]

وردَّده حتى أخذته و انصرف، ثم بَكَرَ عليَّ فاستعاد الصوت فردَّدْتُهُ حتى رَضِيَهُ، ثم ركبنا وأنا أدرسه حتى صِرْنَا إلى دار الرشيد، فلما دَخَلْنَا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئاً فشيئاً، وكان إبراهيم أعلم الناس به، ثم أمر ابن جامع فردّ الصوت ودعا بِرِطْل فشربه، ولما استوفاه واستوفى ابن جامع صوته لم أدعه يتنفّس حتى اندفَعْتُ فَعَنَيْتُ صوت إبراهيم، فلم يزل يُصْغِي إليه وهو باهتٌ حتى استوفيته؛ فَشَرِبَ وقال: أحسنت والله! لمن هذا الصوت؟ فقلت: لإبراهيم. فلم يزل يستدنيني حتى

(١) لا ترم: لا تبرح وتترك.

(٢) الدَّهْلِيز، بالكسر: ما بَيْنَ الباب والدار. وقال ابن الأعرابي: الدَّهْلِيز: الجَيْئَةُ، بالجيم المَفْتُوحَة وسكون التَّحْتِيَّة، والهمزة، كما هو نصُّ ابن الأعرابي، ويوجد في سائر النسخ بالحاء المَفْتُوحَة وكسر النون وتشديد التَّحْتِيَّة، ج الدَّهَالِيز. وقال الليث: هو معرَّب داليج وداليز ودالاز ويقال دَلِيج. وأبناء الدَّهَالِيز: الصَّبِيان الذين يَلْقَطُون ولا يُعْرَفُ لهم أب. ودَهالِيزُ المَلِك: مَوْضِعٌ بمصر مُتَفَرِّجٌ.

(٣) الفسيلة: النخلة الصغيرة تقلع من الأرض أو تقطع من الأم فتغرس.

(٤) البيت لابن هرمة، وهو:

يا دار سَعْدَى بِالْجَزَعِ مِنْ مَلَلٍ حُيِّيتِ مِنْ دِمْنَةٍ وَمِنْ طَلَلٍ

صِرْتُ فُدَّامَ سَرِيرِهِ، وَجَعَلَ يَسْتَعِيدُ الصَّوْتَ فَأَعِيدَهُ وَيَشْرَبُ عَلَيْهِ، رِطْلًا، فَأَمَرَ لِإِبْرَاهِيمَ بِجَائِزَةِ سَنِيَّةٍ وَأَمَرَ لِي بِمِثْلِهَا؛ وَجَعَلَ ابْنُ جَامِعٍ يَشْغَبُ وَيَقُولُ: يَجِيءُ بِالْغَنَاءِ فَيَدْسُهُ فِي أَسْتَاهُ الصَّبِيَّانِ! إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَلْيُعَنَّهُ هُوَ، وَالرَّشِيدَ يَقُولُ لَهُ: دَعِذَا عَنْكَ، فَقَدْ وَاللَّهِ اسْتَقَادَ مِنْكَ وَزَادَ عَلَيْكَ.

صوت

من المائة المختارة

تَوَلَّى شَبَابُكَ إِلَّا قَلِيلًا وَحَلَّ الْمَشِيبُ فَصَبْرًا جَمِيلًا
كَفَى حَزْنًا بِفِرَاقِ الصَّبَا وَإِنْ أَصْبَحَ الشَّيْبُ مِنْهُ بَدِيلًا
[المتقارب]

الشعر والغناء لإسحاق. ولحنه المختار ثاني ثقیل بالوسطی فی مجراها عن إسحاق بن عمرو.

أخبار إسحاق بن إبراهيم

قد مضى نسبه مشروحاً في نسب أبيه؛ ويُكنى أبا محمد، وكان الرشيد^(١) يُولع به فيُكنّيه أبا صفوان، وهذه كنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب مزحاً. وموضعه من العلم، ومكانه من الأدب، ومحلّه من الرواية، وتقدمه في الشعر، ومنزلته في سائر المحاسن، أشهر من أن يُدلّ عليه فيها بوصف؛ وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يُحسّنه؛ فإنه كان له في سائر أدواته نظراء وأكفاء ولم يكن له في هذا نظير؛ فإنه لحق بمن مضى فيه وسبق من بقي، ولَحَبَ^(٢) للناس جميعاً طريقه فأوضحها، وسَهَّلَ عليهم سبيله وأنارها؛ فهو إمام أهل صناعته جميعاً، ورأسهم ومُعَلِّمهم؛ يَعْرِفُ ذلك منه الخاصّ والعام، وَيَشْهَدُ به الموافق والمفارق؛ على أنه كان أكره الناس للغناء وأشدّهم بغضاً لأن يُدعى إليه أو يُسمّى به. وكان يقول: لَوَدِدْتُ أَنْ أَضْرِبَ، كلما أراد مريدٌ مني أَنْ أَغْنِيَ وَكُلَّمَا قَالَ قَائِلُ إِسْحَاقَ الموصلي المُعَنِّي، عشرَ مقارع، لا أطيق أكثرَ من ذلك، وأعفى من الغناء ولا ينسبني من يذكرني إليه. وكان المأمون يقول: لولا ما سبق على ألسنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لولّيتُ القضاء بحضرتي، فإنه أولى به وأعف وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة.

[مشاركته في غير الغناء]

وقد روى الحديث ولقي أهله: مثل مالك بن أنس، وسُفيان بن عُيينة،

(١) لعل المقصود المأمون، لأن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وأهل بيته من أهل بوشنج من أعمال خراسان، وهم لم يدخلوا بغداد إلا بعد دخول المأمون إليها.

(٢) لَحَبَ: قَطَعْتَ الشَّيْءَ طَوَّلاً، وَلَحَبَهُ وَلَحَبَهُ بِالشُّفْرَةِ إِذَا قَطَعَ لَحْمَهُ. وَلَحَبَ مَتْنُ الْفَرَسِ وَعَجَزُهُ إِذَا امْلَسَ فِي حُدُور، قَالَ: وَالْمَتْنُ مَلْحُوبٌ وَطَرِيقٌ لَاجِبٌ وَلَحَبٌ وَمَلْحُوبٌ وَقَدْ لَحَبَ يَلْحَبُ لُحُوباً أَي وَضَحَ، قَالَ:

تَدَعُ الْجَنُوبَ إِذَا انْتَحَتَ فِيهِ طَرِيقاً لَاجِباً

وهُشَيْم بن بَشِير^(١)، وإبراهيم بن سعد^(٢)، وأبي معاوية الضرير^(٣)، ورَوْح بن عُبَادَة^(٤)، وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز. وكان مع كراهته الغناء أَضَنَّ خلق الله وأشدهم بُخْلًا به على كل أحد حتى على جواريه وِعِلْمَانِهِ ومن يأخذ عنه مُتَسَبِّبًا إليه مُتَعَصِّبًا له فضلاً عن غيرهم. وهو الذي صَحَّح أجناس الغناء وطرائقه ومَيَّرَهُ تمييزاً لم يقدر عليه أحد قبله ولا تعلق به أحد بعده، ولم يكن قديماً مميّزاً على هذا الجنس، إنّما كان يقال الثقيل، وثقيل الثقيل، والخفيف، وخفيف الخفيف. وهذا عمرو بن بانه، وهو من تلاميذه، يقول في كتابه: الرمل الأوّل، والرمل الثاني؛ ثم لا يزيد في ذكر الأصابع على الوسطى والبنصر، ولا يعرف المجاري التي ذكرها إسحاق في كتابه، مثل ما مَيَّرَ الأجناس؟ فجعل الثقيل الأوّل أصنافاً، فبدأ فيه بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها، ثم بما كان بالسبابة في مجرى البنصر، ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة؛ ثم جعل الثقيل الأوّل صِنْفَيْنِ، الصنف الأوّل منهما هذا الذي ذكرناه، والصنف الثاني القُدْرُ الأوسط من الثقيل الأوّل، وأجراه المجرى الذي تقدّم من تمييز الأصابع والمجاري، وألحق جميع الطرائق والأجناس بذلك وأجراها على هذا الترتيب. ثم لم يتعلّق بفهم ذلك أحد بعده فضلاً عن أن يُصَنِّفَهُ في كتابه؛ فقد ألف جماعة من المُعَنِّين كتباً، منهم يحيى المكيّ - وكان شيخ الجماعة وأستاذهم، وكُلُّهم كان يفتقر إليه ويأخذ عنه غناء الحجاز، وله صنعة كثيرة حسنة متقدمة، وقد كان إبراهيم الموصليّ وابن جامع يضطران إلى الأخذ عنه - ألف كتاباً جمع فيه الغناء القديم، وألحق فيه أبنة الغناء المُحدَث إلى آخر أيامه، فأتيا فيه في أمر الأصابع بتخليطٍ عظيم، حتى جعلاً أكثر ما جَسَّاه من ذلك مختلطاً فاسداً، وجعلاً بعضه، فيما زعما، تشتركَ الأصابع كلّها فيه؛ وهذا محال؛ ولو اشتركت الأصابع لما احتيج إلى تمييز الأغاني وتصييرها مقسومة على صنفين: الوسطى والبنصر. والكلام في هذا طويل ليس موضعه ها هنا؛ وقد ذكرته في رسالة عملتها لبعض إخواني ممن سألني شرح هذا، فأثبتته واستقصيته

(١) هو هُشَيْم بن بشير القاسم بن دينار السلمي، يكنى أبا معاوية، مات في خلافة الرشيد سنة ١٨٣هـ.

(٢) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، ويكنى أبا إسحاق، وكان ثقة كثير الحديث، توفي في بغداد سنة ١٨٣هـ.

(٣) هو محمد بن خازم مولى لبني عمرو بن سعد، وكان ثقة كثير الحديث يدلّس، توفي بالكوفة سنة ١٩٥هـ.

(٤) هو روح بن عبادة القيسي من بني قيس بن ثعلبة ويكنى أبا محمد وكان ثقة، توفي سنة ٢٠٥هـ.

استقصاء يُسْتَعْنَى به عن غيره. وهذا كله فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه، حتى أتى على كل ما رَسَمَتْهُ الأوائِل مثل إقليدس^(١) ومن قَبْلِهِ ومن بعده من أهل العلم بالموسيقى، ووافقهم بطبعه وذنه فيما قد أفنوا فيه الدهور، من غير أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه.

فأخبرني جعفر بن قدامة قال: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمَنُجَم قال: كُنْتُ عِنْدَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ، فَسَأَلَ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيَّ - أَوْ سَأَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُصْعَبٍ - بِحَضْرَتِي، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ جَعَلُوا لِلْعُودِ وَتَرّاً خَامِساً لِلنَّغْمَةِ الْحَادَّةِ الَّتِي هِيَ الْعَاشِرَةُ عَلَى مَذْهَبِكَ، أَيْنَ كُنْتَ تَخْرُجُ مِنْهُ؟ فَبَقِيَ إِسْحَاقُ وَاجِماً سَاعَةً طَوِيلَةً مَفْكَراً، وَاحْمَرَّتْ أُذُنَاهُ وَكَانَتَا عَظِيمَتَيْنِ، وَكَانَ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِثْلُ هَذَا احْمَرَّتَا وَكَثُرَ وَلُوعُهُ بِهِمَا؛ فَقَالَ لِمُحَمَّدَ بْنِ الْحَسَنِ: الْجَوَابُ فِي هَذَا لَا يَكُونُ كَلَاماً إِنَّمَا يَكُونُ بِالضَرْبِ، فَإِنْ كُنْتَ تَضْرِبُ أَرِيْتُكَ أَيْنَ تَخْرُجُ! فَخَجَلَ وَسَكَتَ عَنْهُ مُغْضَباً، لِأَنَّهُ كَانَ أَمِيراً وَقَابِلَهُ مِنَ الْجَوَابِ بِمَا لَا يَحْسُنُ، فَحَلَمَ عَنْهُ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى: فَصَارَ إِلَيَّ بِهِ وَقَالَ لِي: يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ سَأَلَنِي عَمَّا سَمِعْتَ، وَلَمْ يَبْلُغْ عِلْمَهُ أَنْ يَسْتَنْبِطَ مِثْلَهُ بِقَرِيحَتِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ قَرَأَهُ مِنْ كِتَابِ الْأَوَائِلِ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ التَّرَاجِمَةَ عِنْدَهُمْ يَتَرَجِمُونَ لَهُمْ كِتَابَ الْمَوْسِيقَى، فَإِذَا خَرَجَ إِلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ فَأَعْطَيْنِيهِ؛ فَوَعَدْتَهُ بِذَلِكَ، وَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا. وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذَا بِتَمَامِ أَخْبَارِهِ كُلِّهَا وَمَحَاسِنِهِ وَفَضَائِلِهِ، لِأَنَّهُ مِنْ أَعْجَبِ شَيْءٍ يُؤَثَّرُ عَنْهُ: أَنَّهُ اسْتَخْرَجَ بِطَبْعِهِ عِلْماً رَسَمَتْهُ الْأَوَائِلُ لَا يُوصِلُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا بَعْدَ عِلْمِ كِتَابِ إِقْلِيدَسِ الْأَوَّلِ فِي الْهَنْدَسَةِ ثُمَّ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ فِي الْمَوْسِيقَى، ثُمَّ تَعَلَّمَ ذَلِكَ وَتَوَصَّلَ إِلَيْهِ وَأَسْتَنْبَطَهُ بِقَرِيحَتِهِ، فَوَافَقَ مَا رَسَمَهُ أُولَئِكَ، وَلَمْ يَشِدَّ عَنْهُ شَيْءٌ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْهُ، وَهُوَ لَمْ يَقْرَأْهُ وَلَا لَهُ مَدْخَلٌ إِلَيْهِ وَلَا عَرَفَهُ، ثُمَّ تَبَيَّنَ بَعْدَ هَذَا، بِمَا أَذْكَرَهُ مِنْ أَخْبَارِهِ وَمَعْجَزَاتِهِ فِي صِنَاعَتِهِ، فَضَلَّهُ عَلَى أَهْلِهَا كُلِّهِمْ وَتَمَيَّزَهُ عَنْهُمْ، وَكَوْنَهُ سَمَاءً هُمْ أَرْضُهَا، وَبَحْراً هُمْ جَدَاوِلُهُ.

[اسم أمه وجنسها]

وَأُمُّ إِسْحَاقَ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ يُقَالُ لَهَا شَاهِكٌ؛ وَذَكَرَ قَوْمٌ أَنَّهَا دُوشَارُ الَّتِي كَانَتْ تُعْنَى بِالْذُّفِّ، فَهَوِيهَا إِبْرَاهِيمُ وَتَزَوَّجَهَا. وَهَذَا خَطَأٌ، تِلْكَ لَمْ تَلِدْ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا بِنْتاً، وَإِسْحَاقُ وَسَائِرُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ شَاهِكٍ هَذِهِ.

(١) فيلسوف يوناني.

[برنامج دراسته اليومي]

أخبرني يحيى بن علي المنجم قال أخبرني أبي عن إسحاق قال: بَقِيتُ دَهْرًا من دهري أُغْلَسَ في كلِّ يومٍ إلى هُشِيمٍ فأسمع منه، ثم أُصير إلى الكِسَائِيَّ أو الفَرَّاء أو ابن غَزَالَةَ^(١) فأقرأ عليه جزءاً من القرآن، ثم آتني منصورٌ زلزل فيضاربني طَرْقِينَ^(٢) أو ثلاثة، ثم آتني عاتكة بنت شهدة^(٣) فأخذ منها صوتاً أو صوتين، ثم آتني الأصمعيّ وأبا عُبَيْدَةَ فَأُناشدهما وأحدّثهما فأستفيد منهما، ثم أُصير إلى أبي فَأُعَلِّمُهُ ما صَنَعْتُ ومن لَقِيتُ وما أخذتُ وأتغدّى معه، فإذا كان العشاء رُحْتُ إلى أمير المؤمنين الرشيد.

أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حَدَّثَنَا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أخذ مِنِّي منصورٌ زلزل إلى أن تعلّمتُ مثلَ ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حَدَّثَنَا أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ قال: كُنْتُ عند ابن عائشة فجاءه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، فَرَحَّبَ بِهِ وقال: ها هنا يا أبا محمد إلى جَنِّي، فَلَمَّا بَعَدْتُ بيننا الأنساب، لقد قَرَّبْتُ بيننا الآداب.

[تقدير المأمون له]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حَدَّثَنَا يزيد بن محمد المهلبيّ قال: حَدَّثَنَا ابن شبيب من جلساء المأمون عنه: أنه قال يوماً وإسحاق غائبٌ عن مجلسه: لولا ما سَبَقَ على ألسنة الناس واشتهرَ به عندهم من الغناء لَوَلَّيْتُه القضاء، فما أعرف مثله ثقةً وصدقاً وعفةً وفقهاً. هذا مع تحصيل المأمون وعقله ومعرفته.

أخبرنا يحيى بن علي قال: حَدَّثَنَا الفضل بن العباس الوراق قال: حَدَّثَنَا الْمُخَرَّمِيُّ^(٤) عن أبيه قال: سَمِعْتُ إسحاق الموصليّ يقول: صِرْتُ إلى سُفْيَانَ بن عُيَيْنَةَ لأسمع منه، فتعذّر ذلك عليّ وَصَعِبَ مَرَامُهُ، فرأيتُه عند الفضل بن الربيع، فسألتُه أن يعرّفه موضوعي من عنايته ومكاني من الأدب والطلب وأن يتقدّم إليّ بحديثي؛ ففعل وأوصاه بي فقال: إِنَّ أبا محمد من أهل العلم وَحَمَلْتَهُ. قال: فَقُلْتُ: تَفَرِّضُ لي عليه ما يحدثني به؛ فسأله في ذلك، فَفَرَضَ لي خمسة عشر حديثاً في كل مجلس؛ فَصِرْتُ

(١) لعله يقصد عبد الواحد بن أحمد بن غزل مرقىء.

(٢) الطّرق: صوت أو نغمة بالعود ونحوه/ يقال: تضرب هذه الجارية كذا طرّقاً.

(٣) عاتكة بنت شهدة: إحدى المغنيات المحسنات، وأمها جارية ومغنية الوليد بن يزيد.

(٤) المخرمي نسبة إلى مخرم، وهي محلة في بغداد.

إليه فَحَدَّثَنِي بما فرض لي؛ فَقُلْتُ له: أَعَزَّكَ اللَّهُ، صحيح كما حَدَّثْتَنِي به؟ قال: نعم، وعقد بيده شيئاً، قلت: أفأرويه عنك؟ قال: نعم، وعَقَدَ بيده شيئاً آخر، ثم قال: هذه خمسة وأربعون حديثاً، وَضَحَكَ إِلَيَّ وقال: قد سَرَّني ما رَأَيْتُ من تَقْصِيكِ في الحديث وتشدُّدك فيه على نفسك، فَصَّرَ إِلَيَّ متى شِئْتُ حتى أَحَدِّثَكَ بما شِئْتُ.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال: حَدَّثَنِي الحسين بن يحيى أبو الجُمان وعَوْنُ بن محمد الكندي قالاً: سَمِعْنَا إِسْحاقَ الموصلي يقول: جِئْتُ يوماً إلى أبي معاوية الضَّرير ومعي مائة حديث، فَوَجَدْتُ حَاجِبَهُ يومئذ رجلاً ضريراً؛ فقال لي: إِنَّ أبا معاوية قد ولَّاني اليوم حِجْبَتَهُ لينفعني؛ فَقُلْتُ: معي مائة حديث وقد جَعَلْتُ لك مائة درهم إذا قرأتها؛ فَدَخَلَ واستأذَنَ لي فَدَخَلْتُ؛ فلما عَرَفَنِي أبو معاوية دعاه فقال له: أخطأت، وإنما جعلت لك مثل هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأما أبو محمد وأمثاله فلا؛ ثم أقبل عليَّ يُرَغِّبُنِي في الإحسان إليه ويذكر ضعفه وعنايتَهُ به؛ فَقُلْتُ له: احتكم في أمره، فقال: مائة دينار؛ فَأَمَرْتُ بِإِحْضَارِهَا الغلام، وَقَرَأْتُ عليه ما أَرَدْتُ وانصرفت.

[برّه بالعلماء]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال: حَدَّثَنِي علي بن محمد الأسدي قال: حَدَّثَنِي أحمد بن يحيى الشَّيباني ثَعْلَب قال: وَفَقَ أبو عبد الله بن الأعرابي على المدائني، فقال له: إلى أين يا أبا عبد الله؟ فقال: أمضي إلى رجل هو كما قال الشاعر:

نَحْمِلُ أَشْبَاحَنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدْبِهِ
[المنسرح]

فقال له: ومن ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: أبو محمد إِسْحاقُ بن إبراهيم الموصلي. قال أبو بكر: والبيت لأبي تَمَّام الطائي.

وقد أخبرني بهذا الخبر عن ثَعْلَب محمد بن القاسم الأنباري فقال فيه: كان إِسْحاقُ يُجْري على ابن الأعرابي في كل سنة ثلاثمائة دينار، وأهدى له ابن الأعرابي شيئاً من كتاب النوادر كتبه له بِخَطِّهِ؛ فَمَرَّ ابن الأعرابي يوماً على باب دار الموصلي ومعه صديق له؛ فقال له صديقُه: هذه دار صديقك أبي محمد إِسْحاق؛ فقال: هذه دارُ الذي نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدْبِهِ.

أخبرني الحسن بن علي قال: حَدَّثَنَا يزيد بن محمد المهلب قال: حَدَّثَنَا

حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: رأيتُ في منامي كأنّ جريراً جالس يُنشدُ شعره وأنا أسمع منه، فلما فرغ أخذ بيده كُبة شعر فألقاها في فمي فابتلعها؛ فأول ذلك بعض من ذكرته له أنه ورثني الشعر. قال يزيد بن محمد: وكذلك كان، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى ومحمد بن مزيد قالوا: حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال: قال لي أبي: أعطيتُ منصوراً زلزلاً من مالي خاصّة حتى تعلّمتُ ضربه بالعود نحواً من مائة ألف درهم سوى ما أخذته له من الخلفاء ومن أبي. قال: وكانت في زلزلة قبل أن يعرف الصوت ويفهمه بلادة أول ما يسمعه، حتى لو ضرب هو وغلّامه على صوت لم يعرفاه قبل لكان غلامه أقوى منه؛ فإذا تفهمه جاء فيه من الضرب بما لا يتعلّق به أحد البتّة.

[قدرته على الإجازة الشعرية]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق، وأخبرني به الأخفش عن الفضل عن إسحاق، وأخبرني به يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق، وأخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ عن إسحاق قال: قال لي أبو زياد الكلابيّ: أولم جارّ لي يُكنى أبا سُفيان وليمةً ودعاني لها، فانتظرتُ رسوله حتى تصرّم يومي فلم يأت، فقلت لامرأتي:

وإنّ أبا سُفيان ليس بمولِمٍ فقومي فهاتي فلقةً من حوارِك^(١)
[الطويل]

قال إسحاق: فقلتُ له: أليس غيرُ هذا؟ فقال: لا، إنّما أرسلتهُ يتيماً؛ فقلتُ: أفلا أجيزه؟ قال: شأنك؛ فقلتُ له:

فبيئتُك خيرٌ من بيوتٍ كثيرةٍ وقدركُ خيرٌ من وليمة جارِك
[الطويل]

قال: فضحك ثم قال: أحسنت بأبي أنت وأمي، جئت واللّه به قبلاً^(٢) ما

(١) هذا البيت للقتال الكلبي، وهو عبيد بن مجيب بن المضرحي من بني كلاب بن ربيعة. شاعر فثاك، بدوي، من الفرسان، يكنى أبا المسيب أدرك أواخر الجاهلية، وعاش في الإسلام إلى أيام عبد الملك بن مروان، وسجن مرة في المدينة لقتله ابن عم له اسمه زياد وفر من السجن، وتبرأت منه عشيرته، توفي سنة ٧٠هـ.

(٢) وقال الأصمعي: القبل: أن يورد الرجل إبله فيستقي على أفواهاها ولم يكن هياً لها قبل ذلك شيئاً. ومنه قيل: القبل الارتجال أي التكلم بكلام لم يكن قد أعدّه.

انتظرت به القرب، وما أُلوم الخليفة أن يجعلك في سُمّاره ويتملّح بك، وإنك لمن طراز ما رأيت بالعراق مثله، ولو كان الشباب يُشترى لأبتعتُ لك بإحدى عيني ويُمْنِي يدي، وعلى أن فيك بحمد الله ومَنه بقيّة تسرّ الودود، وتُرغم الحسود. هذا لفظ يزيد المَهْلَبِي والأخفش. وأخبرني بهذا الخبر محمد بن عبد الله بن عَمّار فقال: حَدَّثَنِي عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثَنِي إِسْحَاق قال: قال لي إِمّا شَدّاد بن عُقبة وإِمّا أبو مُجيب: قالَتِ امرأةُ الفَتّال الكلابي له: هل لك في فِلقة من حُوار نطْبُحُها لك؟ فقال: لا والله، نحن على وليمة أبي سُفيان ودَعوتِهِ، وكان أبو سُفيان رجلاً من الحي زُفّت إليه امرأته تلك الليلة؛ فجعل يَنْظُر دُخَاناً فلا يراه، فقال:

وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ لَيْسَ بِمَوْلٍمٍ فَقُومِي فَهَاتِي فِلَقَةً مِنْ حُوَارِكِ
[الطويل]

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدّم من الذي قبله.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدَّثَنِي أَبِي قال: حَدَّثَنِي إِسْحَاق قال: أنشدتُ أعرابياً فهِمّاً شعراً لي، فقال: أَفْقَرْتُ واللّٰه يا أبا محمد؛ فُلْتُ: وما أفقرت؟ قال: رَعَيْتُ قَفْرَةَ لَمْ تُرَعْ قَبْلَكَ. (يريد: أبدوّعت).

[دقة حاسته الغنائية]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش وعمي: قالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمِبرّد قال: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ قَالَ سَمِعْتُ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِي يَقُول: دَخَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ يَوْمًا وَعَقِيدٌ يُعْنِيهِ ارْتِجَالًا وَغَيْرُهُ يَضْرِبُ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: يَا إِسْحَاقُ، كَيْفَ تَسْمَعُ مُعْنِيْنَا هَذَا؟ فَقُلْتُ: هَلْ سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ هَذَا غَيْرِي؟ قَالَ: نَعَمْ، سَأَلْتُ عَمِّي إِبْرَاهِيمَ فَوَصَفَهُ وَقَرَّظَهُ وَاسْتَحْسَنَهُ؛ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَدَامَ اللَّهُ سُرُورَكَ، وَأَطَابَ عَيْشَكَ - إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَكْثَرُوا فِي أَمْرِي حَتَّى نَسَبْتَنِي فِرْقَةً إِلَى التَّزْيِيدِ فِي عِلْمِي؛ فَقَالَ لِي: فَلَا يَمْنَعُكَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ إِذَا لَزِمَكَ؛ فَقُلْتُ لِعَقِيدٍ ارْدُدْ هَذَا الصَّوْتَ الَّذِي غَنَيْتُهُ آنفًا، وَتَحَفَّظْ فِيهِ وَضَرَبَ ضَارِبُهُ عَلَيْهِ؛ فَقُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ: كَيْفَ رَأَيْتُهُ؟ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا يُكْرَهُ وَلَا سَمِعْتُهُ؛ فَأَقْبَلْتُ عَلَى عَقِيدٍ فَقُلْتُ لَهُ حِينَ اسْتَوْفَاهُ: فِي أَيِّ طَرِيقَةٍ هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي غَنَيْتُهُ؟ قَالَ: فِي الرَّمَلِ؛ فَقُلْتُ لِلضَّارِبِ: فِي أَيِّ طَرِيقَةٍ ضَرَبْتَ أَنْتَ؟ قَالَ: فِي الْهَزَجِ الثَّقِيلِ؛ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَ فِي صَوْتٍ يُعْنِي مُعْنِيَهُ رَمَلًا وَيَضْرِبُ ضَارِبُهُ هَزَجًا، وَلَيْسَ هُوَ صَحِيحًا فِي إِبْقَاعِهِ الَّذِي ضَرَبَ عَلَيْهِ! قَالَ: وَتَفَهَّمَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ

بعدي، فقال: صَدَقَ يا أمير المؤمنين، الأمرُ فيه الآنَ بَيْنَ؛ فَعَاظَنِي، فقلتُ له: بأيِّ شيءٍ بَانَ الآنَ ما لم يكن بَيْنًا قَبْلُ؟ أتوهم أنك استنبطت معرفة هذا! وإنَّما قُلْتُهُ لِمَا عَلِمْتُهُ من جهتي كما يقوله الغلمان العُجم وسائر من حضر اتباعاً لي واقتداءً بقولي. فقال له المأمون: صَدَقَ، فأمسك؛ وَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ من ذهاب ذلك على كل من حضر، وكُنَّانِي في ذلك اليوم مرَّتين.

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال: حَدَّثَنِي أبو عبد الله أحمد بن حَمْدُون قال حَدَّثَنِي أَبِي: أَنَّ الْأَصْمَعِي أَنشَدَ قولَ إسحاق يذكر ولاءه لِخُزَيْمَةَ بن خازم^(١):

إِذَا كَانَتْ الْأَحْرَارُ أَصْلِي وَمَنْصِبِي وَدَافِعَ ضَيْمِي خَازِمٌ وَابْنُ خَازِمٍ
عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شَامِخٍ وَتَنَاوَلْتُ يَدَايَ الثُّرَيَّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ
[الطويل]

قال: فجعل الأصمعي يَعْجَبُ منهما ويستحسنهما، وكان بعد ذلك يذكرهما ويُفَضِّلُهُمَا.

[ولاءه لخازم بن خزيمة]

قال ابن حَمْدُون: وكان السبب في تَوَلَّى إسحاق خازمَ بن خُزَيْمَةَ بن خازم، أَنَّ مناصرة جَرَتْ بينه وبين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالظا^(٢)، فقال له ابن جامع: يا من إِذَا قُلْتُ له يَابْنَ زَانِيَةً لَمْ أَحْفَ أَنْ يَكْذِبَنِي أَحَدٌ؛ فَمَضَى إلى خازم بن خزيمة، فتولاه وانتَمَى إليه، فَقَبِلَ ذلك منه، وقال هذين البيتين.

[امتحنه المعتصم]

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حَدَّثَنِي أَبِي قال: قال إسحاق: كانت عندي صَنَاجَةٌ^(٣) كُنْتُ بها مُعْجَبًا؛ واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون؛ فبينما أنا ذات يوم في منزلي إِذَا ببابي يُدَقُّ دَقًّا شَدِيدًا، فقلت: انظروا من هذا؛ قالوا: رسول أمير المؤمنين؛ فَقُلْتُ: ذَهَبَتْ صَنَاجَتِي، تجده ذَكَرَهَا له ذَاكَرٌ فَبَعَثَ إِلَيَّ فِيهَا؛ فَلَمَّا

(١) هو خزيمة بن خازم بن خزيمة، كان هو وأبوه من أشراف الدولة العباسية، وقد وَلَّى أبوه خراسان وعمان لأبي جعفر المنصور، وكان هو من قَوَادِ الرشيد المبرزين الذين أقاموا له بجلال الأعمال.

(٢) تغلظا: تعاديا وتشاتما.

(٣) أعجبهم قرع الزوج، بالصنوج؛ وهي التي تقرع مع النفخ في البوق. قال:

شَتَانٌ مِنَ الصَّنَجِ أَدْرَكَ وَالَّذِي بِالسَّيْفِ شَمَرُ وَالْحُرُوبِ تَسْعَرُ
ويقال لصاحبه: الصناج. والأعشى صناجة العرب.

مَضَى بي الرسول انْتَهَيْتُ إِلَى الْبَابِ وَأَنَا مُتَّخَنٌ^(١)، فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ السَّلَامَ، وَنَظَرَ إِلَى تَغْيِيرِ وَجْهِهِ فَقَالَ: اسْكُنْ فَسَكَنْتُ؛ وَسَلَّانِي عَنْ صَوْتٍ وَقَالَ: أَتَدْرِي لِمَنْ هُوَ؟ فَقُلْتُ: أَسَمِعُهُ ثُمَّ أَخْبَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِذَلِكَ؛ فَأَمَرَ جَارِيَةً مِنْ وَرَاءِ السِتَارَةِ فَعَنَّتُهُ وَضَرَبَتْ، فَإِذَا هِيَ قَدْ شَبَّهَتْهُ بِالْقَدِيمِ؛ فَقُلْتُ: زِدْنِي مَعَهَا عُدُوداً آخَرَ فَإِنَّهُ أَثْبَتَ لِي، فَزَادَنِي عُدُوداً آخَرَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا الصَّوْتُ مُحَدَّثٌ لَامْرَأَةٍ ضَارِبَةٍ؛ فَقَالَ: مَنْ أَيْنَ قُلْتَ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ: لَمَّا سَمِعْتُهُ وَسَمِعْتُ لَيْنَهُ عَرَفْتُ أَنَّهُ مِنْ صَنْعَةِ النِّسَاءِ؛ وَلَمَّا رَأَيْتُ جُودَةَ مَقَاطِعِهِ عَلِمْتُ أَنَّ صَاحِبَتَهُ ضَارِبَةٌ؛ فَقَالَ: مَنْ أَيْنَ قُلْتَ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ: لِأَنَّهَا قَدْ حَفِظَتْ مَقَاطِعَهُ وَأَجْزَاءَهُ، ثُمَّ طَلَبْتُ عُدُوداً آخَرَ لِيَكُونَ أَثْبَتَ لِي فَلَمْ أَشْكُكَ؛ فَقَالَ: صَدَقْتَ، الْغَنَاءُ لِعَرِيبٍ.

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ^(٢): حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الطَّاهِرِيِّ^(٣) قَالَ: حَدَّثَتْنِي مُخَارِقُ مَوْلَانَا قَالَتْ: كَانَ لِمَوْلَايَ الَّذِي عَلَّمَنِي الْغَنَاءَ فَرَّاشُ رُومِيٍّ، وَكَانَ يُغَنِّي بِالرُّومِيَّةِ صَوْتًا مَلِيحَ اللَّحْنِ؛ فَقَالَ لِي مَوْلَايَ: يَا مُخَارِقُ، خُذِي هَذَا اللَّحْنَ الرُّومِيَّ فَانْقُلِيهِ إِلَى شَعْرٍ مِنْ أَصْوَاتِكَ الْعَرَبِيَّةِ حَتَّى أُمْتَحِنَ بِهِ إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيَّ فَأَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ؛ وَصَارَ إِلَيْهِ إِسْحَاقُ فَاحْتَبَسَهُ مَوْلَايَ، فَأَقَامَ وَبَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَدْخِلِي اللَّحْنَ الرُّومِيَّ فِي وَسْطِ غَنَائِكَ؛ فَغَنَيْتُهُ إِيَّاهُ فِي دَرَجِ أَصْوَاتٍ مَرَّتْ قَبْلَهُ، فَأَصْغَى إِلَيْهِ إِسْحَاقُ، وَجَعَلَ يَتَفَهَّمُهُ وَيُقَسِّمُهُ وَيَتَفَقَّدُ أَوْرَاقَهُ وَمَقَاطِعَهُ وَيُوقِعُ عَلَيْهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ مَوْلَايَ فَقَالَ: هَذَا صَوْتُ رُومِيٍّ اللَّحْنِ، فَمَنْ أَيْنَ وَقَعَ إِلَيْكَ؟ فَكَانَ مَوْلَايَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ اسْتِخْرَاجِهِ لِحْنًا رُومِيًّا لَا يَعْرِفُهُ وَلَا الْعِلَّةَ فِيهِ، وَقَدْ نُقِلَ إِلَى غَنَاءِ عَرَبِيٍّ وَامْتَزَجَتْ نَعْمُهُ حَتَّى عَرَفَهُ وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ.

[مناظرة بين المغنين]

أَخْبَرَنِي عَمِي قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلْوِيُّهُ الْأَعْسَرُ، وَوَجَدْتُ هَذَا الْخَبَرَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ الشَّامِيِّ عَنْ جَدِّهِ حَمْدُونَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: تَنَازَرُ الْمُغَنُّونَ يَوْمًا عِنْدَ الْوَأَثِقِ، فَذَكَرُوا الضُّرَابَ وَحَدِّقَهُمْ، فَقَدَّمَ إِسْحَاقُ زَلْزَلَ عَلَى

(١) تَخَنَ الشَّيْءُ تَخَانَةً وَالرَّجُلُ الْحَلِيمُ الرَّزِينُ: تَخِينٌ. وَالثَّوْبُ الْمَكْتَنُزُ اللَّحْمَةُ وَالسَّدَى مِنْ جُودَةِ نَسْجِهِ: تَخِينٌ. وَقَدْ أَتَّخَنَتْهُ أَيْ: أَثْقَلَتْهُ. وَأَتَّخَنَ الرَّجُلُ إِذَا اتَّخَذَ شَيْئًا تَخِينًا، أَمَا مَا بِهِ تَخَانَةٌ وَتَخَنٌ.

(٢) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَبِي سَعِيدٍ الْوَرَّاقُ، وَكَانَ أَخْبَارِيًّا نَسَابَةً رَاوِيَةً لِلشَّعْرِ.

(٣) هُوَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ حَاكِمُ بَغْدَادَ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ وَالْمَعْتَصِمِ وَالْوَأَثِقِ، وَهُوَ مِنْ قُرَابَةِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَيَنْسَبُ إِلَيْهِ.

مُلاحظ، ولملاحظ في ذلك الرئاسة على جميعهم؛ فقال له الواصل: هذا حيف وتعدّ منك؛ فقال إسحاق: يا أمير المؤمنين، اجمع بينهما وامتحنهما، فإنّ الأمر سينكشف لك فيهما؛ فأمر بهما فأخضرا؛ فقال له إسحاق؛ إن للضراب أصواتاً معروفة، فأمتحنهما بشيء منها؟ قال: أجل، افعل؛ فسَمَّى ثلاثة أصوات كان أولها:

عَلَّقَ قَلْبِي ظَبِيَةَ السَّيْبِ^(١)

فضربا عليه، فَتَقَدَّمَ زَلْزَلٌ وَقَصَرَ عَنْهُ ملاحظ؛ فَعَجِبَ الْوَالِثُ مِنْ كَشْفِهِ عَمَّا ادَّعَاهُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ. فقال له ملاحظ: فما باله يا أمير المؤمنين يُحِيلُكَ عَلَى النَّاسِ! ولم لا يضرب هو! فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لم يكن أحد في زماني أَضْرَبَ مِنِّي إِلَّا أَنْكُمْ أَغْفِيْتُمُونِي، فَتَقَلَّتْ مِنِّي؛ وَعَلَى أَنْ مَعِيَ بَقِيَّةٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِهَا أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ؛ ثُمَّ قَالَ: يَا مُلَاحِظْ، شَوْشُ عَوْدِكَ وَهَاتِهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ملاحظ؛ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا يَخْلُطُ الْأَوْتَارَ تَخْلِيطٌ مُتَعَنَّتٌ فَهُوَ لَا يَأْلُو مَا أَفْسَدَهَا، ثُمَّ أَخَذَ الْعُودَ فَجَسَّهُ سَاعَةً حَتَّى عَرَفَ مَوَاقِعَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُلَاحِظْ، عَنَّ أَيَّ صَوْتٍ شِئْتَ، فَعَنَّى ملاحظ صوتاً، وضرب عليه إسحاقُ بِذَلِكَ الْعُودِ الْفَاسِدِ التَّسْوِيَةَ فَلَمْ يُخْرِجْهُ عَنْ لَحْنِهِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ حَتَّى اسْتَوَفَاهُ عَنْ نَقْرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَيَدُهُ تَصْعَدُ وَتَنْحَدِرُ عَلَى الدَّسَاتِينِ^(٢)؛ فقال له الواصل: لا واللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ اطْرَحَ هَذَا عَلَى الْجَوَارِي؛ فقال: هِيَهَاتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا لَا تَعْرِفُهُ الْجَوَارِي وَلَا يَصْلُحُ لَهُنَّ، إِمَّا بَلَّغْنِي أَنَّ الْفَهْلِيذَ^(٣) ضَرَبَ يَوْمًا بَيْنَ يَدَيِ كَسْرَى فَأَحْسَنَ، فَحَسَدَهُ رَجُلٌ مِنْ حُدَّاقِ أَهْلِ صَنْعَتِهِ، فَتَرَقَّبَهُ حَتَّى قَامَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ، ثُمَّ خَالَفَهُ إِلَى عَوْدِهِ فَشَوْشَ بَعْضُ أَوْتَارِهِ، فَرَجَعَ فَضْرَبَ وَهُوَ لَا يَدْرِي، وَالْمُلُوكُ لَا تُصْلَحُ فِي مَجَالِسِهَا الْعِيدَانِ، فَلَمْ يَزَلْ يَضْرِبُ بِذَلِكَ الْعُودِ الْفَاسِدِ إِلَى أَنْ فَرَّغَ، ثُمَّ قَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ فَأَخْبَرَ الْمَلِكَ بِالْقِصَّةِ، فَامْتَحَنَ الْعُودَ فَعَرَفَ مِمَّا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: زَهْ^(٤) وَزَهْ وَزَهَانُ زَهْ، وَوَصَلَهُ بِالْصَّلَةِ الَّتِي كَانَ يَصِلُ بِهَا مِنْ خَاطِبِهِ هَذِهِ الْمَخَاطَبَةُ؛ فَلَمَّا تَوَاطَّاتِ الرَّوَايَةُ بِهَذَا أَخَذَتْ نَفْسِي وَرُضْتُهَا عَلَيْهِ وَقُلْتُ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْفَهْلِيذُ أَقْوَى عَلَى هَذَا مِنِّي، فَمَا زِلْتُ أَسْتَنْبِطُهُ بَضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ عَلَى طَبَقَةٍ مِنَ الطَّبَقَاتِ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ نَعْمَتَهُ كَيْفَ هِيَ، وَالْمَوَاضِعَ الَّتِي يَخْرُجُ النِّعَمُ كُلُّهَا مِنْهَا فِيهَا، مِنْ أَعَالِيهَا إِلَى أَسَافِلِهَا، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا يَجَانِسُ شَيْئًا غَيْرَهُ، كَمَا أَعْرِفُ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعِ الدَّسَاتِينِ؛ وَهَذَا شَيْءٌ لَا تَفِي بِهِ الْجَوَارِي. قَالَ لَهُ

(١) السَّيْبُ: مَوْرَةٌ مِنْ سَوَادِ الْكُوفَةِ، وَهُوَ أَيْضًا نَهْرٌ بِالْبَصْرَةِ فِيهِ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ وَمَوْضِعٌ بِخَوَارِزْمَ.

(٢) الْعَتَبُ: الدَّسَاتِنَاتُ؛ وَقِيلَ: الْعَتَبُ: الْعِيدَانُ الْمَعْرُوضَةُ عَلَى وَجْهِ الْعُودِ، مِنْهَا تَمُدُّ الْأَوْتَارَ إِلَى طَرَفِ الْعُودِ.

(٣) الْفَهْلِيذُ: مَغْنٌ فِي أَيَّامِ كَسْرَى. (٤) زَهْ: كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ تَعْنِي أَحْسَنَتْ.

الوائق: صدقت، ولئن مَتَّ لَتموتنَ هذه الصناعة معك؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم.

نسبة هذا الصوت

صوت

عُلِّقَ قلبي ظُبِيَّةَ السَّيْبِ جَهْلًا فَقَدْ أَغْرِي بتعذِيبِي
نَمَّتْ عليها حين مَرَّتْ بنا مجاسِدُ^(١) يَنْفَحْنَ بالطَّيْبِ
تَصْدُّهَا عَنَّا عَجُوزُ لَهَا مُنْكَرَةٌ^(٢) ذَاتُ أَعَاجِيبِ
فَكَلَّمَاهُمَّتْ^(٣) بِإِتْيَانِهَا قَالَتْ تَوَقَّيْ عَدْوَةَ الذَّيْبِ
[السريع]

الشعرُ والغناء لإبراهيم، هَزَجٌ ثَقِيلٌ بالسَّبَّابةِ في مجرى البنصر.

[بخله بالغناء]

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْيَزِيدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي
دِمْنُ جَارِيَّةُ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ، وَكَانَتْ مِنْ كِبَارِ جَوَارِيهِ وَأَحْظَى مَنْ عِنْدَهُ، وَلَقِيْتُهَا
فَقُلْتُ لَهَا: أَيُّ شَيْءٍ أَخَذْتَ عَنْ مَوْلَاكَ مِنَ الْغِنَاءِ؟ فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُ أَنَا عَنْهُ
وَلَا وَاحِدَةً مِنْ جَوَارِيهِ صَوْتًا قَطُّ! كَانَ أَبْخَلَ بِذَلِكَ، وَمَا أَخَذْتُ مِنْهُ قَطُّ إِلَّا صَوْتًا
وَاحِدًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ انْصَرَفَ مِنْ دَارِ الْخَلِيفَةِ وَهُوَ مُثَخَّنٌ سَكْرًا، فَدَخَلَ إِلَى بَيْتِ كَانَ يَنَامُ
فِيهِ، فَرَأَى عَوْدًا مُعَلَّقًا فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ، وَقَالَ لَخَادِمِهِ: يَا غَلَامُ، صِحِّ لِي بِدِمْنٍ؛ فَجَاءَنِي
الْغَلَامُ فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا بَلَغْتُ الْبَابَ إِذَا هُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى فَرَاشِهِ وَالْعَوْدُ فِي يَدِهِ وَهُوَ يَصْنَعُ
هَذَا الصَّوْتِ وَيَرْدُدُهُ، وَقَدْ اسْحَنَفَرُ^(٤) فِي نَعْمِهِ وَتَوَقَّ^(٥) فِيهَا حَتَّى اسْتَقَامَ لَهُ، وَهُوَ:

(١) جسد دم جاسد وجسيد: جامد يابس. ودم كلون الجساد وهو الزعفران. ولبسن المجاسد وهي
الشعر، جمع مجسد أو مجسد، وعليها مجسد مجسد أي شعار مزعفر. ولا تخرجن إلى المساجد
في المجاسد.

(٢) منكرة: مبعضة مكروهة. (٣) همَّت: نواه وأرادته.

(٤) المُسْحَنَفَرُ: الماضي السريع، وهو أيضاً الممتد. واسْحَنَفَرَ الرجل في منطقته: مضى فيه ولم
يَتَمَكَّثْ. واسْحَنَفَرَتِ الخيل في جريها: أسرع. واسْحَنَفَرَ المطر: كثر. وقال أبو حنيفة:
المُسْحَنَفَرُ الكثير الصَّبِّ الواسع؛ قال:

أَعْرُ هَزِيمٌ مُسْتَهْلٌ رَبَابُهُ، لَهُ فُرُقٌ مُسْحَنَفِرَاتٌ صَوَادِرُ

اسْحَنَفَرَ الرجل إذا مضى مسرعاً. ويقال: اسْحَنَفَرَ في خطبته إذا مضى واتسع في كلامه.

(٥) التَّيَقُّ: من التَّنَوُّق. تنوق فلان في مطعمه وملبسه وأموره إذا تجرد وبالع، وتَنَيَّقَ لغة.

صوت

أَلَا لَيْلُكَ لَا يَذْهَبُ وَنَيْطَ الطَّرْفِ بِالْكُوكَبِ
وَهَذَا الصَّبْحُ لَا يَأْتِي وَلَا يَدْنُو وَلَا يَقْرُبُ
[الهمز]

فَلَمَّا سَمِعْتُهُ عَلِمْتُ أَنِّي إِنْ دَخَلْتُ إِلَيْكَ أَمْسُكَ، فَوَقَفْتُ أَسْتَمِعُهُ حَتَّى فَرَغَ مِنْهُ وَأَخَذْتَهُ عَنْهُ؛ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ وَضَعَ الْعُودَ مِنْ يَدِهِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ طَلَبَنِي فَقَالَ: يَا غَلَامُ، أَيْنَ دِمْنُ؟ فَقُلْتُ: هَأَنْذِي؟ فَقَالَ: مَذْكَمَ أَنْتِ وَاقِفَةٌ؟ فَقُلْتُ: مِنْذُ ابْتَدَأْتُ بِالصَّوْتِ وَقَدْ أَخَذْتَهُ؛ فَتَنَظَّرَ إِلَيَّ نَظَرٌ مُغْضِبٌ أَسِيفٍ، ثُمَّ قَالَ: غَنِّيهِ، فَغَنَيْتُهُ حَتَّى اسْتَوْفَيْتُهُ؛ فَقَالَ لِي وَقَدْ فَتَرَ وَخَجَلَ: قَدْ بَقِيََتْ عَلَيْكَ فِيهِ بَقِيَّةٌ أَنَا أَصْلَحُهَا لَكَ؛ فَقُلْتُ: لَسْتُ أَحْتَاجُ إِلَى إِصْلَاحِكَ إِيَّاهُ، وَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذْتُهُ عَلَى رَغْمِكَ؛ فَضَحِكَ. لَحْنُ هَذَا الصَّوْتِ مِنَ الْهَزَجِ بِالْبَنْصَرِ، وَالشَّعْرِ وَالْغَنَاءِ لِإِسْحَاقَ.

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ لِي إِسْحَاقُ: كُنْتُ عِنْدَ الْمَعْتَصِمِ وَعِنْدَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ، فَغَنَى إِبْرَاهِيمُ صَوْتاً لِابْنِ جَامِعٍ أَخْلَ بَعْضِيهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، تَرَكَ ابْنُ جَامِعٍ النَّاسَ يَحْجُلُونَ خَلْفَهُ وَلَا يَلْحَقُونَهُ. وَفِي هَذَا الصَّوْتِ خَاصَّةٌ؛ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا صَدَقَ، وَمَا هَذَا الصَّوْتُ بِتَامٍ الْأَجْزَاءُ؛ فَقَالَ: كَذَبَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، أَنَا أَوْقَفُهُ عَلَى نُقْصَانِهِ، فَمُرْهُ فَلْيَعِدْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَأَعَادَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ فَأَقَامَهُ وَطَمَعَ فِي الْإِصَابَةِ؛ فَقُلْتُ: آفَتُهُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، فَلْيَرُدُّهُ؛ فَارْدَّهَ فَنَقَصَ مِنْ أَجْزَائِهِ وَقَسَمْتَهُ، فَعَرَفْتُهُ فَأَقْرَبَ بِهِ؛ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذِهِ صِنَاعَتِي وَصِنَاعَةُ آبَائِي وَإِبْرَاهِيمَ يُكَلِّمُنِي فِيهَا، وَأَنَا أَسْأَلُهُ عَنْ ثَلَاثِينَ مَسْأَلَةً مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ فِي طَرِيقِ الْغَنَاءِ لَا يَعْرِفُ مِنْهَا مَسْأَلَةً وَاحِدَةً؛ فَقَالَ: أَوْ يُعْغِيَنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَلَامِهِ؟ فَأَعْفَاهُ.

وَقَدْ أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَهْلَبِيُّ عَنْ إِسْحَاقَ؛ فَذَكَرَ نَحْوَهُ مِمَّا ذَكَرَهُ يَحْيَى، وَذَكَرَ أَنَّ الْقِصَّةَ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيِ الْمَعْتَصِمِ؛ وَزَادَ فِيهَا فَقَالَ: أَنَا أَسْأَلُهُ عَنْ ثَلَاثِينَ مَسْأَلَةً وَأَوْقَفُهُ عَلَى خَطئِهِ فِيهَا، فَإِنْ لَمْ يُقِرَّ بِذَلِكَ أَقْرَبَ بِهِ مَخَارِقَ وَعَلَوِيهِ؛ فَقَالَ: أَوْ يُعْغِيَنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَلَامِهِ! فَإِنَّهُ يَعْدِلُ عِنْدِي الْبُخْتِجُ^(١)؛ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا يَفْعَلُ الْبُخْتِجُ؟ قَالَ: يُسَلِّحُ؛ قُلْتُ: قَدْ وَاللَّهِ

(١) وَمِمَّا يَسْتَدْرِكُ عَلَيْهِ. بُخْتِجٌ، كَقُتْنُذٍ: فِي حَدِيثِ النَّخَعِيِّ أَهْدَى إِلَيْهِ بُخْتِجٌ فَكَانَ يَشْرِبُهُ مَعَ الْعَكَرِ، الْبُخْتِجُ: الْعَصِيرُ الْمَطْبُوحُ، وَأَصْلُهُ بِالْفَارِسِيَّةِ مَيْبِخْتَهُ، أَيْ عَصِيرٌ مَطْبُوحٌ، وَإِنَّمَا شَرِبَهُ مَعَ الْعَكَرِ خِيفَةً أَنْ يُصَفِّيَهُ فَيَسْتَدَّ وَيُسْكِرَ.

فعل ذلك كلامي به، ومنه هرب؛ فَضَجَكَ وَعَطَى فاه وقام؛ فَظَنَّ إِسْحَاقُ بن إبراهيم الْمُصْعَبِيَّ أَنِّي قد أَغْضَبْتُهُ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى السِّيفِ؛ فَقُلْتُ له: لا تَحْسَبْ أَنِّي أَغْضَبْتُهُ؛ فما كُنْتُ لأَكَلِمَ عَمَّهُ بين يديه بِهْزءٍ من غيرِ إِذنه، فَأَمْسَكَ؛ وكان لا يُقَدِّمُ أَحَدٌ أَن يَكَلِّمَ الخليفةَ بحضرته بما فيه الوَهْنُ إلا بادر إلى سيفه تعظيماً للأمير وإجلالاً له.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حَدَّثَنِي أحمد بن القاسم الهاشمي عن إِسْحَاق، وأخبرني الحسين بن يحيى قال: حَدَّثَنَا حَمَّاد بن إِسْحَاق عن أبيه قال: دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهدي، وفي مجلسه عشرون جارية قد أَجْلَسَ عَشْرًا عن يمينه وعَشْرًا عن يساره ومعهنَّ العيْدَانُ يَضْرِبْنَ بها؛ فلَمَّا دَخَلْتُ سَمِعْتُ من الناحية اليسرى خطأ فأنكرته؛ فقال المأمون: يا إِسْحَاق، أسمع خطأ؟ فَقُلْتُ: نعم والله يا أمير المؤمنين؛ فقال لإبراهيم: هل تسمع خطأ؟ فقال: لا؛ فأعاد عليّ السؤال، فَقُلْتُ: بلى والله يا أمير المؤمنين، وإنه لفي الجانب الأيسر؛ فأعاد إبراهيم سَمْعَهُ إلى الناحية اليسرى ثم قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما في هذه الناحية خطأ؛ فَقُلْتُ يا أمير المؤمنين: مر الجوّاري اللواتي على اليمين يُمَسِّكْنَ، فأمرهن فأمسكن؛ فَقُلْتُ لإبراهيم: هل تسمع خطأ؟ فَتَسَمَّعَ ثم قال: ما ها هنا خطأ؛ فَقُلْتُ: يا أمير المؤمنين، يُمَسِّكْنَ وتضرب الثامنة. فأمسكن وضربت الثامنة، فَعَرَفَ إبراهيم الخطأ، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، ها هنا خطأ؛ فقال عند ذلك لإبراهيم: يا إبراهيم، لا تُمارِ إِسْحَاق بعدها؛ فَإِنَّ رَجُلًا فهم الخطأ بين ثمانين وتراً وعشرين حلقاً لجديرٍ ألا تماريه. فقال: صدقت يا أمير المؤمنين. وقال الحسين بن يحيى في خبره: وكان في الأوتار كلها مثنى فاسدُ التسوية. وقال فيه: فَطَرِبَ أمير المؤمنين المأمون، وقال: لله درك يا أبا محمد؛ فكأنني يومئذٍ.

[ثناء الواثق عليه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال: حَدَّثَنِي أحمد بن حَمْدُون قال: سَمِعْتُ الواثق يقول: ما عَنَّا نِي إِسْحَاقَ قَطُّ إلا ظَنَنْتُ أَنه قد زيد لي في مُلْكي، ولا سمعته يُعَيِّي غناء ابن سُرَيْجٍ إلا ظَنَنْتُ أَنَّ ابن سُرَيْجٍ قد نُشِرَ، وإنه ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضراً، فيتقدمه عندي وفي نفسي بطيب الصوت، حتى إذا اجتمعنا عندي رأيتُ إِسْحَاقَ يعلو ورأيتُ مَنْ ظَنَنْتُهُ يَتَقَدَّمُهُ يَنْقُصُ؛ وإنَّ إِسْحَاقَ لنعمةٌ من نعم المُلْكِ التي لم يُحَظَّ بمثلها؛ ولو أَنَّ العمر والشباب والنشاط مما يُشْتَرَى لا شَرِيتُهُنَّ له بشرط ملكي.

[يدخل مع الفقهاء]

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمُنْجَمُ قَالَ: سَأَلَ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيَّ الْمَأْمُونُ أَنْ يَكُونَ دَخُولُهُ إِلَيْهِ مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَالرُّوَاةِ لَا مَعَ الْمَغْنِيِّينَ، فَإِذَا أَرَادَهُ لِلْغِنَاءِ عَنَّا؛ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ؛ ثُمَّ سَأَلَهُ بَعْدَ حِينٍ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الدَّخُولِ مَعَ الْفُقَهَاءِ؛ فَأْذَنَ لَهُ. قَالَ: فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ بُسْخُتَّرٍ أَنَّهُ كَانَ هُوَ وَمُخَارِقٌ وَعَلَوِيَّةٌ جُلُوساً فِي حِجْرَةٍ لَهُمْ يَنْتَظِرُونَ جُلُوسَ الْمَأْمُونِ وَخُرُوجَ النَّاسِ مِنْ عِنْدِهِ، إِذْ دَخَلَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ وَعَلَيْهِ سَوَادُهُ ^(١) وَطَوِيلَتُهُ ^(٢)، وَبَدَأَ فِي يَدِ إِسْحَاقَ يُمَاشِيَهُ، حَتَّى جَلَسَ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ، فَكَادَ عَلَوِيَّةٌ أَنْ يُجَنَّ، وَقَالَ: يَا قَوْمَ، أَسَمِعْتُمْ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا! يَدْخُلُ قَاضِي الْقَضَاةِ وَبَدَأَ فِي يَدِ مَغْرَرٍ حَتَّى يَجْلِسَا بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ! ثُمَّ مَضَتْ عَلَى ذَلِكَ مَدَّةً، فَسَأَلَ إِسْحَاقَ الْمَأْمُونُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي لُبْسِ السَّوَادِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالصَّلَاةِ مَعَهُ فِي الْمَقْصُورَةِ؛ قَالَ: فَضَحِكَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ: وَلَا كُلَّ ذَا يَا إِسْحَاقُ! وَقَدْ اشْتَرَيْتُ مِنْكَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ؛ وَأَمَرَ لَهُ بِهَا.

[في مجلس الواثق]

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ جَحْظَةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَمْدُونَ قَالَ: كَانَ الْمُعْتَنُونَ جَمِيعاً يَحْضُرُونَ مَجْلِسَ الْوَاثِقِ وَعِيدَانُهُمْ مَعَهُمْ إِلَّا إِسْحَاقَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحْضُرُ بِلَا عَوْدٍ لِلشَّرْبِ وَالْمَجَالَسَةِ؛ فَإِنْ أَمَرَهُ الْخَلِيفَةُ أَنْ يُعْتَى أَحْضَرَ لَهُ عُوداً، فَإِذَا غَنَّى وَفَرَعَ سَلَّ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى أَنْ يَطْلُبَهُ. وَكَانَ الْوَاثِقُ كَثِيراً مَا يُكْنِيهِ، رَفْعاً لَهُ مِنْ أَنْ يَدْعُوهُ بِاسْمِهِ؛ وَكَانَ إِذَا غَنَّى وَفَرَعَ الْوَاثِقُ مِنْ شُرْبِ قَدَحِهِ قَطَعَ الْغِنَاءَ وَلَمْ يُعِدْ مِنْهُ حَرْفاً إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي بَعْضِ بَيْتِ قَيْتِمَهُ، ثُمَّ يَقْطَعُ وَيَضَعُ الْعُودَ مِنْ يَدِهِ.

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ فِي خَبَرٍ ذَكَرَ إِسْحَاقَ فِيهِ، فَقَالَ: وَعَارِضٌ مَعْبُداً وَابْنَ سُرَيْجٍ فَانْتَصَفَ مِنْهُمَا، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ يُنَازِعُهُ وَيُجَادِلُهُ فِي الْغِنَاءِ وَيَنَازِعُهُ فِي صِنَاعَتِهِ، وَلَمْ يَبْلُغْهُ؛ وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ إِسْحَاقَ مِثْلَهُ.

[نقد فني ساخر]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ رَاشِدِ الْخَنَاقِ: سَمِعْتُ عَلَوِيَّةً يَقُولُ لِإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ يَعْيبُكَ بِتَرْكِكَ تَحْرِيكَ الْغِنَاءِ؛ فَقَالَ لَهُ

(١) السواد شعار بني العباس.

(٢) الطويلة قلنسوة عالية مدعمة بالعيدان، كان يلبسها القضاة.

إسحاق: ليتنا نفي بما علمناه، فإننا لا نحتاج إلى الزيادة فيه. ثم قال له: فإنه يزعم أن حلاوة الغناء تحريكه، وتحريكه عنده أن يكون كثير النغم، وليس يفعل ذلك، إنما يسقط بعض عمله لعجزه عنه، فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأسكدار^(١) للكتاب، وهو حينئذ بأن يسمى المحذوف أشبه منه بأن يسمى المحرك؛ فصحك علويه ثم قال: فإن إبراهيم يسمى غناءكم هذا الممسك المدادي؛ قال إسحاق: هذا من لغات الحاكّة؛ لأنهم يسمون الثوب الجافي^(٢) الكثير العرض والطول المدادي؛ وعلى هذا القياس فينبغي لنا أن نسمي غناءه المحرك الضرابي، وهو الخفيف السخيف^(٣) من الثياب في لغة الحاكّة، حتى ندخل الغناء في جملة الحياكة ونخرجه عن جملة الملاهي؛ ثم قال لعلويه؛ بحياتي عليك إلا ما أعدت عليه ما جرى؛ فقال له: لا وحياتك لا فعلت؛ فإنه يعلم ميلي إليكم، ولكن عليك بأبي جعفر محمد بن راشد الخناق؛ فكلمه إسحاق وأقسم عليه أن يؤيده، ففعل وسار إلى إبراهيم فأخبره، فجعل كلما أخبره شيئاً تغيظ وشم إسحاق بأقبح شتم؛ ثم جاءه ابن راشد فأخبره؛ فجعل كلما أخبره بشيء من ذلك ضحك وصفق سروراً لغيظ إبراهيم من قوله.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال: حدّثني علي بن محمد التّوفليّ قال: أخبرني محمد بن راشد الخناق قال: إنني لفي منزلي يوماً مع الظهر إذ دخل عليّ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، فسُررتُ بمكانه؛ فقال: قد جاءت بي إليك حاجة؛ قال: قلت: قل ما شاء الله؛ قال: دغني في بيتك، ودغ غلاميك عندي: بُديحاً وسليمان - وكانا خادمين مُعْتَيْن - ومُرهما أن يُعْنِياني، وأتني بفلان ليُعْنِيني أيضاً، بحياتي عليك، وانطلق إلى إبراهيم بن المهديّ، فإنه سيَسرّ بمكانك، فاشرب معه أقداحاً، ثم قل له: يا سيدي، أسألك عن شيء، فإذا قال: سلّ، فقلّ له: أخبرني عن قولك:

دَهَبْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ دَهَبَتْ مِنِّي

أي شيء كان معنى صِنَعَتِكَ فيه؟ وأنت تعلم أنه لا يجوز في غنائك الذي صَنَعْتَهُ فيه إلا أن تقول: « دَهَبْتُ » بالواو، فإن قُلْتَ: « دَهَبْتُ » ولم تَمُدّها انقطع اللحن والشعر، وإن مددتها قُبِحَ الكلام وصار على كلام التَّبَطّ؛ فقلّ له: يا أبا محمد،

(١) الأسكدار: كلمة فارسية تعني حامل البريد.

(٢) الجافي من الثياب: الغليظ.

(٣) السخيف من الثياب: القليل الغزل.

كيف أَخْطَبُ إبراهيم بهذا؟ فقال: هو حاجتي إليك وقد كَلَّمْتُكَ إياها، فَإِنْ اسْتَحْسَنْتَ أَنْ تَرُدَّنِي فَأَنْتَ أَعْلَمُ؛ قال: أَفْعَلْ ذَلِكَ لِمَوْضِعِكَ عَلَيَّ مَا فِيهِ عَلَيَّ؛ ثُمَّ أَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ، وَجَلَسْتُ عِنْدَهُ مَلِيًّا، وَتَجَارَيْنَا الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ خَرَجْنَا إِلَى ذِكْرِ الْغِنَاءِ، فَخَاطَبْتُهُ بِمَا قَالَ لِي إِسْحَاقُ، فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَانْكَسَرَ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، لَيْسَ هَذَا مِنْ كَلَامِكَ، هَذَا مِنْ كَلَامِ الْجَرْمَقَانِيِّ ابْنِ الزَّانِيَةِ؛ قُلْ لَهُ عَنِّي: أَنْتُمْ تَصْنَعُونَ هَذَا لِلصَّنَاعَةِ، وَنَحْنُ نَصْنَعُهُ لِلَّهِو وَاللَّعِبِ وَالْعَبَثِ. قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَى إِسْحَاقَ فَحَدَّثْتُهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: الْجَرْمَقَانِيُّ وَاللَّهُ مِنَّا أَشْبَهُنَا بِالْجَرَامِقَةِ لَغَةً وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ: « ذَهَبْتُو » وَأَقَامَ عِنْدِي يَوْمَهُ فَرِحًا بِمَا بَلَغْتُهُ إِبْرَاهِيمَ عَنْهُ مِنْ تَوْقِيفِهِ عَلَيَّ خَطِيئَتِهِ.

[فساد ما بين صديقين]

قال علي بن محمد قال لي أبي: كان محمد بن راشد صديقاً لإسحاق ثم فَسَدَ ما بينهما؛ فَإِنَّهُ طَابَقَ^(١) إبراهيم بن المهدي عليه، وبلغه عنه من توقيعه أنه يذكره. وكان في محمد بن راشد رداة ونقل للأحاديث؛ فقال فيه إسحاق:

وندمان صدق لا تخاف أذاته ولا يلفظ الأخبار لفظ ابن راشد
دعاني إلى ما يشتهي فأجبتُهُ إجابة محمود الخلائق ماجد
فلا خير في اللذات إلا بأهلها ولا عيش إلا بالخليل المساعد
[الطويل]

قال: فَجَمَعَ ابْنُ رَاشِدٍ عِدَّةً مِنَ الشُّعْرَاءِ وَأَمَرَهُمْ بِهَجَاءِ إِسْحَاقَ؛ فَهَجَوْهُ بِأَشْعَارٍ لَمْ تَبْلُغْ مَرَادَهُ، فَلَمْ يُظْهَرْهَا. وَبَلَغَ ذَلِكَ إِسْحَاقَ فَقَالَ فِيهِ:

وأبيات شعر رائعات كأنها إذا أنشدت في القوم من حُسنها سحر
تحفز وأقلولي^(٢) لرد جوابها أبو جعفر يغلي كما غلت القدر
فلم يستطعها غير أن قد أعانهُ عليها أناس كي يكون له ذكر
فيا ضيعة الأشعار إذ يقرضونها وأضيع منها من يرى أنها شعر
[الطويل]

قال: فعاد محمد بن راشد بإسحاق واستكفهُ وصالحه، فَرَجَعَ إِلَيْهِ.

(١) طابق بين الشيئين: جعلهما على حذو واحد. وطابقته على الأمر: مالأته.

(٢) إقلولي، أي إرتفع. والمقلولي: المتجافي المستوفر. يقال: إقلولي الرجل في أمره، إذا انكمش، ويقال: تحفز الرجل وأقلولي: إذا استقل على رجليه ولما يستو قائماً وقد تهيأ للوثوب.

[أخذ إبراهيم بن المهدي صوتاً له]

أخبرني عمي قال: حَدَّثَنِي عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ نَصْرِ الشَّامِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ وَاضِحٍ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ طَرَحَ فِي مَنْزِلِ أَبِيهِ:

صوت

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الطُّلُولَا بِذِي حُرْضٍ^(١) مَائِلَاتِ مُثُولَا
بَلِينَ وَتَحْسَبُ آيَاتِهِنَّ عَـ مِنْ فَرْطٍ^(٢) حَوْلِينَ رِقَامُحِيلَا^(٣)
[المقارب]

- الشعرُ لِكَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ. والغناءُ لإِسْحَاقَ، وله فيه لحنان: ثاني ثَقِيلٍ مَطْلُقٍ في مجرى البَنْصَرِ، وماخُورِيٍّ بِالْوَسْطَى. وفيه لِلزُّبَيْرِ بْنِ دَحْمَانَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ - قال: فَجَاءَنَا إِسْحَاقُ يَوْمًا، وَأَقَامَ عِنْدَ أَبِي، وَأَخْرَجَنَا إِلَيْهِ جَوَارِينَا، وَمَرَّ الصَّوْتُ الَّذِي طَرَحَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ مِنْ غَنَائِهِ؛ فَقَالَ إِسْحَاقُ: مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ قَالَ: طَرَحَهُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَالَ إِسْحَاقُ: وَمَا لِأَبِي إِسْحَاقَ أَعَزَّهُ اللَّهُ وَلِهَذَا الصَّوْتُ! هَذَا أَنَا صَنَعْتُهُ، وَلَيْسَ هُوَ كَمَا طَرَحَهُ. قَالَ: فَسَأَلَهُ أَبِي أَنْ يُغَنِّيَهُ، فَغَنَّاهُ وَرَدَّدَهُ حَتَّى صَحَّ لِمَنْ عِنْدَهُ؛ فَقَالَ لِي أَبِي: اكْتُبْ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ أَعَزَّهُ اللَّهُ صَارَ إِلَيَّ فَاحْتَبَسْتُهُ، وَأَنَّهُ غَنَّى بِحَضْرَتِي الصَّوْتُ الَّذِي أَلْقَيْتُهُ فِي مَنْزِلِكَ الَّذِي أَسْكَنَهُ، فَزَعَمَ أَنَّهُ صَنَعَهُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ عَلَيَّ مَا أَخَذَهُ الْجَوَارِي عَنْكَ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا عِنْدَكَ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: فَكَتَبْتُ الرُّقْعَةَ وَأَنْفَذْتُهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ. فَكَتَبَ: نَعَمْ، جُعِلْتُ فِدَاكَ، صَدَقَ أَبُو مُحَمَّدٍ أَعَزَّهُ اللَّهُ، الصَّوْتُ لَهُ، وَهُوَ عَلَيَّ مَا ذَكَرَهُ، لَكِنِّي لَعَبْتُ فِي وَسْطِهِ لَعِبًا أَعْجَبَنِي. قَالَ: فَقَرَأَ إِسْحَاقُ الرُّقْعَةَ فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، ثُمَّ قَالَ لِي: اكْتُبْ إِلَيْهِ: «إِذَا أَرَدْتَ يَا هَذَا أَنْ تَلْعَبَ فَالْعَبْ فِي غِنَاءِ نَفْسِكَ لَا فِي غِنَاءِ النَّاسِ، وَمَا حَاجَتِكَ إِلَى هَذَا الشَّعْرِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، فَاصْنَعْ أَنْتَ إِنْ كُنْتَ تُحْسِنُ، وَالْعَبْ فِي صِنْعَتِكَ كَمَا تَشْتَهِي مُبْتَدِئًا بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ غَيْرَ مُشَارِكٍ فِي جَدِّ النَّاسِ بِلَعْبِكَ وَمُفْسِدًا لَهُ بِمَا لَا تَعْلَمُهُ. يَا أَبَا إِسْحَاقَ، أَيْدَكَ اللَّهُ، لَيْسَ هَذَا الصَّوْتُ مِمَّا يَتَهَيَّأُ لَكَ أَنْ تُمَخَّرَقَ^(٤) فِيهِ وَتَقُولَ: «جَنْدَرْتُهُ»^(٥). قَالَ: وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ: إِنَّهُ يُجَنْدِرُ صِنْعَةَ الْقَدَمَاءِ وَيُحَسِّنُهَا.

(١) ذو حُرْضٍ: واد لبني عبد الله بن غطفان، بينه وبين معدن النقرة خمسة أميال.

(٢) فرط الشيء: مضى وذهب. (٣) أحال: أتى عليه سنون.

(٤) تمخرق: تموه. (٥) جندره: أصلحه وطقله.

[مناظرة في الغناء]

قال علي بن محمد: حَدَّثَنِي جَدِّي حَمْدُون: أَنَّ إِسْحَاقَ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ بِحَضْرَةِ الْمَعْتَصِمِ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ يَزْعُمُ أَنَّ ابْنَ سُرَيْجٍ وَابْنَ مُخْرَزٍ وَمَعْبُدًا وَمَالِكًا وَابْنَ عَائِشَةَ لَمْ يَكُونُوا يُحْسِنُونَ تَمَامَ الصَّنْعَةِ وَلَا اسْتِيفَاءَ الْغَنَاءِ، وَيَعْجِزُونَ عَمَّا بِهِ يُكْمَلُ وَيَتَمُّ وَيَحْسَنُ، وَأَنَّهُ أَقْدَرُ عَلَى الصَّنْعَةِ مِنْهُمْ؟ قَالَ: أَقُولُ: إِنَّهُ جَاهِلٌ أَحْمَقُ؛ قَالَ: فَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ كَانَتْ بَقِيَّتُ عَلَيْهِمْ أَشْيَاءٌ لَمْ يَهْتَدُوا لَهَا وَلَمْ يُحْسِنُوهَا، فَتَنْبَهَتْ عَلَيْهَا أَنْتَ وَتَمَمْتَهَا وَحَسَّنْتَهَا بِجَنْدَرَتِكَ؟ قَالَ: فَضَحِكَ الْمَعْتَصِمُ وَبَقِيَ إِبْرَاهِيمُ وَاجِمًا مُطْرَقًا، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِنَفْسِهِ بِقِيَّةِ يَوْمِهِ؛ وَمَا سَمِعْتُهُ أَنَا وَلَا غَيْرِي بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتَبَجَّحُ بَغْنَاءٍ يُضْلِحُّهُ مِنْ غَنَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، حَتَّى يُطْنِبَ فِي صَنْعَتِهِ وَيُشْتَهَى اسْتِمَاعُهُ مِنْهُ، كَمَا كَانَ يَدَّعِي قَدِيمًا. قَالَ: وَكَانَ حَمْدُونُ يَقُولُ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَأْكُلُ الْمُغْنِيَّينَ أَكْلًا، حَتَّى يَحْضُرَ إِسْحَاقُ، فَيَدَّارِيهِ إِبْرَاهِيمُ وَيَطْلُبُ مَكَافَأَتَهُ، وَلَا يَدَّعُ إِسْحَاقُ تَبَكُّيَّتَهُ وَمَعَارَضَتَهُ؛ وَكَانَ إِسْحَاقُ أَفْتَهُ، كَمَا أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ.

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حَدَّثَنِي حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْتُ يَوْمًا مِنْ دَارِي وَأَنَا مَخْمُورٌ أَتَنَسَّمُ الْهَوَاءَ، فَمَرَرْتُ بِرَجُلٍ يُشِيدُ رَجُلًا مَعَهُ لُذِي الرُّمَّةِ:

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا مَيِّ أَنِّي وَبَيْنَنَا مَهَاوٍ^(١) لَطَرْفِ الْعَيْنِ فِيهِنَّ مَطْرَحُ^(٢)
ذَكَرْتُكَ إِذْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ^(٣) أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرِبُ^(٤) وَتَسْنَحُ^(٥)
مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الرَّمْلِ أَدْمَاءُ^(٦) حُرَّةٌ شِعَاعُ الضُّحَى فِي مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ

(١) مهاو: جمع مهواة، وهي ما بين الجبلين، ويريد الشاعر من خلال هذا البيت أن يصفها بأنها كالمنسرح بين جبلين بعيدة يسرح فيها البصر فلا يرده شيء.

(٢) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

(٣) أم شادن: كنية الظبية.
إِذَا قُلْتُ تَدْنُو مَيَّةً اغْبَرَّ دُونَهَا قِيَافٍ لَطَرْفِ الْعَيْنِ فِيهِنَّ مَطْرَحُ

(٤) اشْرَبَ الرجل، إذا رفع عَنْقَهُ لِيَنْظُرَ.

(٥) سَنَحَ لِي طَائِرٌ وَظِيٌّ سُوْحًا، فهو سَانِحٌ إِذَا أَتَاكَ عَنْ يَمِينِكَ، يُتِمَّنُّ بِهِ، قال الشاعر:

أَبَا السُّنْحِ الْأَيَّامِينَ أُمُّ بَنَحْسٍ تَمُرُّ بِهِ الْبَوَارِحُ حِينَ تَجْرِي
وَسَنَحَ لِي رَأْيِي أَوْ قَرِيضُ أَيٍّ: عَرَضَ.

(٦) وقالوا: الأدمة في الناس شُرْبَةٌ مِنْ سَوَادٍ، وَفِي الْإِبِلِ وَالظَّبَاءِ بَيَاضٌ، يُقَالُ: ظُبْيَةٌ أَدْمَاءُ، وَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا يَقُولُ لِلذَّكَرِ مِنَ الظَّبَاءِ أَدَمٌ وَإِنْ كَانَ قِيَاسًا. وَأَدِيمُ كُلُّ شَيْءٍ: ظَاهِرٌ جَلْدُهُ، وَأَدَمَةُ الْأَرْضُ: وَجْهُهَا، وَقِيلَ: سُمِّيَ أَدَمٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَدَمَةِ الْأَرْضِ، وَقِيلَ: بَلْ مِنْ أَدَمَةٍ جُعِلَتْ فِيهِ.

هِيَ الشَّبْهُ أَعْطَافاً وَجِيداً وَمُقَلَّةً وَمِيَّةٌ بَعْدَ مِنْهَا أَبْهَى وَأَمْلَحُ
كَأَنَّ الْبُرَى^(١) وَالْعَاجَ^(٢) عِيَجَتْ^(٣) مُتَوْنُهُ عَلَى عُسْرٍ^(٤) نَهَى^(٥) بِهِ السَّيْلُ أَبْطَحُ^(٦)
لِئِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا عَلَيَّ كَمَا أَرَى تَبَارِيحٍ مِنْ مَيِّ فَلَلَمَوْتُ أَرْوَحُ
[الطويل]

فأعجبني، فَصَنَعْتُ فِيهِ لِحْناً غَنَيْتُ بِهِ الْمَأْمُونَ، فَأَخَذْتُ بِهِ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دَرْهَمٍ.
لِحْنُ إِسْحَاقَ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَوَّلُ مَطْلُوقٍ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ.

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي يَنْشُو مَوْلَى أَبِي أَحْمَدَ بْنِ الرَّشِيدِ
قَالَ: اشْتَرَانِي مَوْلَايَ أَبُو أَحْمَدَ بْنِ الرَّشِيدِ، وَاشْتَرَى رَفِيقِي مَحْمُوماً، فَدَفَعَنَا إِلَى وَكِيلٍ
لَهُ أَعْجَمِيٍّ خُرَاسَانِيٍّ، وَقَالَ لَهُ: انْحَدِرْ بِهِذَيْنِ الْعُلَامَيْنِ إِلَى بَغْدَادَ إِلَى إِسْحَاقَ
الْمَوْصِلِيِّ؛ وَدَفَعَ إِلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دَرْهَمٍ، وَشَهْرِيًّا^(٧) بِسَرْجِهِ وَلِجَامِهِ، وَثَلَاثَةَ أَدْرَاجٍ^(٨) مِنْ
فِضَّةٍ مَمْلُوءَةٍ طَبِيباً، وَسَبْعَةَ تَخُوتٍ^(٩) مِنْ بَزٍّ خُرَاسَانِيٍّ، وَعَشْرَةَ أَسْفَاطٍ^(١٠) مِنْ بَزٍّ مِصْرِيٍّ،
وَخَمْسَةَ تَخُوتٍ وَشِي كُوفِيٍّ، وَخَمْسَةَ تَخُوتٍ سُوسِيٍّ، وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرْهَمٍ لِلنَّفَقَةِ؛
وَقَالَ لِلرَّسُولِ: عَرَّفْ إِسْحَاقَ أَنَّ هَذَيْنِ الْعُلَامَيْنِ لِرَجُلٍ مِنْ وَجْهِ أَهْلِ خُرَاسَانَ، وَجَّهَ
بِهِمَا إِلَيْهِ لِيَتَفَضَّلَ وَيَعْلَمَهُمَا أَصْوَاتاً اخْتَارَهَا، وَكَتَبَهَا لَهُ فِي دَرَجٍ^(١١)، وَقَالَ لَهُ: كَلِمَا

(١) تقول: هذه بُرَّةٌ مَبْرُوءَةٌ، أي: معمولة، وهي: الْحَلَقَةُ.. يقال: نَاقَةٌ مُبْرَأَةٌ: فِي أَنْفِهَا بُرَّةٌ. وَالْبُرَّةُ
كَذَلِكَ: الْحَلَقَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَنَحْوَهُمَا إِذَا كَانَتْ دَقِيقَةً مَعْطُوفَةً الطَّرْفَيْنِ، وَيُجْمَعُ عَلَى: الْبُرَى
وَالْبُرَيْنِ.

(٢) العاج: أسورة تتخذها نساء العرب من العاج.

(٣) عيجت: لويت.

(٤) العُسْرُ، بضم أوله: شَجَرٌ لَهُ صَمْغٌ، وَهُوَ مِنَ الْعِضَاءِ، وَثِمَرُهُ نُفَاحَةٌ كُنْفَاحَةُ الْقَتَادِ الْأَصْفَرِ. الْوَاحِدَةُ
عُشْرَةٌ، وَالْجَمْعُ عُشْرٌ وَعُشْرَاتٌ.

(٥) نهى الشيء: أبلغه.

(٦) الأبطح: بطن الوادي.

(٧) سمع أعرابي: أترانا أشهرنا منذ لم نلتق. وهو يركب الشهيرة والشهاري. والبرذون الشهري: بين
الرمكة والفرس العتيق، والرمكة: البرذونة، والحجر: العربية.

ومن المجاز: اشتهرت فلاناً: استخففت به وفضحته، وجعلته شهرة.

(٨) الدُّرُج: سفينة صغیر تدخر فيه المرأة طيبها.

(٩) التَّخْتُ، أي بالخاء المعجمة، وهو وعاءٌ يُصَانُ فِيهِ الثِّيَابُ، فَارِسِيٌّ، وَقَدْ تَكَلَّمْتُ بِهِ الْعَرَبُ،
وَهَكَذَا صَرَّحَ بِهِ ابْنُ دُرَيْدٍ أَيْضاً، وَأَغْفَلَهُ الْخَفَاجِيُّ فِي شِفَاءِ الْغَلِيلِ.

(١٠) أسفاط جمع سَفَط، وهو ما يوضع به الطيب وما أشبهه من أدوات النساء، وهو كالجوالق أو كالكفة.

(١١) الدَّرَج: الذي يكتب فيه، يقال: أنفذته في درج الكتاب أي في طيه، وهو يطلق على الصحيفة من
أي نوع ومن أي قياس.

عَلَّمَهُمَا صَوْتًا أَدْفَعُ إِلَيْهِ أَلْفَ دَرْهَمٍ، حَتَّى يَتَعَلَّمَا بِهَا مِائَةَ صَوْتٍ، فَإِذَا عَلَّمَهُمَا الصَّوْتَيْنِ اللَّذَيْنِ بَعْدَ الْمِائَةِ فَادْفَعُ إِلَيْهِ الشَّهْرِيَّ، ثُمَّ إِذَا عَلَّمَهُمَا الثَّلَاثَةَ الَّتِي بَعْدَ الصَّوْتَيْنِ، فَادْفَعُ إِلَيْهِ بِكُلِّ صَوْتٍ دُرْجًا مِنَ الْأَدْرَاجِ، ثُمَّ لِكُلِّ صَوْتٍ بَعْدَ ذَلِكَ تَخَنَّا أَوْ سَفَطًا، حَتَّى يَنْقُذَ مَا بَعَثْتُ بِهِ مَعَكَ؛ فَفَعَلَ، وَانْحَدَرْنَا إِلَى بَغْدَادَ، فَأَتَيْنَا إِسْحَاقَ، وَغَنَيْنَا بِحَضْرَتِهِ، وَبَلَّغَهُ الْوَكِيلَ الرِّسَالَةَ؛ فَلَمْ يَزَلْ يُلْقِي عَلَيْنَا الْأَصْوَاتَ حَتَّى أَخَذْنَاهَا كَمَا أَمَرْنَا سَيِّدُنَا. ثُمَّ سَرَرْنَا إِلَى سَرٍّ مِنْ رَأْيٍ، فَدَخَلْنَا إِلَيْهِ وَغَنَيْنَاهُ جَمِيعَ مَا أَخَذْنَاهُ فَسَرَّهُ ذَلِكَ. وَقَدِمَ إِسْحَاقُ سَرًّا مِنْ رَأْيٍ، وَلَقِيَهُ مَوْلَانَا، فَدَعَا بَنَا وَأَوْصَانَا بِمَا أَرَادَ، وَغَدَا بِنَا إِلَى الْوَائِقِ وَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَيَانِ إِسْحَاقَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَا تُسَلِّمَا عَلَيْهِ وَلَا تُؤْهِمَاهُ أَنْتُكَمَا رَأَيْتُمَاهُ قَطُّ، وَأَلْبَسْنَا أَقْبِيَّةَ خُرَاسَانِيَّةٍ وَمَضَيْنَا مَعَهُ؛ فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَى الْوَائِقِ قَالَ لَهُ: يَا سَيِّدِي، هَذَانِ غَلَامَانِ اشْتَرِيَا لِي مِنْ خُرَاسَانَ يُغَنِّيَانِ بِالْفَارَسِيَّةِ؛ فَقَالَ: غَنِّيَا، فَضَرَبْنَا ضَرْبًا فَارَسِيًّا وَغَنَيْنَا غِنَاءَ فَهْلِيدِيًّا؛ فَطَرِبَ الْوَائِقُ وَقَالَ: أَحْسَنْتُمَا، فَهَلْ تُغَنِّيَانِ بِالْعَرَبِيَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، وَانْدَفَعْنَا نُغْنِي مَا أَخَذْنَاهُ عَنْ إِسْحَاقَ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَغَاوَلُ عَنْهُ، حَتَّى غَنَيْنَا أَصْوَاتًا مِنْ غِنَائِهِ؛ فَقَامَ إِسْحَاقُ ثُمَّ قَالَ لِلوَائِقِ: وَحَيَاتِكَ يَا سَيِّدِي وَبَيِّعَتِكَ، وَإِلَّا كُلَّ مَلِكٍ لِي صَدَقَةٌ وَكُلِّ مَمْلُوكٍ لِي حُرٌّ إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَانِ الْغُلَامَانِ مِنْ تَعْلِيمِي وَمِنْ قَصَّتِهِمَا كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أَحْمَدَ: مَا أَدْرِي مَا تَقُولُ! هَذَانِ اشْتَرَيْتَهُمَا مِنْ رَجُلٍ نَحَّاسٍ خُرَاسَانِيٍّ؛ فَقَالَ لَهُ: بَلَّغْ وَلَعُكَ إِلَيَّ! وَنَحَّاسُ خُرَاسَانِيٍّ مِنْ أَيْنَ يَحْسُنُ أَنْ يَخْتَارَ مِثْلَ تِلْكَ الْأَغَانِي!؛ فَضَحِكَ أَبُو أَحْمَدَ ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ، أَنَا احْتَلْتُ عَلَيْهِ، وَلَوْ رُمْتُ أَنْ يَعْلَمَهُمَا مَا أَخَذَاهُ مِنْهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُمَا لِي بِعَشْرَةِ أَضْعَافٍ مَا أُعْطِيْتُهُ لَمَّا فَعَلَ؛ فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: قَدْ تَمَّتْ عَلَيَّ حِيلَتُهُ. وَقَالَ أَبُو أَحْمَدَ لِلوَائِقِ: إِنْ أَرَدْتَهُمَا فَخُذْهُمَا؛ فَقَالَ: لَا أَفْجَعُكَ بِهِمَا يَا عَمَّ، وَلَكِنْ لَا تَمْنَعْنِي حُضُورَهُمَا؛ فَقَالَ لَهُ: قَدْ بَدَلْتُ لَكَ الْمَلِكَ فَلَمْ تَوْثِرْهُ، أَفَتَرَانِي أَمْنَعُكَ الْخِدْمَةَ فَكُنَّا نَخْدِمُهُ بِنُوبَةٍ.

[منزلته عند الوائِق]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَمْدُونَ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ فَيْلَا الطُّنْبُورِيُّ وَكَانَ قَدْ دَخَلَ عَلَى الْوَائِقِ وَغَنَاهُ، قَالَ: قَالَ الْوَائِقُ فِي بَعْضِ الْعَشَايَا: لَا يَبْرَحُ أَحَدٌ مِنَ الْمُغَنِّينَ اللَّيْلَةَ، فَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى الصَّبُوحِ فِي غَدٍ؛ فَأَمْسَكُوا جَمِيعًا عَنْ مَعَارَضَتِهِ إِلَّا إِسْحَاقَ فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ: لَا وَحَيَاتِكَ مَا أَبَيْتُ؛ قَالَ: فَلَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لَهُ عِنْدَ الْوَائِقِ مَعَارَضَةٌ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ قَالَ لَهُ: فَبِحَيَاتِي إِلَّا بَكَّرْتُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ. قَالَ: فَرَأَيْتُ مُخَارِقًا وَعُلُوبِيهِ قَدْ تَقَطَّعَا غِيظًا؛ وَبَتْنَا فِي بَعْضِ الْحُجَرِ، فَقَالَا لِي: اجْلِسْ عَلَى بَابِ الْحَجَرَةِ، فَإِذَا جَاءَ إِسْحَاقَ فَعَرِّفْنَا حَتَّى نَدْخُلَ بِدُخُولِهِ؛ فَلَمْ نَلْبَثْ أَنْ جَاءَ إِسْحَاقُ مَعَ

أحمد بن أبي دواد يُماشيه في زيِّه وسَوَادِهِ وطويلتُهُ مثل طويلته، فَدَخَلْتُ فَأَعْلَمْتُهُمَا؛ فَقَامَتِ عَلَى عَلَوِيهِ الْقِيَامَةُ وَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ، خِينَاكَرٍ يَدْخُلُ إِلَى الْخَلِيفَةِ مَعَ قَاضِي الْقَضَاةِ! أَسْمَعْتُمْ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا الْبَخْتِ قَطُّ؟ فَقَالَ لَهُ مُخَارِقٌ: دَعْ هَذَا عَنْكَ، فَقَدْ وَاللَّهِ بَلَغَ مَا أَرَادَ. وَلَمْ نَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ ابْنُ أَبِي دَوَادٍ وَدُعِيَ بِنَا فَدَخَلْنَا، فَإِذَا إِسْحَاقُ جَالِسٌ فِي صَفِّ النَّدْمَاءِ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ، فَإِذَا أَمْرُهُ الْوَائِقُ أَنْ يُعْنِيَ خَرَجَ عَنْ صَفِّهِمْ قَلِيلًا وَأُتِيَ بَعْدَ فَعْنَى الصَّوْتِ الَّذِي يَأْمُرُهُ بِهِ؛ فَإِذَا فَرَعَ مِنَ الْقَدَحِ قَطْعَ الصَّوْتِ الَّذِي يَأْمُرُهُ بِهِ حَيْثُ بَلَغَ وَلَمْ يُتِمَّهُ، وَرَجَعَ إِلَى صَفِّ الْجُلَسَاءِ.

أخبرني محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقَّب بِوَسْوَاسَةٍ قَالَ: حَدَّثَنِي حَمَادٌ قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: كُنْتُ عِنْدَ الرَّشِيدِ يَوْمًا، وَعِنْدَهُ نَدْمَاؤُهُ وَخَاصَّتُهُ وَفِيهِمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ، فَقَالَ لِي الرَّشِيدُ: يَا إِسْحَاقُ تَعْنَى:

شَرِبْتُ مُدَامَةً وَسُقِيتُ أُخْرَى وَرَاحَ الْمُنْتَشُونَ وَمَا انْتَشَيْتُ
[الوافر]

فَعَنَيْتُهُ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ فَقَالَ لِي: مَا أَصَبْتَ يَا إِسْحَاقُ وَلَا أَحْسَنْتَ؛ فَقُلْتُ: لَيْسَ هَذَا مِمَّا تُحْسِنُهُ وَلَا تَعْرِفُهُ، إِنْ شِئْتَ فَعَنَّهُ، فَإِنْ لَمْ أَجِدْكَ أَنْكَ تَخْطِئُ فِيهِ مِنْذُ ابْتِدَائِكَ إِلَى انْتِهَائِكَ قَدَمِي حَلَالٍ. ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذِهِ صِنَاعَتِي وَصِنَاعَةُ أَبِي، وَهِيَ الَّتِي قَرَّبَتْنَا مِنْكَ وَاسْتَخْدَمَتْنَا لَكَ وَأَوْطَأَتْنَا بِسَاطِئِكَ، فَإِذَا نَارَعْنَاهَا أَحَدٌ بَلَا عِلْمٍ لَمْ نَجِدْ بُدًّا مِنَ الْإِيضَاحِ وَالذَّبِّ؛ فَقَالَ: لَا عَزْوٌ وَلَا لَوْمٌ عَلَيْكَ؛ فَقَامَ الرَّشِيدُ لِيَبُولَ؛ فَأَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ عَلَيَّ وَقَالَ: وَيْلَكَ يَا إِسْحَاقُ! أَتَجْتَرِي عَلَيَّ وَتَقُولُ مَا قُلْتَ يَا بَنَ الْفَاعِلَةِ! لَا يَكْنِي؛ فَدَاخَلَنِي مَا لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي مَعَهُ؛ فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ تَشْتُمْنِي، وَأَنَا لَا أَقْدِرُ عَلَى إِجَابَتِكَ وَأَنْتَ ابْنُ الْخَلِيفَةِ وَأَخُو الْخَلِيفَةِ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَكُنْتُ أَقُولُ لَكَ: يَا بَنَ الزَّانِيَةِ؛ أَوْ تَرَى أَنِّي كُنْتُ لَا أَحْسَنُ أَنْ أَقُولَ لَكَ: يَا بَنَ الزَّانِيَةِ؛ وَلَكِنْ قَوْلِي فِي ذِمَّتِكَ يَنْصَرِفُ جَمِيعُهُ إِلَى خَالِكَ الْأَعْلَمِ^(١)، وَلَوْ لَكَ لَذَكَرْتُ صِنَاعَتَهُ وَمَذْهَبَهُ - قَالَ إِسْحَاقُ: وَكَانَ بَيْطَارًا - قَالَ: ثُمَّ سَكَتُ، وَعَلِمْتُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ يَشْكُونِي وَأَنَّ الرَّشِيدَ سَوْفَ يَسْأَلُ مَنْ حَضَرَ عَمَّا جَرَى فَيُخْبِرُونَهُ، فَتَلَفَيْتُ ذَلِكَ، ثُمَّ قُلْتُ: أَنْتَ تَظُنُّ أَنَّ الْخِلَافَةَ تَصِيرُ إِلَيْكَ فَلَا تَزَالُ تُهَدِّدُنِي بِذَلِكَ وَتُعَادِينِي كَمَا تُعَادِي سَائِرَ أَوْلِيَاءِ أَخِيكَ حَسَدًا لَهُ وَلَوْلَدِهِ عَلَى الْأَمْرِ! فَأَنْتَ تَضَعُفُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ وَتَسْتَخِفُّ بِأَوْلِيَائِهِمْ تَشْفِيًّا؛ وَأَرْجُو أَلَّا يُخْرِجَهَا اللَّهُ عَنْ يَدِ الرَّشِيدِ وَوَلَدِهِ، وَأَنْ

(١) الْأَعْلَمُ الَّذِي انشَقَّتْ شَفَّتُهُ الْعُلَا.

يقتلك دونها؛ فإن صارت إليك - وبالله العياد - فحرامٌ عليَّ العيشُ يومئذٍ، والموتُ أطيبُ من الحياة معك، فاصنعْ حينئذٍ ما بدا لك. قال: فلما خرَّجَ الرشيدَ وثبَّ إبراهيمَ فجلَّسَ بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، شتَمَني وذكرُ أمِّي واستخفَّ بي؛ فَعَضِبَ وقال: ما تقول؟ ويلك! قُلْتُ: لا أعلم، فسَلَّ مَنْ حَضَرَ؛ فأقبلَ على مسرور وحُسَيْن^(١)؛ فسألَهما عن القصة؛ فجعلَا يُخبرانه ووجههُ يَتَرَدَّدُ^(٢) إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة، فسُرِّي عنه ورجَعَ لَوْنُهُ، وقال لإبراهيم: ماله ذنب، شتَمْتُهُ فعرَّفَكَ أنه لا يقدر على جوابك، ارجع إلى موضعك وأمسك عن هذا. فلما انقضى المجلس وانصرف الناس، أمر بألاً أبرح، وخرَّجَ كُلَّ مَنْ حَضَرَ حتى لم يبقَ غيري؛ فسَاءَ ظَنِّي وأهمَّتني نفسي؛ فأقبل عليَّ وقال: ويلك يا إسحاق! أتراني لم أفهم قولك ومراكك! قد والله رَزَيْتَهُ^(٣) ثلاث مرات، أتراني لا أعرف وقائعك وأقدامك وأين ذهبت! ويلك! لا تعد؛ حدَّثني عنك، لو ضربك إبراهيم، كُنْتُ أقتصَّ لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل؟! أتراك لو أمر غلماناه فقتلوك أَكُنْتُ أقتله بك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، قد والله قتلتنني بهذا الكلام، ولئن بَلَغَهُ ليقتلنِّي، وما أشك في أنه قد بلغه الآن؛ فصاح بمسرور الخادم وقال: عليَّ إبراهيم الساعة فأحضر، وقال: قُمْ فانصرف؛ وقُلْتُ لجماعة من الخدم، وكلُّهم كان لي مُحِبًّا وإليَّ مائلاً ولي مُطِيعاً: أخبروني بما يجري، فأخبروني من غد أنه لَمَّا دَخَلَ وبخه وجهله وقال له: أتستخفُّ بخادمي وصنيعتي ونديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيرة أبي في مجلسي، وتقدِّم عليَّ وتستخفُّ بمجلسي وحضرتي؟ هاهاه^(٤)؟ أتقدِّم على هذا وأمثاله! وأنت ما لك ولِّلغناء، وما يدريك ما هو! ومن أخذك به وطارك إياه حتى تتوهم أنك تبلغ مبلغ إسحاق الذي غُذِّي به وعُلمه وهو صناعته ثم تظن أنك تُخطئه فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك فلا تثبت لذلك وتعتصم بِشَتْمِهِ! أليس هذا مما يدلُّ على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يُشبهُكَ وغَلَبَةِ لِدَّتِكَ على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إياه ولم تُحْكَمْه، وادِّعائك ما لا تعلمه حتى ينسبك الناس إلى الجهل المفرط! ألا تعلم - ويلك - أنَّ هذا سوء أدب وقلة معرفة وقلة مبالاة بالخطأ والتكذيب والردَّ القبيح! ثم قال: والله العظيم وحقُّ رسوله، وإلا فأنا نَفِيٌّ من

(١) هما خادمان كانا للرشيد.

(٢) تَرَبَّدَ وَجْهُ فلانٍ، أي تَغَيَّرَ من الغضب. وتَرَبَّدَ الرجلُ: تَعَبَسَ.

(٣) زَنَاه: قذفه ونسبه إلى الزنا.

(٤) هاهاه: تكون حكاية لضحك الضاحك وللوعيد.

المهديّ، لئن أصابه أحدٌ بسوء، أو سقط عليه حجرٌ من السماء، أو سقط من على دابّته، أو سقط عليه سقْفُهُ، أو مات فجأةً، لأقتلنَّك به؛ واللّه! واللّه! واللّه! فلا تعرّضْ له وأنت أعلم، قم الآن فاخرج؛ فخرج وقد كاد أن يموت. فلما كان بعد ذلك دخلت إليه وإبراهيم عنده، فأعرضت عن إبراهيم؛ وجعل ينظر إليه مرّةً وإليّ مرّةً ويضحك، ثم قال له: إني لأعلم محبّتَكَ في إسحاق وميلَكَ إليه وإلى الأخذ عنه، وإنّ هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى، والرضا لا يكون بمكروه، ولكن أحسن إليه وأكرمه، وأعرِفْ حقّه وبرّه وصلّه، فإذا فعَلْتَ ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبتهُ بيد منبسطة ولسان منطلق؛ ثم قال لي: قم إلى مولاك وابنِ مولاك فقبّل رأسه؛ فقمْتُ إليه وقام إليّ وأصلح الرشيدُ بيننا:

صوت

أعاذلُ قد نهيتَ فما انتهيتُ وقد طال العتابُ فما ارعويْتُ
أعاذلُ ما كبرتُ وفيّ ملهٌ ولو أذركُ غايتك انتهيتُ
شربتُ مُداماً وسقيتُ أخرى وراح المنتشون وما انتشيْتُ
أبيتُ مُعذّباً قليلاً كئيباً لما ألقاه من ألم وفوتِ
[الوافر]

الغناء لابن مُحَرِّزٍ ثَقِيلٌ عن ابنِ المكيّ. وفيه رَمَلٌ بالوسطى.

[منادمته الرشيد]

أخبرني محمد بن مَزَيْد بن أَبِي الأَزهَر قال: حَدَّثَنَا حَمَّاد بن إِسْحاق عن أبيه قال: أُرسل إليّ الرشيد ذات ليلةٍ، فَدَخَلْتُ إليه فإذا هو جالس وبين يديه جاريةٌ عليها قميص مُورَّد وسراويل مُورَّدة وقِناعٌ مُورَّد كأنها ياقوتة على وردة؛ فلما رآني قال لي: اجلس، فَجَلَسْتُ، فقال لي: عَنِّ، فَعَنَيْتُ:

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرِي لَمَّا جَهِدَتْهُ وَبَيَّنَ لَوِيسَطِيْعُ أَنْ يَتَكَلَّمَا^(١)
[الطويل]

فقال: لِمَنْ هذا اللحن؟ فَقُلْتُ: لي يا أمير المؤمنين، فقال: هاتِ لحنَ ابنِ

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة.

سُرِيج، فَعَنَيْتُهُ إِيَّاهُ؛ فَطَرِبَ وَشَرِبَ رَطْلًا وَسَقَى الْجَارِيَةَ رَطْلًا وَسَقَانِي رَطْلًا؛ ثُمَّ قَالَ:
عَنّ، فَعَنَيْتُهُ:

هَاجَ شَوْقِي بَعْدَ مَا شُيِّبَ أَصْدَاغِي بُرُوقُ
مُوْهِنًا^(١) وَالْبَرْقُ مِمَّا ذَا الْهَوَى قَدَمًا يَشُوقُ
[الكامل]

فَقَالَ: لِمَنْ هَذَا الصَّوْتُ؟ فَقُلْتُ: لِي؛ فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ سَمِعْتُ فِيهِ لَحْنًا آخَرَ؛
فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَحْنُ ابْنِ مُحَرِّزٍ؛ قَالَ: هَاتِهِ، فَعَنَيْتُهُ فَطَرِبَ وَشَرِبَ رَطْلًا، ثُمَّ سَقَى
الْجَارِيَةَ رَطْلًا وَسَقَانِي رَطْلًا؛ ثُمَّ قَالَ: عَنّ، فَعَنَيْتُهُ:

أَفَاطِمَ مَهَلًا بَعْضَ هَذَا التَّدْلِيلِ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَزْمَعْتُ صَرْمِي فَأَجْمِلِي
[الطويل]

فَقَالَ لِي: لَيْسَ هَذَا اللَّحْنُ أُرِيدُ، عَنّ رَمَلِ ابْنِ سُرِيج؛ فَعَنَيْتُهُ وَشَرِبَ رَطْلًا
وَسَقَى الْجَارِيَةَ رَطْلًا، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي، فَجَعَلْتُ أَحَدَهُ بِأَحَادِيثِ الْقِيَانِ وَالْمُعَنِّينِ
طَوْرًا، وَأَحَادِيثِ الْعَرَبِ وَأَيَّامِهَا وَأَخْبَارَهَا تَارَةً، وَأُنْشِدُهُ أَشْعَارَ الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ فِي
خِلَالِ ذَلِكَ، إِذْ دَخَلَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ، فَحَدَّثَهُ حَدِيثَ ثَلَاثِ جَوَارٍ مَلَكَهِنَّ وَوَصَفَهُنَّ
بِالْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ وَالظَّرْفِ وَالْأَدَبِ؛ فَقَالَ لَهُ: يَا عَبَّاسِي، هَلْ تَسْخُو نَفْسُكَ بِهِنَّ؟
وَهَلْ لَكَ مِنْ سَلْوَةٍ عَنْهُنَّ؟ فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي لَأَسْخُو بِهِنَّ
وَبِنَفْسِي، فَبِهَا فَدَاكَ اللَّهُ؛ ثُمَّ قَامَ فَوَجَّهَ بِهِنَّ إِلَيْهِ، فَعَلَبَنَ عَلَى قَلْبِهِ، وَهُنَّ سِحْرُ وَضِيَاءٍ
وَحُثُّ ذَاتِ الْخَالِ؛ وَفِيهِنَّ يَقُولُ:

إِنَّ سِحْرًا وَضِيَاءً وَخُثُّثَ هُنَّ سِحْرٌ وَضِيَاءٌ وَخُثُّثُ
أَخَذْتُ سِحْرًا وَلَا ذَنْبَ لَهَا ثُلْثِي قَلْبِي وَتَرَبَّاهَا الثُّلُثُ^(٢)

[الرملي]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: أَتَيْتُ عُبَيْدَ
اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَائِشَةَ بِالْبَصْرَةِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَيْهِ حَصِرْتُ؛ فَقَالَ لِي: إِنَّ الْحَصْرَ
رَائِدُ الْحَيَاءِ، وَالْحَيَاءُ عَقِيدُ الْإِيمَانِ، فَاَنْبَسِطْ وَأَزِلِ الْوَحْشَةَ، فَلَتَنَ بَاعَدْتُ بَيْنَنَا
الْأَحْسَابَ، لَقَدْ قَرَّبْتَ بَيْنَنَا الْآدَابَ؛ فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَرْتَنِي بِخِطَابِكَ، وَزِدْتَنِي

(١) الْوَهْنُ: نَحْوُ مَنْ نَصَفَ اللَّيْلَ؛ وَالْمَوْهِنُ مِثْلُهُ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ حِينَ يُدْبِرُ اللَّيْلَ. وَقَدْ أَوْهَنَّا:
صَرْنَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ.

(٢) الْبَيْتَانِ لِهَارُونَ الرَّشِيدِ.

بِبِرِّكَ عَجْزاً عَنْ جَوَابِكَ ؛ وَلِلَّهِ دَرُّ الْقُطَامِيِّ ^(١) حَيْثُ يَقُولُ :

أَمَّا قَرِيْشٌ فَلَنْ تَلْقَاهُمْ أَبَداً إِلَّا وَهُمْ خَيْرٌ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ
[البسيط]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال : حَدَّثَنِي أَبُو هَفَانٍ قَالَ : وَجَّهَ أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ إِلَى إِسْحَاقِ الْمَوْصِلِيِّ بَزْعَفَرَانَ رَطْبٍ وَكَتَبَ إِلَيْهِ :

إِشْرَبْ عَلَى الزَّعْفَرَانِ الرَّطْبِ مُتَكِنًا وَانْعَمْ نَعِمْتَ بِطُولِ اللَّهْوِ وَالطَّرِبِ
فَحُرْمَةِ الْكَأْسِ بَيْنَ النَّاسِ وَاجِبَةً كَحُرْمَةِ الْوُدِّ وَالْأَرْحَامِ وَالْأَدَبِ
قال : فَكَتَبَ إِلَيْهِ إِسْحَاقُ :

أَذْكُرُ أَبَا جَعْفَرٍ حَقًّا أَمْتُ بِهِ أَنِّي وَإِيَّاكَ مَشْغُوفَانِ بِالْأَدَبِ
وَأَنَّا قَدْ رَضَعْنَا الْكَأْسَ دِرَّتْهَا ^(٢) وَالْكَأْسُ حَرَمْتُهَا أُولَى مِنَ النَّسَبِ
[البسيط]

حَدَّثَنَا الصُّوْلِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى الْخُرُوجَ إِلَى خُرَاسَانَ وَدَعَتْهُ ، ثُمَّ أَنْشَدَتْهُ بَعْدَ التَّوْدِيْعِ :

فِرَاقُكَ مِثْلُ فِرَاقِ الْحَيَاةِ وَفَقْدُكَ مِثْلُ افْتِقَادِ الدَّيْمِ
عَلَيْكَ السَّلَامُ فَكَمْ مِنْ وَفَاءٍ أَفَارِقُ فَيْكَ وَكَمْ مِنْ كَرَمِ
[المقارب]

قال : فَضَمَّنِي إِلَيْهِ ، وَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَقَالَ لِي : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، لَوْ حَلَيْتَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بِصَنْعَةٍ وَأَوْدَعْتَهُمَا مَنْ يَصْلُحُ مِنَ الْخَارِجِينَ مَعَنَا ، لَأَهْدَيْتَ بِذَلِكَ إِلَيَّ أَنْسَاءً

(١) عُمَيْرُ بْنُ شُيَيْمٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبَّادٍ ، مِنْ بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ ، أَبُو سَعِيدٍ ، التَّغْلِبِيُّ الْمَلَقَبُ بِالْقُطَامِيِّ . شَاعِرُ غَزَلِ فَحْلٍ ، كَانَ مِنْ نَصَارَى تَغْلِبَ فِي الْعِرَاقِ ، وَأَسْلَمَ . وَجَعَلَهُ ابْنُ سَلَامٍ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْإِسْلَامِيِّينَ ، وَقَالَ : الْأَخْطَلُ أَبْعَدُ مِنْهُ ذِكْرًا وَأَمْتَنُ شِعْرًا . وَأُورِدَ الْعَبَّاسِيُّ (فِي مَعَاهِدِ التَّنْصِيصِ) طَائِفَةٌ حَسَنَةٌ مِنْ أَخْبَارِهِ يَفْهَمُ مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ صَغِيرًا فِي أَيَّامِ شَهْرَةِ الْأَخْطَلِ ، وَأَنَّ الْأَخْطَلَ حَسَدَهُ عَلَى آيَاتٍ مِنْ شِعْرِهِ . وَنَقَلَ أَنَّ الْقُطَامِيَّ أَوَّلَ مَنْ لُقِبَ (صَرِيحُ الْغَوَانِي) بِقَوْلِهِ :

صَرِيحُ غَوَانٍ رَاقِهِنَّ وَرَقْنَهُ لَدُنْ شَبِّ حَتَّى شَابَ سُودُ الذَّوَابِ
مِنْ شِعْرِهِ الْبَيْتُ الْمَشْهُورُ :

قَدْ يَدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجَلِ الزَّلِيلِ
تُوفِي سَنَةَ ١٣٠ لِلْهَجْرَةِ .

(٢) دَرُّ اللَّيْلِ يُدْرُ دَرًّا ، وَكَذَلِكَ النَّاقَةُ . وَدَرَّتْ غُرُوقُهَا : امْتَلَأَتْ دَمًا . وَدَرَّتِ السَّمَاءُ : كَثُرَ الْمَطَرُ . وَسَحَابَةٌ مِدْرَارٌ . وَنَاقَةٌ دَرُورٌ .

وأذكرتني بنفسك؛ ففعلت ذلك وطرحته على بعض المُعَنِّين؛ فكان كتابه لا يزال يرد عليّ ومعه ألف دينار يصلني بذلك كلما غنى بهذا الصوت. قال الصولي: وهو من طريقة الرَّمَل.

أخبرني عمي قال: حَدَّثَنِي عمر بن شَبَّة عن إسحاق قال: قال لي الأصمعي: لَمَّا خَرَجْنَا مع الرشيد إلى الرِّقَّة قال لي: هل حملت معك شيئاً من كتبك؟ فقلت: نعم، حَمَلْتُ منها ما خَفَّ حَمْلُهُ؛ فقال: كم؟ فقلت: ثمانية عشر صندوقاً؛ فقال: هذا لما خَفَّفْتُ، فلو ثَقُلْتُ كم كُنْتُ تحمل؟ فقلت: أضعافها؛ فَجَعَلَ يَعَجَبُ.

[مدحه المعتصم]

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثَنِي إسحاق قال: لَمَّا وَلِيَ المعتصم دَخَلْتُ إليه في جملة الجلساء والشعراء؛ فهنأه القوم نظماً ونشراً وهو ينظر إليّ مُسْتَنْطِقاً؛ فَأَنْشَدْتُهُ:

صوت

لَا حَ بِالمَفْرِقِ^(١) مِنْكَ القَتِيرُ^(٢) وَدَوَى غُصْنُ الشَّبَابِ النَّضِيرُ^(٣)
هَزَيْتُ أَسْمَاءَ مَتَّى وَقَالَتْ أَنْتَ يَا بَنَ المَوْصَلِيِّ كَبِيرُ
وَرَأَتْ شَيْباً بِرَأْسِي^(٤) فَصَدَّتْ وَابْنُ سَتِينَ بِشَيْبِ جَدِيرُ
لَا يَرَوْعَنَّكَ شَيْبِي فَإِنِّي مع هذا الشَّيْبِ حَلْوُ مَزِيرُ^(٥)
قَدْ يُفْلُ^(٦) السِّيفُ وَهُوَ جُرَّازُ^(٧) وَيَصُولُ اللَّيْثُ وَهُوَ عَقِيرُ^(٨)

- (١) الفَرْقُ: موضع المَفْرِق من الرأس في الشعر. والفَرْقُ: تفريق بين شيئين فرقاً حتى يَفْتَرِقَا وَيَتَفَرَّقَا.
- (٢) من المجاز: لاح به القتير: أوائل الشيب وأصله.
- (٣) ورد في بعض المصادر «النضر» بدل «النضير».
- (٤) ورد في بعض المصادر «علاني» بدل «برأسي».
- (٥) قال أبو عبيد: المَزِيرُ: الشديد القلب؛ حكاه عن الأصمعي. وقال شمر: المزير الظريف، قاله الفراء، وأنشد:

فَلَا تَذْهَبْنَ عَيْنَاكَ فِي كُلِّ شَرْمَحٍ طَوَالَ فَإِنَّ الْأَقْصَرِينَ أَمَارَهُ
أَرَادَ أَمَارَ مَا ذَكَرْنَا، وَهَمَّ جَمْعُ الْأَمَرِ وَرَوَى عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ أَنَّهُ قَالَ: اشْرَبِ النَّبِيدَ وَلَا تَمَزَّرْ.
(٦) فلل سيف وتفلل، وفي حده تغليل وتغلل، وسيف أفل: ذم لما به من الخلل الظاهر ومدح لما ضرب به كثير.

- (٧) الجُرَّاز، كعُرَاب: السيفُ القاطع، وقيل: الماضي النافذ، ويقال: سَيْفٌ جُرَّازٌ، إِذَا كَانَ مُسْتَأْصِلًا.
- (٨) عقيير: مجروح ومقطوع القوائم.

يا بني العباس أنتم شفاء
أنتم أهل الخلافة فينا
لا يزال الملك فيكم مدى الدهر مُقيماً ما أقام ثبير^(١)
وأبو إسحاق خير إمام
ماله فيما يريش ويبري
واضح الغرة للخير فيه
زانه هذي تُقى وجلال
لو تباري جوده الريح يوماً
وَضِيَاءٌ لِلْقُلُوبِ وَنُورٌ
وَلَكُمْ مِنْبَرُهَا وَالسَّرِيرُ
مَالُهُ فِي الْعَالَمِينَ نَظِيرُ
غَيْرُ تَوْفِيْقِ الْإِلَهِ وَزِيرُ
حِينَ يَبْدُو شَاهِدٌ وَبَشِيرُ
وَعَفَافٌ وَوَقَارٌ وَخَيْرُ
نَزَعَتْ وَهِيَ طَلِيحٌ^(٢) حَسِيرُ^(٣)

[المديد]

قال: فأمر لي بجائزة فضّلني بها على الجماعة. ثم دخلت إليه يوم مقدمه من عزاته، فأنشدته قولِي فيه:

لأسماء رسم عفا باللوى
تعاوره الدهر في صرفه
إذ البين لم تخش روعائه
وإذ ميعه^(٤) اللهو تجري بنا
فذلك دهر مضى فابكه
وهل يشفينك من غلة
إلى ابن الرشيد إمام الهدى
إلى ملك حل من هاشم
إذا قيل أي فتى هاشم
به نعيش الله آمالنا
أَقَامَ رَهِيناً لَطَوِلِ الْبَلَى
بَكَرَ الْجَدِيدِينَ حَتَّى عَفَا
وَلَمْ يَصْرِفِ الْحَيَّ صَرْفَ الرَّدَى
وَحَبْلُ الْوَصَالِ مَتَيْنُ الْقُوَى
وَمَنْ ضَاقَ ذَرْعاً بِأَمْرِ بَكَى
بُكَاءُكَ فِي إِثْرِ مَا قَدْ مَضَى
بَعَثْنَا الْمَطِيَّ تَجُوبُ الْقَلَا
ذُوبَةً مَجْدٍ مُنِيفِ الذُّرَى
وَسَيِّدُهَا كَانَ ذَاكَ الْفَتَى
كَمَا نَعَشَ الْأَرْضَ صَوْبُ الْحَيَا

(١) ثبير: من جبال مكة بينها وبين عرفة.

(٢) هذه طلحة من الطلح والطلاح وهي شجر أم غيلان. وطلحت الإبل: اشتكت من أكل الطلح. وإبل طلحة وطلاحي. ثم قيل: طلح البعير فهو طلح، وطلح فهو طليح، كقولهم: هزل فهو هزيل وإن كان الهزال من تعب أو مرض.

(٣) الحسر والحسور: الإعياء، تقول: حسرت الدابة وحسرها بعد السير فهي حسير.

(٤) ماع يميع وأمعته إماعة. وهو في ميعة الشباب. والفرس في ميعة حضره وهي أوله وأنشطه. وتطيب بالميعة.

إِذَا مَا نَوَى فَعَلَ أَكْرُومَةً تَجَاوَزَ مِنْ جُودِهِ مَا نَوَى
كَسَاهُ إِلَهُهُ رِداءَ الْجَمَالِ وَنُورَ الْجَلَالِ وَهَدَى الثُّقَى

[المتقارب]

قال: فَأَمَرَ لي بجائزة، وقال: لَسْتُ أَحْسِبُ هَذَا لَكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَقْرَنَ صِنَاعَتَكَ
فِيهِ بِالْأُخْرَى (يعني أَنْ أَعْنِي فِيهِ وَفِي: « هَزَيْتُ أَسْمَاءَ مِنِّي ») ؛ فَصَنَعْتُ فِي:

هَزَيْتُ أَسْمَاءَ مِنِّي

لَحْنًا، وَفِي:

لِأَسْمَاءَ رَسَمَ عَفَا بِاللَّوَى

لَحْنًا آخَرَ وَعَنْيَتُهُ بِهِمَا، فَأَمَرَ لي بِالْفَيْ دِينَار.

نسبة هذين الصوتين

هَزَيْتُ أَسْمَاءَ مِنِّي وَقَالَتْ أَنْتَ يَا ابْنَ الْمُوصَلِيِّ كَبِيرُ
[المديد]

لَحْنُ إِسْحَاقَ فِي أَرْبَعَةِ آيَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ مِنَ الشَّعْرِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى . وَالْآخَرُ:

لِأَسْمَاءَ رَسَمَ عَفَا بِاللَّوَى أَقَامَ رَهِينًا لَطَوِيلِ الْبَلَى
[المتقارب]

الْغِنَاءُ لِإِسْحَاقَ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى .

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
الْعَلَاءِ قَالَ: عَنَيْتُ يَوْمًا بَيْنَ يَدَيِ الْوَاتِقِ لَحْنُ إِسْحَاقَ فِي:

هَزَيْتُ أَسْمَاءَ مِنِّي وَقَالَتْ أَنْتَ يَا ابْنَ الْمُوصَلِيِّ كَبِيرُ
[المديد]

قال: فَتَنَظَرَ إِلَيَّ مَخَارِقُ نَظَرًا شَرْرًا وَعَضَّ شَفْتَهُ عَلَيَّ؛ فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيِ
الْوَاتِقِ قُلْتُ: يَا أَسْتَاذَ، لِمَ نَظَرْتَ إِلَيَّ ذَلِكَ النَّظَرُ؟ أَلَنْكَرْتَ عَلَيَّ شَيْئًا أَمْ أَخْطَأْتُ فِي
غَنَائِي؟ فَقَالَ لِي: وَيَحْكُ! أَتَدْرِي أَيُّ صَوْتٍ عَنَيْتُ! إِنْ إِسْحَاقَ جَعَلَ صَيِّحَةً هَذَا
الصَّوْتِ بِمَنْزِلَةِ طَرِيقِ ضَيْقٍ وَعَرِ صَعْبِ الْمُرتَقَى، أَحَدُ جَانِبَيْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ حَرْفُ
الْجَبَلِ، وَعَنْ جَانِبِهِ الْآخَرِ الْوَادِي؛ فَإِنْ مَالَ مُرْتَقِيهِ عَنْ مَحَجَّتِهِ إِلَى جَانِبِ الْوَادِي
هَوَى، وَإِنْ مَالَ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ نَطَحَهُ حَرْفُ الْجَبَلِ فَتَكَسَّرَ؛ صَرَّ إِلَيَّ غَدًا حَتَّى
أَصَحَّحَهُ لَكَ.

[أخذه لحناً من مؤذن]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حَدَّثَنَا محمد بن يزيد قال: حَدَّثْتُ من غير وجه: أَنَّ إِسْحَاقَ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ الْمُعْتَصِمِ وَهُوَ أَمِيرٌ، فَسَمِعَ لَحْنًا لِعَبْدِ الْوَهَّابِ الْمُؤَذِّنِ أَذَّنَ بِهِ عَلَى بَابِ الْمُعْتَصِمِ، فَأَصْغَى إِلَيْهِ فَأَعْجَبَهُ، فَأَعَادَ الْمَبِيتَ لَيْلَةً أُخْرَى عِنْدَهُ حَتَّى اسْتَقَامَ لَهُ اللَّحْنُ؛ فَبَنَى عَلَيْهِ لَحْنَهُ:

هَزَيْتُ أَسْمَاءَ مَنِّي وَقَالَتْ

أخبرني الحسن بن علي قال: حَدَّثَنَا يزيد بن محمد المهلب: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ فُصِدَ يَوْمًا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ إِسْحَاقُ يَتَعَرَّفُ خَبْرَهُ وَيَدْعُو لَهُ بِالسَّلَامَةِ وَحَسَنِ الْعُقْبَى، وَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنِّي سَأَهْدِي إِلَيْكَ هَدِيَّةً لِلْفَصْدِ حَسَنَةً؛ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِدِيحٍ غَلَامَةٍ، فَعَنَاهُ لَحْنُهُ فِي:

هَزَيْتُ أَسْمَاءَ مَنِّي وَقَالَتْ

فَاسْتَحْسَنَهُ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ لَهُ: قَدْ قَبِلْنَا الْهَدِيَّةَ، فَإِنْ كَانَ أَذِنَ لَكَ فِي طَرَحِهِ عَلَى الْجَوَارِي فَافْعَلْ؛ فَقَالَ لَهُ: بِذَلِكَ أَمْرِي، وَقَالَ لِي: إِنَّكَ سَتَقُولُ لِي هَذَا الْقَوْلَ، فَقَالَ: إِنْ قَالَ لَكَ فَقُلْ لَهُ: لَوْ لَمْ أَمْرُكَ بِطَرَحِهِ لَمْ يَكُنْ هَدِيَّةً؛ فَضَحِكَ إِبْرَاهِيمُ، وَأَلْقَاهُ بِدِيحٍ عَلَى جَوَارِيهِ. وَقَدْ ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنَ نَصْرَ هَذَا الْخَبَرِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى أَبِيهِ بِهِذِهِ الْهَدِيَّةَ؛ وَهَذَا خَطَأٌ، لِأَنَّ الشَّعْرَ فِي تَهْنِئَةِ الْمُعْتَصِمِ بِالْخِلَافَةِ، وَإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِي مَاتَ فِي حَيَاةِ الرَّشِيدِ، فَكَيْفَ يُهْدَى إِلَيْهِ هَذَا الصَّوْتُ!

أخبرنا يحيى بن علي قال: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: انْدَفَعَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بَنَ بُسْخُرَ يَوْمًا يُعْنِي هَذَا الصَّوْتُ؛ فَالْتَقَتْ إِلَيْنَا مُخَارِقُ فَقَالَ: خَرَجَ^(١) ابْنُ الزَّانِيَةِ!

[محاورة بين مغنيين]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الدَّهْقَانَةِ النَّدِيمِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّي قَالَ: دَعَانِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ وَدَعَا عَلْوِيَهُ وَمُخَارِقًا، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ بَعْدَ رَجُوعِهِ وَرِضَاهُ عَنْهُ إِلَّا أَنَّ حَالَهُ كَانَتْ نَاقِصَةً مَتَضَعُضَةً؛ فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ كَتَبَ إِلَى إِسْحَاقِ الْمُوصِلِيِّ يَسْأَلُهُ أَنْ يَصِيرَ إِلَيْهِ وَيُعْلِمَهُ الْحَالَ فِي اجْتِمَاعِنَا عِنْدَهُ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ: لَا تَنْتَظِرُونِي بِالْأَكْلِ فَقَدْ أَكَلْتُ، وَأَنَا أَصِيرُ إِلَيْكُمْ بَعْدَ سَاعَةٍ؛ فَأَكَلْنَا

(١) خرج: نبع.

وجلسنا نشرب حتى قَرُبَ العصر، ثم وافى إسحاقُ فَجَلَسَ، وجاءَ غُلامه بِقَطْرَمِيزٍ^(١) نبذ فوضعه ناحيةً، وأمرَ صاحبَ الشرابِ بإسقاؤه منه، وكانَ علّويه يُغني الفضل بن الرّبيع في لحن لسياط اقترحه الفضل عليه وأعجبه، وهو:

فَإِنْ تَعْجَبِي أَوْ تُبْصِرِي الدَّهْرَ طَمَنِي^(٢) بِأَحْدَاثِهِ طَمَّ الْمُقْصَصُ بِالْجَلَمِ^(٣)
فَقَدْ أَتَرَكَ الْأَصْيَافَ تَنْدَى رِحَالُهُمْ وَأَكْرَمَهُمُ بِالْمَحْضِ^(٤) وَالتَّامَكِ^(٥) السِّنَمِ
[الطويل]

- ولحنه من الثقيل الثاني - فقال له إسحاق: أخطأت يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت، وأنا أصلحه لك؛ فَجَنَّ علّويه واغتاضَ وَقَامَتْ قِيَامَتُهُ؛ ثم أقبل على علّويه فقال له: يا حبيبي، ما أَرَدْتُ الوضعَ مِنْكَ بما قُلْتُهُ لَكَ، وإنما أَرَدْتُ تهذيبَكَ وَتَقْوِيمَكَ، لأنَّكَ منسوبُ الصوابِ والخطأِ إلى أبي وإليَّ، فَإِنْ كَرِهْتَ ذلك تركتك وقلت لك: أَحْسَنْتَ وَأَجَمَلْتَ؛ فقال له علّويه: والله ما هذا أَرَدْتُ، ولا أَرَدْتُ إلا ما لا تتركه أبداً من سوءٍ عشتك! أَخْبَرَنِي عَنْكَ حينَ تجيء هذا الوقتَ لَمَّا دعاكَ الأمير وعَرَّفَكَ أَنه قد نَشَطَ لِلْاصْطِبَاحِ: ما حملك على الترفُّعِ عن مُبَاكَرَتِهِ وخدمته مع صنائعه عندك، وما كان ينبغي أن يَشْغَلَكَ عنه شيء إلا الخليفة! ثم تَجَيَّه ومَعَكَ قَطْرَمِيزُ نبذ تَرَفُّعاً عن شرابه كما تَرَفُّعْتَ عن طعامِهِ وَمُجَالَسَتِهِ إلا كما تشتهي وحين تَنْشَطُ، كما تفعل الأكفاء، بل تزيد على فعل الأكفاء؛ ثم تَعُمِدُ إلى صوت قد اشتهاه واقترحه وسمعه جميعٌ من حضر فما عابه منهم أحد فَتَعَيَّبه لِيَتِمَّ تَنْغِيصُكَ إياه لَذَّتُهُ!؛ أمَّا والله لو الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر دعاكَ إلى مثل ما دعاكَ إليه الأمير، بل بعضُ أتباعهم، لَبَادَرْتُ وباكُرتُ وما تأخُرتُ ولا اعتذرتُ؛ قال: فأمسك الفضلُ عن الجوابِ إعجاباً بما خاطب به علّويه إسحاق؛ فقال له إسحاق: أمّا ما ذكرته من تأخري عنه إلى

(١) القطرميز: قلة كبيرة من الزجاج.

(٢) طمني: غمرني.

(٣) وقال أبو زيد: المقدُّ مجرى الجلم في مؤخر الرأس، وليس للإنسان إلا مقدُّ واحد، وهو القصاص أيضاً، ويقال للسكران وما قُدَّ به الريش مقدُّ بكسر الميم، وقد يقال إنه لحسن المقدِّين غير أنه لا مقدُّ له، إنما هو واحد. ثعلب عن ابن الأعرابي: التقدُّ: مجرى الجلم في مؤخر الرأس، قال وفي موضع: المقدُّ: مقص شعرك من خلفك وقُدَّامك.

(٤) المَحْضُ: اللبن الخالص، وهو الذي لم يخالطه الماء، حلواً كان أو حامضاً. ولا يسمَّى اللبن مَحْضاً إلا إذا كان كذلك.

(٥) التامك: السنام ما كان. وقيل: هو السنام المرتفع. وتمك السنام يتمك، ويتمك تموكاً: إكتنز. وناقَة تامك: عظمة السنام. وأتمكها الكلاً: سمنها.

الوقت الذي حَضَرْتُ فيه، فهو يَعْلَمُ أَنِّي لا أَتَأخَّرُ عنه إلا بعائق قاطع، إن وَثِقَ بذلك مِنِّي وإلا ذَكَرْتُ له الحجة سراً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل. وأما تَرْفُعي عنه، فكيف أترَفَعُ عَنْهُ وأنا أنتسب إلى صَنَائِعِهِ وأُستَمْنَحُهُ وأعيش من فضله مذ كُنْتُ، وهذا تَضْرِيبٌ^(١) لا أَبالي به منك. وأما حَمَلِي النَبِيذَ معي، فَإِنَّ لي في النَبِيذِ شرطاً من طعمه وريحه، وإن لم أجده لم أَقْدِرْ على الشرب وتنَعَّصَ عليَّ يومئذ، وَإِنَّمَا حَمَلْتُهُ لِيَتِمَّ نشاطي وَيُنْتَفَعَ بي. وأما طعني على ما اختاره، فَإِنِّي لم أَطعن على اختياره، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ تَقْوِيمَكَ، وَلَسْتُ واللَّهِ تراني مُتَتَبِعاً لك بعد هذا اليوم ولا مُقَوِّماً شيئاً من خطيئِكَ؛ وأنا أُغْنِي له - أعزَّه الله - هذا الصوت فيعلم وتعلم ويعلم من حَضَرَ أَنَّكَ أخطأت فيه وقَصَّرت. وأما البرامكة وملازمتي لهم فاشهرُ من أن أجده، وإِنِّي لَحَقِيقٌ فيه بالمعذرة، وأحرى أن أشكرهم على صَنِيعهم وبأن أذيعه وأنشره، وذلك والله أَقل ما يستحقونه مِنِّي. ثم أَقبل على الفضل - وقد غاظه مدحه لهم - فقال: اسمع مِنِّي شيئاً أَخْبِرَكَ به مما فعلوه ليس هو بكبير في صَنَائِعِهِم عندي ولا عند أبي قبلي، فَإِنْ وَجَدْتُ لي عُذْراً وإلا فَلَمْ: كُنْتُ في ابتداء أُمري نازلاً مع أبي في داره، فكان لا يزال يجري بين غلmani وغلmani وجواري وجواريه الخصومة، كما تجري بين هذه الطبقات، فيشكونهم إليه، فَأَتَبَيَّنَ الضُّجْرَ والتَّنْكَرُ في وجهه؛ فاستأجَرْتُ داراً بِقُرْبِهِ وانتقلت إليها أنا وغلmani وجواري، وكانت داراً واسعة، فلم أرضَ ما معي من الآلة لها ولا لِمَنْ يَدْخُلُ إِلَيَّ من إخواني أن يَرَوْا مثله عندي؛ فَفَكَّرْتُ في ذلك وكيف أصنع، وزاد فِكْرِي حتى خَطَرَ بِقَلْبِي قُبْحُ الأُحْدُوثة من نزول مثلي في دار بأجرة، وأني لا آمَنُ في وقت أن يستأذن عليَّ صاحبُ داري، وعندي من أحتشمه ولا يعلم حالي، فَيُقَالُ صاحبُ دارك، أو يُوجَّه في وقت فيطلب أجرة الدار وعندي من أحتشمه؛ فضاق بذلك صدري ضيقاً شديداً حتى جاوز الحد؛ فَأَمَرْتُ غَلَامِي بِأَنْ يُسْرِجَ لي حماراً كان عندي لأمضي إلى الصحراء أَتَفَرِّجُ فيها مما دخل على قلبي، فَأَسْرَجَهُ وَرَكِبْتُ برداء ونعل؛ فَأَفْضَى بي المسيرُ وأنا مفكر لا أميز الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد؛ فتوَّابَ غُلْمَانُهُ إِلَيَّ؛ وقالوا: أين هذا الطريق؟ فقلت: إلى الوزير؛ فدخلوا فاستأذنوا لي؛ وَخَرَجَ الْحَاجِبُ فَأَمَرَنِي بالدخول، وَبَقِيْتُ خَجِلاً، قد وقعت في أمرين فاضحين: إن دخلت إليه برداء ونعل وأعلمته أَنِّي قصدته في تلك الحال كان سوء أدب، وإن قلت له: كُنْتُ مجتازاً ولم أقصدك فجعلتك طريقاً كان قبيحاً؛ ثم عَزَمْتُ فَدَخَلْتُ؛ فلما رَأَيْتُ تَبَسَّمَ وقال: ما هذا الزَّيُّ يا أبا محمد! احتبسنا

(١) التَضْرِيبُ: الإغراء بين القوم.

لك بالبر والفصد والتفقد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً؛ فقلت: لا والله يا سيدي، ولكنني أصدقك؛ قال: هات؛ فأخبرته القصة من أولها إلى آخرها؛ فقال: هذا حق مستو، أفهذا شغل قلبك؟ قلت: إي والله وزاد فقال: لا تشغل قلبك بهذا، يا غلام، ردوا حمارة وهاتوا له خلعة؛ فجاؤوني بخلعة تامة من ثيابه فلبستها، ودعا بالطعام فأكلت ووضع النبيذ فشربت وشرب فعثيته، ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة وكتب أربع رقاع ظننت بعضها توقيعاً لي بجائزة، فإذا هو قد دعا بعض وكلائه فدفع إليه الرقاع وساره بشيء، فزاد طمعي في الجائزة؛ ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى العتمة؛ ثم اتكأ يحيى فنام، فقممت وأنا منكسر خائب فخرجت وقدم لي حماري؛ فلما تجاوزت الدار قال لي غلامي: إلى أين تمضي؟ قلت: إلى البيت؛ قال: قد والله بيعت دارك، وأشهد على صاحبها، وابتيع الدرب كله ووذن ثمنه، والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرفك، وأظنه اشترى ذلك للسلطان، لأنني رأيت الأمر في استعجاله واستحثائه أمراً سلطانياً، فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي، وجئت وأنا لا أدري ما أعمل؛ فلما نزلت على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي ساره يحيى قد قام إلي فقال لي: ادخل - أيدك الله - دارك حتى أدخل إلى مخاطبتك في أمر أحتاج إليك فيه؛ فطابت نفسي بذلك، ودخلت ودخل إلي فأقراني توقيع يحيى: «يطلق لأبي محمد إسحاق مائة ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها». والتوقيع الثاني إلى ابنه الفضل: «قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يبتاع له بها داره، فأطلق إليه مثلها لينفقها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهي». والتوقيع الثالث إلى جعفر: «قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يبتاع له بها منزل يسكنه، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم لينفقها على بنائها ومزمتها على ما يريد، فأطلق له أنت مائة ألف درهم يبتاع بها فرساً لمنزله». والتوقيع الرابع إلى محمد: «قد أمرت لأبي محمد إسحاق أنا وأخوأك بثلاثمائة ألف درهم لمنزل يبتاعه ونفقة ينفقها عليه وفرش يبتدله، فمر له أنت بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقته». وقال الوكيل: قد حملت المال واشتريت كل شيء جاورك بسبعين ألف درهم، وهذه كتب الابتاعات باسمي والإقرار لك، وهذا المال بورك لك فيه فاقبضه؛ فقبضته وأصبحت أحسن حالاً من أبي في منزلي وفرشي وآلتي، ولا والله ما هذا بأكبر شيء فعلوه لي، أفألام على شكر هؤلاء! فبكى الفضل بن الربيع وكل من حضر، وقالوا: لا والله لا تلام على شكر هؤلاء. ثم قال الفضل: بحياتي عن الصوت ولا تبخل على أبي الحسن بأن تقوم له؛ فقال: أفعل؛

وَعَنَاهُ، فَتَبَيَّنَ عَلَيْهِ أَنَّهُ كَمَا قَالَ، فَقَامَ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَقَالَ: أَنْتَ أَسْتَازِنَا وَابْنُ أَسْتَازِنَا وَأُولَى بِتَقْوِيمِنَا وَاحْتِمَالِنَا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ؛ وَرَدَّهُ إِسْحَاقُ مَرَّاتٍ حَتَّى اسْتَوَى لَعَلَّوِيهِ.

ولقد رُوي في هذا الخبر بعينه أَنَّ هذه القِصَّةَ كانت عند عليّ بن هشام، وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَاشِمِيُّ قَالَا: دَعَا عَلِيّ بْنَ هِشَامٍ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيَّ وَسَأَلَهُ أَنْ يَصْطَبِّحَ عِنْدَهُ وَيُبَكِّرَ فَأَجَابَهُ؛ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ وَافَاهُ ظَهراً وَعِنْدَهُ مُخَارِقٌ وَعَلَّوِيهِ؛ فَقَالَ لَهُ عَلِيّ بْنَ هِشَامٍ: أَيْنَ كُنْتَ السَّاعَةَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: عَاقَنِي أَمْرٌ لَمْ أَجِدْ مِنَ الْقِيَامِ بِهِ بَدْءاً؛ فَدَعَا لَهُ بِطَعَامٍ فَأَصَابَ مِنْهُ، ثُمَّ قَعَدُوا عَلَى نَبِيذِهِمْ، وَتَغَنَّى عَلَيْهِ صَوْتاً، الشَّعْرُ فِيهِ لَابْنُ يَاسِينَ، وَهُوَ:

صوت

إِلَهِي مَنَحْتَ الْوُدَّ مِنِّي بِخَيْلَةٍ وَأَنْتَ عَلَى تَغْيِيرِ ذَاكَ قَدِيرٌ
شَفَاءَ الْهُوَى بِثُ الْهُوَى وَاشْتِكَاءَهُ وَإِنَّ أَمْرًا أَخْفَى الْهُوَى لَصَبُورٌ
[الطويل]

- الغناء لسليمان أخي أَحْيَحَةَ، خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبِنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو - فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: أَخْطَأْتُ وَيْلَكَ! فَوَضَعَ عَلَيْهِ الْعُودَ وَشَرِبَ رَطْلًا وَشَرِبَ عَلِيّ بْنُ هِشَامٍ؛ ثُمَّ تَنَاولَ الْعُودَ وَغَنَّى:

وَلَقَدْ أَسْمَوُ إِلَى غُرْفٍ فِي طَرِيقِ مُوَحِّشٍ جُدَّةُ^(١)
حَوْلَهُ الْأَحْرَاسُ تَحْرُسُهُ وَلَدِيهِ جَائِثُ مَأْسَدُهُ
[المديد]

الغناء لمعبد ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو - فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: أَخْطَأْتُ وَيْلَكَ! فَوَضَعَ الْعُودَ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى إِسْحَاقَ فَقَالَ لَهُ: دَعَاكَ الْأَمِيرُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - لِتُبَكِّرَ إِلَيْهِ، فَجِئْتَهُ ظَهراً، وَغَنَيْتُ صَوْتَيْنِ يَشْتَهِيهِمَا الْأَمِيرُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - عَلَيَّ فَخْطَأْتَنِي فِيهِمَا، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تُغَنِّي بَيْنَ يَدَيِ الْأَمِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - وَلَا تُغَنِّي إِلَّا بَيْنَ يَدَيِ خَلِيفَةٍ أَوْ وَلِيِّ عَهْدٍ، وَلَوْ دَعَاكَ بَعْضُ الْبَرَامِكَةِ لَكُنْتَ تُسْرِعُ إِلَيْهِ ثُمَّ تُغَنِّي مِنْذُ غُدْوَةٍ إِلَى اللَّيْلِ! فَقَالَ إِسْحَاقُ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ انْتِقَاصاً مِنْكَ، وَلَا أَقُولُ مِثْلَهُ لَغَيْرِكَ وَلَا أَرِيدُ ازْدِرَاءً مِنْ أَحَدٍ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ بِكَ خَاصَّةً التَّقْوِيمَ وَالتَّأْدِيبَ؛ فَإِنْ سَاءَكَ ذَلِكَ تَرَكْتُكَ فِي

(١) جدده: معالمه.

خَطَّكَ. ثم أقبل على علي بن هشام، فقال له: أعزَّكَ الله، إني أُحدِّثك عن البرامكة بما تُقيم عذري فيما ذكره: دَخَلْتُ على يحيى بن خالد يوماً، ولم أَكُنْ أَرَدْتُ الدخول عليه، وإِنَّمَا رَكِبْتُ مُتَبَدِّلاً^(١) لَهُمْ أَهْمَتِي، وَكُنْتُ نَازِلاً مَعَ أَبِي فِي دَارِهِ، فَضِيقْتُ صَدْرًا بِذَلِكَ وَأَحْبَبْتُ الثَّقَلَةَ عَنْهُ، وَنَظَرْتُ فَإِذَا يَدِي تَقْصُرُ عَمَّا يُصْلِحُنِي؛ ثُمَّ ذَكَرَ الْخَبَرَ نَحْوًا مِمَّا قُلْتَهُ. وزاد فيه: أَنَّهُ دَخَلَ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ وَهُوَ مُصْطَبِحٌ، فَلَمَّا رَأَاهُ نَعَرَ^(٢) وَصَفَّقَ، وَأَنَّهُ وَقَعَ لَهُ بِمَائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَوَقَعَ لَهُ كُلُّ مَنْ جَعَفَرَ وَالْفَضْلُ بِمِائَةِ وَخَمْسِينَ أَلْفًا، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مُوسَى وَمُحَمَّدٍ بِمِائَةِ أَلْفٍ، مِائَةِ أَلْفٍ. وقال فيه: فَبَكَى عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ وَمَنْ حَضَرَ، وَقَالُوا: لَا يُرَى وَاللَّهِ مِثْلُ هَؤُلَاءِ أَبَدًا؛ وَأَخَذَ إِسْحَاقُ الْعُودَ فَغَنَّى الصَّوْتَيْنِ فَاتَى فِيهِمَا بِالْعَجَائِبِ؛ فَقَامَ عَلُويهِ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أَسْتَادُنَا وَابْنُ أَسْتَادُنَا، وَمَا بَنَا عَنْ تَقْوِيمِكَ غِنَى؛ ثُمَّ غَنَّى بَعْدَ ذَلِكَ لِحَنَهُ: «تَشْكِي الكَمِيتِ الْجَرِيِّ»، وَلَمْ يَزَلْ يُغَنِّي بِقِيَّةِ يَوْمِهِ كُلَّمَا شَرِبَ عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ؛ ثُمَّ انْصَرَفَ فَاتَّبَعَهُ عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ بِجَائِزَةِ سَنِيَّةٍ.

[سيد الصنعة]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيُّ قَالَ: أَحْضَرَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ، فَلَمَّا جَلَسْتُ وَاطْمَأَنَنْتُ، أَخْرَجَ إِلَيَّ خَادِمُهُ رُقْعَةً، فَقَالَ: اقْرَأْ مَا فِيهَا وَاعْمَلْ بِمَا رَسَمَهُ الْأَمِيرُ أَعَزَّهُ اللَّهُ؛ فَقَرَأْتُهَا فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ:

صوت

يَرْتَاحُ لِلدَّجَنِ^(٣) قَلْبِي وَهُوَ مُقْتَسَمٌ بَيْنَ الْهَمُومِ ارْتِيَاخِ الْأَرْضِ لِلْمَطَرِ

(١) يُقَالُ: تَبَدَّلَ فِي عَمَلٍ كَذَا وَكَذَا ابْتَدَلَ نَفْسَهُ فِيَمَا تَوَلَّاهُ مِنْ عَمَلٍ. وَفِي حَدِيثِ الْأَسْتِسْقَاءِ: فَخَرَجَ مُتَبَدِّلاً مُتَخَضَّعًا؛ التَّبَدُّلُ: تَرْكُ التَّرْتِيبِ وَالتَّهَيُّؤُ بِالْهَيْئَةِ الْحَسَنَةِ الْجَمِيلَةِ عَلَى جِهَةِ التَّوَاضُعِ؛ وَمِنْهُ حَدِيثُ سَلْمَانَ: فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً، وَفِي رِوَايَةٍ: مُبْتَدَلَةٌ. وَفَلَانٌ صَدَّقَ الْمُبْتَدِّلَ إِذَا كَانَ صُلْبًا فِيمَا يَبْتَدِلُ بِهِ نَفْسَهُ. وَفَرَسٌ ذُو صَوْنٍ وَابْتَدَالَ إِذَا كَانَ لَهُ حُضْرٌ قَدْ صَانَهُ لَوْقَتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَعَدُوٌّ دُونَهُ قَدْ ابْتَدَلَهُ. وَبَدَّلَ: اسْمٌ. وَمُبْدُولٌ: شَاعِرٌ مِنْ غَنِيِّ.

(٢) نَعَرَ الرَّجُلُ نَعِيرًا وَنَعْرَةً شَدِيدَةً. قَالَ:

كَلَّا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ الْمَسْتُورَةَ وَمَا تَلَا مُحَمَّدٌ مِنْ سُورِهِ

وَالنَّعْرَاتُ مِنْ أَبِي مُحَذَّرَةٍ وَهُوَ صَوْتُ فِي الْخَيْشُومِ. وَامْرَأَةٌ نَاعَرَةٌ: صَحَابَةٌ، وَمِنْهُ: نَعْرَةُ الْحِمَارِ. قَالَ: وَالْأَخْدَرِيَّاتُ تَغْنِيهَا النَّعْرُ.

(٣) الدَّجَنُ: ظِلُّ الْغَيْمِ، وَيَوْمٌ مُدْجِنٌ: دَامَ عَلَيْهِ ظِلُّ غَيْمِهِ مَعَ نَدَى.

إِنِّي جَعَلْتُ لِهَذَا الدَّجَنِ نِحْلَتَهُ^(١) أَلَّا يَزُولَ وَلِي فِي اللَّهْوِ مِنْ وَطَرٍ

[البسيط]

وتحت هذين البيتين: تَقَدَّمَ - جُعِلْتُ فداك - إلى مَنْ بِحَضْرَتِكَ مِنَ الْمُغَنِّينَ بَأَن يُعْنُوا في هذين البيتين، وألِقَ جميع ما يصنعونه على فلانة؛ فإذا أَخَذَتْهُ فَأَنْفَذَهَا إِلَيَّ مع رسولي؛ فَقُلْتُ: السَّمْعُ والطَّاعَةُ لأمر الأمير أَعَزُّهُ اللَّهُ، فَهَلْ صَنَعَ فِيهِمَا أَحَدٌ قَبْلِي؟ فقال: نعم، إِسْحَاقُ الموصلي؛ فَقُلْتُ: واللَّهِ لو كَلَّفَ إبليسُ أَنْ يصنعَ فِيهِمَا صِنْعَةً يَفْضُلُ إِسْحَاقَ فِيهَا بل يساويه بل يقاربه، ما قدر على ذلك ولا بَلَغَ مَبْلَغَهُ، فَضَحِكَ حَتَّى اسْتَلْقَى، وقال: صَدَقْتُ وَاللَّهِ! وهكذا يقول من يعقل لا كما يقول هؤلاء الحَمَقَى، ولكن اصنَعْ فِيهِمَا على كلِّ حال كما أمر؛ فَقُلْتُ: أَفْعَلْ وقد بَرَّئْتُ مِنَ الْعَهْدَةِ؛ فَأَنْصَرَفْتُ فَصَنَعْتُ فِيهِمَا صِنْعَةً كانت وَاللَّهِ عند صنعة إِسْحَاقَ بمنزلة غناء القَرَّادِينَ.

[شيب مغن]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي مِيْمُونُ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الموصلي قَالَ: قال لي المعتصم أو قال لي الواثق: لقد ضَحِكَ الشَّيْبُ فِي عَارِضِيكَ؛ فَقُلْتُ: نعم يا سيدي، وَبَكَيْتُ؛ ثم قُلْتُ أَيْبَاتًا فِي الْوَقْتِ وَغَنَيْتُ فِيهَا:

تَوَلَّى شَبَابُكَ إِلَّا قَلِيلًا وَحَلَّ الْمَشِيبُ فَصَبْرًا جَمِيلًا
كَفَى حَزَنًا بِفِرَاقِ الصُّبَا وَإِنْ أَصْبَحَ الشَّيْبُ مِنْهُ بَدِيلًا
وَلَمَّا رَأَى الْغَانِيَاتُ الْمَشِيبَ أَغْضَيْنَ دُونَكَ طَرْفًا كَلِيلًا
سَأْنَدُبُ عَهْدًا مَضَى لِلصُّبَا وَأَبْكِي الشَّبَابَ بُكَاءَ طَوِيلًا

[المتقارب]

فبكى الواثق وحزن وقال: واللَّهِ لو قَدَرْتُ على رَدِّ شَبَابِكَ لَفَعَلْتُ بِشَطْرِ مُلْكِي؛ فلم يكن لِكَلَامِهِ عِنْدِي جَوَابٌ إِلَّا تَقْبِيلُ الْبَسَاطِ بَيْنَ يَدَيْهِ.

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْيَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي حَمْدُونُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: لَمَّا صَنَعَ أَبُوكَ لَحْنَهُ فِي:

قِفْ بِالْدِيَارِ الَّتِي عَفَا الْقَدَمُ وَغَيَّرَتْهَا الْأَرْوَاحُ^(٢) وَالْدَيْمُ

[المنسرح]

(١) النُّحْلُ: إعطائك الإنسان شيئاً بلا استعاضة، وعم به بعضهم جميع أنواع العطاء، وقيل: هو الشيء المعطى. وقد أَنَحَلَهُ مَالاً وَنَحَلَهُ إِيَّاهُ، وأبى بعضهم هذه الأخيرة.

(٢) الأرواح: جمع ريح كالأرياح والرياح.

رَأَيْتَهُمْ (يَعْنِي الْمُعَنِّينَ) يَأْخُذُونَهُ عَنْهُ وَيَجْهَدُونَ فِيهِ؛ فَتَوَفَّى وَاللَّهُ وَمَا أَخَذُوا مِنْهُ إِلَّا رَسَمَهُ.

نسبة هذا الصوت

صوت

قَفَّ بِالْدِيَارِ الَّتِي عَفَا الْقَدَمُ وَغَيَّرَتْهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدَّيْمُ
لَمَّا وَقَفْنَا بِهَا نِسَائِلُهَا فَاصَّتْ مِنَ الْقَوْمِ أَعْيُنُ سُجْمٍ^(١)
ذَكَرَ الْعَيْشَ مَضَى إِذَا ذَكَرُوا مَافَاتَ مِنْهُ فَإِنَّهُ سَقَمُ
وَكُلُّ عَيْشٍ دَامَتْ غَضَارَتُهُ مُنْقَطِعٌ مَرَّةً وَمُنْصَرِمٌ
[المنسرح]

الشعر والغناء لإسحاق، ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى مِنْ جَمِيعِ أَغَانِيهِ.

حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي هَارُونَ الْيَتِيمُ قَالَ: حَدَّثَنِي عُجَيْفٌ بْنُ عَنَسَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَصِمِ وَعِنْدَهُ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ، فَعَنَّا:

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا وَنَأَى عَنْكَ جَانِبَا
[مجزوء الخفيف]

فَأَمَرَهُ بِإِعَادَتِهِ، فَأَعَادَهُ ثَلَاثًا، وَشَرِبَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ: قَدْ اسْتَحْسَنْتَ هَذَا الصَّوْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَفَنَأْخُذُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، خُذُوهُ فَقَدْ أَعْجَبَنِي؛ فَاجْتَمَعَ جَمَاعَةُ الْمُعَنِّينَ: مُخَارِقٌ وَعَلُويُّهُ وَعَمْرُو بْنُ بَانَةَ وَغَيْرُهُمْ، فَأَمَرَهُ الْمُعْتَصِمُ أَنْ يُلْقِيَهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَأْخُذُوهُ؛ فَقَالَ عُجَيْفٌ: فَعَدَدْتُ خَمْسِينَ مَرَّةً قَدْ أَعَادَهُ فِيهَا عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَطْطُونُ أَنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوهُ وَلَمْ يَكُونُوا أَخْذُوهُ. قَالَ هَارُونَ: فَنَحْنُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ بُسْخُرٍ، فَقَالَ لَهُ عُجَيْفٌ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، كُنْتُ أَحْدَثُ أَبَا مُوسَى بِحَدِيثِنَا الْبَارِحَةَ مَعَ إِسْحَاقَ فِي الصَّوْتِ وَأَنْتَ عَدَدْتُ خَمْسِينَ مَرَّةً؛ فَقَالَ مُحَمَّدٌ: إِي وَاللَّهِ! - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - وَلَقَدْ عَدَدْتُ أَنَا أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً وَمَا فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَهُ، وَاللَّهِ مَا أَخَذَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَأَنَا أَوَّلُهُمْ مَا قَدَرْتُ - عَلِمَ اللَّهُ - عَلَى أَخْذِهِ عَلَى الصَّحَّةِ وَأَنَا أَسْرَعُهُمْ أَخْذًا، فَلَا أَدْرِي: أَلِكَثْرَةِ زَوَائِدِهِ فِيهِ أَمْ

(١) سَجَمَ الدَّمْعُ سُجُومًا وَسِجَامًا: سَالَ وَانْسَجَمَ. وَسَجَمَتِ الْعَيْنُ دَمْعَهَا. وَعَيْنٌ سَجُومٌ. وَأَرْضٌ مَسْجُومَةٌ، أَيْ مَمْطُورَةٌ. وَأَسْجَمَتِ السَّمَاءُ: صَبَّتْ، مِثْلُ أَتَجَمَّتْ. وَالْأَسْجَمُ: الْجَمَلُ الَّذِي لَا يَرْغُو.

لشدّة صعوبته؛ ومن يَقْدِر أن يأخذَ من ذلك الشيطان شيئاً! أخبرني محمد بن مَزِيد قال: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي عُجَيْفُ بْنُ عَنبَسَةَ بِهَذَا الْخَبَرِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ سِوَاءً.

قال أبو أيّوب وحَدَّثَنِي حَمَادُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ الْمُعْتَصِمِ، فَمَرَّ شَعْرٌ عَلَى هَذَا الْوِزْنِ فَقَالَ: وَدَدْتُ أَنَّهُ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ؛ فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا لَكَ بِهِ عَلَى هَذَا الْوِزْنِ فِي أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الشَّعْرِ:

صوت

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا ونأى عَنكَ جَانِبَا
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتُ وإنْ كُنْتُ لَاعِبَا
[مجزوء الخفيف]

فأعجبه، وقال لي: قد والله أَحَسَّنْتَ! وأمر لي بِأَلْفِي دِينَارٍ، ووالله ما كانت قيمتهما عِنْدِي دَانِقِينَ^(١).

الشعر والغناء في هذين البيتين لِإِسْحَاقَ، ثاني ثَقِيلٍ بِالسَّبَّابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى.

[الأمين يغضب عليه]

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ الْمَكِّيِّ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: غَضِبَ عَلَيَّ الْمَخْلُوعُ^(٢) فَأَقْصَانِي وَجَفَانِي، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيَّ - قَالَ: وَجَفَانِي وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِالْأَنْبَارِ - فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ فَشَفَّعَهُ الْمَخْلُوعُ وَدَعَانِي وَهُوَ مُصْطَبِحٌ، فَلَمْ أَزَلْ مُتَوَقِّفًا وَقَدْ لَبِسْتُ قَبَاءً وَخُفًا أَحْمَرَ وَاعْتَصَبْتُ بِعِصَابَةِ صَفَرَاءَ وَشَدَدْتُ وَسْطِي بِشَقَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ حَرِيرٍ، فَلَمَّا أَخَذُوا فِي الْأَهْزَاجِ دَخَلْتُ وَفِي يَدَيَّ صَفَاقَتَانِ وَأَنَا أَتَعَنَّى:

إِسْمَعِ لَصَوْتِ طَرِيبٍ مِنْ صَنْعَةِ الْأَنْبَارِي
صَوْتِ مَلِيحٍ خَفِيفٍ يَطِيرُ فِي الْأَوْتَارِ
[المجث]

الشعر والغناء لِإِسْحَاقَ، هَزَجٌ بِالْبَنْصَرِ - فَسَّرَ بِذَلِكَ مُحَمَّدٌ، وَكَانَ صَوْتُهُمْ فِي يَوْمِهِمْ ذَلِكَ، وَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَأَخْبَرَنِي جَحْظَةُ بِهَذَا الْخَبَرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ

(١) الدَانِقُ: سُدُسُ الدِّينَارِ، والدَّرْهَمُ، وهو معرب عن الفارسية.

(٢) المخلوع: هو محمد الأمين الخليفة ابن هارون الرشيد.

أحمد بن يحيى المكي قال: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ إِسْحَاقَ حَدَّثَهُ بِهَذَا الْخَبَرِ، وَذَكَرَ مِثْلَ مَا ذَكَرَهُ يَحْيَى؛ وَزَادَ فِيهِ قَالَ: وَكَانَ سَبَبُ تَسْمِيَةِ مُحَمَّدٍ لِي بِ«الْأَنْبَارِيِّ»^(١) أَنِّي دَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا وَقَدْ لُتُّ^(٢) عِمَامَتِي عَلَى رَأْسِي لَوْثًا غَيْرَ مُسْتَحْسَنٍ، فَقَالَ لِي: يَا إِسْحَاقُ، كَأَنَّ عِمَامَتَكَ مِنْ عِمَائِمِ أَهْلِ الْأَنْبَارِ.

[عبادة القديم]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حَدَّثَنِي عَمِّي الْفَضْلُ عَنْ إِسْحَاقَ، وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي الْفَضْلُ عَنْ إِسْحَاقَ، وَأَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي: قَالَ إِسْحَاقُ: قُلْتُ فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي:

صوت

هَلْ إِلَى نَظَرَةٍ إِلَيْكَ سَبِيلٌ يُرَوُّ^(٣) مِنْهَا الصَّدَى وَيُشْفَى الْغَلِيلُ^(٤)
 إِنْ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَلِيلُ
 [الخفيف]

قال: فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَنْشَدْتُهُمَا الْأَصْمَعِيُّ، فَقَالَ: هَذَا الدِّيْبَاجُ الْخُسْرَوَانِيُّ^(٥)، هَذَا الْوَشْيُ الْإِسْكَندَرَانِيُّ، لِمَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ ابْنُ لَيْلَتِهِ؛ فَتَبَيَّنْتُ الْحَسَدَ فِي وَجْهِهِ، وَقَالَ: أَفْسَدَتْهُ! أَفْسَدَتْهُ! أَمَا إِنَّ التَّوْلِيدَ فِيهِ لَبَيِّنٌ. فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِإِسْحَاقَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ.

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بِهَذَا الْخَبَرِ، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ قَدَمَتِ الرِّوَايَةِ عَنْهُ، وَزَادَ فِيهِ: فَقَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى بِعَقِبِ هَذَا الْخَبَرِ: كَانَ إِسْحَاقُ يُعْجَبُ بِهَذَا الْمَعْنَى وَيَكْرَهُ فِي شَعْرِهِ، وَيَرَى أَنَّهُ مَا سُبِقَ إِلَيْهِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

(١) الأنباري نسبة إلى الأنبار، وهي بفتح الهمزة، في العراق بينها وبين بغداد ثلاثة عشر فرسخاً، وهي مدينة صغيرة متحضرة لها سوق وفيها قلعة وفواكه كثيرة وهي على رأس نهر عيسى، وكان فيما سلف قبل الإسلام لا تصل مياه الفرات إلى دجلة وإنما كان مغيضها في البطاح دون أن يتصل شيء منها بدجلة، فلما جاء الإسلام احتفر نهر عيسى حتى وصل به إلى بغداد، وهو الآن نهر كبير تجري فيه السفن إلى بغداد.

(٢) يلوث: يلفها ويعصبها.

(٣) جُزِمَ الفعل هنا لضرورة شعرية.

(٤) الغليل: حر الجوف لوحاً وامتعاضاً.

(٥) الخسرواني: نوع من الثياب منسوب إلى خسرو شاه من الأكاسرة.

صوت

أَيُّهَا الظَّبْيُ الْغَرِيرُ هَلْ لَنَا مِنْكَ مَجِيرُ
إِنَّ مَا نَوَلَّ تَنَبِيَّ مِنْكَ وَإِنْ قَلَّ كَثِيرُ
[مجزوء الرمل]

- لحنُ إسحاق خفيف ثقيل بالوسطى - فَقُلْتُ: إِنَّكَ قَدْ سُبِّقْتَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى،
فَقَالَ: مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا سَبَقَنِي إِلَيْهِ؛ فَأَنْشَدْتَهُ لِأَعْرَابِيٍّ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ:

قَفِي وَدَّعِينَا يَا مَلِيحُ بِنَظَرَةٍ فَقَدْ حَانَ مِنِّيَا مَلِيحُ رَحِيلُ
أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظَرَةٌ إِنْ نَظَرْتُنْهَا إِلَيْكَ وَكَأَلَا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ
عُقَيْلِيَّةٌ أَمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا فَوَعْتُ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَضَيْلُ^(١)
[الطويل]

صوت

أَيَا جَنَّةَ الدُّنْيَا وَيَا غَايَةَ الْمُنَى وَيَا سُؤْلَ نَفْسِي هَلْ إِلَيْكَ سَبِيلُ
أَرَا جَعَلْتَ نَفْسِي إِلَيَّ فَأَغْتَدِي مَعَ الرِّكْبِ لَمْ يُقْتَلْ عَلَيْكَ قَتِيلُ
فَمَا كُلَّ يَوْمٍ لِي بِأَرْضِكَ حَاجَةٌ وَلَا كُلَّ يَوْمٍ لِي إِلَيْكَ رَسُولُ
[الطويل]

قال: فَخَلَفَ أَنَّهُ مَا سَمِعَ بِذَلِكَ قَطُّ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى: وَصَدَقَ، مَا سَمِعَ بِهَا.
الغناء فِي الْأَبْيَاتِ الْأَخِيرَةِ مِنْ أَبْيَاتِ الْعُقَيْلِيِّ.

حَدَّثَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
الدِّينَارِيُّ بِمَكَّةَ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيُّ. قَالَ: عَاتَبَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ
المُهْدِيِّ فِي تَرْكِ الْمَجِيءِ إِلَيْهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ جَمَعَ لَكَ مَعَ الْمَوَدَّةِ الصَّادِقَةِ رَأْيًا حَازِمًا،
فَاجْمَعْ لَهُ مَعَ الْمَحَبَّةِ الْخَالِصَةِ طَاعَةً لَازِمَةً؛ فَقُلْتُ لَهُ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، إِذَا ثَبَّتَ
الْأَصُولَ فِي الْقُلُوبِ، نَطَقَتِ الْأَلْسُنُ بِالْفُرُوعِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي لَكَ شَاكِرٌ، وَلِسَانِي
بِالشَّوَاءِ عَلَيْكَ نَاثِرٌ؛ وَمَا يَظْهَرُ الْوَدَّ الْمُسْتَقِيمَ، إِلَّا مِنَ الْقَلْبِ السَّلِيمِ؛ قَالَ: فَأَبْرَأَ
سَاحَتَكَ عِنْدِي بِكَثْرَةِ مَجِيئِكَ إِلَيَّ؛ فَقُلْتُ: أَجْعَلُ مَجِيئِي إِلَيْكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ نُوبًا
أَتَقِظُ لَهَا كَتِيفُظِي لِلصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَأَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ مُقْصِرًا؛ فَضَحِكَ وَقَالَ: مَنْ
يَقْدِرُ عَلَى جَوَابِ الْمُعْنَيْنِ! فَقُلْتُ: مَنْ اتَّخَذَ الْغِنَاءَ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يَتَّخِذْهُ لغيرِهِ؛ فَضَحِكَ

(١) هذا البيت من شعر ابن دميثة.

أيضاً، وأمر لي بخَلْع ودنانير وبرذون وخادم. وبلغ الخبر المُعْتَصِم، فَضَاعَفَ لإبراهيم ما أعطاني، فَرُحْتُ وَقَدْ رَبِحْتُ وَأَرْبَحْتُ.

حَدَّثَنَا الْحَرَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الدِّينَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ: عَتَبَ عَلَيَّ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ فِي شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنِّي؛ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ: «إِنَّ لِكُلِّ ذَنْبٍ عَفْوَاً وَعَقُوبَةً؛ فَذُنُوبُ الْخَاصَةِ عِنْدَكَ مُسْتَوْرَةٌ مَغْفُورَةٌ، فَأَمَّا مِثْلِي مِنَ الْعَامَّةِ فَذَنْبُهُ لَا يَغْفَرُ، وَكُسْرُهُ لَا يُجْبَرُ؛ فَإِنْ كُنْتُ لَا بَدَّ مَعَاقِبِي فَأِعْرَاضٌ لَا يُوْدِّي إِلَى مَقْتٍ».

حَدَّثَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الدِّينَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ: كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَكَانَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ يُقَرِّبُهُ وَيَسْتَظَرُّ كَلَامَهُ، وَكَانَ عِنْدِي يَوْمًا وَجَاءَ رَسُولُ الْفَضْلِ يَطْلُبُهُ فَمَضَى إِلَيْهِ؛ فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: فِيمَا كُنْتُمْ؟ قَالَ: كُنَّا فِي قِدْرِ تَفُورٍ، وَكَأْسٍ تَدُورٍ، وَغَنَاءٍ يَصُور^(١)، وَحَدِيثٍ لَا يَحُور^(٢).

[يَصْنَعُ الشَّعْرَ وَيَنْحِلُهُ الْأَعْرَابُ]

حَدَّثَنَا الْحَرَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ طَالِبٍ قَالَ: كَانَ إِسْحَاقُ يَقُولُ الشَّعْرَ عَلَى أَلْسِنِ الْأَعْرَابِ، وَيُنْشِدُهُ لِلأَعْرَابِ، وَكَانَ يُعَايِي بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ وَيُغْرِبُ عَلَيْهِمْ بِهِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ مَا أُنْشِدْنِيهِ لِأَعْرَابِي:

لَفَظَ ^(٣) الْخُدُورُ إِلَيْكَ خُوراً عَيْنَا	أُنْسِينَ مَا جَمَعَ الْكِنَاسُ قَطِينَا ^(٤)
فَإِذَا بَسَمَنَ فَعَنْ كَمَثَلِ غَمَامَةٍ	أَوْ أَقْحُوَانَ الرَّمْلِ بَاتَ مَعِينَا ^(٥)
وَأَصْحٌ مِنْ رَأَتْ الْعَيُونَ مُحَاجِراً	وَلِهِنَّ أَمْرُضٌ مَا رَأَيْتُ عُيُونَا
وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْوُجُوهُ أَهْلَةٌ	أَقْمَرُونَ ^(٦) بَيْنَ الْعَشْرِ وَالْعِشْرِينَ
وَكَأَنَّهُنَّ إِذَا نَهَضْنَ لِحَاجَةٍ	يَنْهَضْنَ بِالْعَقْدَاتِ ^(٧) مِنْ يَبْرِينَا ^(٨)

[الوافر]

(١) يَصُور: يَصُوت.

(٢) لا يَحُور: لا يَرْجِع، يَرِيدُ أَنَّهُ يَتَجَدَّدُ دَائِماً.

(٣) لَفَظَ: أَرْجَحَ.

(٤) الْقَطِينُ: الْقَاطِنُ وَالسَّاكِنُ.

(٥) الْمَعِينُ: الرِّيَانُ.

(٦) أَقْمَرُ: صَارَ قَمِراً.

(٧) الْعَقْدَاتُ: جَمْعُ عَقْدَةٍ وَهِيَ مَا تَرَاكُمُ مِنَ الرَّمْلِ وَتَعْقُدُ.

(٨) يَبْرِينَا: مِنْ أَصْقَاعِ الْبَحْرَيْنِ، وَهَنَّاكَ الرَّمْلُ الْمَعْرُوفُ بِالكَثْرَةِ.

قال: وأُنشدني أيضاً مما كان ينسبُه إلى الأعراب وهوله:

ومكحولة العيين من غير ما كحل
مُنعمَة الأطراف مُفعمَة^(٤) البرى^(٥)
صَيود لألباب الرجال متى رنت
تخلّى النُهي عنه وحالفه الصبا
شبيبة كُثبان يروك تحتها
رَمَني فحلت نائطي^(٧) ولم تُصب
مُهفَفة الكشحين^(١) ذات شوى^(٢) خدل^(٣)
روادفها تحكي الدهاس^(٦) من الرمل
إلى ذي نُهى جلد القوى وافر العقل
وأسلمه الرأي الأصيل إلى الجهل
عناقيد كرم جادها غدق الويل
لها نائطي قلب ولا مَقْتلاً نبلي
[الطويل]

[إعجاب الرشيد بشعره]

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال: حدّث عن الأصمعيّ قال: دخَلْتُ أنا وإسحاق الموصليّ يوماً على الرشيد فرأيناه لِقَس^(٨) النفس؛ فأنشدته إسحاق يقول:

- (١) الكَشْحُ: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، وهو من لدن السُرّة إلى المِتن، قال طرفة: وآليت لا ينفك كَشْحِي بِطائَةٍ
قال الأزهرى: هما كَشْحان، وهو موقع السيف من المُتقلّد، وفي حديث سعد: إنّ أميركم هذا الأَهْضَمُ الكَشْحين، أي دَقِيقَ الخَصْرين. قال ابن سيده: وقيل الكَشْحان جانباً البَطن من ظاهر وباطن، وهما من الخيل كذلك.
- (٢) الشوى: القوائم والأطراف.
- (٣) الخدل: امرأة خَدْلَاءُ بَيّنة الخَدَلِ والخَدَالَةِ، وهي الممثلة الساقين والذراعين. وكذلك الخِذْلُم بالكسر، والميم زائدة. ويقال: مُخَلِّحُها خَدْلٌ، أي ضخم.
- (٤) المفعم: المليء.
- (٥) تقول: هذه بُرة مَبْرُوءة، أي: معمولة، وهي: الحَلَقَة. . يقال: ناقةٌ مُبرّاة: في أنفها بُرة. والبُرة كذلك: الحَلَقَة من الذهب والفضّة ونحوهما إذا كانت دَقِيقَةً مَعطوفة الطّرفين، ويُجمَع على: البرى والبرين.
- (٦) الدّهَسَة: لونٌ كلّون الرّمال، يعلوه أدنى سوادٍ يكون في ألوان الرّمال والمَعِز. قال العجاج: مُواصلًا قُفًّا بلونٍ أدّهَس والدّهاس: ما كان من الرّمْل كذلك، لا يُثَبُّ شَجْراً، وتَغيب فيه القوائم. قال:

وفي الدهاس مضبّر مَواثِمُ

- (٧) الناط: العرق المستبطن الصلب تحت المتن.
- (٨) اللّقس: الشره النفس، الحريص على كل شيء، ولَقِسَتْ نفسه إلى الشيء: نازعته حرصاً. وفي الحديث: «لا تقل خبث نفسي، ولكن لَقِسْتُ».

وَأَمْرَةً بِالْبُخْلِ قُلْتُ لَهَا اقْصُرِي
أَرَى النَّاسَ خُلَّانَ الْكِرَامِ وَلَا أَرَى
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْبُخْلَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ
وَمِنْ خَيْرِ حَالَاتِ الْفَتَى لَوْ عَلِمْتِهِ
فَعَالِي فَعَالِ الْمُكْثَرِينَ تَجُمُلًا
وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَحْرَمُ الْغِنَى

[الطويل]

قال: فقال الرشيد: لا تَخَفْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ ثم قال: لِلَّهِ دُرُّ أَبْيَاتٍ تَأْتِينَا بِهَا؛ مَا أَشَدَّ أَصُولَهَا، وَأَحْسَنَ فُصُولَهَا، وَأَقْلَ فُضُولَهَا! وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ؛ فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: وَصَفُكَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَشَعْرِي أَحْسَنَ مِنْهُ، فَعَلَامَ أَخَذَ الْجَائِزَةَ! فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَقَالَ: اجْعَلُوهَا لِهَذَا الْقَوْلِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَعَلِمْتُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ إِسْحَاقَ أَحَذَقُ بَصِيدِ الدَّرَاهِمِ مِنِّي. وَأَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَنَا بِهِ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ إِسْحَاقَ فَذَكَرَ مَعْنَى الْخَبَرِ قَرِيبًا مِمَّا ذَكَرَهُ الْأَصْمَعِيُّ وَالْأَلْفَاظُ تَخْتَلِفُ.

أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّهٍ عَنْ إِسْحَاقَ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ وَوَكَيْعٌ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ يَوْمًا، فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنُ الْفَضْلِ وَهُوَ طِفْلٌ، وَكَانَ يَرِقُّ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ، فَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ؛ فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ:

مَدَّكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا
مَوْزَرًّا بِمَجْدِهِ مُرَدِّي^(١)
أَشَبَّهُ مِنْكَ سُنَّةً^(٢) وَخَدًّا
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى

[الرجز]

قال: فَتَبَسَّمَ الْفَضْلُ وَقَالَ: أَمْتَعْنِي اللَّهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، فَقَدْ عَوَّضْتُ مِنَ الْحُزْنِ سُرُورًا وَتَسَلَّيْتُ بِقَوْلِكَ، وَكَذَلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ: وَحَدَّثَنِي

(١) المردى من الرداء.

(٢) السنة: الوجه لصقالته وملاسته.

بهذا الحديث علي بن يحيى، فَذَكَرَ أَنَّ إِسْحَاقَ قَالَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ لِلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ وَفِي حُجْرِهِ ابْنٌ لَهُ.

عَنِّي فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَبُو عَيْسَى بْنُ الْمُتَوَكِّلِ لِحَنَّا مِنَ الرَّمْلِ، يُقَالُ: إِنَّهُ صَنَعَهُ وَقَدْ وُلِدَ لِلْمُعْتَمِدِ وَلَدٌ ثُمَّ عَنِّي بِهِ. وَأَخْبَرَنِي ذُكَاءُ وَجْهَ الرِّزَّةِ عَنْ بَدْعَةِ الْكَبِيرَةِ: أَنَّ الرَّمْلَ لِعَرِيبٍ، وَأَنَّ لِحَنَ أَبِي عَيْسَى خَفِيفُ رَمْلٍ.

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَزِيدِيُّ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: أَتَيْتُ الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ يَوْمًا عَائِدًا وَجَاءَهُ بَنُو هَاشِمٍ يَعُودُونَ؛ فَقُلْتُ فِي مَجْلِسِي ذَلِكَ:

إِذَا مَا أَبُو الْعَبَّاسِ عِيدٌ وَلَمْ يَعُدْ رَأَيْتَ مَعُودًا أَكْرَمَ النَّاسِ عَائِدًا
وَجَاءَ بَنُو الْعَبَّاسِ يَبْتَدِرُونَهُ مِرَاضًا لِمَا يَشْكُوهُ مَثْنَى وَوَاحِدًا
يُقَدُّونَهُ عِنْدَ السَّلَامِ وَكُلُّهُمْ مُجِلٌّ لَهُ يَدْعُوهُ عَمًّا وَوَالِدًا
[الطويل]

قَالَ: وَكَانَ الْفَضْلُ مُضْطَجِعًا، فَأَمَرَ خَادِمًا لَهُ فَاجْلَسَهُ، ثُمَّ قَالَ لِي: أَعِدْ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ فَأَعَدْتُ، فَأَمَرَنِي فَكَتَبْتُهَا، وَسُرَّ بِهَا وَجَعَلَ يُرَدِّدُهَا حَتَّى حَفِظَهَا.

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ إِسْحَاقُ، وَأَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَفَّافُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: جَاءَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ دَحْمَانَ يَوْمًا مُسْلِمًا فَاحْتَبَسْتَهُ؛ فَقَالَ لِي: أَمَرَنِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ؛ فَقُلْتُ لَهُ:

أَقِمْ يَا أَبَا الْعَوَّامِ وَيْحَكَ نَشْرِبْ وَنَلُهُ مَعَ الْأَهِينَ يَوْمًا وَنَطْرِبْ
إِذَا مَا رَأَيْتَ الْيَوْمَ قَدْ جَاءَ خَيْرُهُ فَخُذْهُ بِشُكْرِ وَاتْرِكِ الْفَضْلَ يَغْضِبْ
[الطويل]

فَأَقَامَ عِنْدِي وَسُرَرْنَا يَوْمَنَا؛ ثُمَّ صَارَ إِلَى الْفَضْلِ؛ فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ تَأْخُرِهِ عَنْهُ؛ فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ وَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَيْنِ؛ فَغَضِبَ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ عَنِّي، وَأَمَرَ عَوْنًا حَاجِبَهُ بِالْأَلَّا يُدْخِلْنِي إِلَيْهِ وَلَا يَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ وَلَا يُوصِلَ لِي رَقْعَةً؛ فَقُلْتُ:

حَرَامٌ عَلَيَّ الْكَأْسُ مَا دُمْتَ غَضْبَانًا وَمَا لَمْ يَعُدْ عَنِّي رِضَاكَ كَمَا كَانَا
فَأَحْسِنْ فَإِنِّي قَدْ أَسَأْتُ وَلَمْ تَزَلْ تُعَوِّدُنِي عِنْدَ الْإِسَاءَةِ إِحْسَانًا
[الطويل]

قَالَ: وَأَنْشَدْتَهُ إِيَّاهُمَا، فَضَحِكَ وَرَضِيَ عَنِّي وَعَادَ إِلَيَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ. وَقَدْ أَخْبَرَنِي

بهذا الخبر محمد بن مَزَيْد والحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه، فَذَكَرَ مِثْلَهُ وَزَادَ فِيهِ: فَقُلْتُ فِي عَوْنِ حَاجِبِهِ:

عَوْنُ يَا عَوْنُ لَيْسَ مِثْلَكَ عَوْنُ أَنْتَ لِي عُدَّةٌ إِذَا كَانَ كَوْنُ
لَكَ عِنْدِي وَاللَّهِ إِنْ رَضِيَ الْفَضْلُ غِلَامٌ يُرْضِيكَ أَوْ بَرْدُونُ^(١)
[الخفيف]

قال: فَاتَى عَوْنَ الْفَضْلِ بِالْشُعْرَيْنِ جَمِيعاً؛ فَقَرَأَهُمَا وَضَحِكَ وَقَالَ: وَيَحْكُ! إِنَّمَا عَرَضَ لَكَ بِقَوْلِهِ: «غِلَامٌ يُرْضِيكَ» بِالسَّوَةِ؛ قَالَ: قَدْ وَعَدَنِي مَا سَمِعْتُ، فَإِنْ شِئْتُ أَنْ تَحَرِّمَنِيهِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ! فَأَمَرَهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيَّ؛ فَاتَانِي رَسُولُهُ فَصَرْتُ إِلَيْهِ فَرَضِي عَنِّي.

أَخْبَرَنِي جَحْظَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الْمَكِّيَّ الْمُرْتَجِلَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ دَحْمَانَ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ مُسَلِّماً؛ فَقَالَ لِي: قَدْ عَزَمْتُ عِدًّا عَلَى الصَّبُوحِ، فَصِرَ إِلَيَّ بُكْرَةً؛ فَكُنْتُ أَنَا وَالصَّبْحُ كَفَرَسِي رِهَانٍ؛ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ فِي غَدٍ جَعَلْتُ طَرِيقِي عَلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا جَلَسْتُ قَالَ لِي: أَقِمِ الْيَوْمَ عِنْدِي؛ فَعَرَفْتُهُ خَبْرِي؛ فَقَالَ:

أَقِمِ يَا أَبَا الْعَوَامِ وَيَحْكُ نَشْرِبُ وَنَلُهُ مَعَ الْأَهِينِ يَوْمًا وَنَطْرِبُ
إِذَا مَا رَأَيْتَ الْيَوْمَ قَدْ جَاءَ خَيْرُهُ فَخُذْهُ بِشُكْرِ وَاتْرُكِ الْفَضْلَ يَغْضَبُ
[الطويل]

فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَمْنُ غَضَبَهُ، وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ؛ فَقَالَ لِي: أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ صَبُوحَ الْفَضْلِ أَبَدًا فِي وَقْتِ غُبُوقِ^(٢) النَّاسِ، فَأَقِمْ وَارْفُقْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِ؛ فَأَجَبْتُهُ إِلَى ذَلِكَ؛ فَلَمَّا شَرَبْنَا طَابَ لِي الْمَوْضِعُ، فَأَقَمْتُ حَتَّى سَكِرْتُ. وَذَكَرَ بَاقِيَ الْخَبَرِ نَحْوًا مِمَّا ذَكَرَ إِسْحَاقُ. انْتَهَى.

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمَكِّيِّ الْمُرْتَجِلَ قَالَ: قُلْتُ لِرُزْرُورِ الْكَبِيرِ:

(١) أَثْقَلَ مِنَ الْبَرْدُونَ وَأَضْرَ مِنَ الْحَرْدُونَ، وَهُوَ مِنَ الْأَحْنَاشِ، وَقِيلَ مِنَ السَّبَاعِ وَبَرْدُنُ الْجَوَادِ إِذَا صِيرَ بَرْدُونًا. قَالَ الْقَلَاخُ.

لَهُ دَرَجِيَّةٌ أَنْتَ سَائِسُهَا بَرْدْنَتُهَا وَبِهَا التَّحْجِيلُ وَالْغَرَرُ
وَلَقِيتُ فَلَانًا مَجِيدًا وَأَخَاهُ مَبْرَدًا أَيْ رَاكِبَ جَوَادٍ وَبَرْدُونَ. وَسَأَلْتُهُ حَاجَةً فَبَرَدَنَ عَنْهَا أَيْ ثَقُلَ. قَالَ:
إِلَيْكُمْ إِلَيْكُمْ إِنْ مَرَكُضُ غَايَتِي يَبْرَدُنَ فِيهِ الْبَحْرُجُ الْمَتَجَاذِعُ
أَيَّ يَعْيا وَيَثْقُلُ عَنِ الْمَشْيِ.

(٢) الْغُبُوقُ وَالتَّغْبِيقُ وَالْإِغْبِيَاؤُ: شَرِبَ الْعَشِيَّ. وَالْغُبُوقُ: الشَّرِبَ الْعَشِيَّ.

كيف كان إسحاق يَنْفُقُ^(١) على الخلفاء معكم وأنت وإبراهيم بن المهدي ومُخَارِقُ
أطيب أصواتاً وأحسن نعمة؟ قال: كُنَّا واللَّهِ يا بني نَحْضُرُ معه فَتَجْتَهِدُ في الغناء ونُقيمُ
الوَهَجَ^(٢) فيه ويُقبل علينا الخلفاء، حتى نَطْمَعُ فيه ونظنُّ أنا قد غلبناه، فإذا غَنَّى عَمَلٌ
في غنايهِ أشياء من مُداراتِهِ^(٣) وحِذْقِهِ ولُطْفِهِ حتى يُسْقِطَنَا كُلُّنا ويُقبلَ عليه الخليفة دوننا
ويُجيزُهُ دوننا ويُصْعَى إليه، ونرى أنفسنا اضطراراً دونه.

[أول من أحدث التخنيث في الغناء]

حَدَّثَنَا جَحْظَةُ قال: حَدَّثَنِي محمد بن أحمد المكي قال: حَدَّثَنِي أَبِي قال: كان
المُعْتُونُ يجتمعون مع إسحاق وكلُّهم أحسن صوتاً منه، ولم يَكُنْ فيه عيبٌ إلا صوته
فيطمعون فيه؛ فلا يزال بلُطْفِهِ وحِذْقِهِ ومعرفته حتى يُعْلِبَهُمْ وَيُبْذِهِمْ جميعاً ويفضِّلُهُمْ
ويتقدَّمُهُمْ. قال: وهو أول من أحدث التخنيث ليُوَافِقَ صوته ويُشَاكِلهُ، فَجَاءَ مَعَهُ عَجَباً
من العَجَبِ؛ وكان في حَلْقِهِ نبؤٌ عن الوتر. أخبرني يحيى بن علي قال: أخبرنا أبو
العُبَيْسِ بن حَمْدُون: أنَّ إسحاق أول من جاء بالتخنيث في الغناء ولم يكن يُعرفُ،
وإنَّما احتال بِحِذْقِهِ لِمُنَافَرَةِ حَلْقِهِ الوتر، حتى [صار] يُجِيبُهُ ببعض التخنيث فيكون
أحسن له في السمع.

أخبرنا جَحْظَةُ قال: حَدَّثَنِي الهشامي عن أبيه قال: كان المُعْتُونُ إذا حضروا وليس
إسحاق معهم غَنُّوا هُوَيْنِي وهم غير مفكرين؛ فإذا حَضَرَ إسحاق لم يكن إلا الجِدَّ.

[قصته مع نافذ حاجب جعفر البرمكي]

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثَنِي إسحاق الموصلي قال: قال لي أبي
وقد انصرف من دار الرشيد: رأيتُ الأمير جعفر بن يحيى يَسْتَبْطِئُكُ ويقول: لَسْتُ أراه
ولا يَغْشَانِي؛ فَقُلْتُ: إِنِّي لَأَتِيهِ كَثِيراً فَأَحْجَبَ عَنْهُ وَيَصْرِفُنِي نافِذُ حاجبه ويقول: هو
على شُغْلٍ؛ قال: فَبَلَغَهُ أَبِي ذلك؛ فقال له: قل له: أَنِكَ أُمُّهُ إذا فعل؛ فَأَقَمْتُ أياماً ثم
كَتَبْتُ إِلَيْهِ:

جُعِلَتْ فِدَاؤُكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ إِلَى حُسْنِ رَأْيِكَ أَشْكُو أَنَا

(١) نفق: راج ورغب فيه.

(٢) الوَهَجُ، بالتحريك: حرُّ النار. والوَهْجُ بالتسكين: مصدر وَهَجَتِ النار تَهْجُ وَهْجاً وَوَهْجَاناً، إذا
اتَّقَدَتْ. وَتَوَهَّجَتِ النَّارُ: تَوَقَّدَتْ. وَأَوْهَجْتُهَا أَنَا، وَلَهَا وَهْجٌ، أَي تَوَقَّدَتْ. وَتَوَهَّجَتْ رَائِحَةُ الطَّيْبِ،
أَي تَوَقَّدَتْ. وَتَوَهَّجَ الجَوْهَرُ: تَلَأَلَا.

(٣) داريت الظبي مداراة: احتلت عليه وختلته حتى أصيدته.

يُحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ السَّلَامِ فَلَسْتُ أَسْلَمُ إِلَّا اخْتِلَاسًا
وَأَنْفَذْتُ أَمْرَكَ فِي نَافِذٍ فَمَا زَادَهُ ذَاكَ إِلَّا شِمَاسًا

[المتقارب]

وقد أخبرني الخبر محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه، فذكر مثله وقال: كان خادم يحجبه يقال له: نافذ، فقال: إذا حجبك فيك؛ فلما كتبت إليه بهذه الأبيات بعث فأحضرني؛ فلما دخلت إليه أحضر نافذاً وقرأ الأبيات عليه، وقال لي: أفعلتها يا عدو الله فعضب نافذ حتى كاد يبيكي، وجعل جعفر يضحك ويصفق؛ ثم ما عاد بعد ذلك يتعرض لي.

حدثني الحسين بن أبي طالب قال: حدثني عبيد الله بن المأمون، وأخبرنا اليزيدي عن عمه عبيد الله عن أبيه قال: غضب المأمون على إسحاق بن إبراهيم، ثم كلم فيه فرضي عنه ودعا به؛ فلما وقف بين يديه اعتذر وقبل الأرض بين يديه واستقاله^(١)؛ فأجاب المأمون جواباً جميلاً، ثم قال له في أثناء كلامه:

فَلَا أَنْتَ أَعْتَبْتَ مِنْ زَلَّةٍ وَلَا أَنْتَ بَالِغْتَ فِي الْمَعْدَرَةِ
وَلَا أَنْتَ وَلَّيْتَنِي أَمْرَهَا فَأَغْفِرْ ذَنْبَكَ عَنْ مَقْدَرِهِ

[المتقارب]

هكذا في الخبر؛ وأظنه إسحاق بن إبراهيم الظاهري لا الموصلي.

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الحسين بن أبي طالب قال: حدثني إسحاق قال: أنشدت أبا الأشعث الأعرابي شعراً لي، فقال: والذي أصوم له مخافته ورجاءه، إنك لمن طراز ما رأيت بالعراق شيئاً منه، ولو كان شاباً يشتري لاشترته لك ولو بإحدى يدي، وإن في كبرك لما زان المجلس وسره.

[مع زهراء الكلابية]

أخبرنا الحرمي قال: حدثنا الديناري قال: حدثنا إسحاق قال: قالت لي زهراء الكلابية^(٢): ما فعل عبد الله بن خرداذبه؟ فقلت: مات؛ فقالت: غير ذميم ولا لئيم، غفر الله لصده^(٣)، لقد كان يحبك ويعجبه ما سر. قال: فقلت لزهراء: حدثيني عن قول الشاعر:

(١) استقاله: طلب منه أن يقيله.

(٢) زهراء الكلابية. شاعرة جاهلية. لها شعر في رثاء زوجها.

(٣) الصدى هو جسد الإنسان بعد موته، ويقال: هم غداً أصداء؛ أي موتي.

أَحْبُكَ أَنْ أُخْبِرْتُ أَنَّكَ فَارِكٌ^(١) لِرَزْوَاجِكِ إِنِّي مُوَلِّعٌ بِالْفَوَارِكِ

[الطويل]

ما أعجبه من بُغْضِهَا لزوجها؟ فقالت: عَرَفْتَهُ أَنْ فِي نَفْسِهَا فَضْلَةٌ مِنْ جَمَالٍ وَشَمَخًا بِأَنْفِهَا وَأُبْهَةً، فَأَعْجَبْتُهُ.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ قَالَ: حَدَّثْتُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ: أَنَّ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيَّ دَخَلَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فَرَأَاهُ لَقِيَ النَّفْسَ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا تَرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ طَيْبَ هَذَا الْيَوْمِ وَحُسْنَهُ؟ فَقَالَ الْمُعْتَصِمُ: مَا يَدْعُونِي حُسْنُهُ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا تَرِيدُ وَلَا أَنْشَطُ لَهُ؛ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ يَوْمٌ أَكَلُ وَشَرِبُ؛ فَاشْرَبْ حَتَّى أَنْشَطُكَ؛ قَالَ: أَوْ تَفْعَلُ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: يَا غُلَامَانِ، قَدِّمُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَمُدُّوا السِتَارَةَ، وَأَحْضِرُوا النِّدْمَاءَ وَالْمُغْنَيْنِ؛ فَأَتَيَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلُ وَبِالشَّرَابِ فَشَرِبَ وَحَضَرَ النِّدْمَاءُ وَالْمُغْنُونَ؛ فغَنَّاهُ إِسْحَاقُ:

صوت

سُقِيتَ الْغَيْثَ يَا قَصْرَ السَّلَامِ فَنِعْمَ مَحَلَّةُ الْمَلِكِ الْهُمَامِ
لَقَدْ نَشَرَ الْإِلَهَ عَلَيْكَ نُورًا وَخَصَّكَ بِالسَّلَامَةِ وَالسَّلَامِ
[الوافر]

- الشعر والغناء لإبراهيم الموصلي رَمَلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ.
وَذَكَرَ حَبْشُ أَنْ فِيهِ لِلزُّبَيْرِ بْنِ دَحْمَانَ لِحْنًا مِنَ الرَّمَلِ بِالْوَسْطَى - قَالَ: فَطَرِبَ الْمُعْتَصِمُ وَشَرِبَ شَرْبًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ بِحَضْرَتِهِ إِلَّا وَصَلَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ؛ وَفَضَّلَ إِسْحَاقُ فِي ذَلِكَ أَجْمَعَ.

أخبرني الحسن بن علي قال: حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: أَوَّلُ جَائِزَةٍ أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّشِيدِ أَلْفُ دِينَارٍ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَعَنَيْتُهُ:

عَلِقَ الْقَلْبُ بِرَزْوَعَا^(٢)

فاستحسنه واستعاده ثلاث مرّات وشرب عليه ثلاثة أرطالٍ وأمر لي بألف دينار؛ فكان أَوَّلَ جَائِزَةٍ أَجَازَئِهَا: أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ

(١) الفارك: المبغضة لزوجها.

(٢) رزوع: من أسماء النساء.

قال: كان أبي ذات يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مُضْعَب، فلما جلسوا للشراب جَعَلَ الْغُلَمَانُ يَسْقُونَ مَنْ حَضَرَ، وجاء غُلامٌ قبيحُ الوجه إلى أبي بِقَدَحٍ نبيذٍ فلم يأخذه؛ وراه إسحاق فقال له: لِمَ لا تشرب؟ فَكَتَبَ إليه أبي:

إصْبَحْ نَدِيمَكَ أَقْداحاً يُسْلِسِلُهَا من الشَّمُولِ وَأَتْبِعْهَا بِأَقْداحِ
من كَفِّ رِيْمٍ مَلِيحِ الدَّلِّ رِيْقَتُهُ بعدَ الْهُجُوعِ كَمَسكِ أَوْ كُتْفَاحِ
لا أَشْرَبُ الرِّاحَ إِلَّا مِنْ يَدَيَّ رَشاً تَقْبِيلُ راحَتِهِ أَشْهَى من الرِّاحِ

[البسيط]

فَضَحِكَ وقال: صَدَقْتَ واللَّهِ، ثم دعا بِوصيفةٍ كأنَّها صورةٌ، تامَّةُ الحُسْنِ لطيفةُ الخَصْرِ في زِيٍّ غُلامٍ عليها أَقْبِيَةٌ^(١) وَمِنْطَقَةٌ، فقال لها: تَوَلِّي سَقِيَّ أبي محمد؛ فما زالت تَسْقِيهِ حتى سَكِرَ؛ ثم أمر بتوجيهها وكلَّ مالها في دارِهِ إليه، فَحُمِلَتْ مَعَهُ.

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بن أبي سعد قال: حَدَّثَنِي عليُّ بن الصَّبَّاحِ قال: كانت امرأةٌ من بني كِلابٍ يُقالُ لها زَهْرَاءُ تُحَدِّثُ إِسْحاقَ وتُناشِدُهُ، وكانت تَمِيلُ إليه، وتكني عنه في عَشِيرَتِها إذا ذَكَرَتْهُ بِجَمَلٍ؛ قال: فَحَدَّثَنِي إِسْحاقُ أَنَّها كَتَبَتْ إليه وقد غابت عنه تقول:

وَجُدِّي بِجَمَلٍ، على أَنِّي أَجْمِجُهُ^(٢)، وَجُدُ السَّقِيمِ بِبُرٍّ بَعْدَ إِذْنافِ
أَوْ وَجُدُ تُكَلِّي أَصَابَ المَوْتِ واحداً، أَوْ وَجُدُ مُغْتَرِبٍ من بينِ أَلافِ

[البسيط]

قال: فَأَجَبْتُها:

أَفْرِ السَّلَامَ على الزهراءِ إِذْ شَحَطْتُ وَقُلْ لها قد أَذَقْتُ القَلْبَ ما خافا
أما رثيتَ لِمَنْ خَلَفَتْ مَكْتِئِباً يُذْري مدامِعَهُ سَحّاً وتوكافا^(٣)
فما وَجَدْتُ على إِلْفٍ أَفارِقُهُ وَجُدِي عليكِ وقد فارقتُ أَلْفا

[البسيط]

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بن أبي سعد قال: حَدَّثَنِي محمد بن عبد الله بن مالك قال: أَنشدني إِسْحاقُ لِنَفْسِهِ:

(١) القَبَاءُ: الذي يُلبَس، والجمع الأَقْبِيَةُ. وَتَقَبَّيْتُ قَبَاءً، إِذا لبسته. والقَبُورُ: الصَّمَمُ. قال الخليل: نَبْرَةٌ مَقْبُوءَةٌ. أي مضمومة. وَقَبَةُ الشاةِ، إِذا لم تشدَّ يُحتملُ أَن تكون من هذا الباب والهاء عوض من الواو، وهي هَنَةٌ مُتَّصِلَةٌ بالكَرْشِ ذات أَطباق.

(٢) أَجمجمه: أَكتمه وأخفيه.

(٣) توكاف: سال قطرةً قطرةً.

سقى الله يومَ الماوشانِ ومجلساً به كانَ أحلى عندنا من جنى التَّحلِ
غداةَ اجتَنا اللّهُوَ غَضًّا ولم نُبلْ^(١) حجابَ أبي نصر ولا غضبةَ الفضلِ
غَدَوْنَا صحاحاً ثم رُحنا كأننا أطاف بنا شرٌّ شديدٌ من الخَمَلِ
[الطويل]

فسألتَه أن يكتبها ففعل ؛ فقلْتُ له : ما حديث الماوشان ؟ فضحك وقال : لو لم
أكتبك الأبيات لما سألتَ عما لا يعينك ؛ ولم يخبرني .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهرويه قال : حدَّثني أحمد بن الحارث
وأبو مسلم عن ابن الأعرابي : أنَّه كان يصف إسحاق الموصلي ويقرُّطه ويُثني عليه
ويذكر أدبه وحفظه وعلمه وصدقه ، ويستحسنُ قوله :

هل إلى أن تنامَ عيني سبيلُ إنَّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ
غابَ عني من لا أسَمِّي فعيني كل يومٍ وجداً عليه تسيلُ
[الخفيف]

- الشعرُ والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى - قال : وكان إسحاق إذا غنَّاه تفيضُ
دموعُهُ على لحيته ويكي أحرَّ بكاء . وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق .
وحديث موسى عن حماد أتم ، واللفظ له .

[أول صوت وآخر صوت صنعه]

أخبرني الصُّوليّ والحسن بن عليّ قالَا : حدَّثنا محمد بن موسى عن حماد بن
إسحاق قال : أوَّل صوت صنعه أبي :

إنِّي لأُكني بأجبالٍ عن أجبالِها وبأسمٍ أوديةٍ عن إسمٍ واديها
[البسيط]

وآخر صوت صنعه مختاراً :

قِفْ نُحَيِّ المَعَانِيَا وَالطُّلُولَ البَوَالِيَا
[مجزوء الخفيف]

ثم قَطَعَ الصنعةَ حتى أمره الواقفُ بأن يُعارضَ صنعته في :
لَقَدْ بَخَلْتُ حتى لَوَأْنِي سَأَلْتُهَا

(١) لم نبل : أصله نبالي ، حذف حرف العلة للجازم ثم سكنت اللام للتخفيف ، كما حذفت النون في
"لم نك" بعد تسكينها ، فحذفت الألف منعاً لالتقاء الساكنين .

قال حمّاد وحَدَّثني أبي قال :

كان المغنّون يحسّدونني مُذْ كُنْتُ غلاماً ، فلمّا مات أبي صَنَعْتُ هذا الصوت ، فهو أوّل صوتٍ صَنَعْتُهُ بعد وفاته ، و هو :

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الطُّلُولَا بِذِي حُرْضٍ مَائِلَاتٍ مُثُولَا
[المقارب]

فقالوا للرّشيد : هذا من صنعة أبيه فقد انتحله ؛ فَقَالَ لي الرّشيدُ في ذلك ، فَقُلْتُ : هذا ومائةٌ بعده خيرٌ منه لهم ؛ فقال : اصنّع في شعر الأخطل :

أَعَاذَلَتِي الْيَوْمَ وَيَحْكُمَا مَهْلَا وَكُفّا الْأَذَى عَنِّي وَلَا تُكْثِرَا عَذَلَا
[الطويل]

فَصَنَعْتُ فيه كما أمرني ؛ فلمّا سمعوا بذلك وما جاء بعده أَدْعَنُوا ، وزال عن قلب الرّشيد ما كان ظَنَّهُ بي . وقد ذَكَرَ غير حمّاد أَنَّ اللّحن الذي اختبره به الرّشيدُ قوله :

كُنْتُ صَبّاً وَقَلْبِي الْيَوْمَ سَالٍ عَنْ حَبِيبٍ يُسِيءُ فِي كُلِّ حَالٍ
[الخفيف]

وَذَكَرَ أَنَّ الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ قَالَ الشَّعْرَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ وَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ الرَّشِيدُ أَنْ يَصْنَعَ فِيهِ فَفَعَلَ . وأخبرني بذلك محمد بن يحيى الصّوليّ قال : حَدَّثني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق ، وأخبرني محمد بن مَزَيْدٍ قال : حَدَّثنا حمّاد قال : أوّلُ ما سمعه الرّشيد من غناء أبي :

أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرَكَ الْمَغَانِي فَكَيْفَ وَهْنٌ مَذْ حَجَجَ ثَمَانٍ
بَرِئْتُ مِنَ الْمَنَازِلِ غَيْرَ شَوْقٍ إِلَى الدَّارِ الَّتِي بِلَوَى أَبَانٍ^(١)
دِيَارٌ لِّلَّتِي لَجَلَجْتُ فِيهَا وَلَوْ أَغْرَبْتُ لَجَّ بِهَا لِسَانِي
فَكَادَ يَظَلُّ لِلْعَيْنَيْنِ غَرْبٌ بَرَبْعِي دِمْنَةً لَا يَنْطِقَانِ
[الوافر]

قال : فحدّثني أبي أَنَّ الْمُعْتَنِينَ قالوا للرّشيد : هذا من صنعة أبيه انتحله بعد وفاته ؛ فقلت له : أنا أَدْعُ لهم هذا ومائةٌ صوتٍ بعده ؛ ثم نظروا إلى ما جاء بعد ذلك فأدّعنوا .

(١) هذان البيتان للمُرّار بن سعيد بن خالد بن نضلة الفقعسي الأسدي . وهو شاعر كان جده خالد بن نضلة قائد بني أسد يوم الكلاب وعاش في العصر الأموي ، كان قصيراً مفرط القصر ، ولكنه كان شجاعاً كريماً ولكنه كان من الشعراء اللصوص وقد سجن مرتين كان من سكان البادية ، وكان كثير الشعر ، ولكن فقد أكثره وموضوعات شعره تتناول الوصف والثناء والفخر والغزل والهجاء .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

قِفْ نُحَيِّ الْمَعَانِيَا وَالطُّلُولَ الْبَوَالِيَا
وعلى أهلها فُنُحْ وإبكٍ إن كُنْتَ بَاكِِيَا
[مجزوء الخفيف]

الشعر لابن ياسين . والغناء لإسحاق ثقیلٌ أوّلٌ بالوسطى .

صوت

أَمِنْ آلَ لَيْلَى عَرَفَتِ الطُّلُولَا بِذِي حُرُضٍ مَائِلَاتٍ مُثُولَا
بَلِينَ وَتَحَسَّبُ آيَاتِهِنَّ عَنْ فَرَطٍ حَوْلِينَ رَقَا مُحِيلَا
[المتقارب]

الشعرُ لكعب بن زهير . والغناء لإسحاق ثاني ثقیلٍ بالبنصر .

صوت

أَعَاذَلْتِي الْيَوْمَ وَيَحْكُمَا مَهَلَا وَكُفَا الْأَذَى عَنِّي وَلَا تُكْثِرَا الْعَذْلَا
دَعَانِي تَجِدْ كَفِّي بِمَالِي فَإِنِّي سَأُصْبِحُ لَا أَسْطِيعُ جُوداً وَلَا بُخْلَا
إِذَا وَضَعُوا فَوْقَ الصَّفِيحِ^(١) جَنَادِلَا عَلَيَّ وَخَلَفْتُ الْمَطِيَّةَ وَالرَّحْلَا
فَلَا أَنَا مُجْتَازٌ إِذَا مَا نَزَلْتُهُ وَلَا أَنَا لَاقٍ مَا تَوَيْتُ بِهِ أَهْلَا
[الطويل]

الشعرُ للأخطل ، والغناء لإسحاق ، ثقیلٌ أوّلٌ بالوسطى .

صوت

إِنِّي لَأَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنَ اجْبُلِهَا وَبَأَسْمٍ أَوْدِيَةٍ عَنِ إِسْمٍ وَإِدِيهَا
عَمْدًا لِيَحْسَبَهَا الْوَاشُونَ غَانِيَةً أُخْرَى وَتَحَسَّبُ^(٢) أَنِّي لَا أَبَالِيهَا

(١) الصفيح : حجارة رقيقة عريضة يسقف بها القبر .

(٢) المعنى على نصب الفعل واضح ، وهو أن يعنى عليها كما عني على الواشين فيجعلها تحسب أنه لا يبالى بها . ولا يبعد أن يرفع على أن يكون المعنى أنه ينسبها إلى الخطأ في هذا الظن وينكره عليها .

ولا يُغَيِّرُ وُدِّي أَنْ أَهَاجِرَهَا ولا فِرَاقُ نَوَى فِي الدَّارِ أَنْوِيَهَا
ولِلْقُلُوصِ وَلِي مِنْهَا إِذَا بَعُدَتْ بَوَارِحُ الشَّقِيقِ تَنْضِينِي وَأَنْضِيَهَا
[البسيط]

الشعرُ لأعرابي، والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالبِصْرِ.

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونَ قَالَ: قَالَ إِسْحَاقُ
لِلوَائِقِ يَوْمًا: الْأَهْزَاجُ مِنْ أَمْلَحِ الْغَنَاءِ؛ فَقَالَ الْوَائِقُ: أَمَّا إِذَا كَانَتْ مِثْلَ صَوْتِكَ:

إِنِّي لَأَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنْ أَجْبَالِهَا وَبِأَسْمِ أَوْدِيَةٍ عَنْ إِسْمِ وَادِيهَا
[البسيط]

فَهِيَ كَذَلِكَ.

قال أحمد بن أبي طاهر حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الرَّازِيَّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى عَنْ
الْحَجَّاجِ بْنِ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ إِسْحَاقُ: بَعَثَ إِلَيَّ طَاهِرُ بْنُ طَاهِرٍ وَقَدْ انْصَرَفَ
مِنْ وَقْعَةٍ لِلشُّرَاةِ^(١) وَقَدْ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ فِي وَجْهِهِ؛ فَقَالَ لِي الْغَلَامُ: أَجِبْ؛ فَقُلْتُ: وَمَا
يَعْمَلُ؟ قَالَ: يَشْرَبُ؛ فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ قَدْ عَصَبَ ضَرْبَتُهُ وَتَقَلَّسَ بِقَلَنْسُوءَةٍ؛
فَقُلْتُ لَهُ: سَبْحَانَ اللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَا حَمَلَكَ عَلَى لُبْسِ هَذَا؟ قَالَ: التَّبَرُّمُ بِغَيْرِهِ، ثُمَّ
قَالَ: غَنِّ:

إِنِّي لَأَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنْ أَجْبَالِهَا

قال: فَغَنَيْتُهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ! أَعِدْ! فَأَعَدْتُ وَهُوَ يَشْرَبُ حَتَّى صَلَّى
الْعَتَمَةَ وَأَنَا أُغْنِيهِ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ خَادِمٌ لَهُ بِالْحَضْرَةِ وَقَالَ لَهُ: كَمْ عِنْدَكَ؟ قَالَ: مَقْدَارُ
سَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ؛ قَالَ: تُحْمَلُ مَعَهُ. فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ تَبِعَنِي جَمَاعَةٌ مِنَ الْغِلْمَانِ
يَسْأَلُونِي، فَوَزَّعْتُ الْمَالَ بَيْنَهُمْ؛ فَرَفَعَ الْخَبَرُ إِلَيْهِ فَأَغْضَبَهُ وَلَمْ يُوَجِّهْ إِلَيَّ ثَلَاثًا؛ فَجَلَسْتُ
لَيْلًا وَتَنَاوَلْتُ الدَّوَاةَ وَالْقِرْطَاسَ فَقُلْتُ:

عَلَّمَنِي جَوْدُكَ السَّمَّاحَ فَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئًا لَدَيَّ مِنْ صَلَاتِكَ
لَمْ أَبْقِ شَيْئًا إِلَّا سَمَحْتُ بِهِ كَأَنَّ لِي قُدْرَةً كَمَقْدَرَتِكَ
تُتْلَفُ فِي الْيَوْمِ بِالْهَبَاتِ وَفِي السَّاعَةِ مَا تَجْتَنِيهِ فِي سَنَتِكَ
فَلَسْتُ أَدْرِي مِنْ أَيْنَ تُنْفِقُ لَوْ لَا أَنَّ رَبِّي يَجْزِي عَلَى صَلَاتِكَ
[المنسرح]

(١) الشراة: هم الخوارج، الذين اعتبروا أنفسهم اشتروا الجنة بمقتلهم.

فلما كان في اليوم الرابع بَعَثَ إِلَيَّ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ، فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ وَقَالَ: اسْقُوهُ رَطلاً فَسُقَيْتُهُ، وأمر لي بآخر وآخر فَشَرِبْتُ ثلاثاً، ثم قال لي: غَنِّ:

إِنِّي لَأَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنَ اجْبُلِهَا

فَعَنَيْتُهُ ثُمَّ أَتْبَعْتُهُ بِالْأَبْيَاتِ الَّتِي قَلَّتْهَا، وَقَدْ كُنْتُ غَنَيْتُ فِيهَا لِحْنًا فِي طَرِيقَةِ الصَّوْتِ، فَقَالَ: اأدُنْ فَدَنُوتُ، وَقَالَ: اجْلِسْ فَجَلَسْتُ، فَاسْتَعَادَ الصَّوْتَ الَّذِي صَنَعْتُهُ فَأَعَدَّتُهُ. فلما فَهَمَهُ وَعَرَفَ مَعْنَى الشَّعْرِ قَالَ لَخَادِمٍ لَهُ: أَحْضِرْنِي فَلَانًا فَأَحْضَرَهُ، فَقَالَ: كَمْ قَبْلَكَ مِنْ مَالِ الضَّيَاعِ؟ قَالَ: ثَمَانُمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ: احْضُرْ بِهَا السَّاعَةَ، فَجِيءَ بِثَمَانِينَ بَدْرَةً، فَقَالَ لِلْخَادِمِ: جِئْنِي بِثَمَانِينَ غُلَامًا مَمْلُوكًا، فَأَحْضَرُوا؛ فَقَالَ: احْمِلُوا هَذَا الْمَالَ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، خُذِ الْمَالَ وَالْمَمَالِيكَ حَتَّى لَا تَحْتَاجَ أَنْ تُعْطِيَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا.

[مهاجته محمد بن راشد]

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بن محمد بن طَالِبٍ قَالَ: كَانَ إِسْحَاقُ بن إبراهيم الموصليّ كَثِيرَ الْغُشْيَانِ لِإِسْحَاقَ بن إبراهيم بن مُضْعَبٍ والحضورِ لِسَمَرِهِ، وَكَانَ إِسْحَاقُ بن إبراهيم يرى ذَلِكَ لَهُ وَيُسْنِي جَوَائِزَهُ وَيَوَاتِرُ^(١) صَلَاتِيهِ وَيَشَاوِرُهُ فِي بَعْضِ أُمُورِهِ وَيَسْمَعُ مِنْهُ، فَأَصِيبُ إِسْحَاقُ بِبَصَرِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنْتَيْنِ، فَتَرَكَ زِيَارَةَ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ يَغْشَاهُمْ وَلَزِمَ بَيْتَهُ. وَخَرَجَ إِسْحَاقُ يَوْمًا إِلَى بَسْتَانٍ لَهُ بِبَابِ قُطْرُبُلَ وَخَرَجَ مَعَهُ نَدَمَاؤُهُ وَفِيهِمْ مُوسَى بن صالح بن شَيْخٍ بن عَمِيرَةَ ومحمد بن راشد الخَنَاقَ وَالْحَرَائِي، فَجَرَى ذِكْرُ إِسْحَاقَ الموصليّ، فَتَوَجَّعَ لَهُ إِسْحَاقُ وَذَكَرَ أَنْسَهُ بِهِ وَتَمَنَّى حُضُورَهُ، وَذَكَرَهُ الْقَوْمُ فَأُطْنَبُوا فِي نَشْرِ مُحَاسِنِهِ وَشَبَّعُوا مَا ذَكَرَهُ بِهِ إِسْحَاقُ بِمَا حَسُنَ مَوْقِعُهُ لَهُمْ عِنْدَهُ؛ وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بن راشد ذِكْرًا لَمْ يَحْمَدْهُ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ، وَزَجَرَهُ إِسْحَاقُ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ؛ فَلَمَّا انْصَرَفُوا مِنْ مَجْلِسِهِمْ نُيِيَ إِلَى إِسْحَاقَ الموصليّ مَا كَانَ فِيهِ الْقَوْمُ فِي يَوْمِهِمْ وَمَا جَرَى مِنْ ذِكْرِهِ، فَكَتَبَ إِلَى مُوسَى بن صالح:

أَلَا قُلْ لِمُوسَى الْخَيْرِ مُوسَى بن صالح وَمَنْ هُوَ دُونَ الْخَلْقِ إِلْفِي وَخُلْصَانِي^(٢)
وَمَنْ لَوْ سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْهُ لَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ أَفْتَى^(٣) مَعْدٌ وَقَحْطَانٌ

(١) يواتر: يتابع.

(٢) الخُلْصَانُ: الخالص من الأخدان، الذي يستوي فيه الواحد والجمع.

(٣) أفتى: من أفعَلَ تفضيل من الفتوة وهي الكرم والمروءة.

لَعَمْرِي لئن كَانَ الْأَمِيرُ تَمَنَّانِي
لَقَدْ زَادَنِي مَا كَانَ مِنْهُ صَبَابَةٌ
وَمَا زَالَ مُتَمَنِّئًا عَلَيَّ يَخْصُنِي
هُوَ السَّيِّدُ الْقَرْمُ الَّذِي مَا يُرَى لَهُ
نَمَتُهُ رَوَابِي مُضْعَبٍ وَبَنَى لَهُ
يَعَزُّ عَلَيَّ أَنْ تَفُوزُوا بِقُرْبِهِ
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرُوحَنَّ مَرَّةً
وَهَلْ أَرَيْنَ يَوْمًا عَضَارَةَ مُلْكِهِ
وَهَلْ أَسْمَعَنَّ ذَاكَ الْمُزَاحَ الَّذِي بِهِ
إِذَا قَالَ لِي «يَا مَرْدَ مَيِّ خَرَّ» وَكَرَّهَا
(هذا كلام بالفارسية تفسيره: يا رجل اشرب النبيذ).

فِيَا لَكَ مِنْ مَلْهَى أَنْيَقٍ وَمَجْلِسٍ
وَهَلْ يَغْمِزُنْ بِي ذُو الْهَنَاتِ ابْنُ رَاشِدٍ
وَهَلْ أَرَيْنَ مُوسَى الْكَرِيمَ ابْنَ صَالِحٍ
يُرِيدُ الْغَنَاءَ فِي:

(فَلَمْ أَرَ كَالْتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ
إِذَا صَاحَ بِالتَّجْمِيرِ ثُمَّ أَعَادَهُ
أُولَئِكَ إِخْوَانِي الَّذِينَ أَحَبُّهُمْ
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا كَرِيمٌ مَهْدَبٌ
فَأَجَابَهُ مُحَمَّدُ بْنُ رَاشِدٍ:

بَعَثْتَ بِشِعْرٍ فِيهِ أَنَّ رِسَالَةً
بِشَوْقٍ وَذِكْرٍ لِلْجَمِيلِ وَلَمْ يَكُنْ
وَلَكِنْ نَطَقْنَا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
وَمُوسَى كَرِيمٌ لَمْ يُحِطْ بِكَ خُبْرُهُ
وَلَوْ قَدْ بَلَكَ قَالَ فِيكَ كَقَوْلِ مَنْ
أَتَتْكَ لِمُوسَى عَنْ جَمَاعَةِ إِخْوَانٍ
لِمُوسَى لَعَمْرِي فِي سَلَامَتِهِ ثَانِي
وَمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ صَدِيقٍ وَنَدَمَانٍ
كَخُبَرِ نَدَامَى قَدْ بَلَوْتُكَ وَإِخْوَانٍ
فَسَدَّتْ عَلَيْهِ مِنْ خَلِيلٍ وَخُلَصَانٍ

كَرِيمٍ وَمِنْ مَزْحٍ كَثِيرٍ بِأَلْوَانٍ
وَذَاكَ الْكَرِيمُ الْجَدُّ مِنْ آلِ حَرَّانٍ
يُنَازِعُنِي صَوْتًا إِذَا هُوَ غَنَّانِي

وَلَا كَلِيَالِي التَّنْفَرِ أَفْتَنَ ذَا هَوَى
بِتَحْقِيقِ إِعْرَابٍ صَحِيحٍ وَتَبْيَانٍ
وَأَوْثَرُهُمْ بِالْوَدِّ مِنْ بَيْنِ إِخْوَانِي
حَبِيبٌ إِلَى إِخْوَانِهِ غَيْرُ خَوَّانٍ
[الطويل]

وَلَمْ يَغْرُهُ شَوْقٌ إِلَيْكَ وَلَمْ يَجِدْ
حَمِدَتِ النَّدَامَى كُلَّهُمْ غَيْرَ إِنْسَانٍ
فَلَا تَعْتَبِ الْإِخْوَانَ مِنْ بَعْدِهَا فَمَا
لِفَقْدِكَ مَسًّا عِنْدَ نُزْهَةِ بَسْتَانٍ
أَلَا إِنَّمَا يَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ الْجَانِي
تَنْقُضُ إِخْوَانَ الْمَوَدَّةِ مِنْ شَانِي
[الطويل]

قال: فأجابه إسحاق:

عَجِبْتُ لِمَخْذُولٍ تَعْرِضُ جَانِيًّا
أَتَانَا بِشَعْرِ قَالَهُ مِثْلَ وَجْهِهِ
فَجَاءَ بِالْفَافِ ضَعَافٍ سَخِيفَةٍ
دَعَاوُ الشُّعْرِ لِلشَّيْخِ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ
فِي أَنْكُمْ وَالشُّعْرَ إِذْ تَدْعُونَهُ
صَهٍ لَا تَعُودُوا لِلْجَوَابِ فَإِنَّمَا
أَنَا الْأَسَدُ الْوَرْدُ^(٤) الَّذِي لَا يَفْلَهُ
وَمَنْ قَدْ أَرَدْتُمْ جَاهِدِينَ سِقَاطَهُ
لِعَمْرِي لَنْ قُلْتُمْ بِمَا أَنَا أَهْلُهُ
وَجَحْدُكُمْ إِيَّايَ مَا تَعْلَمُونَهُ
أَلَا يَزْجُرُ الْجُهَالُ عَنَا أَمِيرُنَا
وَلَا سِيَمَا مِنْ بَانَ لِلنَّاسِ شَرُّهُ
لَلَيْثِ أَبِي شِبْلَيْنِ مِنْ أَسَدٍ خَفَّانٍ^(١)
تَزْخَرْفُ فِيهِ وَاسْتَعَانَ بِأَعْوَانٍ
وَمَضَّغَهَا تَمْضِيعَ أَهْوَجِ سَكْرَانٍ
وَالَا وَسِمْتُمْ أَوْ رُمِيتُمْ بِشُهِبَانٍ
كَمَعْتَسِفٍ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ حَيْرَانٍ
تَرُومُونَ صَعْبًا مِنْ شَمَارِيخٍ^(٢) ثَهْلَانٍ^(٣)
تَظَاهَرُ أَعْدَاءُ عَلَيْهِ وَأَقْرَانٍ
فَأَعْيَاكُمْ فِي كُلِّ سَرٍّ وَإِعْلَانٍ
لِيُسْتَنْفَذَ الْقَوْلُ تَعْظِيمُكُمْ شَانِي
وإِقْرَارُكُمْ عِنْدِي بِذَلِكَ سَيَّانٍ
وَمُوسَى وَذَاكَ الشَّيْخُ مِنْ آلِ حِرَّانٍ
فَمَا يَتِمَارَى فِي مَذَاهِبِهِ أَثْنَانٍ
[الطويل]

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِسْرَائِيلَ قَرْقَارَةُ
قَالَ: قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْجُرْجَانِيِّ وَقَدْ تَذَاكَرْنَا إِسْحَاقَ يَوْمًا بِحَضْرَتِهِ: مَا تَذْكُرُونَ
مِنْ إِسْحَاقَ شَيْئًا تَقَارِبُونَ بِهِ وَصْفَهُ. كَانَ وَاللَّهِ إِسْحَاقَ غُرَّةً فِي زَمَانِهِ، وَوَاحِدًا فِي دَهْرِهِ
عِلْمًا وَفَقْهًا وَأَدَبًا وَوَقَارًا وَوَفَاءً وَجُودَةً رَأَى وَصَحَّةَ مَوَدَّةٍ. كَانَ وَاللَّهِ يُخْرِسُ النَّاطِقَ إِذَا
نَطَقَ، وَيُخَيِّرُ السَّامِعَ إِذَا تَحَدَّثَ، لَا يَمَلُّ جَلِيسُهُ مَجْلِسُهُ، وَلَا تَمُجُّ الْأَذَانُ حَدِيثُهُ، وَلَا
تَنْبُو النُّفُوسُ عَنْ مُطَاوَلَتِهِ. إِنْ حَدَّثَكَ أَلْهَاكَ، وَإِنْ نَازَرَكَ أَفَادَكَ، وَإِنْ غَنَّاكَ أَطْرَبَكَ.

(١) خفان: موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً وهو مأسدة.

(٢) الشَّمارِيخ: رؤوس الجبال، وهي الشَّناخِب.

(٣) ثهلان: جبل باليمن.

(٤) الورد: هو الأسد وسمي بهذا الأسم للدم الذي يلطخه، ويقال إنه الجريء.

وما كُنْتُ ترى خَصْلَةً مِنَ الأدبِ ولا جِنْساً مِنَ العلمِ يتكلَّمُ فيه إسحاقُ فَيُقدِّمُ أحداً على مُساجلتِهِ ومباراتِهِ .

[غنى في شعر مكتوب في بساط]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بن محمد المَهْلَبِيُّ قال: حَدَّثَنِي أحمد بن يحيى المَكِّيّ قال: أَمَرَ المأمُونُ يوماً بِالْفَرَشِ الصَّيْفِيِّ أَنْ يُخْرِجَ فَأُخْرِجَ فيما أخرج منه بساطٌ طَبْرِيّ أو أَصْبَهَبْدَانِي^(١)، مكتوب في حواشيه:

صوت

لَجَّ بِالْعَيْنِ وَاكِفُ مِنْ هَوًى لَا يُسَاعِفُ
كُلَّمَا جَفَّ دَمْعُهُ هَيَّجَتْهُ الْمَعَارِفُ
إِنَّمَا الْمَوْتُ أَنْ تَفَا رِقَ مَنْ أَنْتَ أَلِفُ
لَكَ حُبَّانٌ فِي الْفَوْا دَتَلِيْدٌ وَطَارِفُ

[مجزوء الخفيف]

قال: فاستحسن المأمُونُ هذه الأبيات، وبعث إلى إسحاق فأحضره وأمره أَنْ يَصْنَعَ فيها لحناً وَيُعْجِّلَ به، فَصَنَعَ فيها الْهَزَجَ الَّذِي يُعْنَى به اليوم. قال أحمد: وَسَمِعَهَا أَبِي مِنْهُ فَقَالَ: لو كان هذا الْهَزَجَ لِحَكَمِ الْوَادِي لكان قد أحسن. يريد أن حكماً كان صاحب الأهازج.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بن محمد قال: حَدَّثَنِي ابْنُ المَكِّيّ قال: تَذَكَّرْنَا يوماً عِنْدَ أَبِي صَنْعَةَ إِسْحَاقَ، وَقَدْ كُنَّا بِالْأَمْسِ عِنْدَ المأمُونِ فَعَنَّا إِسْحَاقَ لِحْناً صَنَعَهُ فِي شِعْرِ ابْنِ يَاسِينَ:

صوت

أَلْطُلُولُ الدَّوَارِ سُ فَارَقَتْهَا الْأَوَانِسُ
أَوْحَشَتْ بَعْدَ أَهْلِهَا فَهِيَ قَفَرٌ بِسَابِسُ

[مجزوء الخفيف]

- الغناء لإسحاق خفيفٌ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ - قال: فقال أبي: لو لم يَكُنْ من بدائع

(١) أَصْبَهَبْدَان: مدينة في بلاد الديلم، بينها وبين البحر ميلان.

إسحاق غيرُ هذا لكفى، «الطلول الدوارس» كلمتان، و«فارقتهما الأوانس» كلمتان، وقد غَنَّى فيهما استهلالاً وبسيطاً وصاحَ وسَجَعَ ورجَعَ النعمة واستوفى ذلك كُلَّهُ في أربع كلمات وأتى بالباقي مثله؛ فمن شاء فليَفْعَلْ مثلَ هذا أو ليُقَارِبِهِ. ثم قال: إسحاقُ واللَّهِ في زماننا فوق ابنِ سُرَيْجٍ والعَرِيضِ وَمَعْبَدٍ، ولو عاشوا حتى يَرَوْه لَعَرَفُوا فَضْلَهُ واعترفوا له به. وأخبرني عُمِّي عن يزيد بن محمد المهلَّبِيِّ: أنه كان عند الواثق فَعَنَّتُهُ شجاً هذا الصوت، فَقَالَ الواثق مثلَ هذا القول. والمذكور أنَّ ابن المكيَّ قاله؛ فلا أدري أهذا وَهْمٌ من يزيد، أو اتَّفَقَ أن قال فيه الواثق كما قال يحيى، أو اتَّفَقَتْ عليه قريحتاهما.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حَدَّثَنِي أَبِي عن إسحاق قال: أرسل إليّ الفضلُ بن الرِّبِيعِ يوماً وإلى الرُّبَيْرِ بن دَحْمَانَ، فوافق مجيئنا شغلاً كان له، فَصَرْنَا إلى بعض حَجَرِهِ، فَتَعَسْتُ فَمِئْتُ فإذا رُبَيْرٌ يُحَرِّكُنِي فانتَبَهْتُ فإذا خَبَازٌ في مطبخ الفضل يضرب بالشُّوبَقِ^(١) يعني:

بَدِيرِ الْقَائِمِ الْأَقْصَى^(٢) غَزَالُ شَفْنِي أَحْوَى
بَرَى حُبِّي لَهُ جَسْمِي وَمَا يَدْرِي بِمَا أَلْقَى
وَأَخْفَى حُبَّهُ جُهْدِي وَلَا وَاللَّهِ مَا يَخْفَى
[الهنج]

- الشعرُ والغناء لإسحاق خفيفٌ ثقيلٌ بالبنصر - قال: فقال لي الرُّبَيْرُ: تَضَنَّ بهذا وانظُرْ مَنْ يَبْتَدِلُهُ! فَقُلْتُ: لا أَضَنَّ بغناء بعد هذا.

حَدَّثَنِي عُمِّي قال: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بن الطَّيِّبِ السَّرْحَسِيِّ قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بن شَبَّةٍ قال: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بن معاوية بن بكر قال: قال لي صالح بن الرشيد: كُنَّا أَمَسَ عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من الْمُعَنِّينَ، فيهم إسحاق وعُلوِيه ومُخَارِق وعُمرو بن بانه؛ فَعَنَّى مُخَارِقُ في الثَّقِيلِ الأوَّل:

صوت

أَعَاذِلْ لَا أَلَوْكَ إِلَّا خَلِيْقَتِي فَلَا تَجْعَلِي فَوْقِي لِسَانَكَ مِبْرَدَا
دَرِينِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ لِي الْمَالُ رَبًّا تَحْمَدِي غِبَّهُ غَدَا

(١) الشوبق: خشبة لولبية يستخدمه الخباز ليعجن العجين.

(٢) دير القائم الأقصى: موضع على شاطئ الفرات من الجانب الغربي في طريق الرقة من بغداد.

ذَرِينِي يَكُنْ مَالِي لِعَرْضِي وَقَايَةً يَاقِي الْمَالُ عِرْضِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي إِذَا الضَّيْفُ نَابَنِي وَعَزَّ الْقَرَى أَقْرِي السَّدِيفُ^(١) الْمُسْرَهْدَا^(٢)
[الطويل]^(٣)

فقال له المأمون: لمن هذا اللحن؟ قال: لهذا [الهزبر]^(٤) الجالس (يعني إسحاق)، فقال المأمون لمُخَارِق: فَمُ فاقعد بين يدي وأعدِ الصوت، فَقَامَ فَجَلَسَ بين يديه وأعادَه فأجاده، وشَرِبَ المأمون عليه رطلاً، ثم التفت إلى إسحاق فقال له: غَنَّ هذا الصوت فَغَنَّاهُ فَلَمْ يَسْتَحْسِنْهُ كما استحسَنه من مُخَارِق؛ ثم دار الدورُ إلى علويه، فقال له: غَنَّ فَعَنَى في الثقل الأول أيضاً:

صوت

أَرَيْتُ الْيَوْمَ نَارَكَ لَمْ أَغْمُضْ بِوَاقِصَةٍ^(٥) وَمَشْرُبُنَا بِرُودُ^(٦)
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ مَوْقِدِهَا وَلَكِنْ لِأَيَّةِ نَظَرَةٍ زَهَرَ الْوَقُودُ^(٧)
فَبِتْ بِلَيْلَةٍ لَا نَوْمَ فِيهَا أَكْبِدُهَا وَأَصْحَابِي رُقُودُ
كَأَنَّ نَجْوَمَهَا رُبِطَتْ بِصَخْرٍ وَأَمْرَاسٍ^(٨) تَدُورُ وَتَسْتَزِيدُ^(٩)
[الوافر]

(١) السَّدِيفُ: شحم السنام، قال طرفة بن العبد:

فَطَلَّ الْإِمَاءُ يَمْتَلِلْنَ حُورَهَا وَيُسْعَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ الْمُسْرَهْدُ

(٢) الْمُسْرَهْدُ: الْمُتَعَمُّ الْمُغْدَى. وامرأة مُسْرَهْدَة: سميئة مصنوعة وكذلك الرجل. وسنام مُسْرَهْدُ: مقطع قطعاً، وقيل: سنام مُسْرَهْد أي سمين. وماء سْرَهْد أي كثير. وسرهدت الصبي سْرَهْدَة: أحسنت غذاءه والمُسْرَهْدُ: الحسنُ الغداء، وربما قيل لشحم السنام سْرَهْد.

(٣) الأبيات لحاتم الطائي. وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي. شاعر جاهلي، فارس جواد يضرب المثل بجوده. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج من ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيء) سنة ٤٦ ق. هـ.

(٤) لم ترد هذا الكلمة في بعض النسخ. والهزبر: الأسد.

(٥) واقصة: منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة، وقيل: العقبة لبني شهاب من طيء، ويقال لها واقصة الحزون، وهي دون زباله بمرحلتين.

(٦) برود: البارد.

(٧) زهر الوقود: أضواء ناره.

(٨) الأمراس: الحبال.

(٩) الأبيات للأعشى، ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير. من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية

فقال له المأمون: لمن هذا الصوت؟ فقال: لهذا الجالس - وأشار إلى إسحاق - فقال لِعَلُّويه: أعدُهُ فَأَعَادَهُ، فَشَرِبَ عليه رطلاً، ثُمَّ قال لإسحاق: عَنَّهُ فَعَنَّا، فلم يَطْرَبْ له طَرَبُهُ لِعَلُّويه. فالتفتَ إليَّ إسحاق ثم قال لي: أيها الأمير، لولا أَنَّهُ مجلسُ سُرور وليس مجلسُ لَجَاج وَجَدَالٍ لأَعْلَمْتُهُ أَنَّهُ طرب على خطأ، وأنَّ الذي استحسنته إنما هو تزايد^(١) منهما يُفْسِدُ قسمة اللحن وتجزئته، وأنَّ الصوت ما غَيَّبَتْهُ لا ما زادا. ثم أَقبل عليهما فقال: يا مُخَنَّثان، قد عَلِمْتُ أَنكما لم تُريدا بما فعلتماه مدحي ولا رَفَعْتِي، وأنا على مكافأتكما قادر؛ فَضَحِكَ المأمون وقال له: ما كان ما رأيته من طَرَبِي لهما إلَّا استحساناً لأصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلاً بِفَضْلِكَ.

حَدَّثَنِي عَمِّي قال: حَدَّثَنِي عبد الله بن أبي سعد قال: حَدَّثَنِي محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعي قال: حَدَّثَنِي إسحاق قال: دَخَلْتُ يوماً على المعتصم وقد رَجَعَ مِنَ الصَّيْدِ وبين يديه طَبَاءٌ مَذْبَحَةٌ وطيرٌ ماء وغير ذلك من الصَّيْدِ وهو يَشْرَبُ فَأَمَرَنِي بالجلوس والغناء، فَجَلَسْتُ وَعَنَيْتُهُ:

صوت

إِشْتَهَيْنَا فِي رَبِيعِ مَرَّةً زَهَمَ الْوَحْشِ عَلَى لَحْمِ الْإِبِلِ
فَعَدَدْنَا بِطُولِ هَيْكَلٍ كَعَسِيبِ النَّخْلِ مَيَادِ خَضِلِ
[الرملة]

- الشعر يُقال: إنه لأعشى همدان^(٢)، والغناء لأحمد النَّصْبِيِّ خفيفٌ ثَقِيلٌ

وأحد أصحاب المعلقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب، والفرس، وغازي الشعر، يسلك فيه كلَّ مسلك، وليس أحدٌ ممن عرف قبله أكثر شعراً منه. وكان يُعْتَبَرُ بشعره فسمي (صناعة العرب). قال البغدادي: كان ينفذ على الملوك ولا سيما ملوك فارس فكثرت الألفاظ الفارسية في شعره. عاش عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره. مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة الرياض وفيها داره وبها قبره.

(١) التزايد: تكلف الزيادة وتجاوز الحد.

(٢) أعشى همدان: عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم الهمداني. شاعر اليمانيين، بالكوفة وفارسهم في عصره. ويعد من شعراء الدولة الأموية. كان أحد الفقهاء القراء، وقال الشعر فعرف به وكان من الغزاة أيام الحجاج، غزا الديلم وله شعر كثير في وصف بلادهم ووقائع المسلمين معهم. ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث انحاز الأعشى إليه واستولى على سجستان معه وقاتل رجال الحجاج الثقفي. ثم جيء به إلى الحجاج أسيراً بعد مقتل الأشعث، فأمر به الحجاج فضربت عنقه سنة ٨٣هـ.

بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق - فَتَبَسَّمَ وقال: وأين رأيت لحم الإبل! فَعَنَيْتُهُ:

صوت

لَيْسَ الْفَتَى فِيهِمْ إِذَا شَرِبَ الشَّرَابَ مُؤْتَبَا
لَكِنْ يَرُوحُ مُرْتَحَا حَسَنَ الثِّيَابِ مُطَيَّبَا
يَسْقُونَهُ صِرْفًا عَلَى لَحْمِ الطُّبَاءِ مُضَهَّبَا^(١)
[مجزوء الكامل]

فقال: هذا أشبه، وشرب. ثم عَنَيْتُهُ بِشَعْرِ وَضَاحِ الْيَمَنِ^(٢) قال: والغناء لابن مُحْرَزٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ.

أَبَى الْقَلْبُ الْيَمَانِي الَّذِي تُحَمَّدُ أَخْلَاقُهُ
وَيَرْفُضُ لَهُ اللَّحْنُ فَمَا تُفْتَقِ أَرْتَاقُهُ
غَزَالٌ أَدْعَجُ الْعَيْنِ رَبِيبُ خَدَلْجٍ^(٣) سَاقُهُ
رَمَانِي فَسَبَى قَلْبِي وَأَرْمِيهِ فَأَشْتَاقُهُ
[الهنج]

فَطَرِبَ وقال: هذا والله أحسن صيد وألذ، وشرب عليه بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَخَلَعَ عَلَيَّ وأمر لي بجائزة. هكذا ذَكَرَ في هذا الخبر أن الثَّقِيلَ الأول لابن مُحْرَزٍ وقد قيل ذلك. وَذَكَرَ عمرو بن بَانَةَ أَنَّ الثَّقِيلَ الأول بالبنصر لابن طُنْبُورَةَ، وَأَنَّ لَحْنَ ابْنِ مُحْرَزٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ.

[دقته في الوصف]

حَدَّثَنِي عَمِّي قال: حَدَّثَنِي فَضْلُ الْيَزِيدِيِّ قال: قال لي إسحاق يوماً في عُرْضِ

(١) مهضوب: مقطوع.

(٢) وضاح اليمن: عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال من آل خوذان الحميري. شاعر رقيق الغزل عجيب النسيب كان جميل الطلعة يتنقع في المواسم. له أخبار مع عشيقته له اسمها روضة من أهل اليمن. قدم مكة حاجاً في خلافة الوليد بن عبد الملك فرأى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، زوجة الوليد فتغزل بها فقتله الوليد. وهو صاحب الأبيات التي منها:

قالت ألا لا تلجن دارنا إن أبانا رجلاً غائراً

وفي المؤرخين من يسميه عبد الله بن إسماعيل.

(٣) الخدلج: الممتلىء الساقين.

حديثه: دَخَلْتُ عَلَى الْمُعْتَصِمِ ذَاتَ يَوْمٍ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ دَبِيقِي^(١) كَأَنَّمَا قُدَّ^(٢) مِنْ جَزْمِ الزُّهْرَةِ^(٣)، فَضَحِكْتُ، فَقَالَ: مَا أَضْحَكَكَ؟ فَقُلْتُ: مَنْ مَبَالِغَتِكَ فِي الْوَصْفِ، فَتَبَسَّمَ. قَالَ الْفَضْلُ: وَمَا سَمِعْتُ مُحَدَّثًا قَطُّ وَلَا وَاصِفًا أَبْلَغَ مِنْهُ وَلَا أَحْسَنَ لَفْظًا وَتَشْبِيهًا.

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ لِي إِسْحَاقُ: وَدِدْتُ أَنَّ كُلَّ يَوْمٍ قِيلَ لِي: غَنَّ أَوْ قِيلَ لِي عِنْدَ ذِكْرِي: الْمُعْنَى، ضَرَبَ رَأْسِي خَمْسَةَ عَشَرَ سَوْطًا، لَا أَقْوَى عَلَى أَكْثَرِ مِنْهَا، وَلَمْ يَقُلْ لِي ذَلِكَ.

أَخْبَرَنَا يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ قَالَ: صَنَعَ أَبِي لِحْنَهُ فِي: «تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَرِي» عَلَى لِحْنِ أَذَانٍ سَمِعَهُ.

[كثرة حفظه لأهزاج القدماء]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ قَالَ: تَذَاكَرْنَا يَوْمًا الْهَزَجَ عِنْدَ الْمَأْمُونِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ: مَا أَفْلَهُ فِي الْغِنَاءِ الْقَدِيمِ! فَقَالَ إِسْحَاقُ: مَا أَكْثَرَهُ فِيهِ! ثُمَّ غَنَاهُمْ ثَلَاثِينَ هَزَجًا فِي إصْبَعٍ وَاحِدَةٍ وَمَجْرَى وَاحِدٍ، مَا عَرَفُوا جَمِيعًا مِنْهَا إِلَّا نَحْوَ سَبْعَةِ أَصْوَاتٍ. حَدَّثَنِي يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي أَخِي قَالَ: حَدَّثَنِي عَافِيَةُ بْنُ شَبِيبٍ قَالَ: قُلْتُ لِرُزْزُورٍ: مَا لَكُمْ تَذَلُّونَ لِإِسْحَاقَ هَذَا الذَّلَّ، وَمَا فِيكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ أَطِيبُ صَوْتًا مِنْهُ، وَمَا فِي صَنَائِعِكُمْ وَصْمَةٌ! فَقَالَ لِي: لَا تَقُلْ ذَلِكَ، فَوَاللَّهِ لَوْ رَأَيْتَنَا مَعَهُ لَرَحِمْتَنَا وَرَأَيْتَنَا نَذُوبٌ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ فِي النَّارِ!

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ: لَا عِبْتُ الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ بِالرَّدِّ، فَوَقَعَ بَيْنَنَا خِلَافٌ، فَحَلَفَ وَحَلَفْتُ، فَغَضِبَ عَلَيَّ وَهَجَرَنِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ:

يَقُولُ أَنَاسٌ شَامَتُونَ وَقَدْ رَأَوْا مَقَامِي وَإِغْبَابِي الرُّوَاحَ إِلَى الْفَضْلِ
لَقَدْ كَانَ هَذَا خُصًّا بِالْفَضْلِ مَرَّةً فَاصْبَحَ مِنْهُ الْيَوْمَ مُنْصَرِمَ الْحَبْلِ
وَلَوْ كَانَ لِي فِي ذَاكَ ذَنْبٌ عَلِمْتُهُ لَقَطَعْتُ نَفْسِي بِالْمَلَامَةِ وَالْعَذْلِ

[الطويل]

وَعَرَضْتُ الْأَبْيَاتَ عَلَيْهِ؛ فَلَمَّا قَرَأَهَا ضَحِكَ وَقَالَ: أَشَدُّ مِنْ ذَنْبِكَ أَنَّكَ لَا تَرَى

(١) دَبِيقِي: منسوب إلى دَبِيق وهي بلدة كانت بين القرما وتنيس من أعمال مصر.

(٢) قُدَّ: قطعه وشقه.

(٣) الزهرة: من الكواكب السيارة.

لِنَفْسِكَ بِذَلِكَ الْفِعْلِ ذَنْباً؛ وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنِّي أَذَبْتُكَ أَدَبَ الرَّجُلِ وَلَدَهُ، وَأَنَّ حُسْنَكَ وَقَبِيحَكَ مِزْجَانِ إِلَى لَا نَكْرَتَنِي؛ فَأَصْلَحَ الْآنَ قَلْبَ عَوْنٍ - وَكَانَ يَحْجُبُهُ - فَخَاطَبْتُهُ فِي ذَلِكَ فَكَلَّمَنِي بِمَا كَرِهْتُ؛ فَقُلْتُ: أَتَدْخُلُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَمِيرِ أَعَزَّهُ اللَّهُ! وَكَانَ عَوْنٌ يُرْمَى بِالْأَبْنَةِ فَقُلْتُ فِيهِ:

وَذَاكَرَ أَمْرٍ ضَاقَ ذَرْعاً بِذِكْرِهِ وَنَاسٍ لِدَاءٍ مِنْهُ مَتَّسِعِ الْخَرْقِ
[الطويل]

قال: ثُمَّ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَتِمُّ لِي رِضَا الْفَضْلِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَرْضَى عَوْنٌ، فَقُلْتُ فِيهِ:

عَوْنُ يَا عَوْنُ لَيْسَ مِثْلَكَ عَوْنٌ أَنْتَ لِي عُدَّةٌ إِذَا كَانَ كَوْنُ
لَكَ عِنْدِي وَاللَّهِ إِنْ رَضِيَ الْفَضْلُ غَلَامٌ يُرْضِيكَ أَوْ بِرْدُونُ
[الخفيف]

فَدَخَلَ إِلَى الْفَضْلِ فَتَرَضَّاهُ لِي فَرْضِي، ثُمَّ قَالَ لَهُ: وَيَلَكَ يَا عَوْنُ إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنَّمَا هَجَاكَ وَأَنْتَ تَرَى أَنَّهُ قَدْ مَدَحَكَ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: «غَلَامٌ يُرْضِيكَ»! هَذَا تَعْرِيزُ بِكَ؛ قَالَ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِهِ مَعَ مُحَلِّهِ عِنْدَ الْأَمِيرِ!

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَوْنٌ عَنْ إِسْحَاقَ، وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْخَبَرِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ عَنْ عَمْرِ بْنِ شَبَّةَ عَنْ إِسْحَاقَ، وَلَفْظُ الْخَبَرِ وَسِيَّاقُهُ لِلصُّوْلِيِّ، قَالَ:

اسْتَدْنَانِي الْمَأْمُونُ يَوْمًا وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشٍ حَتَّى صَارَتْ رَكْبَتِي عَلَى الْفِرَاشِ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا إِسْحَاقَ، أَشْكُو إِلَيْكَ أَصْحَابِي: فَعَلْتُ بِفُلَانٍ كَذَا فَفَعَلَ كَذَا؛ وَفَعَلْتُ بِفُلَانٍ كَذَا فَفَعَلَ كَذَا، حَتَّى عَدَدَ جَمَاعَةً مِنْ خَوَاصِّهِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ يَا سَيِّدِي بِتَفْضِيلِكَ عَلَيَّ وَحَسَنِ رَأْيِكَ فِيَّ ظَنَنْتُ أَنِّي مِمَّنْ يُشَاوِرُ فِي مِثْلِ هَذَا، فَجَاوَزْتَ بِي حَدِّي، وَهَذَا رَأْيِي يُجِلُّ عَنِّي وَلَا يَبْلُغُهُ قَدْرِي؛ فَقَالَ: وَلِمَ وَأَنْتَ عِنْدِي عَالِمٌ عَاقِلٌ نَاصِحٌ؟ فَقُلْتُ: هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ سَيِّدِي عَلَّمَتْنِي أَلَا أَقُولُ إِلَّا مَا أَعْرِفُ وَلَا أَطْلُبُ إِلَّا مَا أَنَالُ، فَضَحِكَ وَقَالَ: قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ صَنَعْتَ لِحْنًا فِي شَعْرِ الرَّاعِي وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْكَ؛ فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، مَا سَمِعَهُ أَحَدٌ إِلَّا جَوَارِيَّ، وَلَا حَاضِرْتُ عِنْدَكَ لِلشَّرْبِ مُنْذُ صَنَعْتُهُ، فَقَالَ: غَنَّهُ، فَقُلْتُ: الْهَيْبَةُ وَالصَّخْوُ يَمْنَعَانِي أَنْ أُوْدِيَهُ كَمَا تَرِيدُ، فَلَوْ آنَسَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَهُ بِشَيْءٍ يُطْرِبُهُ وَيَقْوِي بِهِ طَبْعَهُ كَانَ أَجُودَ، قَالَ: صَدَقْتَ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْغَدَاءِ فَتَغَدَّيْنَا، وَمُدَّتِ السَّتَارَةُ فَعُنِّي مِنْ وَرَائِهَا وَشَرِبْنَا أَقْدَاحًا؛ فَقَالَ: يَا إِسْحَاقَ، أَمَا جَاءَ أَوَانُ ذَلِكَ الصَّوْتِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا سَيِّدِي، وَعَئِيَّتُهُ لِحْنِي فِي شَعْرِ الرَّاعِي:

أَلَمْ تَسْأَلْ بِعَارِمَةٍ^(١) الديارا عن الحي المفارق أين صارا
بَلَى سَاءَ لَهَا فَأَبَتْ جواباً وكيف تُسائلُ الدَّمْنَ القِفَارا
[الوافر]^(٢)

- لحن إسحاق في هذين البيتين خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى - قال: فاستَحَسَنَهُ وما زال
يَشْرَبُ عليه سائرَ يومِهِ، وقال لي: يا إسحاق، لا طَلَبَ بعد وجود البُغْيَةِ، ما أشرب
بَقِيَّةَ يومي هذا إلا على هذا الصوت؛ ثم وصلني وخَلَعَ عليَّ خُلْعَةً من ثيابه.

حدَّثني الصولي قال: حدَّثني عون بن محمد قال: حدَّثني إسحاق قال: كانت
أعرابيةٌ تقدم عليَّ من البادية فأفضل عليها، وكانت فصيحة، فقالت لي ذات يوم:
والذي يعلمُ مَعْزَى كُلِّ ناطِقٍ لكأنَّكَ في عِلْمِكَ وُلِدْتَ فينا ونَشَأْتَ مَعَنَا. ولقد أَرَيْتَنِي
نَجْداً بِفَصَاحَتِكَ، وأحللتني الرِّبيعَ بِسَمَاحَتِكَ، فلا أَطْرَدُ لي قولٌ إلا شكرتك، ولا
نَسَمْتُ لي ريحٌ إلا ذكرك.

حدَّثني الصولي قال: حدَّثني عَوْنُ بن محمد قال: حدَّثني المُغِيرَةُ بن محمد
المهلبِي عن إسحاق قال: كان أبو المُجِيبِ الرُّبَيعِي فَصِيحاً عالِماً، فَقَالَ لي: يا أبا
محمد، قد عَزَمْتُ على التزوِّجِ فأعِنِّي وقَوِّنِي قال: فأعطيتهُ دنانيرَ وثياباً. فَعَابَ عَنِّي
أياماً ثم عَادَ، فَقُلْتُ: يا أبا مُجِيبَ، هاهنا أبيات فاسمعها؛ فقال: هاتها، فَقُلْتُ:

يَا لَيْتَ شِعْرِي عن أَبِي مُجِيبٍ إذ باتَ في مجاسِدِ^(٣) وطِيبِ
مُعَانِقِ الرِّشَاءِ الرِّيبِ أأَحْمَدُ^(٤) المِحْفَارُ^(٥) في القليبِ
أَمْ كَانَ رَخِوْاً ذَابِلَ الْقَضِيبِ

[الرجز]

قال: فقال لي: الأخير والله يا أبا محمد.

- (١) العارمة: موضع في ديار بني عامر بنجد، وقيل: ماء لبني تميم رمل.
- (٢) هذا البيت للراعي النميري، وهو عُبيد بن حُصَيْن بن معاوية بن جندل، النميري، أبو جندل. من
فحول الشعراء المحدثين، كان من جَلَّةِ قومه، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل وكان بنو نمير أهل
بيتِ وسُودد. وقيل: كان راعي إبل من أهل بادية البصرة. عاصر جريراً والفرزدق وكان يفضل
الفرزدق فهجاه جرير هجاءً مُراً وهو من أصحاب الملحمة. وسماه بعض الرواة حصين بن
معاوية، توفي سنة ٩٠ للهجرة.
- (٣) المَجَاسِد: هو جمع مُجَسَّد، وهو القَمِيص الذي يَلْبِي البَدَنَ، وقال الفراء: المُجَسَّد والمُجَسَّد
واحدٌ، وأصله الضَّمُّ لأنَّه من أَجَسَدَ أي أَلَزَقَ بالجَسَدِ.
- (٤) أحمد الشيء: أتى ما يُحْمَدُ عليه.
- (٥) من المجاز، المحفار: المسحاة وما يحفر به.

[عاب الخليل بن هشام بشعر]

حَدَّثَنِي الصَّوْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ: كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ الْخَلِيلِ بْنِ هِشَامٍ صَدَاقَةٌ ثُمَّ اسْتَوْحَشْنَا، فَمَرَرْتُ بِبَابِهِ يَوْمًا، فَتَذَمَّمْتُ أَنْ أَجُوزَهُ وَلَا أَدْخُلَ إِلَيْهِ، فَدَعَوْتُ بِدَوَاةٍ وَقِرطاسٍ وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ:

رَجَعْنَا بِالصَّفَاءِ إِلَى الْخَلِيلِ فَلَيْسَ إِلَى التَّهَاجُرِ مِنْ سَبِيلِ
عِتَابٍ فِي مَرَاجِعَةٍ وَصَفْحٍ أَحَقُّ بِنَا وَأَشْبَهُ بِالْجَمِيلِ
[الوافر]

قَالَ: وَوَجَّهْتُ بِالرُّقْعَةِ وَقَصَدْتُ بَابَهُ، فَخَرَجَ إِلَيَّ حَتَّى تَلَقَّانِي، وَرَجَعْنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ.

[إختيار حفظه]

حَدَّثَنِي الصَّوْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ عَنْ الْهَشَامِيِّ قَالَ: كَانَ أَهْلُنَا يَعْتَبِرُونَ^(١) عَلَى إِسْحَاقَ مَا يَقُولُهُ فِي نِسْبَةِ الْغَنَاءِ وَأَخْبَارِهِ، بَأَن يُجْلِسُوا كَاتِبَتَيْنِ فَهْمَتَيْنِ خَلْفَ السُّتَارَةِ، فَتَكْتَبَانِ مَا يَقُولُهُ وَتَضْبُطَانِهِ، ثُمَّ يَتْرَكُونَهُ مُدَّةً حَتَّى يَنْسِيَ مَا جَرَى، ثُمَّ يُعِيدُونَ تِلْكَ الْمَسْأَلَةَ عَلَيْهِ، فَلَا يَزِيدُ فِيهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْهَا حَرْفًا كَأَنَّهُ يَقْرُؤُهَا مِنْ دَفْتَرٍ؛ فَعَلِمُوا حِينَئِذٍ أَنَّهُ لَا يَقُولُ فِي شَيْءٍ يُسْأَلُ عَنْهُ إِلَّا الْحَقَّ.

حَدَّثَنِي الصَّوْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مَزِيدٍ الْمَهْلَبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ الْمَأْمُونِ، فَغَنَّا عَلَيْهِ:

صوت

لَعَبْدَةٍ دَارَ مَا تَكَلَّمْنَا الدَّارَ تَلُوحُ مَغَانِيهَا كَمَا لَاحَ أَسْطَارُ
وَعِنْدَ مَغَانِي دَارِهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ لِمُكْتَتِبٍ بَادِي الصَّبَابَةِ أَخْبَارُ
أَسْأَلُ أَحْجَارًا وَوُئِيًّا^(٢) مُهْدَمًا وَكَيْفَ يَرُدُّ الْقَوْلَ نُؤْيًى وَأَحْجَارُ
[الطويل]

- الشعر لبشار، والغناء لإبراهيم ثاني ثقليل مطلق في مجرى الوسطى عن

(١) عَبَّرْتُ عَنْهُ تَعْبِيرًا إِذَا عَيَّ مِنْ حُجَّتِهِ فَتَكَلَّمْتُ بِهَا عَنْهُ.

(٢) النُّؤْيُ: حَاجَزٌ حَوْلَ الْبَيْتِ، وَالْجَمْعُ أَنْاءٌ، مَهْمُوزٌ. وَالْوَنْىُ مِنْ قَوْلِهِمْ: وَنَى يَنْىَ وَنِيًا وَوُنِيًا، وَهُوَ التَّقْصِيرُ فِي الْعَمَلِ مِنَ التَّعَبِ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: «وَلَا تَنْبِئَا فِي ذِكْرِي». وَوَنْىَ يَنْىَ وَنِيًا وَوُنِيًا، إِذَا أَعْيَا، وَهُوَ الْوَنْىُ.

إسحاق - قال: فقال المأمون: لمن هذا اللحن؟ فقلت: لعبد أمير المؤمنين أبي، وقد أخطأ فيه علّويه، قال: فعنّه أنت فعنّيته، فاستعادنيه مراراً وشرب عليه أقداحاً، ثم تمثّل قول جرير:

وَأَبْنُ اللَّبُونِ^(١) إِذَا مَا لَزَّ^(٢) فِي قَرْنٍ^(٣) لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ^(٤) الْقَنَاعِيسِ^(٥)
[البسيط]

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم. وَوَجَدْتُ هذا الخبر بخطّ أبي العباس ثوابه، فقال فيه: حَدَّثَنِي أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال: حَدَّثَنِي عبد الله بن العباس الرّبيعي قال: اجتمعنا بين يدي المعتصم، فعنّي علّويه:

لِعَبْدَةِ دَارٍ مَا تُكَلِّمُنَا الدَّارُ

فَقَالَ له إسحاق: أخطأت فيه، ليس هو هكذا، فقال علّويه: أُمُّ من أخذناه عنه هكذا زانية، فقال إسحاق: شتمنا قَبْحَهُ الله، وسكت وبان ذلك فيه، وكان علّويه أخذه من إبراهيم.

[حواره مع علوية عند الواثق]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قال: حَدَّثَنِي أَبُو الْعُبَيْسِ بن حَمْدُون عن أبيه عن جدّه قال: كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يُعْنِي إِلَّا الخليفةَ أو وَلِيَّ عَهْدِهِ أو رجلاً من الطاهرية مثل إسحاق بن إبراهيم وطَبَقَتِهِ، فاجتمعنا عند الواثق وهو وَلِيَّ عهد المعتصم، فاشتهدوا أن يُضْرَبَ^(٦) بين مُخَارِقٍ وعلّويه وإسحاق، ففعل حتى تهاثروا، ثم قال لإسحاق: كيف هما الآن عندك؟ فقال: أَمَّا مُخَارِقٌ فَمُنَادٍ طَيِّبُ الصوت؛ وَأَمَّا علّويه فهو خير حماري العبادي^(٧)، وهو على كل حال شَيِّء (يُرِيدُ تَصْغِيرَهُ)؛ فَوَثَبَ علّويه

(١) اللَّبُونُ من الشاء والإبل ذات اللَّبَنِ، غزيرة كانت أو بكيفة.

(٢) لَزَّ: شَدَّ وَلَصَقَ.

(٣) القرن: الحبل الذي يقرن به البعيران.

(٤) جمل بازل وناقعة بازل: وهو أقصى أسنان البعير، سُمِّيَ بازلاً من الْبَزْلِ، وهو الشَّقْ، وذلك أن نابه إذا طَلَعَ يقال له بازل، لَشَقِّهِ اللحم عن مَنبَتِهِ شَقّاً؛ وقال النابغة في السن وسَمَّاهَا بازلاً:

مَقْذُوفَةٌ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بِازِلُهَا لَهْ صَرِيفٌ صَرِيفُ الْقَعُوِّ بِالْمَسَدِ

(٥) الْقِنَاعِيسُ من الإبل: العظيم، قال جرير:

وَأَبْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ

(٦) التضريب: الإغراء.

(٧) يشير بهذا إلى المثل المشهور، وهو ما يقال من أنه كان لعبادي حماران، ف قيل له: أي حماريك

مُغْضَبًا، ثم قال للوائق: جواريه حرائر ونساؤه طوائف، لئن لم تَسْتَحْلِفْهُ بِحَيَاتِكَ وَحَقِّ أَيْبِكَ، أَنْ يَصُدَّقَ عَمَّا أَسْأَلُهُ عَنْهُ، لِأَتُوبَنَّ عَنِ الْغِنَاءِ مَا عِشْتُ، فَقَالَ لَهُ الْوَائِقُ: لَا تُعْرِدْ يَا عَلِيَّ، نَحْنُ نَفْعَلُ مَا سَأَلْتَ، ثُمَّ حَلَفَ إِسْحَاقُ أَنْ يَصُدَّقَ فَحَلَفَ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ الْيَوْمَ صَنْعَةً بَعْدَكَ. قَالَ: أَنْتَ. قَالَ: فَمَنْ أَضْرَبُ النَّاسِ بَعْدَ ثَقِيفٍ؟ قَالَ: أَنْتَ. قَالَ: فَمَنْ أَطِيبُ النَّاسِ صَوْتًا بَعْدَ مُخَارِقٍ؟ قَالَ: أَنْتَ. قَالَ عَلُوِيَّةُ لِإِسْحَاقَ: أَهَذَا قَوْلُكَ فِيَّ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّي مُصَلِّيٌ ^(١) كُلَّ - سَابِقٍ فَاضِلٍ، وَأَنْي ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ أَنْتَ أَحَدُهُمْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا مِثْلَهُمْ وَلَا يَكُونُ! فَمَا أَنْتَ وَغَنَّاؤُكَ الَّذِي لَا يُسْمَعُ انْخِفَاضًا، فَغَضِبَ إِسْحَاقُ، وَانْتَهَرَ الْوَائِقُ عَلُوِيَّةَ. ثُمَّ أَخَذَ إِسْحَاقُ عُودًا فَتَقَلَّ مِثْنَاهُ إِلَى مَوْضِعِ الْبَمِّ ^(٢)، وَزَيَّرَهُ إِلَى مَوْضِعِ الْمِثْلِثِ، وَجَعَلَ الْبَمَّ وَالْمِثْلِثَ مَكَانَ الزَّيْرِ وَالْمِثْنَى، وَضَرَبَ وَقَالَ: لِيَغْنِ مِنْ شَاءِ مِنْكُمْ، فَغَنَّى مُخَارِقَ عَلَيْهِ:

تَقَطَّعَ مِنْ ظَلَامَةِ الْوَصْلِ أَجْمَعُ أَخِيرًا عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ يَتَقَطَّعُ ^(٣)
[الطويل]

وَضَرَبَ عَلَيْهِ إِسْحَاقُ فَلَمْ يَبْنِ فِي الْأَوْتَارِ خِلَافٌ وَلَا فُقْدٌ مِنَ الْإِيْقَاعِ شَيْءٌ وَلَا بَانَ فِيهِ اخْتِلَالٌ، فَعَظَّمَ عَجَبُ الْوَائِقِ مِنْ فِعْلِهِ، وَقَامَ إِسْحَاقُ فَرَقَصَ طَرْبًا، فَكَانَ وَاللَّهِ أَحْسَنَ رَقْصًا مِنْ كُبَيْشٍ وَعَبْدِ السَّلَامِ - وَكَانَا مِنْ أَرْقَصِ النَّاسِ - فَقَالَ الْوَائِقُ: لَا يَكْمُلُ أَحَدٌ أَبَدًا فِي صِنَاعَتِهِ كَمِثْلِ كَمَالِ إِسْحَاقِ.

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ:

شر؟ قال: هذا ثم هذا. ويرى أنه قال حين سئل عنهما: هذا هذا، أي لا فضل لأحدهما على الآخر. يضرب في خلتين إحداهما شر من الأخرى.

(١) المصلي: التالي للسابق من خيل السباق.

(٢) البم: البم من العود: معروف أعجمي. الجوهرى: البم الوتر الغليظ من أوتار المزاهر. التهذيب: بَمُ الْعُودِ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ هُوَ أَحَدُ أَوْتَارِهِ، وَلَيْسَ بِعَرَبِيٍّ.

(٣) هذا البيت لكثير عزة، وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح من خزاعة وأمه جمعة بنت الأشيم الخزاعية. شاعر متيم مشهور، من أهل المدينة من مواليد ٤٠ للهجرة، وتوفي والده وهو صغير السن وكان منذ صغره سليط اللسان وكفله عمه بعد موت أبيه وكلفه رعي قطع له من الإبل حتى يحميه من طيشه وملازمته سفهاء المدينة. واشتهر بحبه لعزة فعرف بها وعرفت به وهي: عزة بنت حُمَيْلِ بْنِ حَفْصِ بْنِ بَنِي حَاجِبِ بْنِ غَفَارِ كِنَانِيَّةِ النَّسَبِ كُنَاهَا كَثِيرٌ فِي شَعْرِهِ بِأَمِّ عَمْرُو وَيُسَمِّيَهَا تَارَةَ الضَّمِيرِيَّةِ وَابْنَةُ الضَّمِيرِيِّ نَسَبًا إِلَى بَنِي ضَمْرَةَ. وسافر إلى مصر حيث دار عزة بعد زواجها وفيها صديقه عبد العزيز بن مروان الذي وجد عنده المكنانة ويسر العيش. وتوفي في الحجاز هو وعكرمة مولى ابن عباس في نفس اليوم عام ١٠٥ للهجرة، فقيل:

مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس

دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَهُوَ يُلَاعِبُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ وَهْبٍ بِالشُّطْرَنْجِ، فَعَلَبَهُ
عَبْدُ اللَّهِ، وَأَوْمَأَ إِلَيَّ بِأَن أُكَادُهُ فَقُلْتُ:

قَدْ ذَهَبْتَ مِنْكَ أَبَا إِسْحَاقٍ مِثْلَ ذَهَابِ الشَّهْرِ بِالْمَحَاقِ
[الرجز]
فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ فَضَائِلَكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَتَتَكَاثَّرَ عِنْدَنَا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ فِي
إِبْلِهِ:

إِذَا أَتَاهَا طَالِبٌ يَسْتَأْمُرُهَا تَكَاثَّرَتْ فِي عَيْنِهِ كِرَامُهَا
[الرجز]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ: ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى
عَنِ إِسْحَاقَ قَالَ: أَنْشَدْتَنِي أُمُّ مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيَّةُ لِنَفْسِهَا هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَأَنَا حَاجٌّ،
فَاسْتَحْسَنْتُهُمَا، وَصَنَعْتُ فِيهِمَا لِحَنًا غَنَيْتُهُ الْوَاقِعَ، فَاسْتَعَادَهُ حَتَّى أَخَذَهُ، وَأَمَرَ لِي
بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَهُمَا:

عَسَى اللَّهُ يَا ظُمِيَاءُ أَنْ يَعْكِسَ الْهَوَى فَتَلَقَّيْنِ مَا قَدْ كُنْتُ مِنْكَ لَقِيْتُ
ثِرَاءً فَتَحَاجِّي إِلَيَّ فَتَعْلَمِي بِأَنَّ بِهِ أَجْزِيكَ حِينَ غَنَيْتُ
[الطويل]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ
قَالَ: قَالَ لِي يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: كَانَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ إِذَا خَلَوْا
فَهُمَا أَخَوَانِ، وَإِذَا التَّقْيَا عِنْدَ خَلِيفَةٍ تَكَاشَحَا أَقْبَحَ تَكَاشَحٍ فَاجْتَمَعَا يَوْمًا عِنْدَ الْمُعْتَصِمِ؛
فَقَالَ لِإِسْحَاقَ: يَا إِسْحَاقُ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَثْلُبُكَ وَيَغْضُ مِنْكَ وَيَقُولُ: إِنَّكَ تَقُولُ: إِنَّ
مُخَارِقًا لَا يُحْسِنُ شَيْئًا وَيَتَضَاكُ مِنْكَ، فَقَالَ إِسْحَاقُ: لَمْ أَقُلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ
مُخَارِقًا لَا يُحْسِنُ شَيْئًا، وَكَيْفَ أَقُولُ ذَلِكَ وَهُوَ تَلْمِيزُ أَبِي وَتَخْرِيجُهُ وَتَخْرِيجِي، وَلَكِنْ
قُلْتُ: إِنَّ مُخَارِقًا يَمْلِكُ مِنْ صَوْتِهِ مَا لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ، فَيَتَزَايِدُ فِيهِ تَزَايِدًا لَا يُبْقِي عَلَيْهِ
وَيَتَغَيَّرُ فِي كُلِّ حَالٍ، فَهُوَ أَحْلَى النَّاسِ مَسْمُوعًا وَأَقْلَهُ نَفْعًا لِمَنْ يَأْخُذُ عَنْهُ، لِقَلَّةِ ثَبَاتِهِ
عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ. وَلَكِنِّي أَفْعَلُ السَّاعَةَ فِعْلًا إِنْ زَعَمَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّهُ يُحْسِنُهُ فَلَسْتُ أَحْسَنَ
شَيْئًا، وَإِلَّا فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَدَّعِي مَا لَيْسَ يُحْسِنُهُ. ثُمَّ أَخَذَ عَوْدًا فَشَوَّشَ أَوْتَارَهُ، ثُمَّ قَالَ
لِإِبْرَاهِيمَ: غَنِّ عَلَى هَذَا أَوْ يُغْنِي غَيْرُكَ وَتَضْرِبُ عَلَيْهِ، فَقَالَ الْمُعْتَصِمُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ
سَمِعْتُ، فَمَا عِنْدَكَ. قَالَ: لِيَفْعَلْهُ هُوَ إِنْ كَانَ صَادِقًا، فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: غَنِّ حَتَّى
أَضْرِبَ عَلَيْكَ فَأَبَى، فَقَالَ لِرُزْزُورٍ: غَنِّ فَغَنَّى وَإِسْحَاقُ يَضْرِبُ عَلَيْهِ حَتَّى فُرِغَ مِنْ
الصَّوْتِ مَا عَلِمَ أَحَدٌ أَنَّ الْعُودَ مُشَوَّشَ. ثُمَّ قَالَ: هَاتُوا عَوْدًا آخَرَ فَشَوَّشَهُ وَجَعَلَ كُلَّ

وَتَرَّ مِنْهُ فِي الشَّدَّةِ وَاللِّينِ عَلَى مِقْدَارِ الْعُودِ الْمَشْوُوشِ الْأَوَّلِ حَتَّى اسْتَوْفَى، ثُمَّ قَالَ لِرُزْزُورٍ: خُذْ أَحَدَهُمَا فَأَخْذَهُ، ثُمَّ قَالَ: انْظُرْ إِلَى يَدَيَّ وَاعْمَلْ كَمَا أَعْمَلُ وَاضْرِبْ فَفَعَلَ، وَجَعَلَ إِسْحَاقُ يُعْنِي وَيَضْرِبُ وَرُزْزُورٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَفْعَلُ كَمَا يَفْعَلُ، فَمَا ظَنَّ أَحَدٌ أَنَّ فِي الْعُودَيْنِ شَيْئاً مِنَ الْفَسَادِ لِصِحَّةِ نَعْمَهُمَا جَمِيعاً إِلَى أَنْ فُرِغَ مِنَ الصَّوْتِ. ثُمَّ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: خُذِ الْآنَ أَحَدَ الْعُودَيْنِ، فَاضْرِبْ بِهِ مَبْدَأً أَوْ عُمُودَ طَرِيقَةٍ أَوْ كَيْفَ شِئْتَ إِنَّ كُنْتُ تُحْسِنُ شَيْئاً، فَلَمْ يَفْعَلْ وَانْكَسَرَ انْكَسَاراً شَدِيداً، فَقَالَ لَهُ الْمُعْتَصِمُ: أَرَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا قَطُّ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ وَلَا ظَنَنْتُ أَنَّ مِثْلَهُ يَكُونُ.

حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي الْفَضْلُ قَالَ: دَعَانِي إِسْحَاقُ يَوْماً، فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ دَحْمَانَ وَعَلُويُّهُ وَحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ، فَمَرَّ لَنَا أَحْسَنُ يَوْمٍ؛ فَالتَقْتُ إِلَى إِسْحَاقَ ثُمَّ قَالَ: يَوْمُنَا هَذَا وَاللَّهِ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أَنْتَ وَاللَّهُ مِنَ الْأَيَّامِ لَدُنَّ الطَّرَفَيْنِ
كُلَّمَا قَلْبْتُ عَيْنِي فَنَفِي قُرَّةَ عَيْنِ
[مجزوء الرمل]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْماً عَلَى الْوَاتِقِ فَقَالَ لِي: يَا إِسْحَاقُ، إِنِّي أَصْبَحْتُ الْيَوْمَ قَرِماً^(١) إِلَى غَنَائِكَ فَعَنَّنِي، فَعَنَيْتُهُ:

مَنْ الطَّبَّاءِ طِبَاءُ هَمُّهَا السُّحُبُ تَرعى الْقُلُوبَ وَفِي قَلْبِي لَهَا عُشْبُ
لَا يَغْتَرِبْنَ وَلَا يَسْكُنَنَّ بَادِيَةً وَلَيْسَ يَدْرِيْنَ مَا ضَرَعُ وَلَا حَلَبُ
إِذَا يَدُ سَرَقَتْ فَالْقَطْعُ يَلْزِمُهَا وَالْقَطْعُ فِي سِرْقَةِ الْعَيْنَيْنِ لَا يَجِبُ^(٢)
[البسيط]

قَالَ: فَشَرِبَ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَبَعْضَ لَيْلَتِهِ، وَخَلَعَ عَلَيَّ خِلْعَةً مِنْ ثِيَابِهِ.

(١) قرم إلى اللحم. وباز قرم، وبه قرم شديد. وتقول: ليس من الشرف والكرم، عادة الشره والقرم.

(٢) البيتان الأول والثالث للشاعر ماني الموسوس، محمد بن القاسم أبو الحسن. شاعر من أهل مصر، قدم بغداد في العقد الأخير من القرن الثاني، واستقر بها حتى وفاته سنة ٢٤٥ هـ. واتصل بأبي النواس وأبي تمام والمبرد وأنشدهم بعض شعره، وذلك عند إقامته في مدينة السلام. وهو من الشعراء المنسيين الذين كاد يمحي ذكرهم من الأدب القديم لولا بعض الأخبار القليلة التي وردت في الأغاني، وماني هو لقبه. والموسوسون من الشعراء هم من يتشبهون بما ليس فيهم استظرافاً وتظرفاً أو تعبيراً عن موقف أو طلباً للرزق.

أخبرني محمد بن مَزِيد قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ الْوَاتِقِ إِلَى الصَّالِحِيَّةِ^(١) وَهُوَ يُرِيدُ النَّزْهَةَ، فَذَكَرْتُ بَغْدَادَ وَعِيَالِي وَأَهْلِي وَوَلَدِي بِهَا فَبَكَيْتُ، فَقَالَ لِي: بِحَيَاتِي أَذَكَرْتُ بَغْدَادَ فَبَكَيْتُ شَوْقاً إِلَيْهَا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، وَغَنَيْتُهُ:

صوت

وَمَا زِلْتُ أَبْكِي فِي الدِّيَارِ وَإِنَّمَا بُكَائِي عَلَى الْأَحْبَابِ لَيْسَ عَلَى الدَّارِ
[الطويل]

قال: فَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَصَرَفَنِي .

وأخبرني محمد بن مَزِيد بهذا الخبر عن حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ، وَحَدَّثَنِي بِهِ عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ عَنْ عَمِّهِ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ وَخَبْرُهُ أَتَمٌّ، قَالَ: مَا وَصَلَنِي أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ قَطُّ بِمِثْلِ مَا وَصَلَنِي بِهِ الْوَاتِقُ. وَلَقَدْ انْحَدَرْتُ مَعَهُ إِلَى النَّجَفِ^(٢)، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ قَلْتُ فِي النَّجَفِ قَصِيدَةً، فَقَالَ: هَاتِهَا، فَأَنْشَدْتُهُ:

يَا رَاكِبَ الْعَيْسِ لَا تَعْجَلْ بِنَا وَقِفْ نُحَيِّ دَاراً لِسُعْدَى ثُمَّ نَنْصَرِفْ
[البسيط]

حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِي:

لَمْ يَنْزِلِ النَّاسُ فِي سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ أَصْفَى هَوَاءً وَلَا أَعْدَى مِنَ النَّجَفِ^(٣)
حَفَّتْ بِبَرٍّ وَبَحْرٍ مِنْ جَوَانِبِهَا فَالْبُرُّ فِي طَرْفٍ وَالْبَحْرُ فِي طَرْفٍ
وَمَا يَزَالُ نَسِيمٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ يَأْتِيكَ مِنْهَا بَرِّيَا رَوْضَةً أَثْفِ
[البسيط]

فَقَالَ: صَدَقْتَ يَا إِسْحَاقُ، هِيَ كَذَلِكَ. ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِي فِي

مَدْحِهِ:

(١) الصالحية: محلة في بغداد تنسب إلى صالح بن المنصور المعروف بالسكين.

(٢) بالعراق بظهر الكوفة، وهو البساتين والمنتزهات التي يشرف الخورنق عليها، وذكر صاحب المنطق أن موضع البر قد يكون بحراً وموضع البحر قد يكون برأ، قال: وللمواضع شباب وهرم وحياة وموت كما في الحيوان، وقد كان البحر فيما سلف في الموضع المعروف بالنجف، وهو بالحيرة، وكانت ترفأ هناك سفن الهند والصين، ترد على ملوك الحيرة فصار بين الحيرة وبين البحر الآن مسيرة أيام كثيرة، ومن رأى النجف وأشرف عليه تبين ما وصفنا.

(٣) ورد البيت في القصيدة على الشكل التالي:

ما إن أَرَى النَّاسَ فِي سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ أَصْفَى هَوَاءً وَلَا أَعْدَى مِنَ النَّجَفِ

لا يحسبُ الجودُ يُفني ماله أبداً ولا يرى بذلَ ما يحوي من السرف^(١)
[البسيط]

ومَضِيَتْ فيها حتى أتممتُها، فَطَرَبَ وقال: أَحْسَنْتَ واللَّه يا أبا محمد، وكُنَّاني
يومئذٍ، وأمر لي بمائة ألف درهم؛ وانحدر إلى الصالحية التي يقول فيها أبو نُوَّاس:

بالصالحية من أكنافِ كَلْواذٍ^(٢)

فذكرت الصبيان وبغداد فقلت:

أَتَبْكِي على بغداد وهي قريبةٌ فَكَيْفَ إذا ما ازددتَ منها غداً بُعدا
لَعَمْرُكَ ما فارقتُ بغدادَ عن قلبي^(٣) لَوْ أَنَا وجدنا عن فراقٍ لها بُداً
إذا ذكرتُ بغدادَ نفسي تقطعتُ من الشوقِ أو كادتُ تموتُ بها وجدا
كفى حَزْناً أن رُحْتُ لم أستطع لها وداعاً ولم أُحدِثْ بساكنها عهداً
[الطويل]

قال: فقال لي: يا موصلي، إشتقتُ إلى بغداد؟ فقلت: لا واللَّه يا أمير
المؤمنين، ولكن من أجل الصبيان، وقد حضرني بيتان، فقال: هاتهما، فأنشدته:

حَنَنْتُ^(٤) إلى الأَصْيَبِيَّةِ الصُّغارِ وشاقتُ منهم قُربُ المَزارِ
وأبرحُ ما يكون الشوقُ يوماً إذا دَنَّتِ الدِّيَارُ من الدِّيَارِ^(٥)
[الوافر]

فقال لي: يا إسحاق، صِرْ إلى بغداد فأقيم مع عيالك شهراً ثم صِرْ إلينا، وقد
أمرتُ لك بمائة ألف درهم.

[الواثق يباريه في التلحين]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال أخبرني أبي قال: لَمَّا صَنَعَ الواثق لحنه في:

أَيَا مُنْشِرِ المَوْتِ أَقْدَنِي من التي بها نَهَلْتُ^(٦) نفسي سَقاماً وَعَلَّتِ^(٧)

(١) السرف: مجاوزة الحد من النفقة.

(٢) مدينة كانت قرب بغداد من ناحية الجانب الشرقي منها.

(٣) القلي: التملل أو الطرد أو الكره. (٤) ورد في بعض المصادر «طربت» بدل «حننت».

(٥) ورد البيت الثاني في بعض المصادر على الشكل التالي:

وكلُّ مسافرٍ يزدا شوقاً إذا دَنَّتِ الدِّيَارُ من الدِّيَارِ

(٦) النهل: الشرب الأول.

(٧) العلل: الشرب الثاني.

لَقَدْ بَخِلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا قَذَى الْعَيْنِ مِنْ سَافِي التَّرَابِ لَضُنَّتِ
[الطويل]
أَعْجَبَ بِهِ إِعْجَاباً شَدِيداً، فَوَجَّهَ بالشعر إلى إسحاق الموصلي وأمره أن يُغني
فيه، فصنع فيه لحنه الثقيل الأول، وهو من أحسن صنعة إسحاق، فلما سمعه الوراق
عَجِبَ مِنْهُ وَصَغُرَ لَحْنُهُ فِي عَيْنِهِ، وَقَالَ: مَا كَانَ أَغْنَانَا أَنْ نَأْمُرَ إِسْحَاقَ بِالصَّنْعَةِ فِي هَذَا
الشعر، لَأَنَّهُ قَدْ أَفْسَدَ عَلَيْنَا لَحْنَنَا. قَالَ عَلِيٌّ بْنُ يَحْيَى قَالَ إِسْحَاقُ: مَا كَانَ يَحْضُرُ
مَجْلِسَ الْوَائِقِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِهَذَا الشَّانِ.

نسبة هذين الصوتين

صوت

أَيَا مُنْشِرَ الْمَوْتِ أَقْدَنِي مِنَ التِّي بِهَا نَهَلْتُ نَفْسِي سَقَاماً وَعَلَّتِ
لَقَدْ بَخِلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا قَذَى الْعَيْنِ مِنْ سَافِي التَّرَابِ لَضُنَّتِ
[الطويل]
الشعرُ لأعرابي، والغناء للوائق ثاني ثقيل في مجرى البنصر. وفيه لمخارق
رَمَلٌ، وَلِعَرِيبَ رَمَلٌ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْسُبُ هَذَا الشَّعْرَ إِلَى كَثِيرٍ، وَهُوَ خَطَأٌ مِنْ قَائِلِهِ:
أُنْشَدَنِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ عَمِّي قَالَ: أُنْشَدَنِي هَارُونَ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ يَحْيَى، وَأُنْشَدَنِيهَا
عَلِيٌّ بْنُ هَارُونَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ إِسْحَاقَ أَنَّهُ أَنْشَدَهُ لِأَعْرَابِي فَقَالَ:
أَلَا قَاتَلَ اللَّهَ الْحَمَامَةَ غُدُوَّةً عَلَى الْغُصْنِ مَاذَا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتِ
تَعَنَّتْ بِصَوْتٍ أَعْجَمِيٍّ فَهَيَّجَتْ مِنْ الشَّوْقِ مَا كَانَتْ ضُلُوعِي أَجَنَّتِ^(١)
[الطويل]^(٢)

غَنَّى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى.

فَلَوْ قَطَرْتُ عَيْنُ أَمْرٍ مِنْ صَبَابَةٍ دَمَاءٌ قَطَرَتْ عَيْنِي دَمَاءً فَالَمَّتِ
فَمَا سَكَتَتْ حَتَّى أُوَيْتُ لِصَوْتِهَا وَقُلْتُ تُرَى هَذَا الْحَمَامَةُ جُنَّتِ

(١) ورد البيت الثاني في بعض المصادر على الشكل التالي:

تَعَنَّتْ بِلَحْنٍ أَعْجَمِيٍّ فَهَيَّجَتْ هَوَايَ الَّذِي بَيْنَ الضُّلُوعِ أَجَنَّتِ

(٢) الشعر لمجنون ليلي، وهو قيس بن الملوح بن مزاحم العامري. شاعر غزل، من المتيمين، من أهل نجد. لم يكن مجنوناً وإنما لقب بذلك لهيامه في حب ليلي بنت سعد التي نشأ معها إلى أن كبرت وحجبها أبوها، فهام على وجهه بنشد الأشعار ويأنس بالوحوش، فيرى حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في الحجاز، إلى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت فحمل إلى أهله سنة ٦٨هـ.

ولي زفراث لو يدمن قتلني
 إذا قلت هذي زفرة اليوم قد مضت
 فيا محيي الموتى أقذني من التي
 لقد بخلت حتى لو أني سألتها
 فقلت ارحلا يا صاحبي فليتنني
 حلفت لها بالله ما أم واحد
 وما وجد أعرابية قدفت بها
 إذا ذكرت ماء العضاه^(١) وطيبه
 بأكثر مني لوعة غير أنني
 وأما لحن إسحاق فإنه غنى في:

لقد بخلت حتى لو أني سألتها

وأضاف إليه شيئاً آخر وليس من ذلك الشعر، وهو:

فإن بخلت فالبخل منها سجيئة وإن بذلت أعطت قليلاً وأكدت^(٥)
 [الطويل]

قال: ولحنه ثقیل أول بالسبابة في مجرى الوسطى.

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى الصوليّ قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
 الْمَهْلَبِيُّ، وَحَدَّثَنِي بِهِ عَمِّي عَنْ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ دِهْقَانَ النَّدِيمِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ الْوَائِقُ
 إِذَا صَنَعَ صَوْتًا قَالَ لِإِسْحَاقَ: هَذَا وَقَعَ إِلَيْنَا الْبَارِحَةَ فَاسْمِعْهُ، فَكَانَ رُبَّمَا أَصْلَحَ فِيهِ
 الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ. فَكَادَهُ مَخَارِقُ عِنْدَهُ وَقَالَ لَهُ: إِنَّمَا يَسْتَجِيدُ صُنْعَتَكَ إِذَا حَضَرَ
 لِيُقَارِبَكَ وَيَسْتَخْرِجَ مَا عِنْدَكَ، فَإِذَا فَارَقَ حَضْرَتَكَ قَالَ فِي صُنْعَتِكَ غَيْرَ مَا تَسْمَعُ؛ قَالَ

(١) العضاه: من شجر الشوك كالطلح والعوسج حتى ينبؤ والسدر، يقال: هي من العضاه ونحوها
 ممّا كان له أرومة تبقى على الشتاء.

(٢) نزلوا في خبت من الأرض وخبوت وهي البطون الواسعة المطمئنة، وأخبت القوم: صاروا في
 الخبت مثل أصحروا.

(٣) أرنت: صاحت مع البكاء والعيول من الحزن.

(٤) أجمجم: أخفي شيئاً في صدري.

(٥) ناقة كدود: لا ينال درها وخيره إلا بعد عسر. وكان ابن هبيرة يقول: كدوني فإني مكذأي سلوني
 فإني أعطي على السؤال.

الواثق: فأنا أحبُّ أن أقفَ على ذلك، فقال له مُخارق: فأنا أَعْنِيهِ «أيا منشِر الموتى» فإنه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد؛ قال: فافعل. فلَمَّا دَخَلَ إِسْحاقُ غَنَّاهُ مُخارق وتَعَمَّدَ لأن يفسده بجهدِهِ، وفعل ذلك في مواضع خَفِيَّةٍ لم يعلمها الواثق من قِسْمَتِهِ، فلَمَّا غَنَّاها قال له الواثق: كيف تَرى هذا الصوت؟ قال له: فاسِدٌ غير مَرَضِيٍّ، فأمرَ به فَسَحَبَ من المجلس حتى أخرج عنه، وأمر بنفيه إلى بغداد. ثم جرى ذكره يوماً. فقالت له فريدة: يا أمير المؤمنين، إنَّما كاده مخارق فأفسد عليه الصوتَ من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نَعَمًا وجودةً، وإسحاق يأخذُ نَفْسَهُ بقول الحق في كل شيء ساءه أو سره، ويفهم من غامضِ علل الصنعة ما لا يفهمه غيره، فليُحْضِرْهُ أمير المؤمنين ويُحْلِفْهُ بغليظ الإيمان أن يَصْدُقَهُ عما يسمع، وأُعْنِيهِ إياه حتى يقف على حقيقة الصوت؛ فإن كان فاسِداً فَصَدَقَ عنه لم يكن عليه عتب، ووافقناه عليه حتى يستوي، فليس يجوز أن نَتْرُكَهُ فاسِداً إذا كان فيه فساد؛ وإن كان صحيحاً قال فيه ما عنده، فأمرَ بالكتاب بِحَمْلِهِ فَحْمِلَ وأُحْضِرَ، فأظهر الرِّضا عنه ولزمه أيَّاماً، ثم أحلفه لِيَصْدُقَنَّ عما يَمُرُّ في مجلسه فَحَلَفَ له. ثم عَنَى الواثقُ أصواتاً يسأله عنها أجمع فيُخْبِرُ فيها بما عنده، ثم عَنَّتْهُ فريدةُ هذا الصوتَ وسأله الواثق عنه، فَرَضِيهِ واستجاده، وقال له: ليس على هذا سَمْعَتُهُ في المَرَّةِ الأولى، وأبان عن المواضع الفاسدة وأخبر بإفساد مُخارق إياها، فَسَكَنَ غَضَبُهُ ووَصَلَ إِسْحاقُ وتَنَكَّرَ لِمُخارقِ مدَّة.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ المَدِينِيُّ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ قال: حَدَّثَنِي إِسْحاقُ المَوْصَلِيُّ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى إِسْحاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الطَّاهِرِيِّ، وَقَدْ كَانَ تَكَلَّمَ لَهُ فِي حَاجَةٍ فَقُضِيَتْ، فَقَالَ لَهُ: أَعْطَاكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ أُمْنِيَّةً وَلَا تَبْلُغُهُ رَغْبَةً. قال: فاشتَهَى هذا الكلامَ واستعاده مِنِّي فَأَعَدَّتْهُ. ثم مكثنا ما شاء الله، وأرسل الواثق إلى محمد بن إبراهيم^(١) يأمره بإخراجي إليه في الصوت الذي أمرني به بأن أغني فيه، وهو:

لَقَدْ بَخِلْتُ حَتَّى لَوَأْنِي سَأَلْتُهَا

فَعَنِّيَتْهُ إِيَّاهُ، فَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَخَرَجْتُ وَأَقَمْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ مُعَنِّيهِمْ يَقْدِرُ أَنْ يَأْخُذَ هَذَا الْغِنَاءَ مِنِّي. فلَمَّا طَالَ مُقَامِي قُلْتُ له: يا أمير المؤمنين، لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُعَنِّيْنَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْخُذَ هَذَا الصَّوْتَ مِنِّي؛ فَقَالَ لِي: وَلِمَ؟ وَيَحْكُ!

(١) هو محمد بن إبراهيم بن مصعب بن زريق أخو إسحاق بن إبراهيم الطاهري، وكان من القواد الكبار في أيام المعتصم والواثق والمتوكل قتل في خلافة المتوكل سنة ٢٣٦هـ.

فَقُلْتُ: لَأَنِّي لَا أَصَحِّحُهُ وَلَا تَسْخُو نَفْسِي بِهِ لَهُمْ، فَمَا فَعَلْتَ الْجَارِيَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنِّي؟ (يعني شجاً، وهي التي كان أهداها إلى الواثق وعمل مجرّد أغانيها وجنّسه ونسبه إلى شعرائه ومُعَنِّيّه، وهو الذي في أيدي الناس إلى اليوم)؛ فقال: وكيف. قال: لأنها تأخذه مني ويأخذونه هم منها، فأمرَ بها فأخرجت وأخذته على المكان، فأمر لي بمائة ألف درهم وأذن لي في الانصراف، وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ حاضراً، فَقُلْتُ للواثق عند وداعي له: أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِطْ به أُمْنِيَّةً ولم تبلغه رغبة، فالتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي: أي إسحاق أتُعِيدُ الدعاء! فَقُلْتُ: إي والله أُعيدُهُ قاضٍ أنا أو مغنٍ. وقَدِمْتُ بغداد، فلمّا وافى إسحاق جئته مُسَلِّماً عليه؛ فَقَالَ لي: ويحك يا إسحاق! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده؟ قُلْتُ: لا أيها الأمير؛ قال: قال لي: ويحك! كُنَّا أَغْنَى الناس عن أن نبعث إسحاق على لحننا حتى أفسده علينا. قال عليّ بن يحيى: فَحَدَّثَنِي إسحاق قال: استأذنتُ الواثق عدة دفعات في الانحدار إلى بغداد فلم يأذن لي، فَصَنَعْتُ لحناً في:

خَلِيلِي عُوجاً مِنْ صَدُورِ الرِّوَا حِلِّ

ثم غَنَيْتُهُ الواثقَ فاستحسنه وعجب من صِحَّةِ قِسْمَتِهِ وَمُكْثِ صَوْتِهِ أَيَّاماً، ثم قال لي: يا إسحاق، قد صَنَعْتُ لحناً في صوتك في إيقاعه وطريقته، وأمر من وراء السّتارة فغنّوه فَقُلْتُ: قد والله يا أمير المؤمنين بَغَضْتُ إِلَيَّ لَحْنِي وَسَمَّجَتُهُ عِنْدِي، وقد كُنْتُ استأذنتُهُ في الانحدار إلى بغداد فلم يأذن لي، فلمّا صَنَعَ هَذَا اللَّحْنَ وَقُلْتُ لَهُ مَا قُلْتُ، أَتَبِعْتُهُ بِأَن قُلْتُ لَهُ: قد والله يا أمير المؤمنين اقْتَصَصْتُ مِنِّي فِي «لَقَدْ بَخَلْتُ» وَزِدْتُ؛ فأذن لي بعد ذلك.

نسبة هذا الصوت

صوت

خَلِيلِي عُوجاً مِنْ صَدُورِ الرِّوَا حِلِّ بَجَرَعَاءِ^(١) حُزْوَى^(٢) فَابِكِيَا فِي الْمَنَازِلِ
لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ
[الطويل]

(١) الجَرَعَاءُ من الأرض: ذات حزونة تُشْفِي عليها الرياح فتغشّيها، وإذا كانت صغيرة فاسمها الجرعة وجمعها جراع. وإذا كانت واسعة جداً فهي أجرع كله، ويجمع أجارع.

(٢) موضع بنجد من ديار تميم.

الشعر لذي الرُّمة، والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى في البيتين. وللواثق في البيت الثاني وحده رَمَلٌ بالنصر.

أخبرني أحمد بن عَمَّار قال: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ نُعَيْمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي كَثِيرُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الْجَزَامِيُّ الْكُوفِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ جَوَّاسِ الْحَنْفِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ قَالَ: كُنْتُ إِذَا أَصَابْتَنِي الْمَصِيبَةُ تَصَبَّرْتُ وَأَمْسَكْتُ عَنِ الْبَكَاءِ، فَأَجِدُ ذَلِكَ يَشْتَدُّ عَلَيَّ، حَتَّى مَرَزْتُ ذَاتَ يَوْمٍ بِالْكُنَاسَةِ^(١)، فَإِذَا أَنَا بِأَعْرَابِيٍّ وَقَفٍ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ وَهُوَ يُنْشِدُ:

خَلِيلِي عُوجًا مِنْ صَدُورِ الرِّوَا حِلِّ بَجَرِ عَاءِ حُزْوَى فَابْكِيَا فِي الْمَنَازِلِ
لَعَلَّ أَنْجِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ
[الطويل]

فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي: هَذَا ذُو الرُّمَّةِ فَكُنْتُ بَعْدَ إِذَا أَصَابْتَنِي مَصِيبَةٌ بَكَيتُ فَأَجِدُ لَذَلِكَ رَاحَةً؛ فَقُلْتُ: قَاتِلِ اللَّهَ الْأَعْرَابِيَّ! مَا كَانَ أَعْلَمَهُ وَأَفْصَحَ لَهْجَتَهُ.

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه قال: قُلْتُ لِإِسْحَاقَ: أَيُّمَا أَجُودُ، لَحْنُكَ فِي «خَلِيلِي عُوجًا»، أَمْ لَحْنُ الْوَائِقِ؟ فَقَالَ: لَحْنِي أَجُودُ قِسْمَةً وَأَكْثَرُ عَمَلًا، وَلَحْنُهُ أَطْرَبُ، لِأَنَّهُ جَعَلَ رَدَّتَهُ مِنْ نَفْسِ قِسْمَتِهِ، وَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى أَدَائِهِ إِلَّا مَتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِهِ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى: فَتَأَمَّلْتُ اللَّحْنَيْنِ بَعْدَ ذَلِكَ فَوَجَدْتُهُمَا كَمَا ذَكَرَ إِسْحَاقُ. قَالَ: وَقَالَ لِي إِسْحَاقُ: مَا كَانَ بِحَضْرَةِ الْوَائِقِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِالْغِنَاءِ.

أخبرني عليّ بن هارون قال: كَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْمَعْتَزِ يَخْلُفُ أَنَّ الْوَائِقَ ظَلَمَ نَفْسَهُ فِي تَقْدِيمِهِ لَحْنَ إِسْحَاقَ فِي «لَقَدْ بَخَلْتُ». قَالَ: وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَلَّمَا غُنِّيَ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ بِلَحْنَيْنِ فَسَقَطَ أَجُودُهُمَا وَشَهَرُ الدُّونِ، وَلَا يُشْهَرُ مِنَ اللَّحْنَيْنِ إِلَّا أَجُودُهُمَا، وَلَحْنُ الْوَائِقِ أَشْهَرُهُمَا، وَمَا يَرُوي لَحْنَ إِسْحَاقَ إِلَّا الْعَجَائِزُ وَمَنْ كَثُرَتْ رَوَايَتُهُ.

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ عَنْ ابْنِ الْمَكِيِّ الْمُرْتَجِلِ عَنْ أَبِيهِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: كَانَ الْوَائِقُ يَعْزُضُ صَنْعَتَهُ عَلَى إِسْحَاقَ فَيُصْلِحُ فِيهَا الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ.

أخبرنا حسين بن يحيى عن حمَّاد: أَنَّ آخِرَ صَوْتِ صَنْعَةِ أَبِيهِ: «لَقَدْ بَخَلْتُ»، ثُمَّ مَا صَنَعَ شَيْئًا حَتَّى مَاتَ.

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزَاعِيّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ عَمْرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ: دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ سُرًّا مِنْ رَأْيٍ - وَكَانَ يُكْنَى أَبَا الْقَنَافِذِ - فَحَضَرَ

(١) الكُنَاسَةُ: محلة بالكوفة.

باب المعتصم مع الشعراء فَأَذِنَ لَهُ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَنْشَدَهُ:

مِرَاضُ الْعَيُونِ خِمَاصُ الْبَطُونِ طَوَالَ الْمَتُونِ قِصَارُ الْخُطَا
عِتَاقُ النُّحُورِ^(١) دِقَاقُ الثُّغُورِ لَطَافُ الْخُصُورِ خِدَالُ^(٢) الشَّوَى
عَطَابِيلُ^(٣) مِنْ كُلِّ رَقْرَاقَةٍ^(٤) تَلَوْتُ الْإِزَارَ بِدِعْصِ^(٥) النَّقَا
إِذَا هُنَّ مَنِّيَنَّا نَائِلًا أَبَى الْبُخْلُ مِنْهُنَّ ذَاكَ الْمُنَى
إِلَى النَّفْرِ الْبَيْضِ أَهْلُ الْبِطَاحِ وَأَهْلُ السَّمَاكِ طَلَبْنَا النَّدَى
لَهُمْ سَطَوَاتُ إِذَا هُيَّجُوا وَحِلْمٌ إِذَا الْجَهْلُ حَلَّ الْحَبَا^(٦)
يَبِينُ لَكَ الْخَيْرُ فِي أَوْجِهِ لَهُمْ كَالْمَصَابِيحِ تَجْلُو الدُّجَى
سَعَى النَّاسُ كِي يُذَكَّرُوا فَضْلَهُمْ فَقَصَّرَ عَنْ سَعِيهِمْ مَنْ سَعَى
سَعَى لِلْخَلَافَةِ فَاقْتَادَهَا وَبَرَزَ فِي السَّبْقِ لَمَّا جَرَى
[المتقارب]

قال: فاستحسنها الْمُعْتَصِمُ وأمرني فَعَنَيْتُ فيها، وأمرَ للأعرابيِّ بعشرين ألفَ درهمٍ ولي بثلاثين ألفَ درهمٍ، وما خَرَجَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ.

حَدَّثَنِي عَمِّي قال: حَدَّثَنِي فَضْلُ الْيَزِيدِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ قال: كَتَبْتُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ أَطْلُبُ مِنْهُ نَبِيذًا، فَبَعَثَ إِلَيَّ جُمَانًا بِمَا التَّمَسْتُ، وَكُتِبَ إِلَيَّ: قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِشَرَابٍ أَصْلَبَ مِنَ الصَّخْرِ، وَأَعْتَقَ مِنَ الدَّهْرِ، وَأَصْفَى مِنَ الْقَطْرِ.

[مكايده عبد الله بن طاهر له]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قال: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَشَامِيُّ عَنْ أَحْمَدَ الْمَكِّيِّ قال: لَمَّا صَنَعَ إِسْحَاقُ لِحَنَّهُ فِي الرَّمْلِ.

(١) عتاق النحور: جميلاتها.

(٢) الخدل: امرأةٌ خَدَلَاءُ بَيْنَةَ الْخَدَلِ وَالْخَدَالَةِ، وَهِيَ الْمَمْتَلِئَةُ السَّاقِينَ وَالذَّرَاعِينَ. وَكَذَلِكَ الْخِذْلَمُ بِالْكَسْرِ، وَالْمِيمُ زَائِدَةٌ. وَيُقَالُ: مُخْلَخِلُهَا خَدَلٌ، أَيْ ضَخْمٌ.

(٣) عطبل: العُطْبُولُ مِنَ النِّسَاءِ: الْحَسَنَةُ النَّامَةُ. وَقَالَ:

إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي قَتَلَ بِيضَاءَ حُرَّةٍ عَطْبُولِ
وَالْجَمْعُ الْعَطَابِيلُ وَالْعَطَابِلُ.

(٤) قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الرَّقْرَاقَةُ: الْمَرْأَةُ الَّتِي كَأَنَّ الْمَاءَ يَجْرِي فِي وَجْهِهَا وَقَالَ غَيْرُهُ: جَارِيَةٌ رَقْرَاقَةُ الْبَشَرَةِ: بَرَّاقَةُ الْبَيَاضِ.

(٥) الدعص: كَثِبَ الرَّمْلَ الْمُجْتَمِعَ.

(٦) الحبا: جَمْعُ حَبْوَةٍ وَهُوَ الثَّوْبُ الَّذِي يَحْتَبِي بِهِ.

أَمَاوِيٍّ^(١) إِنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحُ وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا يُرِيدُ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفَرُ
[الطويل]

وهو رملٌ نادرٌ، ابتداءه صياح، ثم لا يزال ينزل على تدريج حتى يقطعه على
سجحة، وكان كثير الملازمة لعبد الله بن طاهر، ثم تخلف عنه مدةً وذلك في أيام
المأمون، فقال عبد الله للميسر جاريته: خُذي لحنَ إسحاق في:

أَمَاوِيٍّ إِنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحُ

فاخلعيه على:

وَهَبْتُ شَمَالَ آخِرَ اللَّيْلِ قَرَّةً^(٢) وَلَا ثَوْبَ إِلَّا بُرْدُهَا وَرَدَائِيَا
[الطويل]

وَأَلْقِيهِ عَلَى كُلِّ جَارِيَةٍ تَعْلَمُهَا وَاشْهَرِيهِ وَأَلْقِيهِ عَلَى مَنْ يُجِيدُهُ مِنْ جَوَارِي زُبَيْدَةَ،
وقولي: أَخَذْتُهُ مِنْ بَعْضِ عَجَائِزِ الْمَدِينَةِ، فَفَعَلْتُ، وَشَاعَ أَمْرُهُ حَتَّى غُنِّيَ بِهِ بَيْنَ يَدَيِ
المأمون، فقال المأمون للجارية: مِمَّنْ أَخَذْتَ هَذَا؟ فَقَالَتْ: مِنْ دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ
مَنْ لَمِيسَرٍ جَارِيَتِهِ، وَأَخْبَرْتَنِي أَنَّهَا أَخَذْتُهُ مِنْ بَعْضِ عَجَائِزِ الْمَدِينَةِ. فقال المأمون
لإسحاق: ويلك! قد صرْتَ تَسْرِقُ الْغَنَاءَ وَتَدْعِيهِ، اسْمَعْ هَذَا الصَّوْتِ، فَسَمِعَهُ فَقَالَ:
هَذَا وَحْيَاتِكَ لِحْنِي، وَقَدْ وَقَعَ عَلَيَّ فِيهِ نَقَبٌ مِنْ لَصٍّ حَازِقٍ، وَأَنَا أَغْوَصُ عَلَيْهِ حَتَّى
أَعْرِفَهُ، ثُمَّ بَكَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فَقَالَ: أَهَذَا حَقِّي وَحُرْمَتِي وَخِدْمَتِي! تَأْخُذْ لَمِيسَرَ
لِحْنِي فِي:

أَمَاوِيٍّ إِنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحُ

فَتُعَنِّيهِ فِي: « وَهَبْتُ شَمَالَ »! وليس بي ذلك، ولكن بي أَنَّهَا فَضَحْتَنِي عِنْدَ
الْخَلِيفَةِ وَادَّعَتْ أَنَّهَا أَخَذْتُهُ مِنْ بَعْضِ عَجَائِزِ الْمَدِينَةِ، فَضَحَكَ عَبْدُ اللَّهِ وَقَالَ: لَوْ كُنْتُ
تُكْثِرُ عِنْدَنَا كَمَا كُنْتَ تَفْعَلُ لَمْ تُقَدِّمِ عَلَيَّ لَمِيسَرَ وَلَا غَيْرَهَا، فَاعْتَذَرَ فَقِيلَ عُذْرُهُ، وَقَالَ
لَهُ: أَيُّ شَيْءٍ تَرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ تُكَذِّبَ نَفْسَهَا عِنْدَ مَنْ أَلْقَتْهُ عَلَيْهَا حَتَّى يَعْلَمَ الْخَلِيفَةُ
بِذَلِكَ؛ قَالَ: أَفْعَلْ؛ وَمَضَى إِسْحَاقُ إِلَى الْمَأْمُونِ وَأَخْبَرَهُ الْقِصَّةَ، فَاسْتَكْشَفَهَا مِنْ لَمِيسَرَ
حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ يَعْثُبُ بِإِسْحَاقَ بِذَلِكَ مَدَّةً.

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي شَهَوَاتُ

(١) هو نداء يخاطب فيه الشاعر حاتم الطائي ماوية بنت حجر وقد خطبها حاتم إلى أهلها.

(٢) قرّة: باردة.

الصَّنَاجَةُ الَّتِي كَانَ إِسْحَاقُ، أَهْدَاهَا إِلَى الْوَاتِقِ: أَنَّ مُحَمَّدًا الْأَمِينَ لَمَّا غَنَّاهُ إِسْحَاقُ لَحْنَهُ
الَّذِي صَنَعَهُ فِي شَعْرِهِ وَهُوَ الثَّقِيلُ الْأَوَّلُ:

صوت

يَا أَيُّهَا الْقَائِمُ الْأَمِينُ فَدَثْ نَفْسَكَ نَفْسِي بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ
بَسَطْتَ لِلنَّاسِ إِذْ وَلِيْتَهُمْ يَدًا مِنَ الْجُودِ فَوْقَ كُلِّ يَدٍ
[المنسرح]

فَأَمَرَ لَهُ بِالْفِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ، فَرَأَيْتُهَا قَدْ وَصَلَتْ إِلَى دَارِهِ يَحْمِلُهَا مَائَةُ فَرَّاشٍ.

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ
أَبِيهِ قَالَ: غَنِّيْتُ الْوَاتِقَ:

صوت

عَفَا طَرَفُ^(١) الْقُرْبَةِ فَالْكَثِيبُ إِلَى مَلْحَاءٍ لَيْسَ بِهَا عَرِيبُ
تَأَبَّدَ رَسْمُهَا وَجَرَى عَلَيْهَا سَوَافِي الرِّيحِ وَالتُّرْبُ الْعَرِيبُ
[الوافر]

- وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ ثَانٍ - قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا إِسْحَاقُ، قَدْ أَحْسَنَ ابْنُ هَرْمَةَ فِي الْبَيْتَيْنِ،
فَأَيُّ شَيْءٍ هُوَ أَحْسَنُ فِيهِمَا مِنْ جَمِيعِهِمَا؟ قَالَ: قُلْتُ: قَوْلُهُ: «التُّرْبُ الْعَرِيبُ»، يَرِيدُ
أَنَّ الرِّيحَ جَاءَتْ إِلَى الْأَرْضِ بِتُرَابٍ لَيْسَ مِنْهَا وَهُوَ غَرِيبٌ جَاءَتْ بِهِ مِنْ مَوْضِعٍ بَعِيدٍ؛
فَقَالَ: صَدَقْتَ وَأَحْسَنْتَ، وَأَمَرَ لِي بِخَمْسِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحَرُونَ
قَالَ: كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ الْمُدَبِّرِ، فَغَنَّاهُ مُعَنَّ كَمَا كَانَ عِنْدَهُ لَحْنُ إِسْحَاقَ:

فَأَصْبَحْتُ كَالْحُومَانِ^(٢) يَنْظُرُ حَسْرَةً إِلَى الْمَاءِ عَطْشَانًا وَقَدْ مُنِعَ الْوَرْدُ
[الطويل]

وَقَالَ ابْنُ الْمُدَبِّرِ: زِدْ فِيهِ:

وَأَمْسَيْتُ كَالْمَسْلُوبِ مَهْجَةً نَفْسِهِ يَرَى الْمَوْتَ فِي صَدِّ الْحَبِيبِ إِذَا صَدَّا
[الطويل]

(١) ورد في بعض المصادر «رسم» بدل «طرف».

(٢) الحومان: العطشان.

لحنُ إسحاق في هذا البيت من الثقل الأول بإطلاقِ الوتر في مجرى البنصر .

حَدَّثَنِي الْأَخْفَشُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْأَزْدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ وَلَدِ الْمَهَلَّبِ قَالَ : دَخَلَ مِرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ يَوْمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ ، فَجَعَلَا يَتَحَدَّثَانِ إِلَى أَنْ أَنْشَدَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ مِرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ لِنَفْسِهِ :

إِذَا مُضِرُّ الْحَمْرَاءِ^(١) كَانَتْ أُرُومَتِي وَقَامَ بِنَصْرِي خَازِمٌ وَابْنُ خَازِمٍ^(٢)
عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شَامِخٍ وَتَنَاوَلْتُ يَدَايِ الثُّرَيَّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ
[الطويل]

قال : وجعل إبراهيم يُحَدِّثُ مِرْوَانَ وهو عنه ساهٍ مشغولٍ ، فقال له : مالك لا تجيبني ؟ قال : إِنَّكَ وَاللَّهِ لَا تَدْرِي مَا أَفْرَغَ ابْنُكَ هَذَا فِي أُذُنِي .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ جَحْظَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ بَشْرٍ قَالَ : كُنْتُ مَعَ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ فِي نَزْهَةٍ ، فَمَرَّ بَنَا أَعْرَابِي ، فَوَجَّهَ إِسْحَاقُ خَلْفَهُ بَغْلَامِهِ زِيَادٍ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

وَقُولَا لِسَاقِينَا زِيَادٍ يُرْقِئُهَا فَقَدْ هَدَّ بَعْضَ الْقَوْمِ سَقْيُ زِيَادٍ
[الطويل]

قال : فوافانا الأعرابي ، فَلَمَّا شَرِبَ وَسَمِعَ حَنِينَ الدَّوَالِبِ قَالَ :

بَكَرَتْ تَحْنٌ وَمَا بِهَا وَجْدِي وَأَجْنُ مِنْ وَجْدٍ إِلَى نَجْدٍ
فَدُمُوعُهَا تَحْيَا الرِّيَاضُ بِهَا وَدُمُوعُ عَيْنِي أَقْرَحَتْ خَدِّي
وَبَسَاكِنِي نَجْدٍ كَلِفْتُ وَمَا يُغْنِي لِهَمِّ كَلْفِي وَلَا وَجْدِي
لَوْ قِيسَ وَجْدُ الْعَاشِقِينَ إِلَى وَجْدِي لَزَادَ عَلَيْهِ مَا عِنْدِي
[أخذ الكامل]

قال : فما انصرف إسحاق إلى بيته إِلَّا محمولا سُكْرًا ، وما شَرِبَ إِلَّا على هذه الأبيات . والغناء فيها لإسحاق هَزَجٌ بالبنصر .

أخبرني محمد بن مَزَيْدٍ والحسين بن يحيى عن حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سَعْدٍ عن محمد بن عبد الله عن

(١) أعطى اللقب لمضر لأن أباهم لما اقتسم هو وربيعه الميراث أعطى مضر الذهب وربيعه الخيل ، فقليل لهذا: مضر الحمراء ، ولذلك ربعة الفرس .

(٢) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي :

إِذَا كَانَتِ الْأَحْرَارُ أَصْلِي وَمَنْصَبِي وَدَافَعُ ضَيْمِي خَازِمٌ وَابْنُ خَازِمٍ

إسحاق قال: دَخَلْتُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ وَهُوَ عَلَى بَسَاطِ سُوسَنْجَرْدِي^(١) سَتِينِي مُذْهَبٌ يَلْمَعُ عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ: «مِمَّا أَمَرَ بِصَنْعَتِهِ حَمَّادُ عَجْرَدٍ»، فَقَالَ لِي: أَتَدْرِي مَنْ حَمَّادُ عَجْرَدٍ؟ قُلْتُ: لَا؛ قَالَ: حَمَّادُ عَجْرَدٍ، كَانَ وَالِي تَلْكَ النَّاحِيَةِ؛ أَفَرَأَيْتَ مِثْلَهُ قَطُّ؟ قُلْتُ: لَا، فَسَكَتَ ثُمَّ قَلْتُ: أَهَكَذَا يَفْعَلُ النَّاسُ؟ قَالَ: أَيْ شَيْءٍ يَفْعَلُونَهُ؟ قُلْتُ: تَهَبُّهُ لِي، قَالَ: لَا أَفْعَلُ، قُلْتُ: إِذَا أَغْضَبُ، قَالَ: مَا شِئْتُ أَفْعَلُ، فَخَرَجْتُ مُتَغَاضِبًا، فَلَمَّا وَافَيْتُ مَنْزِلِي إِذَا بِرَسُولِهِ قَدْ لَحِقَنِي بِالْبَسَاطِ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ بَيْتَيْنِ لِحَمْزَةِ بْنِ مُضَرٍّ:

وَلَقَدْ عَدَدْتُ فَلَسْتُ أَحْصِي كُلَّ مَا قَدْ نِلْتُ مِنْكَ مِنَ الْمَتَاعِ الْمُونِقِ
بِخَدِيعَتِي فَأَرَاكَ مُنْخَدِعًا لَهَا وَفُكَاهَتِي وَتَغَضُّبِي وَتَمَلُّقِي
[الكامل]

- قال ابن أبي سعد في خبره: - فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ ضَحِكَ وَقَالَ لِي: الْبَيْتَانِ خَيْرٌ مِنَ الْبَسَاطِ، فَالْفَضْلُ الْآنَ لَكَ عَلَيْنَا.

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ وَأَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ جَحْظَةَ عَنْ أَبِي الْعُبَيْسِ بْنِ حَمْدُونَ عَنْ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ قَالَ: رَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ يَنَظُرُ إِسْحَاقَ فِي الْغِنَاءِ، فَتَكَلَّمَا بِمَا فَهَمَاهُ وَلَمْ أَفْهَمْ مِنْهُ شَيْئًا، فَقُلْتُ لَهُمَا: لَنْ كَانَ مَا أَنْتَمَا فِيهِ مِنَ الْغِنَاءِ فَمَا نَحْنُ مِنْهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ.

[شعره في الواثق]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى الْوَاثِقِ فِي بَعْضِ قَدَمَاتِي، فَقَالَ لِي: أَمَا اشْتَقْتَ إِلَيَّ؟ فَقُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْشَدْتُهُ:

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ بُعْدِي عَنْ خَلِيفَتِهِ وَمَا أَعَالَجُ مِنْ سُقْمٍ وَمِنْ كِبَرٍ
لَا أَسْتَطِيعُ رَحِيلًا إِنْ هَمَمْتُ بِهِ يَوْمًا إِلَيْهِ وَلَا أَقْوَى عَلَى السَّفَرِ
أَنْوِي الرَّحِيلَ إِلَيْهِ ثُمَّ يَمْنَعُنِي مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ فِي بَصْرِي
[البسيط]

قال: و قال وقد أشخصه إليه قصيدته الدالية:

(١) سوسنجد: قرية من قرى بغداد.

صوت

ضَنْتُ سَعَادَ غَدَاةَ الْبَيْنِ بِالزَّادِ وَأَخْلَفْتُكَ فَمَا تُوفِي بِمِيعَادِ
مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ شَيْئاً إِذْ تُودِّعُنَا وَالْحُزْنَ مِنْهَا وَإِنْ لَمْ تُبْدِهِ بَادِي
[البسيط]

لإسحاق في هذين البيتين رمل بالوسطى، يقول فيهما:

لَمَّا أَمَرْتَ بِإِشْخَاصِي إِلَيْكَ هَفَا قَلْبِي حَنِيناً إِلَى أَهْلِي وَأَوْلَادِي
ثُمَّ اعْتَزَمْتُ وَلَمْ أَحْفَلْ بِبَيْنِهِمْ وَطَابَتِ النَّفْسُ عَنْ فَضْلِ وَحَمَادِ
كَمْ نِعْمَةٍ لِأَبِيكَ الْخَيْرِ أَفْرَدَنِي بِهَا وَعَمَّ بِأُخْرَى بَعْدَ إِفْرَادِ
فَلَوْ شَكَرْتُ أَيَادِيكُمْ وَأَنْعَمَ كُمْ لَمَّا أَحَاطَ بِهَا وَصَفِي وَتَعْدَادِي
لَأَشْكُرَنَّكَ مَا نَاحَ الْحَمَامُ وَمَا حَذَا عَلَى الصُّبْحِ فِي إِثْرِ الدُّجَى حَادِي
[البسيط]

قال علي بن يحيى: قال لي أحمد بن إبراهيم: يا أبا الحسن، لو قال الخليفة لإسحاق: أحضرني فضلاً وحماداً أليس كان قد افتضح من دمامة خلقهما وتخلّف شاهديهما.

حدّثني جَحْظَةُ قال: حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال: كتب أبي إلى إسحاق في شيء خالفه فيه من التّجزئة والقسمة: «إلى من أحاكمك والناس بيننا حمير»!

[قصته مع تل عراز]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا سليمان بن أيّوب قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال: حدّثنا إسحاق قال: كُنْتُ مَعَ الرَّشِيدِ حِينَ خَرَجَ إِلَى الرَّقَّةِ، فَدَخَلَ يَوْمًا إِلَى النِّسَاءِ، وَخَرَجْتُ فَمَضَيْتُ إِلَى تَلِّ عَرَّازٍ^(١)، فَتَنَزَّلْتُ عِنْدَ حَمَّارَةٍ هُنَاكَ فَسَقَتْنِي شَرَاباً لَمْ أَرْ مِثْلَهُ حُسْنًا وَطِيبًا وَطِيبَ رَائِحَةٍ فِي بَيْتِ مَرْشُوشٍ وَرِيحَانٍ غَضٍّ، وَبَرَزَتْ بِنْتُ لَهَا كَأَنَّهَا خُوطُ بَانٍ أَوْ جَدَلِ عَنَانٍ، لَمْ أَرْ أَحْسَنَ مِنْهَا قَدًّا، وَلَا أَسِيلَ خَدًّا، وَلَا أَعْتَقَ وَجْهًا، وَلَا أَبْرَعَ ظَرْفًا، وَلَا أَفْتَنَ ظَرْفًا، وَلَا أَحْسَنَ كَلَامًا، وَلَا أَتَمَّ تَمَامًا، فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا وَالرَّشِيدُ يَطْلُبُنِي فَلَا يَقْدِرُ عَلَيَّ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَذَهَبَتْ بِي رُسُلُهُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ

(١) تل عراز: تل في منطقة الرّقة.

غضبان؛ فلما رأيته خَطَرْتُ في مِشيتي ورَقَصْتُ، وكانت في فضلة من السكر،
وَعَنَيْتُ :

صوت

إِنَّ قَلْبِي بِالتَّلِّ تَلَّ عَزَازِ عِنْدَ ظَبِي مِنَ الظُّبَاءِ الْجَوَازِي^(١)
شَادِنٍ يَسْكُنُ الشَّامَ وَفِيهِ مَعَ دَلِّ الْعِرَاقِ ظَرْفُ الْحِجَازِ
يَالْقَوْمِي لِبِنْتٍ قَسٍّ أَصَابَتْ مِنْكَ صَفْوَ الْهَوَى وَلَيْسَتْ تُجَازِي
حَلَفْتُ بِالْمَسِيحِ إِنْ تُنْجِزَ الْو عَدَّ وَلَيْسَتْ تَجُودُ بِالْإِنْجَازِ
[الخفيف]

- الغناء لإسحاق خفيف رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو بن بانه - قال إسحاق: فَسَكَنَ
عَضْبُهُ، ثم قال لي: أَيْنَ كُنْتُ؟ فَأَخْبَرْتُهُ، فَضَحِكَ وَقَالَ: إِنَّ مِثْلَ هَذَا إِذَا اتَّفَقَ لَطِيبٌ،
أَعَدَّ غِنَاءَكَ، فَأَعَدَّتْهُ، فَأَعْجَبَ بِهِ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَعِيدَهُ لَيْلَةً مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا، وَأَخَذَهَا
الْمُعَنُونَ مِنِّي جَمِيعاً وَشَرِبْنَا إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا فَصَلَّيْتُ الصُّبْحَ وَنَمْتُ، فَمَا
اسْتَقَرَرْنَا حَتَّى أَتَى إِلَيَّ رَسُولُ الرَّشِيدِ فَأَمَرَنِي بِالْحَضُورِ، فَزَكَبْتُ وَمَضَيْتُ، فَلَمَّا دَخَلْتُ
وَجَدْتُ ابْنَ جَامِعٍ قَدْ طَرَحَ نَفْسَهُ يَتَمَرَّغُ عَلَى دُكَّانٍ^(٢) فِي الدَّارِ لِغَلَبَةِ السُّكْرِ عَلَيْهِ، ثُمَّ
قَالَ: أَتَدْرِي لِمَ دُعِينَا. فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، قَالَ: لَكِنِّي أَدْرِي، دُعِينَا بِسَبَبِ نَصْرَانِيَّتِكَ
الزَّانِيَةِ، عَلَيْكَ وَعَلَيْهَا لَعْنَةُ اللَّهِ، فَضَحِكْتُ. فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ أَخْبَرْتُهُ بِالْقِصَّةِ،
فَضَحِكَ وَقَالَ: صَدَقَ، عُودُوا فِيهِ فَإِنِّي اشْتَقْتُ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ لَمَّا فَارَقْتُمُونِي، فَعُدْنَا فِيهِ
يَوْمَنَا كُلَّهُ حَتَّى انْصَرَفْنَا.

أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ: كَانَ إِسْحَاقُ
قَدْ أَظْهَرَ التَّوْبَةَ وَغَيَّرَ زِيَّهَ وَاحْتَجَرَ^(٣) مِنْ حَضُورِ دَارِ السُّلْطَانِ. فَبَلَغَهُ أَنَّ الْمَأْمُونِ وَجَدَ
عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَتَنَكَّرَ، فَكَتَبَ إِسْحَاقَ إِلَيْهِ وَعَنَى فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ:

صوت

يَا بْنَ عَمِّ النَّبِيِّ سَمِعاً وَطَاعَةً قَدْ خَلَعْنَا الرِّدَاءَ وَالذُّرَاعَةَ

(١) الجوازي: هي من الظباء التي استغنت بالرطب عن الماء.

(٢) الدكان: مقعد يدك ويجلس عليه وهو يشبه ما يسمى بالمصطبة.

(٣) حجر: امتنع.

وَرَجَعْنَا إِلَى الصَّنَاعَةِ لَمَّا كَانَ سُخْطُ الْإِمَامِ تَرَكَ الصَّنَاعَةَ
[الخفيف]

الغناء لإسحاق رَمَلٌ بالبصرة عن عمرو - وقد ذكر الغلابي أن هذا الشعر لأبي العتاهية، قاله لَمَّا حَبَسَهُ الرشيد وأمره بأن يقول الشعر - وذكر حبش أن هذا اللحن لإبراهيم.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حَدَّثَنِي أَبِي قال: قال لي محمد بن الحسن بن مُصْعَب، وكان بصيراً بالغناء والنَّعم: لحنُ إسحاق في «تَشَكَّى الكميثُ الجري»، أَحْسَنُ من لحن ابن سُرَيْج، ولحنه في «يوم تُبْدَى لنا قُتَيْلَة»، أَحْسَنُ من لحن مَعْبُد، وذلك من أجود صنعة مَعْبُد. قال: فَأَخْبَرْتُ إِسْحَاقَ بِقَوْلِهِ، فقال: قد والله أَخَذْتُ بِزِمَامِي راحلتيهما وزعزعتُهما^(١) وَأَنْخْتُ بهما فما بلغُتهما. فَأَخْبَرْتُ بِذلِكَ محمد بن الحسن، فقال: هو والله يعلم أَنَّهُ بَرَزَ عليهما، ولكنه لا يدع تعصُّبه للقدماء.

وأخبرني - جَحْظَة قال: حَدَّثَنِي حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ أَبَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ كَثُرُوا فِي صَوْتِكَ: «تَشَكَّى الْكُمَيْثُ الْجَرِي»، و«يَوْمُ تُبْدَى لَنَا قُتَيْلَة»، وقالوا: إِنَّهُمَا أَجُودُ مِنْ لَحْنِي ابْنِ سُرَيْجَ وَمَعْبُدٍ؛ قَالَ أَبِي: وَيَحْكُ! رُمِيتَ فِي هَذَيْنِ الصَّوْتَيْنِ بِمَعْبُدٍ وَابْنِ سُرَيْجَ وَهُمَا هُمَا، فَقَرَّبْتُ وَوَقَعَ الْقِيَاسُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمَا، وَعَلَى ذَلكَ فَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذْتُ بِزِمَامِي راحلتيهما وَاَنْتَصَفْتُ مِنْهُمَا.

[تحليل غنائه]

قرأت في بعض الكتب أن محمد بن الحسن - أَظْنُهُ ابْنَ مُصْعَبٍ - ذَكَرَ إِسْحَاقَ الْمُوَصِّلِيَّ فَقَالَ: كَانَتْ صَنْعَتُهُ مُحْكَمَةً الْأُصُولِ، وَنَعْمَتُهُ عَجِيبَةً التَّرْتِيبِ، وَقِسْمَتُهُ مُعَدَّلَةً الْأَوْزَانِ، وَكَانَ يَتَصَرَّفُ فِي جَمِيعِ بُسْطِ الْإِيقَاعَاتِ، فَأَيُّ بَسَاطٍ مِنْهَا أَرَادَ أَنْ يَتَغَنَّى فِيهِ صَوْتًا قَصْدَ أَقْوَى صَوْتٍ جَاءَ فِي ذَلِكَ الْبَسَاطِ لِحُذَّاقِ الْقَدَمَاءِ فَعَارَضَهُ: وَقَدْ كَانَ يَذْهَبُ مَذْهَبَ الْأَوَائِلِ، وَيَسْلِكُ سَبِيلَهُمْ، وَيَقْتَحِمُ طَرَفَهُمْ، فَيَبْنِي عَلَى الرَّسْمِ فَيَصْنَعُهُ، وَيَحْتَذِي عَلَى الْمِثَالِ فَيَحْكِيهِ، فَتَأْتِي صَنْعَتُهُ قَوِيَّةً وَثَبَتَةً يَجْمَعُ فِيهَا حَالَتَيْنِ: الْقُوَّةُ فِي الطَّبَعِ وَسَهُولَةُ الْمَسْلُوكِ، وَخُتْنًا بَيْنَ كَثَرَةِ النَّعْمِ وَتَرْتِيبِهَا فِي الصَّيَاحِ وَالْإِسْجَاحِ^(٢)، فَهِيَ

(١) زعزعتهما: ساقهما سوقاً عنيفاً.

(٢) الإسجاح: حُسْنُ الْعَفْوِ. يُقَالُ: مَلَكَتْ فَأَسْجَحَ. وَيُقَالُ: إِذَا سَأَلْتَ فَأَسْجَحَ، أَيَّ سَهْلٍ الْفَاطِكِ وَارْفَقَ. وَمَشِيَّةٌ سَجَحَ، أَيَّ سَهْلَةٍ. وَالسَّجِيحَةُ: الطَّبِيعَةُ. وَوَجْهٌ أَسْجَحُ بَيْنَ السَّجَحِ، أَيَّ حَسَنٍ مُعْتَدِلٍ. قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

لَهَا أَدْنُ حَشْرٍ وَذُفْرَى أَسِيلَةٌ وَوَجْهٌ كَمِرَاةِ الْغَرِيبَةِ أَسْجَحُ

بصنعة الأوائل أشبهُ منها بصنعة المتوسّطين من الطبقات؛ فأما المتأخرون فأحسنُ أحوالهم أن يرووها فيردّوها. وكان حسنُ الطبع في صياحه، حسنُ التلطف، لتزيله^(١) من الصياح إلى الإسجاح على ترتيب بنعم يشاكله، حتى تعتدل وتترن أعجاز الشعر في القسمة بصدوره. وكذلك أصواته كلها، وأكثرها يتدّى الصوت فيصيح فيه - وذلك مذهبه في جلّ غنائه، حتى كان كثير من المعنّين يلقبونه الملسوع؛ لأنّه يبدأ بالصياح في أحسن نعمة فتح بها أحدّ فاه -، ثم يردّ نعمته فيرجحها ترجيحاً وينزلها تنزيلاً حتى يحطّها من تلك الشدة إلى ما يوازيها من اللين، ثم يعودُ فيفعلُ مثل ذلك، فيخرجُ من شدة إلى لين ومن لين إلى شدة؛ وهذا أشدّ ما يأتي في الغناء وأعزّ ما يُعرف من الصنعة. قال يحيى بن عليّ بن يحيى وقد ذكر إسحاق في صدر كتابه الذي ألف في أخباره وزاد في بعض ما صنعه: «وكان إسحاق أعلم أهل زمانه بالغناء، وأنفذهم في جميع فنونه، وأضربهم بالعود وبأكثر آلات الغناء، وأجودهم صنعة، وقد تشبّه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه، وعارض ابن سريج ومعبدًا فانتصف منهما، وكان إبراهيم بن المهدي يُنازعه في هذه الصناعة ولم يبلغه فيها، ولم يكن بعد إسحاق مثله.

[تشبيهه لصوت له]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدّثنا أبو أيوب المدينيّ قال: حدّثني إبراهيم بن عليّ بن هشام: قال إسحاق وذَكَرَ صوته:

صوت

كان افتتاح بلائي النّظر فالحين سبب ذاك والقدر
قد كان باب الصبر مفتاحاً فاليوم أغلق باب النّظر
[أخذ الكامل]

- الشعر والغناء لإسحاق ثَقِيلٌ أَوَّلُ مُطْلَقٌ في مجرى البنصر. وفيه لأحمد بن المكيّ خفيفٌ ثَقِيلٌ، ولعريب ثَاني ثَقِيلٌ، جميعاً عن الهشاميّ - قال إسحاق: ما شَبَّهْتُ صوتي هذا إلا بإنسان أخذ الكُرّة على الطَّبْطابة^(٢) وأهل الميدان جميعاً خَلْفَهُ، فلمّا بَلَغَ أَقصى ضربها أحجزها.

ويقال: خَلَّ له عن سُجْح الطريق بالضم، أي عن وسطه. وبنى القوم بيوتهم على سُجْح واحد، وعلى سَجِيحَةٍ واحدة، أي على قَدَرٍ واحد.

(١) التنزل: النزول في مهلة.

(٢) الطَّبْطابة: خشبة عريضة يلعب بها بالكرة.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، وَأَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْمَدِينِيِّ عَنْ ابْنِ الْمَكِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: صَنَعْتُ هَذَا الصَّوْتُ فِي آخِرِ أَيَّامِ الرَّشِيدِ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ يَشْرِبُ النَّبِيذَ؛ فَلَمَّا كَانَ فِي أَيَّامِ مُحَمَّدٍ عَنِّيْهُ، فَاشْتَهَاهُ وَاشْتَهَرَ بِهِ، وَبَعَثَ إِلَيَّ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ وَأَنَا أُعْنِيهِ:

اسْقِنِي وَابْنَ نَهْيِكَ وَابْنَ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ
[مجزوء الرمل]

فَلَمَّا حَضَرَ يَحْيَى عَنِّيْتُ:

فَاسْقِنِي وَاسْقِ نَهْيَكَ وَاسْقِ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ
[مجزوء الرمل]

فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ فَأَحْضَرَهُ فَقَالَ: لَتَشْرِبَنَّ أَوْ لَأَعَاقِبَنَّكَ، فَلَمْ يَبْرَحْ حَتَّى شَرِبَ قَدْحًا، وَغَلَّفَهُ^(١) وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ، وَسُرَّ بِذَلِكَ مُحَمَّدٌ وَوَهَبَ لِي عَلَيْهِ مَالًا، وَانْصَرَفْتُ إِلَى الْبَيْتِ، فَجَاءَنِي رَسُولُ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ فَصِرْتُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَحْلِفُنِي أَلَّا أَعُودَ فِي هَذَا الصَّوْتِ قُدَّامَ مُحَمَّدٍ أَبَدًا، وَأَمَرَ لِي مِنَ الْمَالِ بِشَيْءٍ فَلَمْ أَقْبَلْهُ، وَلَمْ أَعُدْ فِيهِ:

[شعر علي بن هشام]

نسبة هذا الصوت

صوت

يَوْمُ نَاسٍ يَوْمٌ رَذَاذٍ وَاصْطَبَاحٍ وَالتَّذَاذِ
فَاسْقِنِي وَابْنَ نَهْيِكَ وَابْنَ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ
مِنْ كُمَيْتٍ عُنْتُقَتْ لِلشَّيْخِ كِسْرَى بْنِ قُبَادٍ
لَيْسَ لِلْمَرْءِ مِنَ الْهَمِّ سَوَاهَا مِنْ مَلَاذٍ
[مجزوء الرمل]

الشعرُ لعلِّي بن هشام، والغناء لإسحاق ثقیلٌ أوَّلُ بالبنصر عن عمرو.

أخبرني بقوله عليّ بن هشام والحسن بن عليّ قالا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْهَاشِمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَلَالِيُّ قَالَ: كُنْتُ

(١) غلفه: طيبه بالطيب.

عند علي بن هشام يوماً إذ رَشَّت السماء رَشًّا وطشت؛ فأنشأ علي يقول:

يَوْمُنَا يَوْمُ رَذَاٍ واصططباحٍ والتذاذِ
[مجزوء الرمل]

- وذكر الأبيات الأربعة - ثم قال لغلَامِهِ: اذهب إلى أحمد بن يحيى بن معاذ وقل له: يقول لك أخوك: هذا يوم طَيِّب، فتعال أنت وغلَامُك بُنان وعثعث، فجاء إلى بابهِ الرسول وعليه غُرماءُ له، فمنعوه الدخول عليه؛ فقال لهم: كم لكم عليه؟ قالوا: مائتا ألف درهم، فَرَجَعَ الغُلام إلى علي بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ ما لهم عليه من الدين؟ فقال له: احملُ إليه مائتي ألف درهم وجيء به وبِغُلَامِيهِ الساعةَ فَحَمَلَهَا، فجاء أحمدُ بن يحيى ومعه غلاماه، فقال لعلي بن هشام: لِمَ تَحَمَلْتَ هذا لي! أنا واللَّه مُنْتَظِرٌ مالاَ يَجِيءُ فأعطِيهم، فقال له: مالي ومالك واحد. فتغديتُ معهما حتى جاءت الحلواء؛ فقال: أكثر من الحلواء فَلَسْتُ تدخل معنا في ديواننا (يعني الشُّرب)، فأكلتُ وعَسَلْتُ يدي، فقال لغلَامه سِراج: احملُ مع أبي عبد الله الهالِلي ثلاثين ألف درهم، فانصرفْتُ وهي معي.

[شعر صباه]

أخبرنا يحيى بن علي قال: حَدَّثَنَا سليمان المدائني عن ابن المكي عن أبيه قال حَدَّثَنِي إسحاق قال: تَعَشَّيْتُ جاريةً فَقُلْتُ فيها:

هل إلى أن تنامَ عيني سبيلُ إنَّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ
غابَ عني من لا اسمي فعيني كل يومٍ عليه حُزنًا تسيلُ
[الخفيف]

- الشعر والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو. وفيه لِعَرِيبٍ خفيفُ رَمَلٍ آخر. وفيه لمحمد بن حمزة وجه القرعة خفيفٌ ثقيل، وقيل: إنَّه لابن المكي. وفيه رَمَلٌ بالوسطى يُنسَبُ إلى علُوِيهِ وإلى حسين بن مُحَرِّز - قال إسحاق: ثم ملكتها، فَكُنْتُ مشغوفاً بها، حتى كَبِرَتْ واعتَلَّتْ عليَّ عيناَي، فَذَكَّرْتُ هذا الصوتَ وأيامَهُ المتقدِّمة، فما زلت أبكي وأذكر دهري الذي تولى. وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي عن يزيد المهلبِّي عن إسحاق، وليس هذا على التمام.

أخبرني جَحْظَةُ عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال: دعا المأمونُ بإسحاق فأخْضَرَهُ، فأمره أن يُعَنِّي في هذا الصوت فَعَنَّى:

هل إلى أن تنامَ عيني سبيلُ

فَعَنَّا، وَكُنْتُ حَاضِرًا فَقُلْتُ: أَحْسَنَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا عَدَا بِلْحَنِهِ مَعْنَى شِعْرِهِ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ: فَإِنَّا نَرُدُّ الْحُكْمَ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْكَ؛ فَبَعَثَ إِلَى أَبِي (يَعْنِي يَحْيَى الْمَكِّي) فَجِيءَ بِهِ، فَخَبَّرَهُ بِمَا قُلْتُ وَمَا قَالَ، وَأَمَرَ إِسْحَاقَ بِرَدِّ الصَّوْتِ فَرَدَّهُ، فَقَالَ يَحْيَى: أَحْسَنَ إِسْحَاقُ فِي غَنَائِهِ وَأَحْسَنَ ابْنِي فِي اسْتِحْسَانِهِ، إِلَّا أَنَّ هَذَا اللَّحْنَ يَحْتَاجُ أَنْ يُسْمَعَ مِنْ غَيْرِ حَلْقِ إِسْحَاقَ، فَضَحِكَ الْمَأْمُونُ، وَأَمَرَ لِإِسْحَاقَ بِمَالٍ وَأَمَرَ لِأَبِي بِمَثَلِهِ وَلِي بِمَثَلِهِ. قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ فِي إِسْحَاقَ شَيْءٌ يُعَابُ إِلَّا حَلْقُهُ، وَكَانَ يَغْلِبُ النَّاسَ جَمِيعًا بِطَبْعِهِ وَحِدْقِهِ.

[ضَعَفَ بَصْرَهُ]

قَالَ: وَأَمَّا السَّبَبُ فِي عِلَّةِ عَيْنِ إِسْحَاقَ وَضَعَفِ بَصْرِهِ، فَأَخْبَرَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الْخُزَاعِيُّ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَخِي سَلْمَةَ الْوَصِيفِ نَازَعَ إِسْحَاقَ فِي شَيْءٍ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ مِنَ الْغَنَاءِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَشَتَّمَهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ إِسْحَاقُ وَأَرَبَى فِي الرَّدِّ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَتَرُدُّ عَلَيَّ وَأَنَا مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَ لَهُ: اسْكُتْ فَإِنَّكَ مِنْ مَوَالِي الْعِيدِينَ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: وَأَيُّ شَيْءٍ مَوَالِي الْعِيدِينَ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يُشْتَرَى لِلْخَلَفَاءِ كُلِّ صَانِعٍ وَكُلُّ ضَرْبٍ فِي الْعَبِيدِ لِلْعَتَقِ؛ فَيَكُونُ فِيهِمُ الْحَجَّامُ وَالْحَائِكُ وَالسَّائِسُ، فَهُوَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ. قَالَ: وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ فَوَقَفَ لَهُ عَلَى طَرِيقِهِ، فَلَمَّا جَازَ عَلَيْهِ مُنْصَرَفًا ضَرَبَ رَأْسَهُ بِمَقْرَعَةٍ فِيهَا مِغُولٌ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ ضَعْفِ بَصْرِ إِسْحَاقَ. وَبَلَغَ الرَّشِيدُ الْخَبْرَ، فَأَمَرَ بِأَنْ يُحْجَبَ عَنْهُ إِبْرَاهِيمُ، وَحَلَفَ أَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهِ، فَدَسَّ إِلَى الرَّشِيدِ مِنْ غَنَائِهِ:

مَنْ لِعَبْدٍ أَذْلُهُ مَوْلَاهُ مَا لَهُ شَافِعٌ إِلَيْهِ سِوَاهُ
يَشْتَكِي مَا بِهِ إِلَيْهِ وَيَخْشَاهُ هُوَ وَيَرْجُوهُ مِثْلَ مَا يَخْشَاهُ

[الخفيف]

- الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم ابن أخي سلمة الوصيف خفيف رمل. وفيه لعريب ثقیلٌ أوّل. وقيل: إن لابن جامع فيه خفيف رمل آخر - فلما غني الرشيد بهذه الأبيات، سأل عن صاحب لحنها فعرفه، فحلف ألا يرضى عنه حتى يرضى إسحاق، فقام إسحاق فقال: قد رَضِيتُ عنه يا سيدي رضاءَ حسنًا، وقَبِلَ الأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ شُكْرًا لِمَا كَانَ مِنْ قَوْلِهِ؛ فَرَضِيَّ عَنْهُ وَأَخْضَرَ وَأَمْرَهُ بَرَضِيَّ إِسْحَاقَ ففعل.

وأخبرني محمد بن مزيد قال: حَدَّثَنَا حَمَادٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَاءَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَخِي

سَلَمَة إلى الرشيد فقال له: يا أمير المؤمنين، إِنِّي أَحَبُّ أَنْ تَشْرَفَنِي بِأَنْ تَكُونَ نَوْبَتِي وَنُوبَةُ إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيِّ فِي مَكَانٍ، وَأَنْ يَكُونَ دَخُولِي إِلَيْكَ وَدُخُولُهُ فِي مَكَانٍ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَجْعَلَ ذَلِكَ كَمَا سَأَلْتُ فَعَلْتُ، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، وَلَمْ أَكُنْ حَاضِرًا لِمَسْأَلَتِهِ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ دَخُولِي عَلَيْهِ جَاءَنِي إِبْرَاهِيمُ فَدَقَّ بَابِي دَقًّا عَنِيفًا وَعَرَفَنِي الْغُلَامُ خَبْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَدْخُلُ فَا بِي وَقَالَ لَهُ: قُلْ لَهُ اخْرُجْ أَنْتَ، فَسَاءَ ظَنِّي، اغْتَمَمْتُ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: مَا الْخَبْرُ؟ قَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكَ بِالْحَضُورِ وَيَأْمُرُكَ أَلَّا تَدْخُلَ الدَّارَ إِلَّا مَعِيَ بَعْدَ أَنْ أُوجِّهَ إِلَيْكَ فَتَرْكَبَ إِلَيَّ وَتَمْضِيَ مَعِيَ؛ فَمَضَيْتُ مَعَهُ عَلَى رَغْمِي وَأَنَا مُنْكَسِرٌ، وَكُنْتُ بَقِيَّةَ يَوْمِي عَلَى تِلْكَ الْحَالِ. ثُمَّ رَكِبْتُ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُجِلُّكَ هَذَا الْمَحَلَّ، ثُمَّ بَنَّا إِلَيْهِ، فَقَمْتُ مَعَهُ، فَدَخَلَ إِلَى الرَّشِيدِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِسْحَاقُ وَخِدْمَتُهُ وَحَقُوقُ أَبِيهِ عَلَيْكَ وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ تَضَعُ مَقْدَارَهُ أَنْ تَجْعَلَهُ مَضْمُومًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ابْنِ أَخِي سَلَمَةَ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُ هَذَا قَالَ: إِنَّهُ قَدْ جَاءَنِي يَبْكِي وَيَحْلِفُ إِنْ جَرَى عَلَيْهِ هَذَا تَابَ مِنَ الْغِنَاءِ وَتَرَكَ جَمْلَةً، ثُمَّ لَوْ قَتَلَ لَمْ يَعِدْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَيْحَكَ! وَاللَّهِ مَا جَرَى مِنْ هَذَا شَيْءٍ، إِلَّا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ أَخِي سَلَمَةَ جَاءَ فَقَالَ: تَشْرَفْنِي أَنْ تَجْعَلَ نَوْبَتِي مَعَ نُوبَةِ إِسْحَاقَ وَوُصُولِي مَعَ وَصُولِهِ فَفَعَلْتُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَجِيءُ مَتَى شَاءَ وَيَنْفَرُ عَنْهُ وَلَا يَجِيءُ مَعَهُ وَلَا كِرَامَةً؛ فَأَخْبَرَنِي فَرَجَعْتُ. فَلَمَّا كَانَتْ نَوْبَتِي جَاءَ إِبْرَاهِيمُ إِلَيَّ فَفَعَلَ مِثْلَ فَعْلِهِ، فَقُلْتُ لِغُلَامِي: أَخْرِجْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: وَلَا كِرَامَةَ لَكَ يَا زَانِي يَا بَنَ الزَّانِيَةِ، لَا أَجِيءُ مَعَكَ وَلَا أَدْعُكَ تَجِيءُ مَعِيَ أَيْضًا، وَشَتَمَهُ أَقْبَحَ شَتْمٍ فَخَرَجَ الْغُلَامُ فَادَّى إِلَيْهِ الرِّسَالَةَ، فَعَلِمَ أَنَّ هَذَا لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ تَوَثُّقِ فَحْجَلٍ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ لَهُ: وَمَنْ أَكْرَهَكَ عَلَى هَذَا! إِنَّمَا أَحْبَبْتُ أَنْ نَضْطَجِبَ وَنَتَأَنَسَ فِي طَرِيقِنَا، فَإِنْ كَرِهْتَ هَذَا فَلَا تَفْعَلْهُ؛ وَانصَرَفَ وَلَمْ يَعَاوِذْنِي بَعْدَهَا.

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَنْ ابْنِ الْمَكِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ إِسْحَاقُ إِذَا غَنَّى هَذَا الصَّوْتَ يَأْخُذُ بِلَحِيَّتِهِ وَيَبْكِي:

إِذَا الْمَرْءُ قَاسَى الدَّهْرَ وَابْيَضَ رَأْسُهُ وَتَلَّمَ تَثْلِيمَ الْإِنَاءِ جَوَانِبُهُ
فَلَمَّوْتُ خَيْرٍ مِنْ حَيَاةٍ خَسِيسَةٍ تَبَاعِدُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُقَارِبُهُ

[الطويل]

الشَّعْرُ لَزْبَانَ بْنِ سِيَارِ الْفَزَارِيِّ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ عَنْ الزُّبَيْرِ ابْنِ بَكَّارٍ عَنْ عَمِّهِ. وَالْغِنَاءُ لِإِسْحَاقَ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى.

[جفاء المأمون]

أخبرنا محمد بن مَزِيد والحسين بن يحيى عن حَمَاد عن أبيه، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق قال: أَقَامَ المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لا يسمع حرفاً من الأغاني، فكان أَوَّلُ من تَغَنَّى بِحَضْرَتِهِ أَبُو عيسى بن الرشيد، ثم واطَّبَ على السماع مُتَسَتِّراً مُتَشَبِّهاً في أَوَّلِ أمره بالرشيد، فأقام كذلك أربعَ حَجَج، ثم ظهر إلى الثدما والمُعَنِّين. وكان حين أحبَّ السماعَ سألَ عَنِّي، فَجُرِحْتُ بِحَضْرَتِهِ، وقال الطاعن عليّ: ما يقول أمير المؤمنين في رجلٍ يَتِيه على الخلافة! قال المأمون: ما أبقي هذا من التيه شيئاً إلا استعمله. فأمسك عن ذِكْرِي، وجفاني من كان يَصِلُنِي، لسوء رأيه الذي ظهر فيّ، فأضَرَ ذلك بي؛ حتى جاءني علّويه يوماً فقال لي: أتأذُنُ لي في ذكرك؟ فإنّا قد دُعينا اليوم، فَقُلْتُ: لا، ولكن غَنَّهُ بهذا الشعر، فإنّه سَيَعِثُهُ على أن يسألك: لِمَنْ هذا، فإذا سألك انفتح لك ما تريد، وكان الجوابُ أسهلَ عليك من الابتداء، فقال: هات، فَأَلْقَيْتُ عليه لحنِي في شعري:

صوت

يا سَرَحَةَ المَاءِ^(١) قد سُدَّتْ مَوَارِدُهُ أما إِلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْدُودٍ
لِحَائِمٍ حَامٍ حَتَّى لَا حَيَامَ لَهُ مُحَلِّلاً عَنِ طَرِيقِ المَاءِ مَطْرُودٍ
[البسيط]

- الغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن عمرو - قال: فمضى علّويه، فلَمَّا استقرَّ به المجلس، غَنَّاهُ بالشعر الذي أَمَرْتُهُ، فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتى قال: ويحك يا علّويه! لِمَنْ هذا؟ قال: يا سيدي، لِعَبْدٍ من عبيدك جَفَوْتُهُ واطَّرَحْتُهُ من غيرِ جُرم، فقال: أإِسْحاقُ تَعْنِي قال: نعم؛ قال: يحضرُ الساعة، فجاءني رسوله فَصِرْتُ إِلَيْهِ. فلَمَّا دَخَلْتُ عليه قال: ادْنُ فَدَنَوْتُ، فرفع يديه مادَّهما، فانكَبْتُ عليه، واحتضنني بيديه، وأظهر من برِّي وإكرامي ما لو أظهره صديق مؤانس لصديقه لَبَّرَهُ.

أخبرني محمد بن إبراهيم الجرجاني فَرِيض قال: قال لي أحمد بن أبي العلاء: عَنَيْتُ المَعْتَصِدَ يوماً وهو أميرٌ صوتَ إسحاق:

يا سَرَحَةَ المَاءِ قد سُدَّتْ مَوَارِدُهُ أما إِلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْدُودٍ
[البسيط]

(١) سرحة الماء في هذا البيت كناية عن المرأة.

فَطَرِبَ واستعاده مراراً، وقال: هذا واللّه الغناء الذي يُخالِطُ الرُّوحَ ويُمَارِجُ اللحمَ والدمَ.

[كان الناس يتهادون ألحانه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْعُبَيْسِ بنَ حَمْدُون قال أخبرني أبي قال: لما غَنَى إسحاق في شعره هذا:

صوت

لَأَسْمَاءَ رَسَمٌ عَفَا بِاللَّوَى أَقَامَ رَهِيناً لَطَوِلَ الْبِلَى
تَعَاوَرَهُ الدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ بَكَرَ الْجَدِيدِينَ حَتَّى عَفَا
[المتقارب]

- الشعر لإسحاق من قصيدة مَدَحَ بها الرشيد، والغناء له ثاني ثقل بالوسطى. وفيه لِسْلِيمٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ من رواية الهشامي، وَذَكَرَ حَبَشَ أَنَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ بنِ الْمَهْدِيِّ - قال: فكان الناس يَتَهَادَوْنَ كما يَتَهَادَوْنَ الطَّرْفَةَ والْبَاكُورَةَ. وقال أَبُو الْعُبَيْسِ حَدَّثَنِي ابْنُ مُخَارِقٍ: أَنَّ الْوَائِقَ بَعَثَ إِلَى أَبِيهِ مُخَارِقٌ لَمَّا صَنَعَ إِسْحَاقُ هَذَا الصَّوْتَ لِيُلْقِيَهُ عَلَيْهِ، فَصَادَفَهُ عَلِيلاً - ولم يكن أحد يَلْقُنُ عن إِسْحَاقِ طَرَحَ الغناء كما يَلْقُنُهُ مُخَارِقٌ - فَأَعَادَ إِلَيْهِ الرِّسُولَ وَمَعَهُ مِحْفَةٌ، وَقَالَ: لَا بُدَّ أَنْ يَجِيءَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَتَحَامَلَ وَصَارَ إِلَيْهِ حَتَّى أَخَذَ الصَّوْتَ عَنْ إِسْحَاقِ وَرَجَعَ.

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بنُ الْحُسَيْنِ الْكَاتِبُ عَنْ أَبِي حَارِثَةَ الْبَاهِلِيِّ عَنْ أَخِيهِ أَبِي مَعَاوِيَةَ: أَنَّ إِسْحَاقَ كَانَ يَتَحَلَّى بِالشَّجَاعَةِ وَالْفُرُوسِيَّةِ وَيَحِبُّ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِمَا، وَيَرْكُبُ الْخَيْلَ وَيَتَعَلَّمُ بِهَا آفَةً مِنَ الْآفَاتِ الْمَعْتَرِضَةِ عَلَى الْعُقُولِ. وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَعْضَ مَشَاهِدِ الْحُرُوبِ فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فَنَكَصَ عَلَى عَقْبِيهِ، فَقَالَ أَخُوهُ طَيَّابٌ فِيهِ:

وَأَنْتَ تَكَلَّفْتَ مَا لَا تَطِيقُ وَقُلْتَ: أَنَا الْفَارَسُ الْمَوْصِلِي
فَلَمَّا أَصَابَتْكَ نَشَابَةٌ رَجَعْتَ إِلَى سَنِّكَ الْأَوَّلِ
[المتقارب]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إِسْحَاقِ قَالَ: قَالَ حَمْزَةُ الزِّيَاتِ الْقَارِيءُ^(١)، يَا مَوْصِلِي، إِنَّ لِي فِيكَ رَأْيًا، أَفْتَرَضِي مَعَ فَهْمِكَ وَأَدْبِكَ وَرَأْيِكَ أَنْ يَكُونَ عَوْضُكَ مِنَ الْآخِرَةِ فَضْلَ مَطْعَمٍ عَلَى مَطْعَمٍ!

(١) حمزة الزيات القاريء صاحب قراءة القرآن المعروفة، توفي سنة ست وخمسين ومائة في خلافة أبي

[شعر الأصمعي فيه]

حدَّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدني أبو سعيد السُّكْرِيّ قال: أنشدني
عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي لعمّه يقول لإسحاق:

أإن تغنيت للشرب الكرام: «ألا
وقيل أحسنت فاستدعاك ذاك إلى
وقيل أنت حسان الناس كلهم
فما بهذا تقوم النادبات ولا
ردّ الخليط جمال الحيّ فانفروا»
ما قلت ويحك لا يذهب بك الخرق
وابن الحُسان فقد قالوا وقد صدّقوا
يُثنى عليك إذا ما ضمك الحزق
[البسيط]

قال يحيى بن عليّ: إن هذه الأبيات تُروى لابن المُنْذِر العروضي وللأصمعيّ.

قال مؤلف هذا الكتاب: كان إسحاق يأخذ عن الأصمعيّ ويُكثِر الرواية عنه، ثم
فَسَدَ ما بينهما، فهجاه إسحاق وثلبه وكَشَفَ للرّشيد معاييه، وأخبره بِقِلَّةِ شكره وبُخْلِهِ
وَضَعَةِ نفسه وأن الصَّنِيعَةَ لا تَزُكُو عنده، ووصف له أبا عُبَيْدَةَ مَعْمَر بن المُثَنَّى بالثقة
والصدق والسماحة والعلم، وفعل مثل ذلك للفضل بن الرّبيع واستعان به؛ ولم يزل
حتى وضع مرتبة الأصمعيّ وأسقطه عندهم، وأنفذوا إلى أبي عُبَيْدَةَ من أقدمه.

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أنشدتُ
الفضل بن الرّبيع أبياتاً كان الأصمعيّ أنشدنيها في صفة فرس:

كأنه في الجُلّ^(١) وهو سامي مُشْتَمِلٌ^(٢) جاء من الحَمّام
يَسُورُ^(٣) بين السّرج واللّجام سَوْر القطاميّ^(٤) إلى اليمام
[الرجز]

قال: ودخل الأصمعيّ فسمِعني أنشدها، فقال: هات بَقِيَّتَها، فقلْتُ له: ألم تقل
إنه لم يبقَ منها شيء؟ فقال: ما بقي منها إلّا عيونها، ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين
بيتاً منها، فغاظني فعله؛ فلمّا خَرَجَ عَرَفْتُ الفضل بن الرّبيع قِلَّةَ شكره لعارفة وبخله

جعفر المنصور بمدينة حلوان وهي في أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل. وما يورده
الأصفهاني عن محادثة بينه وبين إسحاق الموصلي تشوبها الشكوك، لأن الزيات توفي وإسحاق له
من العمر ست سنوات.

(١) الجُلّ للدابة: كالثوب للإنسان تصان به.

(٢) اشتمل: تلفل بالثوب وغطى به جسمه كله.

(٣) يسور: يقفز ويشور.

(٤) هو قرم قطم: شewan للحم. وبه قرم وقطم. ومنه القطاميّ: للصّقر.

بما عنده، ووصفت له فضل أبي عبيدة معمر بن المثنى وعلمه ونزاهته وبذله لما عنده واشتماله على جميع علوم العرب، ورغبته فيه، حتى أنفذ إليه مالاً جليلاً واستقدمه فكنت سبب مجيئه به من البصرة.

أخبرني عمي قال: حدثنا فضل اليزيدي عن إسحاق قال: جاء عطاء المملك بجماعة من أهل البصرة إلى قريب أبي الأصمعي، وكان نذلاً من الرجال، فوجده ملتقاً في كسائه نائماً في الشمس، فركضه برجله وصاح به: يا قريب، قم ويلك! فقال له: هل لقيت أحداً من أهل العلم قط أو من أهل اللغة أو من العرب أو من الفقهاء أو من المحدثين؟ قال: لا والله، قال: ولا سمعت شيئاً ترويه لنا أو تُشدنانه أو نكتبه عنك. قال: لا والله، فقال لمن حضر: هذا أبو الأصمعي، فاشهدوا لي عليه وعلى ما سمعتم منه، لا يقل لكم غداً أو بعده: حدثني أبي أو أنشدني أبي، ففضحه. قال الفضل: ثم مرض الأصمعي، وكان الحال بينه وبين إسحاق الموصلي انفرجت، فعاده أبو ربيعة، وكان يرغب في الأدب ويبرأ أهله، فقال له الأصمعي: أقرضني خمسة آلاف درهم؛ فقال: أفعل. فقال له أبو ربيعة: فأني شيء تشتهي سوى هذا؟ فقال: أشتي أن تهدي إلي فصاً حسناً وسيفاً قاطعاً وبُرْدًا حسناً وسرجاً محلي، فقال: أفعل، وبعت بذلك إليه لما عاد إلى منزله. وبلغ ذلك إسحاق فقال:

أليس من العجائب أن قرداً
ويزعم أنه قد كان يُفتي
إذا ما قال: قال أبي عجبنا
وما إن كان يدري ما دبّر^(٣)
وجلله عطاء المملك عارا
نصحت أبا ربيعة فيه جهدي
فقل لأبي ربيعة إذ عصاني
لقد ضاعت بروذك فأحتسبها
وسرّج كان للبردون زينا
أصيمع باهلياً يستطيل
أبا عمرو^(١) ويسأله الخليل^(٢)
لما يأتي به ولما يقول
أبوه إن سالت وما قبل
تزول الراسيات ولا يزول
وبعض النصح أحياناً ثقیل
وجار به عن القصد السبيل
وضاع الفصّ والسيف الصقيل
له في إثره جزعاً صهيل

(١) أبو عمرو بن العلاء أحد أئمة اللغة والأدب، مات سنة ١٥٩ للهجرة.

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي، اللغوي والنحوي، الذي وضع علم العروض، توفي سنة ١٧٠ للهجرة.

(٣) أي لا يعرف ما هو أمامه وما هو خلفه.

وأما الخمسةُ الآلاف فأعلم بأنك غَبَنَها لا تستقيلُ
وأنَّ قضاءها فتعزَّ عنها سيأتي دونه زمنٌ طويلُ

[الوافر]

حدَّثني محمد بن مَزِيد قال: حَدَّثني حَمَاد بن إِسحاق عن أبيه قال: كُنْتُ جالِساً بين يدي الواثق وهو وليّ عهد، إذ خَرَجْتُ وصيفةً من القصر كأنها حُوطُ بَانٍ، أحسنُ مَنْ رَأَتْه عيني قطُّ، تَقْدُمُ عِدَّةً وصائفَ بأيديهن المَذَابُ^(١) والمناديل ونحو ذلك، فَنَظَرْتُ إليها نَظَرَ دَهْشٍ وهو يَرْمُقُنِي. فلَمَّا تبين إلحاح نظري قال: ما لك يا أبا محمد قد انقطع كلامُك وبانت الحيرةُ فيك! فَتَلَجَلَجْتُ، فقال لي: رَمَتْكَ واللّٰه هذه الوصيفةُ فأصابَتْ قلبك! فَقُلْتُ: غيرُ ملوم، فَضَحِكَ ثم قال: أنشدني في هذا المعنى، فَأَنشَدْتُهُ قولَ المَرَّار:

أَلِكْنِي^(٢) إِلَيْهَا عَمْرُكَ اللّٰهُ يَا فَتَى بآية ما قالت متى هو رائحُ
وآية ما قالت لَهْنٍ عَشِيَّةً وفي السَّتْرِ حُرَاتُ الوجوه مَلَائِحُ
تَخَيَّرْنَ أَرْمَاكُنَّ فَارْمِينَ رَمِيَّةً أخوا أسد إذ طَرَحَتْهُ الطَّوَارِحُ^(٣)
فَلَبَّسْنَ مِسْلَاسَ الوِشَاحِ كَأَنَّهَا مَهَاءٌ لَهَا طِفْلٌ بَرْمَانُ^(٤) رَاشِحُ^(٥)

[الطويل]

فقال له الواثق: أَحَسَنْتَ بحياتي وَظَرُفْتُ، اصنع فيها لحناً، فإن جاء كما نريد وأطربنا فالوصيفة لك؛ فَصَنَعْتُ فيه لحناً وَغَنَيْتُهُ إِيَّاهُ، فاصطبَحَ عليه وشرب بَقِيَّةَ يومه وليلته حتى سَكِرَ، و لم يقترح عليّ غيره، وانصَرَفْتُ بالجارية

حدَّثني عمي قال: حَدَّثني فضل اليزيدي عن إِسحاق قال: دَخَلْتُ على الواثق يوماً وهو خائر النفس^(٦)، فَأَخَذْتُ عوداً من الخِزَانَةِ ووقفت بين يديه فَغَنَيْتُهُ:

مِنَ الظُّبَاءِ ظِبَاءٌ هَمُّهَا السُّخْبُ تَرعى القُلُوبَ وَفي قَلْبِي لَهَا عُشْبُ
أَهْوَى الظُّبَاءِ اللَّوَاتِي لَا قُرُونَ لَهَا وَحَلِيَّهَا الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ وَالذَّهَبُ^(٧)

(١) المَذَابُ: جمع مَذْبَة وهي مما يذب به كالمروحة.

(٢) أَلِكْنِي إلى فلان: أبلغه عني وجمل إليه رسالتي.

(٣) لعلَّ المقصود «طَوَّحَتِ الطَّوَارِحُ»، لأنَّها الأقرب إلى المعنى.

(٤) المقصود قصر الرمان بنواحي واسط القصب، التي خربها الحجاج.

(٥) الراشح: وهو الذي قوي ومشى مع أمه.

(٦) خائر النفس: ثقلها غير طيب ولا نشيط.

(٧) هذان البيتان لماني الموسوس.

لَا يَغْتَرِبْنَ وَلَا يَسْكُنَنَّ بَادِيَةً وَلَيْسَ يَعْرِفَنَّ مَا صَرُّ وَلَا حَلْبُ
وَفِي الَّذِينَ غَدَوْا، نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُمْ شَمْسُ تَبَرَّقَعُ أَحْيَانًا وَتَنْتَقِبُ
يَا حَسَنَ مَا سَرَقْتُ عَيْنِي وَمَا انْتَهَبْتُ وَالْعَيْنُ تَسْرِقُ أَحْيَانًا وَتَنْتَهَبُ
إِذَا يَدٌ سَرَقَتْ فَالْقَطْعُ يُلْزِمُهَا وَالْقَطْعُ فِي سَرَقِ الْعَيْنِينَ لَا يَجِبُ
[البسيط]

قال: فَهَشَّ إِلَيَّ وَنَشِطَ وَدَعَا بِطَعَامٍ خَفِيفٍ وَأَكَلْنَا وَاصْطَبَحَ وَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ أَلْفِ
دِرْهَمٍ. وَأَخْبَرَنِي بِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ ابْنِ مَهْرُويَه عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَرْخِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، وَقَالَ فِيهِ: فَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ آلَافِ
دِرْهَمٍ.

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ عَنْ أَخِيهِ
مُحَمَّدٍ قَالَ: كَانَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ يَدْخُلُ فِي مُبْطَنَةٍ وَطَيْلَسَانَ مِثْلَ زِيِّ الْفُقَهَاءِ عَلَى
الْمَأْمُونِ؛ فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي دُخُولِ الْمَقْصُورَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِدِرَاعَةِ سُودَاءٍ وَطَيْلَسَانَ
أَسُودَ؛ فَتَبَسَّمَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ لَهُ: وَلَا كُلَّ هَذَا بِمِرَّةٍ يَا إِسْحَاقَ، وَلَكِنْ قَدْ اشْتَرَيْنَا مِنْكَ
هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ حَتَّى لَا تَغْتَمَّ، وَأَمَرَ بِحَمْلِهَا إِلَيْهِ فَخُمِلَتْ.

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي هَارُونُ
ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْأَسْلَمِيِّ: أَنَّهُ ذَكَرَ إِسْحَاقَ يَوْمًا وَكَانَ
يُقْضِلُهُ وَيُعْظِمُ شَأْنَهُ وَيَقْدِّمُهُ فِي الشَّعْرِ تَقْدِيمًا مُفْرِطًا، فَقَالَ: مَا قَوْلُكُمْ فِي رَجُلٍ مُحَدَّثٍ
تَشَبَّهَ بِذِي الرُّمَّةِ وَقَالَ عَلَى لِسَانِهِ شَعْرًا وَعَنَى فِيهِ وَنَسَبَهُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَشْكُ أَحَدٌ سَمْعَهُ أَنَّهُ
لَهُ وَلَا فُطِنَ لِمَا فَعَلَ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ حَصَلَ شَعْرَ ذِي الرُّمَّةِ كُلَّهُ وَرَوَاهُ، فَسُئِلَ أَبُو خَالِدٍ عَنْ
هَذَا الشَّعْرِ فَقَالَ:

وَمَدْرَجَةٌ^(١) لِلرَّيْحِ تِيهَاءَ^(٢) لَمْ تَكُنْ لِيَجْشَمَهَا رُؤْيِيلَةٌ^(٣) غَيْرُ حَازِمٍ
يَضِلُّ بِهَا السَّارِي وَإِنْ كَانَ هَادِيًا وَتَقْطَعُ أَنْفَاسَ الرِّيحِ النِّوَاسِمِ
تَعَسَّفْتُ أَفْرِي جُوزَهَا^(٤) بِشِمْلَةٍ^(٥) بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الْقَرَا^(٦) وَالْمَنَاسِمِ^(٧)

(١) المدرجة: الطريق.

(٢) التيهاء: المفازة: المَضْلَةُ الواسعة بين الأرضين، التي لا أعلام فيها، ولا جبال ولا آكام.

(٣) الرميطة: الضعيفة الجبانة.

(٤) ومضى جوز الليل وهو الوسط، وشاة جوزاء: بيضاء الوسط، وبها سميت الجوزاء.

(٥) الشملة: الناقة السريعة.

(٦) القرا: الظهر.

(٧) المناسم: الأخفاف.

كَأَنَّ شِرَارَ المَرُورِ مِنْ نَبَذِهَا بِهِ نَجُومٌ هَوَتْ أُخْرَى اللِّيَالِي العَوَاتِمِ
[الطويل]

حَدَّثَنِي عَمِّي وَأَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا فَضْلُ الْيَزِيدِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: عَنِّيْتُ المَأْمُونُ يَوْمًا هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

لأَحْسَنُ مِنْ قَرْعِ المَثَالِ وَرَجْعِهَا تَوَاتُرُ صَوْتِ الشَّعْرِ يَقْرَعُ بِالشَّعْرِ
وَسَكْرُ الهَوَى أَرَوَى لِعَظْمِي وَمِفْصَلِي مِنَ الشُّرْبِ فِي الكَاسَاتِ مِنْ عَاتِقِ الخَمْرِ
[الطويل]

فَقَالَ لِي المَأْمُونُ: أَلَا أَخْبِرُكَ بِأَطْيَبِ مِنْ ذَلِكَ وَأَحْسَنُ؟ الْفِرَاقُ وَالشَّبَابُ وَالْجِدَّةُ.

حَدَّثَنِي الصَّوْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: كَانَ لِإِسْحَاقَ غَلَامٌ يُقَالُ لَهُ فَتْحٌ، يَسْتَقِي المَاءَ لِأَهْلِ دَارِهِ عَلَى بَغْلَيْنِ مِنْ بَغَالِهِ دَائِمًا، فَقَالَ إِسْحَاقُ: قُلْتُ لَهُ يَوْمًا: أَيُّ شَيْءٍ خَيْرُكَ يَا فَتْحُ؟ قَالَ: خَيْرِي أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذِهِ الدَّارِ أَحَدٌ أَشْقَى مِنِّي وَمِنْكَ؟ قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْتَ تُطْعِمُ أَهْلَ الدَّارِ الْخُبْزَ وَأَنَا أُسْقِيهِمُ المَاءَ؛ فَاسْتَظَرَفْتُ قَوْلَهُ وَضَحِكْتُ مِنْهُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: فَأَيُّ شَيْءٍ تَحِبُّ؟ قَالَ: تُعْتِقُنِي وَتَهَبَ لِي الْبَغْلَيْنِ أُسْقِي عَلَيْهِمَا، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ فَعَلْتُ.

أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: كَانَ لِأَبِي الْبَصِيرِ الشَّاعِرِ قِيَانٌ، وَكَانَ يَتَكَلَّمُ فِي الْغِنَاءِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا صَوَابٍ فَيُضْحَكُ مِنْهُ، فَقَالَ أَبِي فِيهِ:

سَكَتٌ عَنِ الْغِنَاءِ فَمَا أُمَارِي بَصِيرًا لَا وَلَا غَيْرَ الْبَصِيرِ
مَخَافَةً أَنْ أَجُنَّ فِيهِ نَفْسِي كَمَا قَدْ جُنَّ فِيهِ أَبُو الْبَصِيرِ
[الوافر]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى الْمُرْدَاسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: نَهَانِي الرَّشِيدُ أَنْ أُغْنِيَ أَحَدًا غَيْرَهُ، ثُمَّ اسْتَوْهَبَنِي جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي أَنْ أُغْنِيَهُ فَفَعَلَ، وَاتَّفَقْنَا يَوْمًا عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَعِنْدَهُ أَخُوهُ الْفَضْلُ، وَالرَّشِيدُ يَوْمَئِذٍ بِعَقَبِ عِلَّةٍ قَدْ عُوْفِي مِنْهَا وَلَيْسَ يَشْرَبُ؛ فَقَالَ لِي الْفَضْلُ: انصَرَفْ إِلَيَّ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَهَبَ لَكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الرَّشِيدَ قَدْ نَهَانِي أَلَّا أُغْنِيَ إِلَّا لَهُ أَوْ لِأَخِيكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ خَبْرِي، وَأَنَا مُتُّهُمْ عِنْدَهُ بِالْمِيلِ إِلَيْكُمْ، وَلَسْتُ أَتَعَرَّضُ لَهُ وَلَا أَعَرَّضُكَ، وَلَمْ أَجِبْهُ. فَلَمَّا نَكَبَهُمُ الرَّشِيدُ قَالَ: إِيهِ يَا إِسْحَاقُ، تَرَكْتَنِي بِالرَّقَّةِ وَجَلَسْتَ

ببغداد تُعْنِي للفضل بن يحيى! فَحَلَفْتُ بِحَيَاتِهِ أَنِّي مَا جَالَسْتُهُ قَطُّ إِلَّا عَلَى الْمَذَاكِرَةِ وَالْحَدِيثِ، وَأَنَّهُ مَا سَمَعَنِي قَطُّ أُعْنِي إِلَّا عِنْدَ أَخِيهِ جَعْفَرٍ، وَحَلَفْتُ بِتَرَبَةِ الْمَهْدِيِّ أَن يَسْأَلَ عَنِ هَذَا جَمِيعٍ مِنْ فِي الدَّارِ مِنْ نِسَائِهِ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَحَدَّثْتُهُ بِمِثْلِ مَا ذَكَرْتُهُ لَهُ، وَعَرَفَ خَبَرَ الْمِائَةِ الْآلِفِ الدَّرْهَمِ الَّتِي بَذَلَهَا لِي فَرَدَّهَا عَلَيْهِ. فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ ضَحِكَ إِلَيَّ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَأَلْتُ عَنْ أَمْرِكَ فَعَرَفْتُ مِنْهُ مِثْلَ مَا عَرَفْتَنِي، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ آلِفِ دَرْهَمٍ عَوْضًا مِمَّا بَذَلَهُ لَكَ الْفَضْلُ.

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ عَنْ إِسْحَاقَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: الْإِسْنَادُ قَيْدُ الْحَدِيثِ، فَتَحَدَّثَ مَرَّةً بِحَدِيثٍ لَا إِسْنَادَ لَهُ، فَسُئِلَ عَنْ إِسْنَادِهِ، فَقَالَ: هَذَا مِنَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا.

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ عَنْ أَبِيهِ، وَحَدَّثَنِي عَمِّي عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: أَنْشَدْتُ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى قَوْلَ أَبِي الْحَجَّاءِ نُصَيْبٍ مَوْلَى الْمَهْدِيِّ فِيهِمْ:

صوت

عِنْدَ الْمُلُوكِ مَضَرَّةٌ وَمَنَافِعُ وَأَرَى الْبَرَامِكَ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
إِنْ كَانَ شَرٌّ كَانَ غَيْرُهُمْ لَهُ أَوْ كَانَ خَيْرٌ فَهُوَ فِيهِمْ أَجْمَعُ
إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا أُسْتَسَرَّ^(١) بِهَا الثَّرَى أَشْرَ^(٢) النَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ الْمَرْزَعُ
فَإِذَا جَهِلْتُ مِنْ أَمْرِي أَعْرَاقَهُ وَقَدِيمَهُ فَاَنْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
[الكامل]

قال: فقال: كَأَنَّا وَاللَّهِ لَمْ نَسْمَعْ هَذَا الشَّعْرَ قَطُّ، قَدْ كُنَّا وَصَلْنَاهُ بِثَلَاثِينَ آلِفِ دَرْهَمٍ، وَإِذَا نُجِدَّدَ لَهُ السَّاعَةُ صَلَّةٌ لَهُ وَلَكَ مَعَهُ لِحْفَظِكَ الْآيَاتِ، فَوَصَلْنَا بِثَلَاثِينَ آلِفِ دَرْهَمٍ.

وَأَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى الْكَاتِبُ أَبُو الْجَمَّازِ قَالَ: عَتَبَ الْمَأْمُونُ عَلَى إِسْحَاقَ فِي شَيْءٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ، فَفَتَحَهَا الْمَأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ:

(١) السَّرُّ: مَا أُسْرِرَتْ. وَالسَّرِيرَةُ: عَمَلُ السَّرِّ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيُقَالُ: سَرِيرَتُهُ خَيْرٌ مِنْ عِلَانِيَتِهِ. وَأُسْرِرْتُ الشَّيْءَ: أَظْهَرْتُهُ، وَأُسْرِرْتُهُ: كَتَمْتُهُ.

(٢) أَشْرَ النَّبَاتُ: مَرَحَ وَطَالَ.

لا شيء أعظم من جُرْمي سوى أُملي لِحُسْنِ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلْلي
فإن يكن ذا وذا في القَدْرِ قَدْ عَظُما فأنتَ أعظمُ من جُرْمي ومن أُملي
[البسيط]

فَصَحِّحْكَ ثم قال: يا إسحاق، عُدُّكَ أعلى قدراً من جُرْمِكَ، وما جال بفكري،
ولا أخطرتُه بعد انقضائه على ذكري.

حَدَّثَنِي عَمِّي قال: حَدَّثَنِي يزيد بن محمد المهلبِي قال: خرجنا مع الواصل إلى
القاطول^(١) لِلصَّيْدِ، ومعنا جماعةُ الجلساء والمُعَنِّين وفيهم عمرو بن بانه وعَلُوبه
ومُخَارِق وعَقِيد، وقَدِمَ إسحاق في ذلك الوقت فأخرجَه معه، فَتَصَيَّدَ على القاطول ثم
عاد فأكل وشَرِبَ أفداحاً، ثم أمر بالبُكور إلى الصبح فباكرنا واصطبحنا. فغنَّى
عمرو بن بانه لحن إبراهيم الموصلي:

بَلَوْتُ أُمُورَ النَّاسِ طُراً فَأَصْبَحْتُ مُدَمَّمَةً عِنْدِي بَرَاءً مِنَ الْحَمْدِ
وَأَصْبَحَ عِنْدِي مِنْ وَثِقْتُ بِغَيْبِهِ بَغِيضَ الْأَيَادِي كُلِّ إِحْسَانِهِ نَكْدُ^(٢)
[الطويل]

- ولحنه خفيف رَمَل بالوسطى - فَعَنَّا على ما أخذه من إبراهيم بن المهدي وقد
عَيَّرَهُ. فقال الواصل لإسحاق: أتعرفُ هذا اللحن؟ فقال: نعم، هذا لحنُ أبي وَلَكِنَّهُ مِمَّا
زَعَمَ إبراهيم بن المهدي أَنَّهُ جندره وأصلحه فأفسده ودَمَرُ^(٣) عليه، فقال له: عَنَّا

(١) القاطول: بين الجزيرة والموصل، فاعول من القطل، وهو القطع. وقد ذكره البحري في قصيدته
التي يرثي بها المتوكل فقال: «محلّ على القاطول أخلق دائرة» وكان المعتمض لما ارتاد موضعاً مرَّ
بالقاطول فقال: هذا أصلح المواضع فصير الدير المعروف بالقاطول وسط المدينة، وجعل البناء
على دجلة وعلى القاطول، وابتدأ البناء وأقطع القواد والكتاب والناس، فبنوا حتى ارتفع البناء،
واختطت الأسواق على القاطول وعلى دجلة وسكن هو في بعض ما بني له، ثم قال: أرض
القاطول غير طائفة والبناء بها صعب، ثم ركب يتصيد فمرَّ في سيره إلى سرٍّ من رأى، وهي صحراء
لا عمارة بها ولا أنيس إلا ديراً للنصارى فبنى فيه مدينة سر من رأى على ما مرَّ في موضعه،
والقاطول على خمسة فراسخ من سامراً.

(٢) النكد: اللؤم والشؤم، وكل شيء جر على صاحبه شراً فهو نكد، وصاحبه: أنكد نكد. رجال
نكدى ونكد.

والنكد: قلة العطاء، وألا يهنأه من يعطاه، قال:

وأعط ما أعطيته طيباً لا خير في المنكود والتأكد

(٣) دَمَرَ عليهم يَدْمُرُ دَمَراً ودُموراً: دخل بغير إذن، وقيل: هجم، وهو نحو ذلك؛ ومنه قوله في
الحديث: من نظر من صير باب فقد دَمَر؛ قال أبو عبيد وغيره: دَمَرَ أي دخل بغير إذن، وهو
الدُمُورُ، وقد دَمَرَ يَدْمُرُ دُموراً ودَمَقَ دَمَقاً ودُمُوقاً.

أنت، فَعَنَّا فَأتى به على حقيقته واستحسنه الواثق جداً، فَعَمَّ ذلك عمرو بن بانه فقال لإسحاق: أفأنت مثل إبراهيم بن المهدي حتى تقول هذا فيه، قال: لا والله ما أنا مثله، أمّا على الحقيقة فأنا عبده وعبد أبيه، وليس هذا مما نحن فيه؛ وأمّا الغناء فما دخولك أنت بيننا فيه! ما أَحَسَّنْتَ قَطُّ أَنْ تَأْخُذَ فَضْلاً عَنْ أَنْ تُعْطَى، ولا قُمْتَ بِأداء غناء فَضْلاً عَنْ أَنْ تَمَيَّزَ بَيْنَ الْمُحْسِنِينَ، وإِلَّا فَعَنَّ أَيَّ صَوْتٍ شِئْتَ مِمَّا أَخَذْتَهُ عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ كَائِناً مَنْ كَانَ، فَإِنْ لَمْ أَوْضِحْ لَكَ وَلِمَنْ حَضَرَ أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ لَكَ صَوْتٌ مِنْ نَقْصَانِ أَجْزَاءِ وَفْسَادِ صَنْعَةٍ فَدَمِي بِهِ رَهْناً، فأساء عمرو الجواب وأغلظ في القول، فأَمْضَى الواثق وشتمه وأمر بإقامته عن مجلسه فأقيم. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَخَلَ إِسْحَاقُ عَلَى الْوَائِقِ فَأَنَشَدَهُ:

ومجلسٍ باكرتهُ بَكُوراً	والطيرُ ما فارقتِ الوكُوراً
والصبحُ لم يستنطقِ العُصفُوراً	على غديرٍ لم يكن دُعُوراً ^(١)
لم ترَ عيني مثلهُ غَديراً	يجري حبابُ مائه مسجُوراً ^(٢)
على حصي تحسبهُ كافُوراً	تسمعُ للماءِ به خريراً
ينسجُ أعلى متنه سَطُوراً	نسيمُ ريحٍ قد وَثَّتْ فُتُوراً
حتى تخال متنه حصيراً	والشَّربُ قد حَفُّوبه حُضُوراً
وأمرُوا السَّاقِيَّ أَنْ يُدِيرَا	كَأْسَهُمُ الْأَصْغَرَ وَالْكَبِيرَا
وَأَعْمَلُوا الْبَمَّ مَعاً وَالزَّيْرَا	وجاوبتَ عيدانَهُمْ زَمِيرَا
وقربُوا الْمُعْنَى النَّحْرِيرَا	مُقَدِّمًا فِي حَذْقِهِ مَشْهُورَا
فَهُمْ يَطِيرُونَ بِهِ سُورُوا	ولا ترى في شربهم تقصيراً
ولا لصفو عيشهم تكديراً	ولا لخلقٍ منهم نظيراً
إِلَّا رَحِيلاً مِنْهُمْ سَكَّيرَا	مُعَرِّبِداً مَوْضِحاً شَرِيرَا
مُدَّعِيّاً لِلْعِلْمِ مُسْتَعِيرَا	يرومُ سَعياً كاذباً مغرورَا
وَأَنْ يَكُونَ عَالِماً بِصِيرَا	مُفَضَّلاً بِعِلْمِهِ مَذْكَورَا
غَمَزْتُهُ وَلَمْ يَكُنْ صَبُورَا	فَعَاذَ مِنِّي هَارِباً مَذْغُورَا

(١) الدُّعُورُ، بِالضَّمِّ: حَوْضٌ لَمْ يُتَنَوَّقَ فِي صَنْعَتِهِ وَلَمْ يُوسَّعْ، أَوْ هُوَ الْمُتَهَدَّمُ الْمُتَلَمُّ، وَكَذَلِكَ الْمَنْزِلُ، جَمْعُهُ دَعَائِيرُ وَدَعَائِرُ.

(٢) بَحْرٌ مَسْجُورٌ وَمُسَجَّرٌ، وَبَعْضُهُمْ يَفْسِرُ أَنَّهُ لَا يَبْقَى فِيهِ مَاءٌ.

بمعشرٍ تحسبُهُم حميرا
لا ينطِقون الدهرَ إلا زورا
كاللَّيْثِ لما ضَعَمَ^(١) الخنزيرا
معتزفاً بذُّله مقهورا
معتليا لقرنه عَقُورا
إذ كنتُ بالوائقِ مُستَجيرا
إماماً عدلٍ دَبَّرَ الأمورا
تري من الحقِّ عليه نُورا
وجدَهُ الأدنى تُقَى وخيرا
فأصبح الملكُ به منيرا
قد أَمِنَ الناسُ به المحظورا
رأيتُ بدراً طالعاً مُنيरा
يرجُون منه نائلاً غزيرا
لا جاحِدَ النُّعمى ولا كُفُورا
أشد منهم حُمقاً كثيراً
حتى إذا كَسَرَتْهُ تكسيرا
ولَّى انهزاماً خاسئاً مدحورا
وكنْتُ قدماً ضيغماً هُصُورا
وما أخافُ الزمنَ العَثُورا
قد عزَّ من كانَ له نصيرا
برأيه ولم يُردْ مُشيرا
تَقَبَّلَ^(٢) المهدى والمنصورا
ورثَهُ المعتصمُ التدبيرا
وأصبح العدلُ به منشُورا
إذا علا المنبرَ والسريرا
بحراً ترى الغنيَّ والفقيرا
واللَّه لا زلتُ له شكُورا
وكنْتُ بالشُّكرِ له جديرا
[الرجز]

[أشعار في الفروسية]

حَدَّثَنِي الصَّوْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مِيمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ يَقُولُ:
أَنشَدَنِي الْأَصْمَعِيُّ قَوْلَ الْأَعَشَى:

إِنْ تَرَكْبُوا فَرَكُوبُ الْخَيْلِ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نَزُلُ
[البسيط]

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَيُّ شَيْءٍ تَحْفَظُ فِي هَذَا الْمَعْنَى؟ - وَكَانَ مَعَ بَخْلِهِ بِالْعِلْمِ لَا يَبْخُلُ
بِمِثْلِ هَذَا - فَأَنشَدَنِي لِرَبِيعَةَ بْنِ مَقْرُومٍ الضَّبِّيِّ^(٣):

(١) الضَّعَمُ: عَضُّ مِنْ غَيْرِ نَهْشٍ. وَالضَّيْغَمُ: الْأَسَدُ.

(٢) تَقَبَّلَ: شَبِهَ.

(٣) ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي. من شعراء الحماسة، ومن مخضرمي الجاهلية والإسلام. وفد على كسرى في الجاهلية، وشهد بعض الفتوح في الإسلام وحضر وقعة القادسية، توفي سنة ١٦ للهجرة.

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسُلَيْمٍ أَوْظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ
فَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلِ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ
[الكامل]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مَرْوَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ: اجْتَمَعْنَا يَوْمًا إِمَّا قَالَ فِي مَنْزِلِي أَوْ فِي مَنْزِلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بُسْحُنَرٍ، وَدَخَلْنَا وَدَخَلَ إِلَيْنَا إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ وَعِنْدَنَا مَلَا حَظٌّ تُغْنِينَا وَقَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، فَدَخَلَ إِسْحَاقُ وَهِيَ غَائِبَةٌ فَقَالَ: فِيمَ كُنْتُمْ وَمِنْ عِنْدِكُمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ بِخَبَرِهَا، فَقَالَ: لَا تُعَرِّفُوهَا مِنْ أَنَا فَيُخْرِجَهَا التَّصَنُّعُ لِي وَالتَّحَفُّظُ مِنِّي عَنْ طَبْعِهَا، وَلَكِنْ دَعُوهَا وَهَوَاهَا حَتَّى نُنْتَفِعَ بِهَا، وَخَرَجْتُ وَهِيَ لَا تَعْرِفُهُ وَجَلَسْتُ كَمَا كَانَتْ أَوَّلًا، وَابْتَدَأَتْ وَغَنَّتْ - وَالصَّنْعَةُ لِفُلَيْحِ بْنِ أَبِي الْعَوْرَاءِ، وَلِحَنُّهُ رَمَلٌ. هَكَذَا أَخْبَرْنَا إِسْحَاقُ أَنَّ الْغَنَاءَ لِفُلَيْحٍ - :

صوت

إِنِّي تَعَلَّقْتُ ظَبْيًا شَادِنًا خَرِقًا عُلَّقْتُهُ شِقْوَةً مِنِّي وَمَاعَلِقًا
[البسيط]

قَالَ: فَطَرِبَ إِسْحَاقُ وَشَرِبَ حَتَّى وَالَى بَيْنَ خَمْسَةِ أَفْدَاحٍ مِنْ نَبِيذٍ شَدِيدٍ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَسْتَعِيدُّهَا، فَأَخَذَ إِسْحَاقُ دَوَاةً وَكُتِبَ:

سَأَشْرَبُ مَا دَامَتْ تُغْنِي مَلَا حَظٌّ وَإِنْ كَانَ لِي فِي الشَّيْبِ عَنْ ذَاكَ وَاعْظُ
مُلَا حَظٌّ غَنِينَا بَعِيشِكَ وَلِيَكُنْ عَلَيْكَ لِمَا اسْتَحْسَنْتَهُ مِنْكَ حَافِظُ
فَأَقْسِمُ مَا غَنَى غِنَاءُكَ حَادِقٌ مَجِيدٌ وَلَمْ يَلْفِظْ كَلْفِظِكَ لَافِظُ
وَفِي بَعْضِ هَذَا الْقَوْلِ مِنْ مِثْلِ مَسَاءَةٍ وَغِيظٌ شَدِيدٌ لِلْمَغْتَيْنِ غَائِظُ
[الطويل]

[حدث الرشيد عن البرامكة]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَهْلَبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ: قَالَ لِي الرَّشِيدُ يَوْمًا: بِأَيِّ شَيْءٍ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قُلْتُ: يَتَحَدَّثُونَ بِأَنَّكَ تَقْبِضُ عَلَى الْبِرَامِكَةِ وَتُوَلِّي الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ الْوَزَارَةَ، فَغَضِبَ وَصَاحَ بِي: وَمَا أَنْتَ وَذَاكَ وَيْلَكَ! فَأَمْسَكْتُ. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ دَعَا بَنَاهُ؛ فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ غَنِيَتْهُ:

صوت

إِذَا نَحْنُ صَدَقْنَاكَ فَضَرَّ عِنْدَكَ الصَّدْقُ
 طَلَبْنَا النَّفْعَ بِالْبَاطِلِ إِذْ لَمْ يَنْفَعِ الْحَقُّ
 فَلَوْ قَدَّمَ صَبًّا فِي هَوَاهُ الصَّبْرُ وَالرَّفْقُ
 لَقُدِّمْتُ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ الْهَوَى رِزْقُ
 [الهج]

- في هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى يُنسبُ إلى إسحاق وإلى ابن جامع،
 والصحيح أنه لإسحاق. وقيل: إِنَّ الشَّعْرَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ - . قال: فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَقَالَ
 لي: يَا إِسْحَاقُ، قَدْ صِرْتَ حَقُودًا.

أخبرني الحسن قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ
 أَبِيهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْمَعْتَصِمِ يَوْمًا بَسْرًا مِنْ رَأْيٍ، إِذَا الْوَائِقُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعِنْدَهُ عُلُوبُهُ
 وَمُخَارِقُ، فَغَنَاهُ مُخَارِقُ صَوْتًا فَلَمْ يَنْشُطْ لَهُ، ثُمَّ غَنَاهُ عُلُوبُهُ فَأَطْرَبَهُ. فَلَمَّا رَأَيْتُ طَرَبَهُ
 لَغَنَاءَ عُلُوبِهِ دُونَ غَنَاءِ مُخَارِقٍ اِنْدَفَعْتُ فَعَنَيْتُهُ لِحْنِي:

صوت

تَجَنَّبْتُ لَيْلَى أَنْ يَلْجَ بِكَ الْهَوَى وَهِيَهَاتُ كَانَ الْحُبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ^(١)
 [الطويل]

فأمر لي بألف دينار ولعلَّوِيهِ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ، وَلَمْ يَأْمُرْ لِمُخَارِقٍ بِشَيْءٍ.

صوت

تَجَنَّبْتُ لَيْلَى أَنْ يَلْجَ بِكَ الْهَوَى وَهِيَهَاتُ كَانَ الْحُبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ

(١) البيت هو لنصيب بن رباح أبو محجن. مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر فحل، مقدم في النسب
 والمدائح، كان عبداً أسود لراشد بن عبد العزى من كنانة، من سكان البادية، وأشدَّ أبياتاً بين يدي عبد
 العزيز بن مروان، فاشتراه وأعتقه. وكان يتغزل بأُمِّ بَكْرٍ (زينب بنت صفوان) وهي كنانية، وفي بعض
 الروايات (زنجة). له شهرة ذائعة، وأخبار مع عبد العزيز بن مروان وسليمان بن عبد الملك والفرزدق
 وغيرهم. وكان يعد مع جرير وكثير عزة، وسئل عنه جرير، فقال: أشعر أهل جلدته، وتنسك في
 أواخر عمره، وكان له بنات، من لونه، امتنع عن تزويجهن للموالي ولم يتزوجهن العرب، فقليل له: ما
 حال بناتك؟ فقال: صببت عليهن من جلدي (بكسر الجيم) فكسدن علي! قال الثعالبي: وصرن مثلاً
 للبتن يظن بها أبوها فلا يرضى من يخطبها ولا يرغب فيها من يرضاه لها، توفي سنة ١٠٨ هـ.

أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتِ يَا أُمَّ مَالِكٍ صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ
[الطويل]

الشعر للمجنون. والغناء لإسحاق ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ
إِسْحَاقَ. وَعَنَى ابْنُ جَامِعٍ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَبَيْتَيْنِ آخَرَيْنِ أَضَافَهُمَا إِلَيْهِمَا لَيْسَا مِنْ هَذَا
الشعر، هَزَجًا بِالْبَنْصَرِ. وَالْبَيْتَانِ الْمُضَافَانِ:

بَرَى اللَّحْمَ عَنْ أَحْنَاءٍ عَظْمَى وَمَنْكَبِي هَوَى لِسُلَيْمَى فِي الْفُؤَادِ الْمُعْدَبِ
وَأَنِّي سَعِيدٌ أَنْ رَأْتُ لَكَ مَرَّةً مِنْ الدَّهْرِ عَيْنِي مَنْزِلًا فِي بَنِي أَبِي
أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَهْلَبِيُّ قَالَ: عَنَى عَلْوِيهِ بَيْنَ
يَدَيِ الْوَائِقِ يَوْمًا:

صوت

خَلِيلٌ لِي سَأَهْجُرُهُ لَذَنْبٍ لَسْتُ أَذْكُرُهُ
وَلَكِنِّي سَأَرْعَاهُ وَأَكْتُمُهُ وَأَسْتُرُهُ
وَأَظْهَرُ أَتَنَنِي رَاضٍ وَأَسْكُتُ لَا أَخْبِرُهُ
لَكِي لَا يَعْلَمُ الْوَاشِي بِمَا عِنْدِي فَأَكْسِرُهُ
[مجزوء الوافر]

- الشعر والغناء لإسحاق هَزَجٌ بِالْوَسْطَى - قَالَ: فَطَرِبَ الْوَائِقُ طَرِبًا شَدِيدًا،
وَاسْتَحْسَنَ اللَّحْنَ، وَأَمَرَ لِعَلْوِيهِ بِالْفِ دِينَارٍ؛ ثُمَّ قَالَ: أَهَذَا اللَّحْنُ لَكَ؟ قَالَ: لَا يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ هَذَا لِهَذَا الْهَزَبَرُ (يعني إسحاق) - قَالَ: وَكَانَ إِسْحَاقُ حَاضِرًا - فَضَحِكَ
الْوَائِقُ وَقَالَ: قَدْ ظَلَمْنَاهُ إِذَا، وَأَمَرَ لِإِسْحَاقَ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكَاتِبُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُرْدَاذْبَةَ عَنْ
أَبِيهِ قَالَ: كَانَ إِسْحَاقُ عِنْدَ الْفَتْحِ بْنِ الْحَجَّاجِ الْكَرْخِيِّ وَعَلْوِيهِ حَاضِرًا؛ فَغَنَاهُ عَلْوِيهِ:

صوت

عَلَقْتُكَ نَاشِئًا حَتَّى رَأَيْتِ الرَّأْسَ مَبْيَضًا
عَلَى يُسْرِ وَإِعْسَارٍ وَفَيْضٍ نَوَالِكُمَ فَيْضًا
أَلَا أَحِبُّ بِأَرْضٍ كُنْتُ تَحْتَلِّيَنَّهَا أَرْضًا

وَأَهْلُكَ حَبِّذَا مَا هُمْ وَإِنْ أَبَدُوا لِي الْبُغْضَا
[مجزوء الوافر]

- الشعر لابن أذينة^(١). والغناء لابن سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيه لإسحاق هَزَجٌ خَفِيفٌ مَطْلُقٌ في مجرى البنصر، عن إسحاق أيضاً. وفيه للأبجر ثَقِيلٌ أَوَّلٌ، ولإبراهيم الموصلي رَمَلٌ، جميع ذلك عن الهشامي. قال فَعْنَاهُ إِيَّاهُ فِي الثَّقِيلِ، ثُمَّ غَنَّاهُ هَزَجاً، فَقَالَ لَهُ الْفَتْحُ، لِمَنِ الثَّقِيلُ. فقال: لابن سُرَيْجٍ، قال: فَلِمَنِ الْهَزَجُ؟ قال: لِهَذَا الْهَزَبِ (يعني إسحاق)؛ فقال له الْفَتْحُ: وَيْلَكَ! يَا إِسْحَاقُ أَتُعَارِضُ ثَقِيلَ ابْنِ سُرَيْجٍ بِهَزَجِكَ؟ قال: فَقَبِضْ إِسْحَاقُ عَلَى لِحْيَتِهِ ثُمَّ قَالَ: عَلَى ذَلِكَ فَوَاللَّهِ مَا فَاتَنِي إِلَّا بِتَحْرِيكِهِ الذَّقْنَ.

[أَخْطَأَ الْمُعْتَصِمُ فِي شَعْرِ أَبِي خِرَاشٍ فَصَوَّبَهُ]

أخبرني الحسن قال: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الْمُعْتَصِمِ وَعِنْدَهُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ، وَاسْتَدْنَانِي فَدَنَوْتُ مِنْهُ، وَاسْتَدْنَانِي فَتَوَقَّفْتُ خَوْفًا مِنْ أَنْ أَكُونَ مُوَازِيًا فِي الْمَجْلِسِ لِإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَطَنَ الْمُعْتَصِمُ فَقَالَ: إِنَّ إِسْحَاقَ لَكَرِيمٍ، وَإِنَّكَ لَمْ تَسْتَنْزِلْ مَا عِنْدَ الْكَرِيمِ بِمِثْلِ إِكْرَامِهِ. ثُمَّ تَحَدَّثْنَا وَأَفْضَتْ بِنَا الْمَذَاكِرَةُ إِلَى قَوْلِ أَبِي خِرَاشٍ الْهُذَلِيِّ^(٢).

حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
[الطويل]

فَأَنشَدَهَا الْمُعْتَصِمُ إِلَى آخِرِهَا، وَأَنشَدَ فِيهَا:

وَلَمْ أَدْرِ مِنَ الْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ سِوَى أَنَّهُ قَدْ حُطَّ مِنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ^(٣)
[الطويل]

والرواية «قَدْ بُرَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ»، فَعَلِطْتُ وَأَسَأْتُ الْأَدَبَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذِهِ رِوَايَةُ الْكِتَابِ وَمَا أُخِذَ عَنِ الْمُعْلَمِ، وَالصَّحِيحُ «بُرَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ»،

(١) عروة بن يحيى بن مالك بن الحارث الليثي. شاعر غزل مقدم، من أهل المدينة، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين أيضاً، ولكن الشعر أغلب عليه، توفي سنة ١٣٠هـ.

(٢) أبو خراش الهذلي خويلد بن مرة الهذلي المضري. شاعر مخضرم، وفارس فاتك مشهور، أدرك بالعدو، فكان يسبق الخيل. أسلم وهو شيخ كبير، وعاش إلى زمن عمر، وله معه أخبار، نهشته أفعى فقتلته سنة ١٥ للهجرة.

(٣) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:

وَلَمْ أَدْرِ مِنَ الْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ سُلَّ مِنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ

فقال لي: نعم صدقت، وغمزني بعينه، يُحذرنِي من إسحاق وفُطِنْتُ لِغَلْطِي فَأَمْسَكْتُ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ أَشْفَقَ عَلَيَّ مِنْ بَادِرَةٍ تَبْدُرُ مِنْ إِسْحَاقَ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَحْتَمِلُ مِثْلَ هَذَا فِي الْخُلَفَاءِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يُعْظِمَ عَقُوبَتَهُ وَيُطِيلَ حَبْسِهِ، كَائناً مِنْ كَانَ، فَتَبَّهَنِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَمْسَكْتُ وَتَبَّهْتُ.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال: قال عبيد الله بن معاوية قال عمرو بن بانه: كُنَّا عِنْدَ الْمَأْمُونِ، فَقَالَ: مَا أَقْلَ الْهَزَجِ فِي الْغِنَاءِ الْقَدِيمِ! وَقَالَ إِسْحَاقُ: مَا أَكْثَرُهُ! ثُمَّ عَنَّا نَحْوَ ثَلَاثِينَ صَوْتاً فِي الْهَزَجِ الْقَدِيمِ. فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنَّهُ قَلِيلُ الرِّوَايَةِ!

أخبرنا يحيى قال: حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَ لِي الْعَبَّاسُ بْنُ جَرِيرٍ: قَاتَلَكَ اللَّهُ! مَذْكُرُ فِطْنَةٍ، وَمَوْثُ طَبِيعَةٍ، مَا أَمَكْرُ!

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ، وَأَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ:

أَنشَدْتُ بَعْضَ الْأَعْرَابِ شِعْراً أَقُولُ فِيهِ:

لَمَّا جَرَى لَكَ سَانِحٌ بِفِرَاقٍ	أَجَرْتُ سَوَابِقُ دَمْعِكَ الْمُهْرَاقِ
هَاجَتْ عَلَيْكَ صَبَابَةُ الْمَشْتَاكِ	إِنْ الظَّعَائِنَ يَوْمَ نَاصِفَةِ ^(١) اللَّوَى
مِنْهُنَّ بَيْضَ تَرَائِبٍ وَتَرَاقِي	لَمْ أَنْسَ إِذْ أَلْمَحْنَا فِي رِقْبَةٍ
حُمُرٍ كَهَذَابِ الدَّمَقْسِ رِقَاقٍ	وَأَشْرُنْ إِذْ وَدَّعْنَا بَأْنَامِلَ
بِأَغْرَ عَذْبٍ بَارِدٍ بَرَّاقٍ	وَرَمْتِكَ هُنْدٌ يَوْمَ ذَاكَ فَاقْصَدْتُ ^(٢)
نَفْساً تَصْعَدُ فِي حَشَى خَفَاقٍ	وَتَنَفَسْتُ لَمَّا رَأَيْتَكَ صَبَابَةً
حَتَّى صُرِعْتُ مِصْرَاعَ الْعُشَاقِ	وَلَقَدْ حَذِرْتُ فَمَا نَجَوْتُ مُسَلِّماً
لَمَّا تَحَمَّلَهَا أَبُو إِسْحَاقِ	إِنْ الْخِلَافَةَ أَثْبَتَتْ أَوْتَادَهَا
نُورُ الْخِلَافَةِ سَاطِعَ الْأَشْرَاقِ	مَلِكٌ أَغْرِيْلُوهُ فَوْقَ جَبِينِهِ
هَدْيُ ^(٣) التُّقَى وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ	كُسِي الْجَلَالَ مَعَ الْجَمَالِ وَزَانَهُ

(١) الناصفة مجرى الماء، وقيل صخرة في مناصف إسناد الوادي.

(٢) أقصدت: أصابت ولم تخطيء.

(٣) الهدى: الهدى والهدى، يُثْقَلُ وَيُخَفَّفُ: ما أهديت إلى مكة. وكلُّ تُهْدِيهِ مِنْ مَالٍ أَوْ مَتَاعٍ فَهُوَ هَدْيٌ، وقيل الهدى الطريقة والسيرة.

صَحَّتْ عَرُوقُكَ فِي الْجِيَادِ وَإِنَّمَا
 ذَخَرَ الْمُلُوكُ فَكَانَ أَكْثَرُ دُخْرِهِمْ
 وَذَخَرْتَ أَبْنَاءَ الْحُرُوبِ كَأَنَّهُمْ
 كَمِ مِنْ كَرِيمَةٍ مَعَشِرٍ قَدْ أَنْكَحَتْ
 وَعَزِيزَةً فِي أَهْلِهَا وَقَطِينَهَا^(٢)
 يَجْرِي الْجَوَادُ بِصَحَّةِ الْأَعْرَاقِ
 لِلْمَلِكِ مَا جَمَعُوا مِنَ الْأَوْرَاقِ^(١)
 أَسْدُ الْعَرِينِ عَلَى مُتَوْنٍ عِتَاقٍ
 بِسَيُوفِهِمْ قَسْرًا بَغِيرَ صَدَاقٍ
 قَدْ فَارَقْتُ بَعْلًا بَغِيرَ طَلَاقٍ
 [الكامل]

فقال لي: أَفَلَيْتَ وَاللَّهِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا أَفَلَيْتَ؟ قَالَ: رَعَيْتَ فَلَاةً لَمْ يَرَعَهَا أَحَدٌ غَيْرَكَ.

[ذعر المغنين منه]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَخِي أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ عَافِيَةَ بْنِ شَيْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِرَزْزُورِ بْنِ سَعِيدٍ: حَدَّثَنِي عَنْ إِسْحَاقَ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ إِذَا حَضَرَ مَعَكُمْ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ وَهُوَ مُنْقَطِعٌ ذَاهِبٌ وَحُلُوقُكُمْ لَيْسَ مِثْلُهَا فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ: كَانَ وَاللَّهِ لَا يَزَالُ بِحَذَقِهِ وَرَفْقِهِ وَتَأَنِّيهِ وَلَطْفِهِ حَتَّى نَصِيرَ مَعَهُ أَقْلٌ مِنَ التُّرَابِ.

أَخْبَرَنَا يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ لِي: يَا إِسْحَاقُ، كَثُرَ وَاللَّهِ شَيْبُكَ، فَقُلْتُ: أَنَا وَذَاكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو ثَقِيفٍ:

وَالشَّيْبُ إِنْ يَظْهَرُ فَإِنَّ وِرَاءَهُ
 لَمْ يَنْتَقِصْ مَنِّي الْمَشِيبُ قَلَامَةً
 عُمْرًا يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسُ
 وَلَنَحْنُ حِينَ بَدَأَ الْبُ وَأَكَيْسُ^(٣)
 [الكامل]

قال: هَاتِ يَا غَلَامَ دَوَاةً وَقِرْطَاسًا، اكِتُبْهُمَا لِي لِأَتَسَلَّى بِهِمَا.

أَخْبَرَنَا يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، وَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى

(١) الأوراق: الدراهم.

(٢) القطين: الخدم والحشم.

(٣) البيتان هما لغيلان بن سلمة الثقفي. وهو حكيم شاعر جاهلي، أدرك الإسلام وأسلم يوم الطائف وعنده عشر نسوة، فأمره النبي (ﷺ) فاختر أربعاً، فصارت سنة. وكان أحد وجوه ثقيف، انفرد في الجاهلية بأن قسم أعماله على الأيام، فكان له يوم يحكم فيه بين الناس، ويوم ينشد فيه شعره، ويوم ينظر فيه إلى جماله، وهو ممن وفد على كسرى وأعجب كسرى بكلامه، توفي سنة ٢٣ للهجرة.

عن حمّاد عن أبيه، وأخبرني الحسن بن عليّ عن يزيد بن محمد بن عبد الملك عن إسحاق قال: قال الفضل بن يحيى لأبي: مالي لا أرى إسحاق، عرّفني ما خبره؟ فقال: خير. ورأى في كلامه شيئاً يُشكّك، فقال: أعليلُ هو؟ فقال: لا، ولكنّه جاءك مرّاتٍ فحجّبه نافذُ الخادم ولحِقْتُهُ جفوةً، فقال له: فإن حجّبه بعدها فلينكّه. فجاءني أبي فقال لي: إلّقه، فقد سألتُ عنك، وخبرني بما جرى. وجئتُ فحجّبتُ أيضاً، وخرج الفضل ليُرَكِّب، فوثّبتُ إليه برقعةً وقد كتبتُ فيها:

جُعِلَتْ فِدَاؤُكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ إِلَى حُسْنِ رَأْيِكَ أَشْكُو أَنَا
يَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ السَّلَامِ فَمَا إِنْ أَسَلَّمُ إِلَّا اخْتَلَسَا
وَأَنفَذْتُ أَمْرَكَ فِي نَافِذٍ فَمَا زَادَهُ ذَلِكَ إِلَّا شِمَاسَا

[المتقارب]

فلَمَّا قَرَأَهَا ضَحِكَ حَتَّى غُلِبَ، ثُمَّ قَالَ: أَوْ قَدْ فَعَلْتَهَا يَا فَاسِقُ؟! فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي، وَإِنَّمَا مَزَحْتُ، فَخَجَلْ نَافِذٌ خَجَلًا شَدِيدًا، وَلَمْ يَعِدْ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَسَاءَتِي.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ: ذَكَرَ الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا بَعْضَ أَصْحَابِهِ وَقَدْ غَابَ عَنْهُ، فَقَالَ: تَعَالَوْا حَتَّى نَقُولَ مَا يَصْنَعُ فِي هَذَا الْوَقْتِ؛ فَقَالَ قَوْمٌ: يَلْعَبُ بِالنَّرْدِ، وَقَالَ قَوْمٌ: يَغْنِي. فَبَلَغْتَنِي النُّوبَةُ، فَقَالَ: قُلْ يَا إِسْحَاقُ، قُلْتُ: إِذَا أَقُولُ وَأُصِيبُ. قَالَ: أَتَعْلَمُ الْغَيْبَ؟ قُلْتُ: لَا، وَلَكِنِّي أَفْهَمُ مَا يَصْنَعُ وَأَقْدِرُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ؛ قَالَ: فَإِنْ لَمْ تُصِيبْ؟ قُلْتُ: فَإِنْ أَصِيبْتُ؟ قَالَ: لَكَ حُكْمُكَ، وَإِنْ لَمْ تُصِيبْ؟ قُلْتُ: لَكَ دَمِي؛ قَالَ: وَجَبَ، قُلْتُ: وَجَبَ قَالَ: فَقُلْ، قُلْتُ: يَتَنَفَّسُ، قَالَ: فَإِنْ كَانَ مَيِّتًا؟ قُلْتُ: تُحْفَظُ السَّاعَةُ الَّتِي تَكَلَّمْتُ فِيهَا، فَإِنْ كَانَ مَاتَ فِيهَا أَوْ قَبْلَهَا فَقَدْ قَمَرْتَنِي، فَقَالَ: قَدْ أَنْصَفْتَ، قُلْتُ: فَالْحُكْمُ، قَالَ: احْتَكَمْ مَا شِئْتَ قُلْتُ: مَا حُكْمِي إِلَّا رِضَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَإِنْ رَضَايَ لَكَ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، أَتَرَى مَزِيدًا؟ فَقُلْتُ: مَا أَوْلَاكَ بِذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِائَتَا أَلْفِ دِرْهَمٍ، أَتَرَى مَزِيدًا؟ قُلْتُ: مَا أَحْوجُنِي إِلَى ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَإِنَّهَا ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ، أَتَرَى مَزِيدًا؟ قُلْتُ: مَا أَوْلَاكَ بِذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: يَا صَفِيْقَ الْوَجْهِ! مَا نَزِيدُكَ عَلَى هَذَا شَيْئًا.

[مدح سفينة للأمين]

أخبرنا يحيى قال: حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ

قال: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ: عَمِلَ مُحَمَّدُ الْمَخْلُوعُ^(١) سَفِينَةً فَأَعْجَبَ بِهَا، وَرَكِبَ فِيهَا يَرِيدُ الْأَنْبَارَ. فَلَمَّا أَمْعَنَ وَأَنَا مُقْبِلٌ عَلَى بَعْضِ أَبْوَابِ السَّفِينَةِ صَاحُوا: إِسْحَاقُ إِسْحَاقُ، فَوَثَبْتُ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقَالَ لِي: كَيْفَ تَرَى سَفِينَتِي؟ فَقُلْتُ: حَسَنَةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، عَمَّرَهَا اللَّهُ بِبَقَائِكَ. فَقَامَ يَرِيدُ الْخَلَاءِ وَقَالَ لِي: أَحْسَنْتَ يَا إِسْحَاقُ، وَحَيَاتِكَ لِأَهْبَنَ لَكَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ؛ قُلْتُ: مَتَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِذَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَضْحِكَ وَدَعَا بِهَا عَلَى الْمَكَانِ. وَلَمْ يَذْكُرْ يَحْيَى فِي خَبَرِهِ الْأَبْيَاتِ.

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: غَنَيْتُ الْوَائِقَ فِي شَعْرِ قَلْتِهِ وَأَنَا عِنْدَهُ بِسْرٍ مِنْ رَأْيٍ وَقَدْ طَالَ مُقَامِي وَاشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي، وَهُوَ:

صوت

يَا حَبْذَا رِيحُ الْجَنُوبِ إِذَا بَدَتْ فِي الصُّبْحِ وَهِيَ ضَعِيفَةُ الْأَنْفَاسِ
قَدْ حُمِلَتْ بَرْدَ النَّدَى وَتَحَمَّلَتْ عَبْقاً مِنَ الْجَشْجَاشِ^(٢) وَالْبَسْبَاسِ^(٣)
[الكامل]

فَشَرِبَ عَلَيْهِ وَاسْتَحْسَنُهُ وَقَالَ لِي: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، لَوْ قُلْتُ مَكَانَ «يَا حَبْذَا رِيحُ الْجَنُوبِ»: «يَا حَبْذَا رِيحَ الشَّمَالِ»، أَلَمْ يَكُنْ أَرْقَّ وَأَعْدَى^(٤) وَأَصَحَّ لِلْأَجْسَادِ وَأَقْلَّ وَخَامَةً وَأَطْيَبَ لِلْأَنْفُسِ؟ فَقُلْتُ: مَا ذَهَبَ عَلَيَّ مَا قَالَهُ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنِ التَّفْسِيرُ فِيمَا بَعْدُ، فَقَالَ: قُلْ فَقُلْتُ:

مَاذَا تَهِيْجُ مِنَ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى لِلصَّبِّ بَعْدَ ذَهْوَلِهِ وَالْيَاسِ
[الكامل]

فَقَالَ الْوَائِقُ: إِنَّمَا اسْتَطَبَّتْ مَا تَجِيءُ بِهِ الْجَنُوبُ مِنْ نَسِيمِ أَهْلِ بَغْدَادَ لَا الْجَنُوبَ، وَإِلَيْهِمْ اشْتَقْتُ لَا إِلَيْهَا، فَقُلْتُ: أَجَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقُمْتُ فَقَبَلْتُ يَدَهُ،

(١) هو محمد الأمين بن هارون الرشيد، سُمي بالمخلوع لأن أهل مكة والمدينة وكثيراً من عماله خلعوه وبايعوا المأمون وهو في خراسان.

(٢) قال أبو حنيفة: الجَشْجَاشُ: من الأمرار، وهو اخضر ينبت بالقيظ له زهرة صفراء كأنها زهرة عرفجة طيبة الريح، تأكله الإبل إذا لم تجد غيره.

(٣) البَسْبَاسُ، وربما قالوا: تُرْهَاتُ البَسْبَاسِ، بالإضافة، هي: الباطلُ وفُسْرُه الجَوْهَرِيُّ بالأباطيل. قال الجَوْهَرِيُّ: البَسْبَاسَةُ: نبتٌ، ولم يَزِدْ، وقال أبو حنيفة: البَسْبَاسُ من النبات: الطَّيْبُ الرِّيحِ، وزعم بعضُ الرُّوَاةِ أَنَّهُ النَّانَخَاةُ.

(٤) أعْدَى: أطيَب.

فضحك وقال: قد أذنت لك بعد ثلاثة أيام، فامض راشداً، وأمر لي بمائة ألف درهم. لحن إسحاق هذا من الثقل الأول.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: لَمْ أَرِ قَطُّ مِثْلَ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى، كَانَتْ لَهُ قُتُوَّةٌ وَظَرْفٌ وَأَدَبٌ وَحَسَنُ غِنَاءٍ وَضَرْبٌ بِالطُّبْلِ، وَكَانَ يَأْخُذُ بِأَجْزَلِ حَظٍّ مِنْ كُلِّ فَنٍّ مِنَ الْأَدَبِ وَالْفُتُوَّةِ. فَحَضَرْتُ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ نَائِمٌ، فَانصَرَفْتُ فَلَقَيْتَنِي جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فَقَالَ لِي: مَا الْخَبَرُ؟ فَقُلْتُ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ نَائِمٌ؟ فَقَالَ: قِفْ مَكَانَكَ؟ وَمَضَى إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْحَاجِبُ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ نَائِمٌ. فَخَرَجَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي: قَدْ نَامَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَسِرْ بِنَا إِلَى الْمَنْزِلِ حَتَّى نَخْلُو جَمِيعاً بِقِيَّةِ يَوْمِنَا وَتُعْنِيَنِي وَأُعْنِيَكَ وَنَأْخُذُ فِي شَأْنِنَا مِنْ وَقْتِنَا هَذَا؛ قُلْتَ نَعَمْ، فَصَرْنَا إِلَى مَنْزِلِهِ فَطَرَحْنَا ثِيَابَنَا، وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَطَعَمَنَا، وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ الْجَوَارِي وَقَالَ: لِيَتَبَرَّزْنَ، فَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ تَحْتِشْمَنْ مِنْهُ. فَلَمَّا وُضِعَ الشَّرَابُ دَعَا بِقَمِيصِ حَرِيرٍ فَلَبِسَهُ وَدَعَا بِخُلُوقٍ فَتَخَلَّقَ بِهِ، ثُمَّ دَعَا لِي بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَجَعَلَ يُعْنِيَنِي وَأُعْنِيَهُ، ثُمَّ دَعَا بِالْحَاجِبِ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِالْأَذْنِ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَإِنْ جَاءَ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ مَشْغُولٌ، وَاحْتَاطَ فِي ذَلِكَ وَتَقَدَّمَ فِيهِ إِلَى جَمِيعِ الْحُجَّابِ وَالْخَدَمِ ثُمَّ قَالَ: إِنْ جَاءَ عَبْدُ الْمَلِكِ فَأَذْنُوا لَهُ - يَعْنِي رَجُلًا كَانَ يَأْتِسُ بِهِ وَيَمَارِزُهُ وَيُحْضِرُ خَلَوَاتِهِ - ثُمَّ أَخَذْنَا فِي شَأْنِنَا؛ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَعَلَى حَالَةٍ سَارَةٍ عَجِيبَةٍ إِذْ رُفِعَ السُّتْرُ، وَإِذَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ الْهَاشِمِيِّ قَدْ أَقْبَلَ، وَغَلِطَ الْحَاجِبُ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الَّذِي يَأْتِسُ بِهِ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى. وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ الْهَاشِمِيِّ مِنْ جَلَالَةِ الْقَدْرِ وَالتَّقْشُفِ وَفِي الْإِمْتِنَاعِ مِنْ مَنَادِمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمْرِ جَلِيلٍ، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اجْتَهَدَ بِهِ أَنْ يَشْرَبَ مَعَهُ أَوْعِنْدَهُ قَدْحاً فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ رَفْعاً لِنَفْسِهِ. فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ مُقْبِلاً، أَقْبَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مَنَا يَنْظُرُ إِلَى صَاحِبِهِ، وَكَادَ جَعْفَرُ أَنْ يَنْشَقَّ غَيْظاً. وَفَهِمَ الرَّجُلُ حَالَنَا، فَأَقْبَلَ نَحْوَنَا، حَتَّى إِذَا صَارَ إِلَى الرُّوَاقِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ نَزَعَ فَلَنَسِيَّتِهِ فَرَمَى بِهَا مَعَ طِيلَسَانِهِ جَانِباً؛ ثُمَّ قَالَ: أَطْعَمُونَا شَيْئاً فَدَعَا لَهُ جَعْفَرُ بِالطَّعَامِ وَهُوَ مُتَنَفِّخٌ غَضَباً وَغَيْظاً فَطَعِمَ، ثُمَّ دَعَا بِرُطْلٍ فَشَرِبَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى الْمَجْلِسِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ فَأَخَذَ بِعُضَادَتِي^(١) الْبَابِ ثُمَّ قَالَ: اشْرَكُونَا فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ؛ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ: ادْخُلْ؛ ثُمَّ دَعَا بِقَمِيصِ حَرِيرٍ وَخُلُوقٍ فَلَبَسَ وَتَخَلَّقَ، ثُمَّ دَعَا بِرُطْلٍ وَرُطْلٍ حَتَّى شَرِبَ عِدَّةَ أَرْطَالٍ، ثُمَّ انْدَفَعَ لِيُعْنِيَنِي، فَكَانَ وَاللَّهِ أَحْسَنَنَا جَمِيعاً غِنَاءً. فَلَمَّا طَابَتْ نَفْسُ جَعْفَرٍ وَسُرِّي عَنْهُ مَا كَانَ بِهِ التَّفَتُّ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: ارفِعْ حَوَائِجَكَ؛ فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ حَوَائِجٍ؛ فَقَالَ: لَتَفْعَلَنَّ، وَلَمْ يَزَلْ يُلِحُّ عَلَيْهِ

(١) عضاداتا الباب: خشبته من جانبيه.

حتى قال له: أمير المؤمنين عليّ واجدٌ، فأحبُّ أن تترصّاه، قال: فإنَّ أمير المؤمنين قد رَضِيَ عنك، فهاتِ حوائجك؛ فقال: هذه كانت حاجتي، قال: ارفع حوائجك كما أقولُ لك، قال: عليّ دينٌ فادِّحْ، قال: هذه أربعة آلاف ألف درهم، فإنَّ أحببتَ أنْ تَقْبِضَها فاقبضها من منزلي الساعة، فإنَّه لم يمنعني من إعطائك إياها إلا أنَّ قَدْرَكَ يَجَلُّ على أن يصلحك مثلي، ولكنِّي ضامنٌ لها حتى تُحمَلَ من مال أمير المؤمنين غداً؛ فسَلَّ أيضاً، قال: ابني، تُكلِّمُ أمير المؤمنين حتى ينوّه باسمي، قال: قد ولّاه أمير المؤمنين مصرَ وزوجَه ابنته العالية ومهرها ألفي ألف درهم. قال إسحاق: فقلتُ في نفسي: قد سَكِرَ الرجلُ (أعني جعفرًا). فلما أَصْبَحْتُ لم تكن لي هِمَّةٌ إلا حضور دار الرشيد وإذا جعفر بن يحيى قد بَكَرَ، وَوَجَدْتُ في الدارِ جَلْبَةً وإذا أبو يوسف القاضي ونظراؤه قد دُعِيَ بهم، ثم دُعِيَ بعبد الملك بن صالح وابنه فأَدْخِلَا على الرشيد؛ فقال الرشيدُ لِعَبْدِ الملك: إنَّ أمير المؤمنين كان واجداً عليك وقد رَضِيَ عنك، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم، فاقبضها من جعفر بن يحيى الساعة. ثم دعا بابنه فقال: اشهدوا أنَّي قد زَوَّجْتُه العالية بنت أمير المؤمنين وأمهرتها عنه ألفي ألف درهم من مالي وَوَلَّيْتُه^(١) مصر. قال: فلما خَرَجَ جعفر بن يحيى سألتُهُ عن الخبر؛ فقال: بَكَرْتُ على أمير المؤمنين فَحَكَيْتُ له ما كان ممَّا وما كُنَّا فيه حرفاً حرفاً، وَوَصَفْتُ له دخولَ عبد الملك وما صنع، فَعَجِبَ لذلك وسرَّ به، ثم قُلْتُ له: قد ضَمِنْتُ له عنك يا أمير المؤمنين ضَمَاناً؛ فقال: ما هو؟ فأَعْلَمْتُهُ، قال: أَوْفٍ له بضمانك، وأمر بإحضاره؛ فكان ما رأيتُ.

أخبرني عمي قال: حَدَّثَنِي فَضْلُ الْيَزِيدِيِّ عن إسحاق قال:

لَمَّا صَنَعْتُ لِحْنِي فِي:

هَلْ إِلَى نَظَرَةٍ إِلَيْكَ سَبِيلُ

أَلْقَيْتُهُ عَلَى عُلُوبِهِ، وجاءني رسول أبي بَطْبَقٍ فأكهة باكورة، فَبَعَثْتُ إليه: بَرَكَ اللَّهُ يَا أَبَةَ وَوَصَلَكَ! الساعة أبعث إليك بأحسن من هذه الباكورة، فقال: إِنِّي أَطْنُهُ قَدْ أَتَى بَابِدَةَ^(٢) فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ عُلُوبِهِ فَعَنَّاهُ الصَّوْتُ، فَعَجِبَ مِنْهُ وَأَعْجَبَ بِهِ، وقال: قد أخبرتكم أنه قد أتى بابِدَةَ. ثم قال لَوَلَدِهِ: أنتم تلومونني على تفضيل إسحاق ومحبتي له، واللَّهِ لو كان ابن غيري لأَحْبَبْتُهُ لِفَضْلِهِ فكيف وهو ابني؛ وستعلمون أنَّكم

(١) لم يدخل عبد الملك بن صالح مصر، ولكنه استخلف عليها عبد الله بن المسيب الضبي.

(٢) الأبدية: الغريبة.

لا تعيشون إلا به . وقد ذَكَرَ أبو حاتم الباهلي عن أخية أبي معاوية بن سعيد بن سلم أن هذه القصة كانت لما صَنَعَ إسحاقُ لَحْنَهُ في :

غَيَّضَنَ مِنْ عِبَرَاتِهِنَّ وَقَلْنَ لِي

وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ مَعَ أَخْبَارِ هَذَا الصَّوْتِ فِي مَوْضِعِهِ .

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ : سَأَلْتُ إِسْحَاقَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، فَقَالَ : دَعْنِي مِنْهُ ، فَلَيْسَتْ لَهُ رَوَايَةٌ وَلَا دِرَايَةٌ وَلَا حِكَايَةٌ .

[رثاؤه هشيمة الخمارة]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال : حَدَّثَنِي فَضْلُ الْيَزِيدِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : كَانَتْ هُشَيْمَةُ الْخَمَّارَةِ جَارَتِي ، وَكَانَتْ تَخْصُنِي بِأَطْيَبِ الشَّرَابِ وَجَيِّدِهِ فَمَاتَتْ فَقُلْتُ أَرْتِيهَا :

أَضَحَتْ هُشَيْمَةُ فِي الْقُبُورِ مُقِيمَةً وَخَلَتْ مَنَازِلَهَا مِنَ الْفَتِيَانِ
كَانَتْ إِذَا هَجَرَ الْمَحَبَّ حَبِيبُهُ دَبَّتْ لَهُ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ
حَتَّى يَلِينَ لِمَا تُرِيدُ قِيَادَهُ وَيَصِيرَ سَيِّئُهُ إِلَى الْإِحْسَانِ
[الكامل]

أخبرني محمد بن مزيد قال : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَأَلَنِي إِدْرِيسُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ حَاجَةً ، فَقَضَيْتُهَا لَهُ وَزِدْتُ فِيمَا سَأَلَ . فَقَالَ لِي :

إِذَا الرِّجَالُ جَهِلُوا الْمَكَارِمَا كَانَ بِهَا ابْنُ الْمُوصَلِيِّ عَالِمَا
أَبْقَاكَ ذُو الْعَرْشِ بَقَاءً دَائِمَا فَقَدْ جُعِلَتْ لِلْكَرَامِ خَاتِمَا
إِسْحَاقُ لَوْ كُنْتُ لَقَيْتَ حَاتِمَا كَانَ نَدَاهُ لِنَدَاكَ خَادِمَا
[الرجز]

قال حَمَّادُ : وَقَالَ لِي أَبِي : كَانَ إِدْرِيسُ سَخِيًّا مِنْ بَيْنِ آلِ أَبِي حَفْصَةَ ؛ فَتَنَزَّلَ بِهِ ضَيْفٌ ، فَتَنَمَّرَتْ امْرَأَتُهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا :

مِنْ شَرِّ أَيَّامِكَ الْآلَتِي خُلِقْتُ لَهَا إِذَا فَقَدْتِ نَدَى^(١) صَوْتِي وَزُؤَارِي
[البسيط]

أخبرني محمد بن مزيد قال : حَدَّثَنَا حَمَّادُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ قَدْ دَعَانِي وَدَعَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي عُيَيْنَةَ ، فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ حَتَّى اصْطَبَحْنَا شَدِيدًا ،

(١) الندى : الصدى .

وَتَشَاعَلْتُ عَنْهُ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ كَانَ يَجِئُنِي فَأَكْتُبُ عَنْهُ وَكَانَ فَصِيحاً؛ وَكَانَ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ بَعْضُ مَنْ يُعَادِينِي، فَسَأَلُوا ابْنَ أَبِي عَيْيَنَةَ أَنْ يُعَاتِبَنِي بِشَعْرِ يَنْسُبُنِي فِيهِ إِلَى الْخَلْفِ فَكُتِبَ إِلَيَّ:

يَا مَلِيّاً بِالْوَعْدِ وَالْخُلْفِ وَالْمَطْلِ بَطِيئاً عَنْ دَعْوَةِ الْأَصْحَابِ
لَهْجاً بِالْأَعْرَابِ إِنَّ لَدِينَا بَعْضَ مَا تَشْتَهِي مِنَ الْأَعْرَابِ
قَدْ عَرَفْنَا الَّذِي شُغِلْتَ بِهِ عَنَّا وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَا فِي الْكِتَابِ
[الخفيف]

قال: فَكَتَبْتُ إِلَى الَّذِي حَمَلَ ابْنَ أَبِي عَيْيَنَةَ عَلَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ - قَالَ حَمَّادٌ: وَأَظُنُّهُ
إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ:

قَدْ فَهِمْتُ الْكِتَابَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ وَعِنْدِي عَلَيْهِ رَدُّ الْجَوَابِ
وَلِعَمْرِي مَا تُنْصِفُونَ وَلَا كَأَنَّ الَّذِي جَاءَ مِنْكُمْ فِي حِسَابِي
لَسْتُ آتِيكَ فاعْلَمَنَّ وَلَا لِي فَيْكَ حَظٌّ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْكِتَابِ
[الخفيف]

قال حَمَّادٌ: قال أبي: وَكَتَبْتُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ وَقَدْ اعْتَلَلْتُ أَيَّاماً فَلَمْ يَأْتَنِي
رَسُولُهُ:

أَنَا عَلِيلٌ مِنْذُ فَارَقْتَنِي وَأَنْتَ عَمَّانٌ غَابَ لَا تَسْأَلُ
مَا هَكَذَا كُنْتَ وَلَا هَكَذَا فِيمَا مَضَى كُنْتَ بِنَا تَفْعَلُ
[السريع]

فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ رُقِعَتِي رَكِبَ إِلَيَّ وَجَاءَنِي عَائِداً:
أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ قَالَ: لَمَّا خَرَجَ إِلَيَّ الْبَصْرَةَ خَرَجْتَهُ
الْأُولَى وَعَادَ، أَنْشَدَنِي فِي ذَلِكَ لِنَفْسِهِ:

صوت

مَا كُنْتُ أَعْرِفُ مَا فِي الْبَيْنِ مِنْ حَزَنِ
قَامَتْ تُودِّعُنِي وَالْعَيْنُ تَغْلِبُهَا
حَتَّى تَنَادَوْا بِأَنْ قَدْ جِيَءَ بِالسُّفْنِ
كَمَا يَمِيلُ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْغُصْنِ
فَجَمَجَمْتُ^(١) بَعْضَ مَا قَالَتْ وَلَمْ تُبْنِ

(١) جمجمت: تكلمت كلاماً غير مفهوم.

وأعرضت ثم قالت وهي باكيةٌ يا لَيْتَ معرفتي إياكَ لم تَكُنْ
لما افترقنا على كرهٍ لِفُرْقَتِها أيقنْتُ أنّي رهينُ الهمِّ والحزنِ
[البسيط]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال: حَدَّثَنِي حَمَاد بن إِسحاق عن أبيه قال: أنشدني
شَدَّاد بن عُقْبَةَ لجميل:

قَفِي تَسْلُ عَنْكَ النَّفْسُ بِالْخِطَّةِ الَّتِي تُطِيلِينَ تَخْوِيفِي بِهَا وَوَعِيدِي
فَقَدْ طَالَمَا مِنْ غَيْرِ شَكْوَى قَبِيحَةٍ رَضِينَا بِحُكْمِ مِنْكَ غَيْرِ سَدِيدِ
[الطويل]

قال: فَأَنشَدْتُ الزُّبَيْر بن بَكَّار هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ، فقال: لو لم أنصرف من العراق إلا
بهما لرَأَيْتُهُمَا غُثْمًا. وأنشدني شَدَّاد لجميل أيضاً:

بُثَيْنَ سَلِينِي بَعْضَ مَالِي فَإِنَّمَا يُبَيِّنُ عِنْدَ الْمَالِ كُلُّ بَخِيلِ
فإِنِّي وَتَكَرَّارِي الزِّيَارَةَ نَحْوَكُمْ لَبَيِّنُ يَدَيَّ هَجْرَ بُثَيْنِ طَوِيلِ
[الطويل]

قال أبي: فَقُلْتُ لَشَدَّاد: فهلا أزيدك فيهما. فقال: بلى، فَقُلْتُ:

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَقُولِينَ بَعْدَنَا إِذَا نَحْنُ أَزْمَعْنَا غَدًا لِرَحِيلِ
أَلَا لَيْتَ أَيَّاماً مَاضِينَ رَوَّاجِعُ وَلَيْتَ النَّوَى قَدْ سَاعَدَتْ بِجَمِيلِ
[الطويل]

فقال شَدَّاد: أَحَسَنْتُ وَاللَّهِ! وَإِنَّ هَذَا الشَّعْرَ لَضَائِعٌ، فقلت: وكيف ذلك؟
قال: نَفِيتُهُ عَنْ نَفْسِكَ بِتَسْمِيَتِكَ، جميلاً فيه، ولم يلحق بجميل، فضاع بينكما
جميعاً.

[عند اسحاق المصعبي]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قال: حَدَّثَنِي عَلِي بن يحيى الْمُنَجِّم قال: حَدَّثَنِي إِسحاق
الموصلِي قال: دعاني إِسحاق بن إبراهيم الْمُصْعَبِي، وكان عبد الله بن طاهر عنده
يومئذ، فَوَجَّهَ إِلَيَّ فَحَضَرْتُ وَحَضَرَ عَلَوِيهِ وَمَخَارِقُ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْمُعْتَنِينَ فَبَيْنَا هُمْ عَلَى
شَرَابِهِمْ وَهُمْ أَسْرُ مَا كَانُوا، إِذْ وَاوَاهُ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: أَجِبْ، فقال: السَّمْعُ
وَالطَّاعَةُ، ودعا بشيابه فَلَبَسَهَا. ثم التفت إلى محمد بن راشد الْخَنَاق فقال له: قد بلغني
أَنَّكَ أَحْفَظُ النَّاسَ لَمَّا يَدُورُ فِي الْمَجَالِسِ، فاحفظ لي كُلَّ صَوْتٍ يَمُرُّ وَمَا يَشْرِبُهُ كُلُّ
إِنْسَانٍ، حَتَّى إِذَا عُذْتُ أَعَدْتَ عَلَيَّ الْأَصْوَاتَ وَشَرِبْتُ مَا فَاتَنِي، فقال: نعم، أَصْلَحَ

اللَّهُ الأمير. وَمَضَى إِلَى الْمَأْمُون، فَأَمَرَهُ بِالشَّخْصِ إِلَى بَابِكَ^(١) مِنْ غَدٍ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَرَجَعَ مِنْ عِنْدِهِ. فَلَمَّا دَخَلَ وَوَضَعَ ثِيَابَهُ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا صَنَعْتَ فِيمَا تَقَدَّمْتُ بِهِ إِلَيْكَ. قَالَ: قَدْ أَحْكَمْتَهُ أَعَزَّكَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِمَا شَرِبَ الْقَوْمُ وَمَا اسْتَحْسَنُوهُ مِنَ الْغَنَاءِ بَعْدَهُ، فَأَمَرَ أَنْ يَجْمَعَ لَهُ أَكْثَرَ مَا شَرَبَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فِي قَدَحٍ، وَأَنْ يَعَادَ عَلَيْهِ صَوْتُ صَوْتٍ مِمَّا حَفَظَهُ لَهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مَا فَاتَهُ الْقَوْمُ بِهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَشَرِبَ حَتَّى اسْتَوْفَى النَّيِّدَ وَالْأَصْوَاتَ. ثُمَّ قَالَ لِي: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنِّي قَدْ عَمَلْتُ فِي مَنْصَرِفِي مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَاتًا فَاسْمَعْهَا فَقُلْتُ: هَاتَهَا أَعَزَّ اللَّهُ الْأَمِيرَ، فَأَنْشِدْنِي:

صوت

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مُسَلِّمٍ لِلنَّوَابِ أَحَاطَتْ بِهِ الْأَحْزَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
تَبَيَّنَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَنْ اعْتَزَامَهُ عَلَى الصَّبْرِ مِنْ بَعْضِ الظُّنُونِ الْكُوَاذِبِ
[الطويل]

صوت

حَرَامٌ عَلَى رَامِي فُؤَادِي بِسَهْمِهِ دَمٌ صَبَّهَ بَيْنَ الْحَشَى وَالتَّرائِبِ
أَرَاقٌ دَمَالُولا الْهَوَى مَا أَرَاقَهُ فَهَلْ بِدَمِي مِنْ ثَائِرٍ أَوْ مُطَالِبِ
[الطويل]

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: مَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الشَّعْرِ قَطُّ، فَقَالَ لِي: فَاصْنَعْ فِيهِ، فَصَنَعْتُ فِيهِ لِحْنًا، وَأَحْضَرَنِي وَصِيفَةً لَهُ، فَأَلْقَيْتُهُ عَلَيْهَا حَتَّى أَخَذْتُهُ، وَقَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَتَسَلَّى بِهِ فِي طَرِيقِي وَتُذَكِّرَنِي بِهِ الْجَارِيَةُ أَمْرَكَ إِذَا غَنَّتْهُ. فَكَانَ كُلَّمَا ذَكَرَ أَتَانِي بِرُّهُ، إِلَى أَنْ قَدِمَ، عِدَّةَ دَفْعَاتٍ. لَمْ أَجِدْ لِإِسْحَاقَ صَنْعَةً فِي هَذَا الشَّعْرِ، وَالَّذِي وَجَدْتُ فِيهِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ خَفِيفٌ رَمَلٌ، ذَكَرَهُ ابْنُهُ عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْهُ. وَلِمُخَارِقَ لِحْنٌ مِنَ الرَّمْلِ. وَلِعَمْرُو بْنِ بَانَةَ هَزَجٌ بِالْوَسْطَى. وَلِمُخَارِقَ وَالطَّاهِرِيَّةِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ.

[لَمَّا كُفَّ بَصْرُهُ]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَمْدُونَ قَالَ: سَأَلَ الْمُتَوَكِّلُ عَنْ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ، فَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ كُفَّ وَأَنَّهُ فِي مَنْزِلِهِ بِبَغْدَادٍ؛ فَكَتَبَ فِي إِحْضَارِهِ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ رَفَعَهُ حَتَّى أَجْلَسَهُ فُؤَادَ السَّرِيرِ، وَأَعْطَاهُ مِخْدَةً، وَقَالَ لَهُ: بَلِّغْنِي أَنَّ

(١) هو بابك الخرمي.

المعتصم دفع إليك مخدة في أول يوم جلست بين يديه وهو خليفة، وقال: إنه لا يستجلب ما عند حُرّ بمثل الكرامة، ثم سأله: هل أكل؟ فقال: نعم؛ فأمر أن يُسقى؛ فلما شرب أقداحاً قال: هاتوا لأبي محمد عوداً فجيء به؛ فاندفع يُعني بصوت الشعر فيه والغناء له:

صوت

ما علة الشيخ عيناه بأربعة^(١) تغرورقان بدمعٍ ثم تنسكب
[البسيط]

- قال أبو عبد الله: فوالله ما بقي غلامٌ من الغلمان الوقوف على الحير^(٢) إلا وجدته يرفُضُ طرباً وهو لا يعلم بما يفعل - فأمر له بمائة ألف درهم. ثم قال لي المتوكل: يا بن حمدون، أتحسن أن تُعني هذا الصوت؟ فقلتُ نعم، قال: عنه، فترنمتُ به، فقال إسحاق: من هذا الذي يحكي؟ فقال: هذا ابن صديقك حمدون؛ فقال: وددتُ أنه يُحسن أن يحكي؛ فقلتُ له: أنت عرّضتني له يا أمير المؤمنين. ثم انحدر المتوكل إلى رقة بؤصر، وكان يستطيها لكثرة تغريد الأطيّار بها، فعني إسحاق:

صوت

إن هتفتَ وزقأ في رونتِ الضحى على غصن غصّ الشباب من الرند
بكيت كما يبكي الحزين صباةً وشوقاً وتابعت الحنين إلى نجد
[الطويل]

فضحك المتوكل وقال له: يا إسحاق، هذه أختُ فعلتِكَ بالواثق لما عنيته بالصالحية:

طربتُ إلى الأصبية الصغار وذكرني الهوى^(٣) قرب المزار
[الوافر]

فكم أعطاك لما أذن لك في الانصراف؟ قال: مائة ألف درهم؛ فأمر له بمائة

(١) تبكيان أشد البكاء.

(٢) الحير: اسم قصر بسر من رأى بناه المتوكل وأنفق على عمارته أربعة آلاف ألف درهم.

(٣) ورد في بعض المصادر «وهاجك منهم» بدل «ذكرني الهوى».

ألف درهم، وأذن له، بالانصراف إلى بغداد. وكان هذا آخر عهدنا به، لأنَّ إسحاق تُوفي بعد ذلك بشهرين.

حدَّثني جَحْظَةُ قال: حَدَّثني حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دَخَلْتُ على الواثق أَسْتَأْذِنُهُ في الانحِدار إلى بغدادَ فوجدته مُصْطَبِحاً، فقال: بحياتي عَنْ:

صوت

أَلَا إِنَّ أَهْلَ الدَّارِ قَدْ وَدَّعُوا الدَّارَ وَإِنْ كَانَ أَهْلُ الدَّارِ فِي الْحَيِّ أَجْوَاراً^(١)
وَقَدْ تَرَكُوا قَلْبِي حَزِيناً مُتَيْماً بِذِكْرِهِمْ، لَوْ يَسْتَطِيعُ لِقْد طَاراً
[الطويل]

فَتَطَيَّرْتُ مِنْ اقْتِرَاحِهِ لَهُ وَغَيَّيْتُهِ إِيَّاهُ، فَشَرِبَ عَلَيْهِ مَراراً، وَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ وَأَذَّنَ لِي فَانصَرَفْتُ، ثُمَّ كَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهِ. الشَّعْرُ لِمُطِيعِ بْنِ إِيَّاسٍ. وَالْغَنَاءُ
لِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو:

حَدَّثني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدَّثنا عبد الله
ابن الفرّج قال: حَدَّثنا أحمد بن معاوية قال: كُنْتُ فِي بَيْتِي وَعُلُوِيهِ يُعَنِّي:

صوت

أَعْرَضَنْ مِنْ شَمَطٍ^(٢) فِي الرَّأْسِ لَاحٍ بِهِ فَهَنْ عَنْهُ إِذَا أَبْصَرْنَاهُ حِيدُ
قَدْ كُنَّ يَعْهَدُنْ مِنِّي مَنْظَراً حَسَناً وَجُمَةً حَسَرْتُ عَنْهَا الْعَنَايِدُ
[البسيط]

فَوَرَدَتْ عَلَيَّ رُفْعَةٌ مِنْ إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيِّ يَسْتَسْقِينِي نَبِيذاً؛ فَبَعَثْتُ إِلَيْهِ بَدَنٍ مَعَ
غَلَامٍ لِي، فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْغَلَامُ بِهِ الْجَسَرَ زُجِمَ فَكُسِرَ، فَرَجَعَ الْغَلَامُ إِلَى إِسْحَاقَ فَأَخْبَرَهُ
الْخَبَرَ وَسَأَلَهُ مَسْأَلَتِي التَّجَافِي عَنْهُ، فَكَتَبَ إِلَيَّ:

يَا أَحْمَدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ إِنِّي رُمِيتُ بِدَاهِيَةٍ
أَشْكُو إِلَيْكَ فَأَشْكِنِي كَسَرَ الْغَلَامِ الْخَابِيَةَ
يَا لَيْتَهَا سَلِمَتْ وَكَأ نِ فِدَاءِهَا ابْنُ الزَّانِيَةِ
[مجزوء الكامل]

(١) الجار: الذي جاورَكَ في المَسْكَنِ.

(٢) الشمط: بياض شعر الرأس يخالطه سواد.

فَبَعَثْتُ إِلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ أَدْنَانٍ، وَأَعْتَقْتُ الْغَلَامَ بِشَفَاعَتِهِ فِي أَمْرِهِ.

أخبرني جعفر بن قدامة ومحمد بن مزيد قالا حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ: قَالَ لِي حَمْدُونُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا صَنَعَ أَبُوكَ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا الصَّوْتُ:

صوت

قِفْ بِالْدِيَارِ الَّتِي عَفَا الْقَدَمُ وَغَيَّرْتُهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدَّيْمُ
لَمَّا وَقَفْنَا بِهَا نُسَائِلُهَا فَاضَتْ مِنَ الْقَوْمِ أَعْيُنُ سُجْمٍ
ذِكْرًا لِعَيْشٍ مَضَى إِذَا ذَكَرْتَ مَافَاتٍ مِنْهُ فَذَكَرُهُ سَقَمُ
وَكُلُّ عَيْشٍ دَامَتْ غَضَارَتُهُ مُنْقَلِعٌ مَرَّةً وَمُنْصَرِمُ
[المنسرح]

ولحنه ثقیلاً أول - أُعْجِبَ بِهِ الْمَعْتَصِمُ وَالْوَاتِقُ جَمِيعاً؛ فَقَالَ لَهُ الْمَعْتَصِمُ:
بِحَيَاتِي أَرَدُّهُ عَلَى مَخَارِقٍ وَعَلَوِيهِ وَالْجَمَاعَةِ لِأَخْذِهِ عَنْكَ، وَانْصَحْهُمْ فِيهِ، فَإِنَّهُمْ إِنْ
أَحْسَنُوا فِيهِ نُسِبَ إِلَيْكَ إِحْسَانُهُمْ، وَإِنْ أَسَاؤُوا بَانَ فَضْلُكَ عَلَيْهِمْ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِمْ أَكْثَرَ مِنْ
مَائَتِي مَرَّةً، وَكَانُوا يَقْصِدُونَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ، وَمَاتَ وَمَا [أَخَذُوا] مِنْهُ عِلْمُ اللَّهِ
إِلَّا رَسَمَهُ. الشَّعْرُ وَالْغِنَاءُ لِإِسْحَاقَ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلُ.

أخبرني محمد بن مزيد قال حَدَّثَنَا حَمَّادُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ الرَّشِيدِ يَرِيدُ
الرَّقَّةَ، فَلَمَّا صِرْنَا بِالْمَوْضِعِ الَّذِي يَقَالُ لَهُ الْقَائِمُ نَزَلْنَا، وَخَرَجَ يَتَصَيَّدُ وَخَرَجْنَا مَعَهُ،
فَأَبْعَدَ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ، وَلَاحَ لِي دَيْرٌ فَقَصَدْتُهُ وَقَدْ تَعَبْتُ، فَأَشْرَفْتُ عَلَى صَاحِبِهِ،
فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي النُّزُولِ بِنَا الْيَوْمَ؟ فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ، وَإِنِّي إِلَى ذَلِكَ لَمُحْتَاجٌ، فَتَنَزَّلَ
فَفَتَحَ لِي الْبَابَ وَجَلَسَ يُحَدِّثُنِي، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً وَقَدْ أَدْرَكَ دَوْلَةَ بَنِي أُمَيَّةَ، فَجَعَلَ
يُحَدِّثُنِي عَمَّنْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْقَوْمِ وَمَوَالِيهِمْ وَجِيوشِهِمْ؛ وَعَرَضَ عَلَيَّ الطَّعَامَ فَأَجَبْتُهُ، فَقَدِمَ
إِلَيَّ طَعَاماً مِنْ طَعَامِ الدِّيَارَاتِ نَظِيفاً طَبِيباً، فَأَكَلْتُ مِنْهُ، وَأَتَانِي بِشَرَابٍ وَرِيحَانٍ طَرِيٍّ
فَشَرِبْتُ مِنْهُ، وَوَكَّلَ بِي جَارِيَةً تَخْدُمُنِي رَاهِبَةً لَمْ أَرِ أَحْسَنَ وَجْهاً مِنْهَا وَلَا أَشْكَلَ،
فَشَرِبْتُ حَتَّى سَكِرْتُ، وَنِمْتُ وَانْتَبَهْتُ عِشَاءً، فَقُلْتُ فِي ذَلِكَ:

صوت

بَدِيرِ الْقَائِمِ الْأَقْصَى غَزَالُ شَادِنٍ أَحْوَى

بَرَى حُبِّي لَهُ جَسْمِي وَلَا يَعْلَمُ مَا أَلْقَى
وَأَكْتُمُ حَبَّهُ جُهْدِي وَلَا وَاللَّهِ مَا يَخْفَى

[الهج]

وَرَكِبْتُ فَلَحِقْتُ بِالْمَعْسُكَ وَالرَّشِيدُ قَدْ جَلَسَ لِلشَّرْبِ وَطَلَبَنِي فَلَمْ أَوْجِدْ.
وَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ، فَعَنَيْتُ فِي الْأَبْيَاتِ وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ لِي: أَيْنَ كُنْتَ؟ وَيَحَكَ!،
فَأَخْبَرْتَهُ بِالْخَبَرِ وَعَنَيْتُهُ الصَّوْتَ، فَطَرِبَ وَشَرِبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَكِرَ، وَأَخَّرَ الرَّحِيلَ فِي
غَدٍ، وَمَضَيْنَا إِلَى الدَّيْرِ وَنَزَلَهُ، فَرَأَى الشَّيْخَ وَاسْتَنْطَقَهُ، وَرَأَى الْجَارِيَةَ الَّتِي كَانَتْ
تَخْدُمُنِي بِالْأَمْسِ فِدْعَا بِطَعَامٍ خَفِيفٍ فَأَصَابَ مِنْهُ، وَدَعَا بِالشَّرَابِ، وَأَمَرَ الْجَارِيَةَ الَّتِي
كَانَتْ بِالْأَمْسِ تَخْدُمُنِي أَنْ تَتَوَلَّى خِدْمَتَهُ وَسَقِيَهُ فَفَعَلَتْ، وَشَرِبَ حَتَّى طَابَتْ نَفْسُهُ؛ ثُمَّ
أَمَرَ لِلدَّيْرِ بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَأَمَرَ بِاحْتِمَالِ خَرَاஜِهِ لَهُ سَبْعَ سِنِينَ، فَرَحَلْنَا. قَالَ حَمَّادُ:
فَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: فَلَمَّا صِرْنَا بَتْلَ عَزَازٍ مِنْ دَابِقٍ^(١) خَرَجْتُ أَنَا وَأَصْحَابُ لِي نَنْتَزِعُهُ فِي
قَرْيَةٍ مِنْ قَرَاهَا، فَأَقَمْنَا بِهَا أَيَّامًا، وَطَلَبَنِي الرَّشِيدُ فَلَمْ يَجِدْنِي. فَلَمَّا رَجَعْتُ أَتَيْتُ
الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ فَقَالَ لِي: أَيْنَ كُنْتَ؟ طَلَبَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَخْبَرْتَهُ بِنَزْهَتِنَا فَعْظَبَ.
وَخَفْتُ مِنَ الرَّشِيدِ أَكْثَرَ مِمَّا لَقِيتُ مِنَ الْفَضْلِ فَقُلْتُ:

صوت

إِنَّ قَلْبِي بِالتَّلِّ تَلَّ عَزَازٍ عِنْدَ ظُفْيٍ مِنَ الظُّبَاءِ الْجَوَازِي
شَادِنٍ يَسْكُنُ الشَّامَ وَفِيهِ مَعَ ظَرْفِ الْعِرَاقِ شَكْلُ الْحِجَازِ
يَالْقَوْمِي لِبِنْتُ قَسٍّ أَصَابَتْ مِنْكَ صَفْوُ الْهُوَى وَلَيْسَتْ تُجَازِي
حَلَفْتُ بِالْمَسِيحِ أَنْ تُنْجِزَ الْو عَدَّ وَلَيْسَتْ تَهْمُ بِالْإِنْجَازِ
[الخفيف]

وَعَنَيْتُ فِيهِ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ مُغْضَبٌ، فَقَالَ: أَيْنَ كُنْتَ؟ طَلَبْتُكَ فَلَمْ
أَجِدْكَ، فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ وَأَنْشَدْتُهُ هَذَا الشَّعْرَ وَعَنَيْتُهُ إِيَّاهُ؛ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: عَذْرُ وَأَبِيكَ وَأَيُّ
عَذْرٍ! وَمَا زَالَ يَشْرَبُ عَلَيْهِ وَيَسْتَعِيدُنِيهِ لِيَلْتَهُ جَمْعَاءُ حَتَّى انْصَرَفْنَا مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ. فَلَمَّا
وَصَلْتُ إِلَى رَحْلِي إِذَا بِرَسُولِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَتَانَا يَدْعُونَا؛ فَوَافَيْتُ فَدَخَلْتُ، وَإِذَا ابْنُ
جَامِعٍ يَتَمَرَّغُ عَلَى دُكَّانٍ فِي الدَّارِ وَهُوَ سَكْرَانٌ يَتَمَلَّمُ؛ فَقَالَ لِي: يَا بَنَ الْمُوصَلِيِّ،
أَتَدْرِي مَا جَاءَ بِنَا؟ فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي؛ فَقَالَ: لَكِنِّي وَاللَّهِ أَدْرِي دِرَايَةً صَحِيحَةً،

(١) دابق: قرية قرب حلب من أعمال عزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ.

جاءت بنا نَصْرَانِيَّتُكَ الزَّانِيَّةُ، عليك وعليها لعنة الله. وخرج الآذِنُ فَأَذِنَ لَنَا، فدخلنا. فلما رَأَيْتُ الرِّشِيدَ تَبَسَّمتُ، فقال لي: ما يُضْحِكُكَ؟ فأخبرته بقول ابن جامع، فقال: صَدَقَ، ما هو إلا أَن فَقَدْتُكُمْ فَاشْتَقْتُ إِلَى ما كُنَّا فِيهِ، فَعُودُوا بِنَا، فَعُدْنَا فِيهِ حَتَّى انقَضَى مَجْلِسُنَا وَانصَرَفْنَا.

لحنُ إِسْحاقَ:

بَدِيرُ الْقَائِمِ الْأَقْصَى
خَفِيفُ ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى. وفيه للقاسم بن زُرْزُورِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ ولحنه في:
إِنَّ قَلْبِي بِالتَّلِّ تَلَّ عَزَازِ
خَفِيفُ رَمَلٍ.

أخبرني محمد بن مَزِيدٍ قال: حَدَّثَنِي حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ قال: دَخَلْتُ عَلَى الرِّشِيدِ يَوْمًا فِي عِمَامَةٍ قَدْ كَوَّرَتْهَا عَلَى رَأْسِي؛ فقال: ما هذه العِمَامَةُ! كَأَنَّكَ مِنَ الْأَنْبَارِ. فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدٍ دَعَا بِنَا إِلَيْهِ، فَأَمَهَلْتُ حَتَّى دَخَلَ الْمَغْنُونُ جَمِيعًا قَبْلِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي آخِرِهِمْ، وَقَدْ شَدَدْتُ وَسْطِي بِمَشْدَةِ حَرِيرٍ أَحْمَرَ، وَلَبِسْتُ لِبَاسًا مُشْتَهَرًا، وَأَخَذْتُ بِيَدِي صَفَاقَتَيْنِ وَأَقْبَلْتُ أَخْطِرَ وَأَضْرَبُ بِالصَّفَاقَتَيْنِ وَأُغْنِي:

إِسْمَعْ لَصَوْتِ مَلِيحٍ مِنْ صَنْعَةِ الْأَنْبَارِي
صَوْتِ خَفِيفِ ظَرِيفٍ يَطِيرُ فِي الْأَوْتَارِ
[المجث]

فَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ حَتَّى كَادَ يَقُومُ، وَجَعَلَ يَقُولُ: أَحْسَنْتَ وَحَيَاتِي! أَحْسَنْتَ أَحْسَنْتَ! حَتَّى جَلَسْتُ، ثُمَّ شَرِبَ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَا اسْتَعَادَ غَيْرَهُ، وَأَمَرَ لِي بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. لحنُ إِسْحاقَ فِي هَذَا الشَّعْرِ هَزَجٌ.

أخبرني محمد بن مَزِيدٍ قال: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ قال: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّي قال: كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَغَنَّى بَعْضُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ:

صوت

كُلُّ شَيْءٍ مِنْكَ فِي عَيْنِي حَسَنٌ وَنَصِيبِي مِنْكَ هَمٌّ وَحَزَنٌ
لَا تَظُنَّنِي أَنَّهُ غَيَّرَنِي قَدَمُ الْعَهْدِ وَلَا طَوْلُ الزَّمَنِ
[الرملة]

فقال لي: أتدري لمن هذا؟ فقلت: لبعض الطُّبُورِيِّين، فقال: لا ولكنه لذلك الشيطان إسحاق. لحنُ إسحاق في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى من مجموع أغانيه.

[مع جارية في الطريق]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال: حَدَّثَنَا حَمَادُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا خَرَجْنَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى طُوسِ كُنْتُ مَعَهُ أُسَيرُهُ، فَاسْتَسْقَيْتُ مَاءً مِنْ مَنْزِلٍ نَزَلْنَاهُ يُقَالُ لَهُ سَحْنَةٌ^(١) فَخَرَجْتُ إِلَيْنَا جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا ظَبْيَةٌ، فَسَقَتْنِي مَاءً، فَقُلْتُ هَذَا الشَّعْرُ: صوت

غَزَالٌ يَرْتَعِي جَنَابَاتِ وَادٍ بِسَحْنَةٍ قَدْ تَمَكَّنَ فِي فَوَادِي
سَقَانِي شَرْبَةً كَانَتْ شِفَاءً لِعِلَّةِ حَائِمِ حَرَّانٍ صَادِي
[الوافر]

وَعَنَيْتُهُ الرَّشِيدَ، فَقَالَ لِي: أَتَحِبُّ أَنْ أَرْوِّجَكُهَا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي، قَالَ: فَاخْطُبُهَا وَالْمَهْرُ عَلَيَّ وَمَا يُضْلِحُهَا، فَخَطَبْتُهَا، فَأَبَى أَهْلُهَا أَنْ يُخْرِجُوهَا مِنْ بِلَدِهِمْ. لحنُ إسحاق في هذين البيتين ثَقِيلٌ أَوَّلٌ. وفيه لِعَلُّوِيَّةٌ خَفِيفٌ رَمَلٌ.

أخبرني جعفر بن قُدَّامَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: مَا اغْتَمَمْتُ بِشَيْءٍ قَطُّ مِثْلَ مَا اغْتَمَمْتُ بِصَوْتِ مَلِيحٍ صَنَعْتَهُ فِي هَذَا الشَّعْرِ:

صوت

كَانَ لِي قَلْبٌ أَعِيشُ بِهِ فَكَتَوَى بِالنَّارِ فَاحْتَرَقَا
أَنَا لَمْ أَرْزُقْ مَحَبَّتَهَا إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا رَزَقَا
مَنْ يَكُنْ مَا ذَاقَ طَعْمَ رَدَى ذَاقَهُ لَا شَكَّ إِنْ عَشِقَا
[المديد]

فِيَّائِي صَنَعْتُ فِيهِ لِحْنًا، وَجَعَلْتُ أَرْدَدَهُ فِي جَنَاحِ لِي سَحْرًا، فَأُظَنُّ أَنَّ إِنْسَانًا مِنَ الْعَامَّةِ مَرَّ بِي فَسَمِعَهُ فَأَخَذَهُ، فَبَكَرْتُ مِنْ غَدٍ إِلَى الْمَعْتَصِمِ لِأَعْنِيهِ، فَإِذَا أَنَا بِسَوَاطِ يَسُوطِ النَّاطِفِ وَهُوَ يُعْنِي اللِّحْنَ بَعِينِهِ إِلَّا أَنَّهُ غِنَاءٌ فَاسِدٌ. فَعَجِبْتُ وَقُلْتُ: تَرَى مِنْ أَيْنَ لِهَذَا السَّوَاطِ هَذَا الصَّوْتُ! وَلَعَلِّي إِذْ عَنَيْتُهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَرَّ بِي هَذَا فَسَمِعَنِي أَغْنِيَهُ، وَبَقِيْتُ مُتَحِيرًا، ثُمَّ قُلْتُ يَا فَتَى، مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا الصَّوْتُ؟ فَلَمْ يَجِبْنِي وَالتَفَتَ إِلَى شَرِيكِهِ، وَقَالَ: هَذَا يَسْأَلُنِي مِمَّنْ سَمِعْتَهُ! هَذَا غِنَائِي، وَاللَّهِ لَوْ سَمِعَهُ إِسْحَاقُ الْمُوصِلِيُّ

(١) سحنة: موضع بين الدينور وهمدان.

لَحَرِيءٍ فِي سِرَاوِيلِهِ . فَبَادَرْتُ وَاللَّهِ هَارِباً خَوْفَ أَنْ يَمُرَّ بِي إِنْسَانٌ فَيَسْمَعَ مَا جَرَى عَلَيَّ فَأَقْتَضِحَ ، وَمَا عَلَّمَ اللَّهُ أَنِّي نَطَقْتُ بِذَلِكَ الصَّوْتِ بَعْدَهَا .

[جوابه عن أحجية]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ إِلَى أَبِي : أَيُّ شَيْءٍ تَصْحِيفُ : « لَا يُرِيحُ مِثْلُ الْأَسِنَّةِ » . فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبِي : تَصْحِيفُهُ : « لَا يَرِثُ جَمِيلٌ إِلَّا بُيِّنَةٌ » ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ : وَيَّ مِنْكَ ! .

أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، فَرَأَى شَفَتِي تَتَحَرَّكَانِ بِشَيْءٍ كُنْتُ أَعْمَلُهُ ، فَقَالَ : أَتَدْعُو أَمْ تَصْنَعُ مَاذَا ؟ فَقُلْتُ : بَلْ أَمْدَحُ ، قَالَ : قُلْ ، فَقُلْتُ :

وَكُنْتُ إِذَا إِذْنٌ عَلَيْكَ جَرَى لَنَا تَجَلَّى لَنَا وَجْهُ أَغْرُ وَسِيمٍ
عَلَانِيَةً مَحْمُودَةً وَسَرِيرَةً وَفَعَلَ يُسِرُّ الْمَعْتَفِينَ كَرِيمٍ
[الطويل]

فَاحْتَبَسَنِي وَأَمَرَ لِي بِمَالٍ جَلِيلٍ وَكُسُودَةٍ ، وَقَالَ : زِدِ الْبَيْتَيْنِ حُسْنًا بِأَنْ تَصْنَعَ فِيهِمَا لِحْنًا ؛ فَصَنَعْتُ لِحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي ، فَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ عَلَيْهِمَا حَتَّى سَكَرَ .

[تطفله على بيت]

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ حَدَّثَهُ قَالَ : غَدَوْتُ يَوْمًا وَأَنَا ضَجِرٌّ مِنْ مَلَازِمَةِ دَارِ الْخِلَافَةِ وَالْخِدْمَةِ فِيهَا فَخَرَجْتُ وَرَكِبْتُ بَكْرَةً ، وَعَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَطُوفَ الصَّحْرَاءَ وَأَتَفَرَّجَ فَقُلْتُ لِعِلْمَانِي : إِنْ جَاءَ رَسُولُ الْخَلِيفَةِ أَوْ غَيْرُهُ فَعَرِّفُوهُ أَنِّي بَكْرَتٌ فِي بَعْضِ مَهْمَاتِي ، وَأَنْكُمْ لَا تَعْرِفُونَ أَيْنَ تَوَجَّهْتُ ، وَمَضَيْتُ وَطَفْتُ مَا بَدَأَ لِي ، ثُمَّ عَدْتُ وَقَدْ حَمَى النَّهَارُ فَوَقَفْتُ فِي الشَّارِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْمَخْرَمِ فِي فَنَاءِ ثَخِينِ الظِّلِّ وَجَنَاحِ رَحْبِ عَلَى الطَّرِيقِ لِأَسْتَرِيحَ . فَلَمْ أَلْبِثْ أَنْ جَاءَ خَادِمٌ يَقُودُ حِمَارًا فَارَهَا عَلَيْهِ جَارِيَةٌ رَاكِبَةٌ ، تَحْتَهَا مَنَدِيلٌ دَبِيقِي وَعَلَيْهَا مِنَ اللَّبَاسِ الْفَاخِرِ مَا لَا غَايَةَ بَعْدَهُ ، وَرَأَيْتُ لَهَا قَوَامًا حَسَنًا وَطَرَفًا فَاتِرًا وَشِمَائِلَ حَسَنَةً ، فَخَرَصْتُ عَلَيْهَا أَنَّهَا مَغْنِيَّةٌ ، فَدَخَلْتُ الدَّارَ الَّتِي كُنْتُ وَاقِفًا عَلَيْهَا . ثُمَّ لَمْ أَلْبِثْ أَنْ جَاءَ رَجُلَانِ شَابَانِ جَمِيلَانِ ، فَاسْتَأْذَنَّا فَأَذِنَ لَهُمَا فَنَزَلَا وَنَزَلْتُ مَعَهُمَا وَدَخَلْتُ ، فَظَنَّا أَنَّ صَاحِبَ الدَّارِ دَعَانِي وَظَنَّ صَاحِبَ الدَّارِ أَنِّي مَعَهُمَا فَجَلَسْنَا ، وَآتَى بِالطَّعَامِ فَأَكَلْنَا وَبِالشَّرَابِ فَوَضَعَ ، وَخَرَجَتِ الْجَارِيَةُ وَفِي يَدِهَا عُودٌ فَغَنَتْ وَشَرَبْنَا ، وَقَمَتِ قَوْمَةٌ ، وَسَأَلَ صَاحِبَ الْمَنْزِلِ الرَّجُلَيْنِ عَنِّي فَأَخْبَرَاهُ أَنَّهُمَا لَا

يعرفاني، فقال: هذا طفيلي، ولكنه ظريف، فأجملوا عشرته. وجئت فجلست، وغنت الجارية في لحن لي:

ذَكَرْتُكَ إِذْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرِبُ وَتَسْنَحُ
مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الرَّمْلِ أَدْمَاءُ حُرَّةٍ شُعَاعُ الضُّحَى فِي مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ
[الطويل]

فأدته أداءً صالحاً وشربت. ثم غنت أصواتاً شتى، وغنت في أضعافها من صنعتي:

أَلْطُلُولُ الدَّوَارِسُ فَارَقَتْهَا الْأَوَانِسُ
أَوْحَشَتْ بَعْدَ أَهْلِهَا فَهِيَ قَمُرٌ بِسَابِسُ
[مجزوء الخفيف]

فكان أمرها فيه أصلح منه في الأول. ثم غنت أصواتاً من القديم والحديث، وغنت في أثنائها من صنعتي:

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا وَنَأَى عَنُّكَ جَانِبَا
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ وَإِنْ كُنْتَ لَاعِبَا
[مجزوء الخفيف]

فكان أصلح ما غنّته، فاستعدّته منها لأصححه لها، فأقبل عليّ رجلٌ من الرجلين وقال: ما رأيتُ طفلياً أصفق وجهاً منك! لم ترَضْ بالتّطفيل حتى اقترَحْتَ، وهذا غاية المثل «طفيليّ مُقترَحٌ»؛ فأطرقْتُ ولم أجبه؛ وجعل صاحبه يكفُّه عني فلا يكفُّ. ثم قاموا للصلاة وتأخّرت قليلاً، فأخذتُ عودَ الجارية، ثم شدّدت طبقتَه وأصلحتَه إصلاحاً مُحكماً، وعُدْتُ إلى موضعي فصَلَّيتُ، وعادوا؛ ثم أخذ ذلك الرجلُ في عَرَبَدَتِهِ عليّ وأنا صامت، ثم أخذت الجارية العود فجسته وأنكرت حاله وقالت: من مس عودي؟ قالوا: ما مسه أحد قالت: بلى، والله لقد مسه حاذق متقدم وشد طبقتَه وأصلحه إصلاحاً متمكناً من صناعته، فقلت لها: أنا أصلحته قالت: فبالله خذه واضرب به، فأخذته وضربت به مبدأً صحيحاً ظريفاً عجبياً صعباً، فيه نقرات محرّكة، فما بقي أحد منهم إلا وثب أعلى قدميه، وجلس بين يدي، ثم قالوا: بالله يا سيدنا أتغني؟ فقلت: نعم، وأعرفكم نفسي، أنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي، ووالله إني لأتية على الخليفة إذا طلبني وأنتم تسمعونني ما أكره منذ اليوم لأنني تملحت معكم، فوالله لا نطق بحرف ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا المعريد المقيت الغث، فقال له صاحبه: من هذا حذرت عليك، فأخذ يعتذر، فقلت: والله لا نطق بحرف

ولا جلست معكم حتى يخرج، فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا. فبدأت وغنيت الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي، فقال لي الرجل: هل لك في خصلة؟ قلت: ما هي؟ قال: تقيم عندي شهراً، والجارية والحمار لك مع ما عليها من حلي، قلت: أفعل، فأقمت عنده ثلاثين يوماً لا يدري أحد أين أنا، والمأمون يطلبني في كل موضع فلا يعرف لي خبراً. فلما كان بعد ثلاثين يوماً أسلم إلي الجارية والحمار والخادم، فجئت بذلك إلى منزلي، وركبت إلى المأمون من وقتي، فلما رأياني قال: إسحاق ويحك أين تكون؟ فأخبرته بخبري؟ فقال: علي بالرجل الساعة؟ فدللتهم على بيته فأحضر، فسأله المأمون عن القصة فأخبره، فقال له: أنت رجل ذو مروءة وسبيلك أن تعاون عليها، وأمر له بمائة ألف درهم، وقال: لا تعاشرن ذلك المعربد النذل البتة وأمر لي بخمسين ألف درهم، وقال: احضرنني الجارية، فأحضرتها فغنته، فقال لي: قد جعلت لها نوبة في كل يوم ثلاثاء تغنيني وراء الستارة مع الجواري، وأمر لها بخمسين ألف درهم. فربحت والله بتلك الركبة وأربحت.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

ذَكَرْتُكَ إِذْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرِبُ وَتَسْنَحُ
مِنَ الْمُؤَلِّفَاتِ الرَّمْلِ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ شِعَاعُ الضُّحَى فِي مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ
[الطويل]

الشعر لذي الرمة. والغناء لإسحاق ثقیل أول بالسبابة والوسطى، عن ابن المكي. ومن أغاني إسحاق:

صوت

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا وَنَأَى عَنْكَ جَانِبَا
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ وَإِنْ كُنْتَ لَاعِبَا
[مجزوء الخفيف]

الشعر والغناء لإسحاق. وقد تقدّم خبره قبل هذه الأخبار.

صوت

أَلْطُ لُؤْلُؤُ الدَّوَارِسُ فَارَقْتُهَا الْأَوَانِسُ

أَوْحَشَتْ بَعْدَ أَهْلِهَا فَهِيَ قَفَرٌ بَسَابِسُ
[مجزوء الخفيف]

الشعرُ لابن ياسين، شاعر مجهول قليل الشعر، كان صديقاً لإسحاق. والغناء لإسحاق خفيفٌ ثَقِيلٌ. وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائعه.

أخبرني عمي قال: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَهْلَبِيُّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ الْوَاتِقِ، فَعَنَّتُهُ «شَجِي» الَّتِي وَهَبَهَا لَهُ إِسْحَاقُ هَذَا الصَّوْتِ، فَقَالَ لِمَخَارِقَ وَعَلَوِيهِ: وَاللَّهِ لَوْ عَاشَ مَعْبُدٌ مَا شَقَّ غَبَارَ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الصَّوْتِ؛ فَقَالَا لَهُ: إِنَّهُ لَحَسَنٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَغَضِبَ وَقَالَ: لَيْسَ عِنْدَكُمْ فِيهِ إِلَّا هَذَا! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ الْمَكِّيِّ فَقَالَ: دَعْنِي مِنْ هَذَيْنِ الْأَحْمَقَيْنِ، أَوَّلُ بَيْتٍ فِي هَذَا الصَّوْتِ أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ: «الطُّلُولُ» كَلِمَةٌ، وَ«الدُّوَارِسُ» كَلِمَةٌ، وَ«فَارَقْتُهَا» كَلِمَةٌ، وَ«الْأَوَانِسُ» كَلِمَةٌ، فَانْظُرْ هَلْ تَرَكَ إِسْحَاقُ شَيْئاً مِنْ الصَّنْعَةِ يَتَصَرَّفُ فِيهِ الْمُعَنِّي لَمْ يُدْخِلْهُ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْأَرْبَعِ! بَدَأَ بِهَا نَشِيداً، وَتَلَاهُ بِالْبَسِيطِ، وَجَعَلَ فِيهِ صِيَاحاً، وَإِسْجَاحاً، وَتَرْجِيحاً لِلنَّعَمِ، وَاخْتِلَاساً فِيهَا، وَعَمِلَ هَذَا كُلَّهُ فِي أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَهَلْ سَمِعْتَ أَحَداً تَقْدِّمُ أَوْ تَأْخُرُ فِعْلَ مِثْلِ هَذَا أَوْ قَدَّرَ عَلَيْهِ؟! فَقَالَ: صَدَقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ لَحِقَ مِنْ قَبْلِهِ وَسَبَقَ مَنْ بَعْدَهُ.

[في دير مريم]

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ: لَمَّا خَرَجْتُ مَعَ الْوَاتِقِ إِلَى النَّجَفِ دُرْنَا بِالْحِيرَةِ وَمَرَرْنَا بِدِيَارَاتِهَا، فَرَأَيْتُ دِيرَ مَرْيَمَ^(١) وَحَسَنَ بَنَائِهِ، فَقُلْتُ:

نِعَمَ الْمَحَلُّ لِمَنْ يَسْعَى لِدَلَّتِهِ دِيرٌ لِمَرْيَمَ فَوْقَ الظَّهْرِ مَعْمُورٌ
ظِلٌّ ظَلِيلٌ وَمَاءٌ غَيْرُ ذِي أَسَنِ وَقَاصِرَاتُ^(٢) كَأَمْثَالِ الدُّمَى حُورٌ
[البسيط]

فقال الواتق: لَا نَصْطَبِحُ وَاللَّهِ غَدًا إِلَّا فِيهِ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُعَدَّ فِيهِ مَا يَصْلَحُ مِنَ اللَّيْلِ؛ وَبَاكَرَنَاهُ فَاصْطَبَحْنَا فِيهِ عَلَى هَذَا الصَّوْتِ؛ وَأَمَرَ بِمَالٍ فَفُرِّقَ عَلَى أَهْلِ ذَلِكَ الدَّيْرِ، وَأَمَرَ لِي بِجَائِزَةٍ. لَحَنَ إِسْحَاقُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ.

أخبرني محمد بن مزيد قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَخْرَجَ إِلَيَّ

(١) دير مريم: يطلق على ديرين، أحدهما: دير قديم من بناء المنذر بين الخورنق والسدير وبين قصر أبي الخصب مشرف على النجف.

(٢) القاصرة: التي لا تمتد عينها إلى غير بعلمها.

عبد الله بن طاهر يوماً بيتي شعر في رُقعة وقال: هذان البيتان وجدتهما على بساط طبري^(١) أصهبدي^(٢) أهدي إلي من طبرستان، فأحب أن تُغنيني فيهما، فقرأتُهما فإذا هما:

لَجَّ بِالْعَيْنِ وَاكْفُ مِنْ هَوَى لَا يُسَاعِفُ
كُلَّمَا كَفَّ غَرْبُهَا هَيَّجَتْهُ الْمَعَارِفُ

[مجزوء الخفيف]

قال: فَغَنَيْتُ فيهما وَعَدَوْتُ بهما إليه، فَأَعْجَبَ بالصوت ووصلني بِصِلَةِ سِنِّيَّةٍ، وَكَانَ يَشْتَهِيهِ وَيُقْتَرِحُهُ، وَطَرَحْتُهُ عَلَى جَمِيعِ جَوَارِيهِ، وَشَاعَ خَبَرُ إعْجَابِهِ بِهِ، فَبَيْنَا الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا جَالِسٌ يُعَرِّضُ عَلَيْهِ فَرَشَ الرَّبِيعِ، إِذْ مَرَّ بِهِ بِسَاطٌ دِيبَاجٍ فِي نَهَايَةِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ هَذَانِ الْبَيْتَانِ وَمَعَهُمَا:

إِنَّمَا الْمَوْتُ أَنْ تُفَارِقَ مَنْ أَنْتَ آلِفُ
لَكَ حُبَّانٍ فِي الْفَوَادِ تَلِيدٌ وَطَارِفُ

[مجزوء الخفيف]

فَأَمَرَ بِالْبَسَاطِ فَحَمَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ: قُلْ لَهُ: إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ شَعْفَكَ بِالْغِنَاءِ فِي هَذَا الشَّعْرِ، فَلَمَّا وَقَعَ هَذَا الْبَسَاطُ أَحْبَبْتُ أَنْ أُتِمَّ سُرُورُكَ بِهِ. فَشَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ مَا تَأَدَّى إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَأَعْظَمَ مَقْدَارَهُ، وَقَالَ لِي: وَاللَّهِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَسُرُورِي بِتَمَامِ الشَّعْرِ أَشَدُّ مِنْ سُرُورِي بِكُلِّ شَيْءٍ، فَالْحَقَّ هُمَا فِي الْغِنَاءِ بِالْبَيْتَيْنِ الْأُولَيْنِ، فَالْحَقَّتَهُمَا:

نسبة هذا الصوت

لَجَّ بِالْعَيْنِ وَاكْفُ مِنْ هَوَى لَا يُسَاعِفُ
كُلَّمَا كَفَّ غَرْبُهَا هَيَّجَتْهُ الْمَعَارِفُ
إِنَّمَا الْمَوْتُ أَنْ تُفَارِقَ مَنْ أَنْتَ آلِفُ
لَكَ حُبَّانٍ فِي الْفَوَادِ تَلِيدٌ وَطَارِفُ

[مجزوء الخفيف]

وَلَمْ أَعْرِفْ مِنْ خَبَرِ شَاعِرِهِ غَيْرَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي هَذَا الْخَبَرِ. وَالْغِنَاءُ لِإِسْحَاقَ هَزَجٌ بِالْوَسْطَى.

(١) طبري: نسبة إلى طبرستان وهي بلدان واسعة كثيرة، قصبتها آمل.

(٢) أصهبدي: نسبة إلى أصهبندان في بلاد الديلم بينها وبين البحر بميلان.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال: حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَنْ ابْنِ الْمَكِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لِإِسْحَاقَ يَوْمًا: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، كَمْ تَكُونُ صَنَعْتُكَ؟ فَقَالَ: مَا بَلَغَتْ مَائَتِينَ قَطُّ.

[مرضه ووفاته]

أخبرنا يحيى بن علي بن علي قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَ لِي وَكِيلُ بْنُ الْحَرُونِيِّ: قُلْتُ لِأَبِيكَ إِسْحَاقَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، كَمْ يَكُونُ غَنَاؤُكَ؟ قَالَ: نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ صَوْتٍ. قَالَ: وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ بِحَضْرَتِي: مَا لَكَ لَا تُكْثِرُ الصَّنْعَةَ كَمَا يُكْثِرُ النَّاسُ؟ قَالَ: لِأَنِّي إِنَّمَا أَنْقَرُ فِي صَخْرَةٍ.

ولإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحشو، طرحتها لذلك؛ وله أخبار آخر حسن ذكرها في مواضع تليق بها فأخرتها واحتبتها عليها؛ وفيما ذكرته ها هنا منها مقنع.

وتوفي إسحاق ببغداد في أول خلافة المتوكل^(١). فأخبرني الصولي قال ذكر إبراهيم بن محمد الشاهيني: أن إسحاق كان يسأل الله ألا يتليه بالقولنج^(٢) لما رأى من صعوبته على أبيه، فرأى في منامه كأن قائلاً يقول له: قد أجيبك دعوتك ولست تموت بالقولنج، ولكئلك تموت بضده، فأصابه ذر^(٣) في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين؛ فكان يتصدق في كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم؛ ثم ضعف عن الصوم فلم يطقه ومات في شهر رمضان.

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثني يزيد بن المهلب قال:

نُعي إسحاق إلى المتوكل في وسط خلافته، فعَمَّه وحزن عليه، وقال: ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته، ثم نُعي إليه بعده أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فقال: تكافأت الحالات، وقام الفتح ب وفاة أحمد - وما كنت آمن وثبته علي - مقام الفجعة بإسحاق، فالحمد لله على ذلك.

(١) تذهب بعض المصادر إلى القول إنه توفي سنة ٨٥ للهجرة.

(٢) «القولنج» عجمية، «وقد تكسر لأمه، أو هو مكسور اللام، ويُفتح القاف ويُصم: مَرَضٌ مشهور «مَعَوِي» منسوب إلى المعى «مؤلم» جذاً «يَعْسُرُ معه خُرُوجُ الثُّفُلِ وَالرَّيْحِ».

(٣) الذرُّ من الأمراض مأخوذ من الجرح، وهو الذي لا يبرأ، واستعير من الجرح للمرض، وقيل داء يعرض للمعدة فلا تهضم معه الطعام، ويفسد فيها فلا تمسكه.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ جَحْظَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَ الْكُتَّابِ مِنْ أَهْلِ قُطْرُبُلٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ قَائِلًا يَقُولُ لِي:

مَاتَ الْحُسَيْنُ ابْنُ الْحُسَيْنِ وَمَاتَ إِحْسَانُ الزَّمَانِ
فَأَصْبَحْتُ مِنْ غَدٍ فَرَكِبْتُ فِي بَعْضِ حَوَائِجِي، فَتَلَقَّانِي خَيْرُ وَفَاةِ إِسْحَاقِ الْمَوْصِلِيِّ.

[ما رثاه به الشعراء]

وقال إدريس بن أبي حفصة^(١) يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

سَقَى اللَّهُ يَا ابْنَ الْمَوْصِلِيِّ بَوَابِلَ
ذَهَبَتْ فَأَوْحَشَتِ الْكِرَامَ، فَمَا يَنِي
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فَقَدْ إِسْحَقَ إِنِّي
مِنَ الْغَيْثِ قَبْرًا أَنْتَ فِيهِ مَقِيمٌ
بَعْبَرْتَهُ يَبْكِي عَلَيْكَ كَرِيمٌ
وَإِنْ كُنْتَ شَيْخًا، بِالْعِرَاقِ يَتِيمٌ
[الطويل]

وقال محمد بن عمرو الجرمان يريثه:

عَلَى الْجَدَثِ الشَّرْقِيِّ غُوجًا فَسَلَمًا
وَقُولًا لَهُ لَوْ كَانَ لِلْمَوْتِ فِدْيَةٌ
إِسْحَاقُ، لَا تَبْعُدْ، وَإِنْ كَانَ قَدْ رَمَى
مَتَى تَأْتِيهِ يَوْمًا تَحَاوُلُ مُنْفَسًا
إِذَا هَزَلَ اخْضَرَّتْ فَنُونَ حَدِيثِهِ
وَإِنْ جَدَّ كَانَ الْقَوْلُ جَدًّا وَأَقْسَمْتُ
فَبَكَ عَلَى ابْنِ الْمَوْصِلِيِّ بِعَبْرَةٍ
بِبَغْدَادَ لَمَّا ضَنَّ عَنْهُ عَوَائِدُهُ
فَدَاكَ مِنَ الْمَوْتِ الطَّرِيفُ وَتَالِدُهُ
بَكَ الْمَوْتُ وَرَدًّا لَيْسَ يَصْدُرُ وَارِدُهُ
مِنَ الدِّينِ وَالْدُنْيَا فَإِنَّكَ وَاجِدُهُ
وَرَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَطَابَتْ مَشَاهِدُهُ
مَخَارِجُهُ إِلَّا تَلِينَ مَعَاقِدُهُ
كَمَا أَرَفَضَ مِنْ نَظْمِ الْجُمَانِ فَرَائِدُهُ
[الطويل]

وقال مصعب بن عبد الله الزُّبَيْرِي يريثه - نَسَخْتُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ جَعْفَرِ بْنِ قُدَّامَةَ، وَذَكَرَ أَنَّ حَمَّادَ بْنَ إِسْحَاقَ أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا وَنَسَخْتُه أَيْضًا مِنْ كِتَابِ الْحَرَمِيِّ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ يَذْكُرُ فِيهِ عَنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَمِّهِ مَصْعَبٍ أَنَّهُ أَنْشَدَهُ لِنَفْسِهِ يَرِثِي إِسْحَاقَ:

أَتَدْرِي لِمَنْ تَبْكِي الْعَيُونَ الدَّوَارِفُ
نَعْمَ لَأَمْرٍ لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ مِثْلُهُ
وَيَنْهَلُ مِنْهَا وَاحِدٌ ثُمَّ وَاحِدٌ
مُفِيدٌ لَعَلِّمْ أَوْ صَدِيقٌ مُلَاطِفٌ

(١) محمد بن إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يكنى أبا جعفر بارد الشعر ضعيف القول.

تَجَهَّزَ إِسْحَاقُ إِلَى اللَّهِ غَاذِيًا
وَمَا حَمَلَ النَعَشَ الْمَرْجَى عَشِيَّةً
صُدُورُهُمْ مَرَضَى عَلَيْهِ عَمِيدَةٌ
تَرَى كُلَّ مُحْزُونٍ تَفِيضُ جَفَوْنُهُ
جُزِيَتْ جِزَاءَ الْمُحْسِنِينَ مُضَاعَفًا
فَكَمْ لَكَ فِينَا مِنْ خَلَائِقَ جَزَلَةٍ
هِيَ الشَّهْدُ أَوْ أَحَلَى إِلَيْنَا حِلَاوَةً
ذَهَبَتْ وَخَلَّيْتُ الصَّدِيقَ بِعَوْلَةٍ
إِذَا خَطَرَاتُ الذِّكْرِ عَاوَدَنَ قَلْبَهُ
حَبِيبٌ إِلَى الْإِخْوَانِ يَرْزُونُ^(١) مَالَهُ
هُوَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى لِمَنْ يَسْتَفِيدُهُ
بَكَتْ دَارُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَتَنَكَّرَتْ
فَمَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ أَعْتَرِي
هِيَ الدَّارُ إِلَّا أَنَّهَا قَدْ تَخَشَّعَتْ
وَبَانَ الْجَمَالُ وَالْفَعَالُ كِلَاهُمَا
خَلَّتْ دَارُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَكَأَنَّمَا

فَلَيْلَهُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ اللَّفَائِفُ
إِلَى الْقَبْرِ إِلَّا دَامِعُ الْعَيْنِ لَا هِفُ
لَهَا أَرْزَمَةٌ^(٢) مِنْ ذِكْرِهِ وَزَفَازَفُ^(٣)
دُمُوعًا عَلَى الْخَدَّيْنِ وَالْوَجْهَ شَاسِفُ^(٤)
كَمَا كَانَ جَدَّوَاكِ النَّدَى الْمُتَضَاعَفُ
سَبَقَتْ بِهَا مِنْهَا حَدِيثٌ وَسَالِفُ
مَنْ الشَّهْدِ لَمْ يَمُزْجْ بِهِ الْمَاءَ غَارِفُ
بِهِ أَسْفُ مِنْ حُزْنِهِ مُتَرَادِفُ
تَتَابَعَ مِنْهُنَّ الشُّؤُونُ النَّوَازِفُ
وَأَتِ لَمَّا يَأْتِي أَمْرُ الصَّدَقِ عَارِفُ
وَسَمُّ عَلَى مَنْ يَشْرَبُ السَّمَّ زَاعِفُ
مَعَالِمُ مِنْ آفَاقِهَا وَمَعَارِفُ
وَإِنِّي بِهَا لَوْلَا افْتِقَادِيكَ عَارِفُ
وَأَظْلَمَ مِنْهَا جَانِبٌ فَهُوَ كَاسِفُ
مَنْ الدَّارِ وَاسْتَنْتَتْ^(٥) عَلَيْهَا الْعَوَاصِفُ
بِعَاقِبَةٍ لَمْ يُغْنِ فِي الدَّارِ طَارِفُ

(١) أزمة: ضيقٌ وشدة.

(٢) الرَّفْزَفُ وَالرَّفْزَافُ: النعام الذي يُزْفَفُ في طيرانه، أي يُحَرِّكُ جناحيه ويعدو؛ وهو أول عدوها. وقال غيره: الرَّفْزَافَةُ: الريح التي تَسْمَعُ لها صوتاً، قال مُزَاهِمُ الْعَقِيلِي:

صَبَاً وَشِمَالاً نِيرَجاً تَعْتَقِيهِمَا عَثَانِيْنُ نَوْبَاتِ الْجَنُوبِ الرَّفَازِفِ

وريح رَفْزَفٌ: سريعة. وفي البيت، يريد الشاعر أن يقول: إن في صدورهم نشيجاً وزفيراً من الحزن عند ذكره.

(٣) الشاسف: الضامر والهال.

(٤) الرُّزَّةُ: المصيبة، والجمع: أرزاء. وَرَزَاتُ الرَّجُلِ أَرْزُؤُهُ رُزْءًا، وَمَرْزَتُهُ، إِذَا أَصَبَتْ مِنْهُ خَيْرًا مَا كَانَ. وَيُقَالُ: مَا رَزَّأْتُهُ مَالَهُ، وَمَا رَزَّيْتُهُ مَالَهُ، أَي مَا نَقَصْتُهُ، وَارْتَزَأُ الشَّيْءُ: انْقَصَ. وَالْمَرْزَتَةُ: المصيبة، وكذلك: الرزِيئة والجمع الرزايا. وَرَجُلٌ مُرَزَّأٌ، أَي كَرِيمٌ، يَصِيبُ النَّاسَ خَيْرَهُ. وَقَدْ رَزَّأْتُهُ رَزِيئَةً، أَي أَصَابْتُهُ مَصِيبَةً.

(٥) استنت: انصبت.

وقد كان فيها للصديق مُعَرَّسٌ^(١) كرامة إخوان الصفاء وزلفة صحابته الغر الكرام ولم يكن يؤول إليه كل أبلج شامخ فلقيت في يمني يدك صحيفة يسر الذي فيها إذا ما بداله بما كان ميموناً على كل صاحب سريع إلى إخوانه برضائه أرى الناس كالنسناس^(٢) لم يبق منهم

وملتمس إن طاف بالدار طائف لمن جاء تزجيه إليه الرواجف ليصحبه السود اللئام المقارف^(٣) ملوك وأبناء الملوك الغطارف^(٤) إذا نشرت يوم الحساب الصحائف ويفتر منها ضاحكاً وهو واقف يعين على ما نابّه ويكاف عن كل ما ساء الأخلاء صارف خلافاً إلا حشوة^(٥) وزعانف^(٦)

[مجزوء الخفيف]

أخبرني يحيى بن علي قال: أنشدني أبو أيوب لأحمد بن إبراهيم يرثي إسحاق في قصيدة له:

لقد طاب الحمام غداة ألوى بنفس أبي محمد الحمام
فلوقبل الفداء إذا فدتّه ملوك كان يألّفها كرام

(١) المعرس: موضع نزول القوم آخر الليل للاستراحة من السفر.

(٢) المقارف: الأندال، وهم أيضاً الذين أمهم عربية وأبوهم غير عربي.

(٣) الغطارف: المتكبر والمتعجرف.

(٤) قيل: النسناس السفلة والأردال أو النسناس: الإناث منهم، كما قاله أبو سعيد الصري. أو هم أرفع قدراً من النسناس، كما في العباب أو هم يأجوج ومأجوج، في قول ابن الأعرابي أو هم قوم من بني آدم، أو خلق على صورة الناس، أشبههم في شيء، وخالفوهم في أشياء، وليسوا منهم، كما في التهذيب. وقال كراع: النسناس فيما يقال: دابة في عداد الوحش، تضاد وتوكل، وهي على شكل الإنسان، بعين واحدة ورجل ويد تتكلم مثل الإنسان. وقال المسعودي في النسناس: حيوان كالإنسان، له عين واحدة، يخرج من الماء ويتكلم، وإذا ظفر بالإنسان قتله. وفي المجالسة، عن ابن إسحاق: أنهم خلق باليمن.

(٥) الحشوة الذين يدخلون في قوم وليسوا منهم، فهو من الأضداد، وقيل أي من رذالهم.

(٦) الزعيفة بالكسر: القصير. وأصل الزعانف أطراف الأديم وأكارعه. قال أوس بن حجر:

فما زال يفري البید حتى كأنما
أي كأنها معلقة لا تمس الأرض من سرعته.

فلا تَبْعُدْ فَكُلُّ فَتًى سَيْثَوِي عليه التُّرْبُ يُحْثَى والرَّجَامُ^(١)
[الوافر]

قال وقال أيضاً يرثيه :

لَلَّهِ أَيُّ فَتًى إِلَى دَارِ الْبَلَى حَمَلَ الرِّجَالَ ضُحَى عَلَى الْأَعْوَادِ
كَمْ مِنْ كَرِيمٍ مَا تَجِفُّ دَمَوْعُهُ مِنْ حَاضِرٍ يَبْكِي عَلَيْهِ وَبَادِ
أَمْسَى يُؤْبِنُهُ وَيَعْرِفُ فَضْلَهُ مَنْ كَانَ يَثْلُبُهُ مِنَ الْحُسَادِ
فَسَقَّتْكَ يَابْنَ الْمُوصَلِيِّ رَوَائِحُ تُرْوِي صَدَاكَ بِصَوْبِهَا وَعَوَادِ
[الكامل]

وقد بَقِيَتْ مِنْ أَخْبَارِ إِسْحَاقَ بَقَايَا مِثْلُ أَخْبَارِهِ مَعَ بَنِي هَاشِمٍ، وَأَخْبَارِهِ مَعَ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَغَيْرِهَا، فَإِنَّهَا كَثِيرَةٌ، وَلَهَا مَوَاضِعُ ذُكِرَتْ فِيهَا وَحُسُنُ ذِكْرِهَا
هَنَالِكَ، فَأَخْرَجْتُهَا لِذَلِكَ عَنْ أَخْبَارِهِ الَّتِي ذُكِرَتْ هَا هُنَا، حَسْبَمَا شَرَطْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ.

ومما في المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم

صوت

أَلَا قَاتَلَ اللَّهَ اللَّوَى مِنْ مَحَلَّةٍ وَقَاتَلَ دُنْيَانَا بِهَا كَيْفَ ذَلَّتِ
غَنِينَا زَمَانًا بِاللَّوَى ثُمَّ أَصْبَحَتْ عِرَاضُ اللَّوَى مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتِ
[الطويل]

عروضه من الطويل . الشعر للصمة القشيري، والغناء لإسحاق، ولحنه المختار
ثقيل أول بالوسطى في مجراها .

(١) رجمه : رماه بالرجام وهي الحجارة .

فهرس المحتويات

٥	ذكر النابغة الجعدي ونسبه وأخباره والسبب الذي من أجله قيل هذا الشعر
٥	نسبه وكنيته
٦	سبب لقبه النابغة
٧	عمره وشعره فيه
٨	طائفة من أخباره
٨	سمع أعجمي شعره فقال إنه مشؤوم
٩	أنشد النبي شعراً فدعا فيه
٩	هجر الازلام
١٠	استأذن عثمان في سكنى البادية
١١	كان مغلباً ما هاجى قط إلا غلب
١١	بدء حديثه
١٢	خبره مع أوس بن مغراء
١٣	مهاجاته ليلى الأخيلية
١٦	ما فخر به النابغة من الأيام
١٧	يوم شراحيل
١٨	يوم رحرحان
١٨	كعب الفوارس ومقتله
١٩	يوم الفلج
١٩	خداش بن زهير وهبيرة بن عامر
٢٠	عبد الله بن جعدة
٢٠	أول من صنع الدبابة
٢١	خبر وحوح أخي النابغة
٢٢	شعر للنابغة الجعدي

- أول من سبق إلى الكناية ٢٣
- رأي الفرزدق فيه ٢٣
- مع ابن الزبير المسجد الحرام ٢٣
- مع أبي موسى الأشعري وداعية القومية ٢٤
- خروجه مع الامام عليّ في صفين ٢٥
- شعره في عقاب بن خويلد وسببه ٢٦
- سبب مقتل كليب بن ربيعة ٢٧
- يوم عنيزة ٣٢
- يوم واردات ٣٢
- يوم القصيبات ٣٣
- يوم قضة ٣٣
- همام بن مرة ومقتله ٣٥
- ثار الحارث بن عباد ٣٥
- أسر مهلهل ونجاته ٣٨
- عدد القتلى ٤١
- نسبة ما في هذه من الأغاني ٤٤
- ثار ابن كليب له ٤٨
- إبعاد زوجة كليب عن مأتمه ٤٩
- ذكر الهذلي وأخباره ٥١
- صناعته وغناؤه ٥١
- زواجه من ابنة مُغَنَّ ٥٢
- ابن مزامير داود ٥٤
- من رواية جَحْظَةَ عن أصحابه : ٥٦
- ذكر عبيد الله بن قيس الرقيات ونسبه وأخباره ٥٨
- سبب تلقيبه بهذا اللقب ٥٨
- مُصْعَب بن عبد الرحمن والي المدينة ٥٩
- شاعر قريش في الإسلام ٦٠
- خروجه مع مصعب على عبد الملك ٦٠

- ٦٦ نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني
- ٦٧ أريحية امرأة
- ٦٧ الفتك ببني أمية بسبب شعره
- ٦٧ غضب الرشيد وقد غني بشعره فيهم
- ٦٩ مما عيب في شعره
- ٧٠ من ذهب إلى إسقاط الاحتجاج بشعره
- ٧٠ أخبار متفرقة
- ٧١ حكم الوادي ودنانير
- ٧٢ شعر ابن قيس في كثيرة
- ٧٣ سعيد بن المسيب وابن قيس الرقيّات
- ٧٤ نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
- ٧٤ ابن قيس الرقيّات وعمر بن أبي ربيعة
- ٧٥ ذكر ما قاله ابن قيس الرقيّات وعُثَيّ فيه
- ٧٦ تفضيل ابن أبي عتيق له
- ٧٧ خبره مع رقية بنت عبد الواحد
- نسبة هذا الصوت الذي في الخبر المتقدم وخبره وهو أيضاً
- ٧٨ مما قاله ابن قيس في رقية
- ٧٩ أخبار متفرقة
- ٨٢ ذكر مالك بن أبي السمح وأخباره
- ٨٢ نسبه
- ٨٣ أساتذته في الغناء
- ٨٣ السبب في انقطاع أبي السّمح إلى ابن جعفر
- ٨٣ عُمَرُ مالك حتى أدرك دولة بني العباس
- ٨٣ تعلمه الغناء على يد معبد
- ٨٦ الغناء ليلة الجمعة
- ٨٦ حسرة من لم يسمع غناؤه
- ٨٦ سبب دخوله في دعوة بني هاشم
- ٨٧ مالك في حمام المدينة

- مع مخنث ٨٨
- عند خليفة ٨٨
- غناؤه الوليد ٩٠
- يأخذ أغاني غيره ٩١
- أخذ صوتاً عن خربندة ٩٢
- أخذ صوتاً من حائك ٩٢
- هربه مع ابن عائشة ٩٣
- لما كبر كان يعلم ابنه الغناء ٩٣
- شعره في رثائه ٩٤
- من المائة المختارة ٩٤
- خبر الهندي في هذا الشعر ٩٦
- شعر للوليد بن عقبة ٩٧
- ذكر باقي خبر الوليد بن عقبة ونسبه ٩٩
- رثاؤه عثمان ٩٩
- ولايته الكوفة ١٠٠
- صلاته الصبح أربع ركعات ١٠١
- سكران يُصلي ١٠٢
- جلد الوالي ١٠٤
- بين عثمان وعائشة ١٠٥
- أبو زيد الطائي من ندمائه ١٠٧
- نسبة ما في هذا الشعر من الغناء ١٠٨
- إقطاعه أبا زبيد أرضاً ١١٠
- نسبة ما يغني من هذا الشعر ١١٢
- أبو زبيد يتشوق للكوفة ١١٢
- بين الوليد وعليّ ١١٣
- ولاية سعيد بن العاص الكوفة ١١٦
- في الكوفة بعد عزله ١١٧
- قبران في موضع ١١٧

١١٨	غزوة الروم
١١٨	الحطيفة يمدحه
١٢٠	التطير بشعر الوليد
١٢٣	نسب إبراهيم الموصلي وأخباره
١٢٣	يتمه
١٢٤	سبب نسبته إلى الموصل
١٢٦	إتصاله بالمهدي
١٢٦	أول هاشميّ صحبه وأول خليفة سمعه
١٢٧	صحبه لابني الخليفة
١٢٨	تلحين في السجن
١٢٩	ما وصل إليه من الاموال
١٢٩	محاظة في ثمن بينه وبين الرشيد
١٣١	من السجن إلى مجلس الخليفة
١٣١	نسبة هذا الصوت
١٣٣	غناؤه الرشيد بشعره
١٣٤	مُغنّ كاتب شاعر خطيب
١٣٤	أول من علّم الجوّاري الحسان الغناء
١٣٥	بينه وبين إبراهيم بن المهدي
١٣٦	نسبة هذا الصوت
١٣٩	عند خمّار
١٤٠	مع ابن جامع
١٤١	مع مخارق
١٤٥	عند الهادي
١٤٧	نسبة هذا الصوت
١٤٨	نسبة هذا الصوت
١٤٨	عدد أصواته
١٤٨	نسبة هذا الصوت
١٤٩	نسبة هذا الصوت

- ١٥٠ مع تلميذة
- ١٥٠ شعره شفيعه
- ١٥١ شغفه جارية
- ١٥٣ نسبة هذا الصوت
- ١٥٣ لحن في المنام
- ١٥٤ نسبة هذا الصوت
- ١٥٤ إنالته من اصحاب الحوائج
- ١٥٦ عند خمار
- ١٥٧ تفاخر بينه وبين ابنه
- ١٥٨ نسبة هذين الصوتين
- ١٥٩ غناؤه يطلق سجيناً
- ١٥٩ أول أستاذ له في الغناء
- ١٦٠ هو أول من غنى الرشيد
- ١٦١ عقق يسرق خاتمه
- ١٦٢ إمتحان المغنين
- ١٦٧ نسبة هذين الصوتين
- ١٧٠ فرق هدياه
- ١٧٠ الرشيد في منزله
- ١٧١ شعره في ابنة خمار
- ١٧٢ أغانيه في السجن
- ١٧٢ مات في الأبن
- ١٧٣ نسبة هذا الصوت
- ١٧٣ سعيد في رد مغترب
- ١٧٩ طريقته في صنع الألحان
- ١٨٠ إبليس يطارحه الغناء
- ١٨٣ نسبة هذا الصوت
- ١٨٤ تلحينه لشعر ذي الرمة
- ١٨٧ أول جائزة من الرشيد

١٨٧	قامر الرشيد بالنرد
١٨٨	رهافة الحاسة
١٨٩	مع الرشيد في مغامرة ماجنة
١٩٢	مع شاعرة
١٩٥	في مرض الموت
١٩٥	المأمون يصلي عليه
١٩٦	برصوما الزامر يباكيه
١٩٧	المراثي التي قيلت فيه
١٩٩	من المائة المختارة
٢٠٠	شيء من ذكر ابن هرمة ايضاً
٢٠٠	تكرم بخيل
٢٠١	أول شعر قاله
٢٠١	دفاع عن البخل
٢٠٢	إعجاب الاصمعي به
٢٠٣	عود إلى أخبار ابراهيم الموصلي
٢٠٥	من المائة المختارة
٢٠٦	أخبار إسحاق بن إبراهيم
٢٠٦	مشاركته في غير الغناء
٢٠٨	اسم أمه وجنسها
٢٠٩	برنامج دراسته اليومي
٢٠٩	تقدير المأمون له
٢١٠	برّه بالعلماء
٢١١	قدرته على الإجازة الشعرية
٢١٢	دقة حاسته الغنائية
٢١٣	ولأوه لخازم بن خزيمة
٢١٣	امتحنه المعتصم
٢١٤	مناظرة بين المغنين
٢١٦	نسبة هذا الصوت

- ٢١٦ بخله بالغناء
- ٢١٨ ثناء الواثق عليه
- ٢١٩ يدخل مع الفقهاء
- ٢١٩ في مجلس الواثق
- ٢١٩ نقد فني ساخر
- ٢٢١ فساد ما بين صديقين
- ٢٢٢ أخذ إبراهيم بن المهدي صوتاً له
- ٢٢٣ مناظرة في الغناء
- ٢٢٥ منزلته عند الواثق
- ٢٢٨ منادته الرشيد
- ٢٣١ مدحه المعتصم
- ٢٣٣ نسبة هذين الصوتين
- ٢٣٤ أخذه لحناً من مؤذن
- ٢٣٤ محاورة بين مغنيين
- ٢٣٩ سيد الصنعة
- ٢٤٠ شيب مغن
- ٢٤١ نسبة هذا الصوت
- ٢٤٢ الأمين يغضب عليه
- ٢٤٣ عبادة القديم
- ٢٤٥ يصنع الشعر وينحله الأعراب
- ٢٤٦ إعجاب الرشيد بشعره
- ٢٥٠ أول من أحدث التخنيث في الغناء
- ٢٥٠ قصته مع نافذ حاجب جعفر البرمكي
- ٢٥١ مع زهراء الكلاية
- ٢٥٤ أول صوت وآخر صوت صنعه
- ٢٥٦ نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء
- ٢٥٨ مهاجته محمد بن راشد
- ٢٦١ غنى في شعر مكتوب في بساط

٢٦٥	دقته في الوصف
٢٦٦	كثرة حفظه لأهزاج القدماء
٢٦٩	عاتب الخليل بن هشام بشعر
٢٦٩	إختيار حفظه
٢٧٠	حواره مع علوية عند الواثق
٢٧٥	الواثق يباريه في التلحين
٢٧٦	نسبة هذين الصوتين
٢٧٩	نسبة هذا الصوت
٢٨١	مكايدة عبد الله بن طاهر له
٢٨٥	شعره في الواثق
٢٨٦	قصته مع تل عزاز
٢٨٨	تحليل غنائه
٢٨٩	تشبيهه لصوت له
٢٩٠	شعر علي بن هشام
٢٩٠	نسبة هذا الصوت
٢٩١	شعر صباه
٢٩٢	ضَعَفَ بصره
٢٩٤	جفاء المأمون
٢٩٥	كان الناس يتهادون ألحانه
٢٩٦	شعر الأصمعي فيه
٣٠٤	أشعار في الفروسية
٣٠٥	حدث الرشيد عن البرامكة
٣٠٨	أخطأ المعتصم في شعر لأبي خراش فصوّبه
٣١٠	ذعر المغنين منه
٣١١	مدح سفينة للأمين
٣١٥	رثاؤه هشيمة الخمارة
٣١٧	عند اسحاق المصعبي
٣١٨	لما كُفَّ بصره

- ٣٢٤ مع جارية في الطريق
- ٣٢٥ جوابه عن أحجية
- ٣٢٥ تطفله على بيت
- ٣٢٧ نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني
- ٣٢٨ في دير مريم
- ٣٢٩ نسبة هذا الصوت
- ٣٣٠ مرضه ووفاته
- ٣٣١ ما رثاه به الشعراء
- ٣٣٤ ومما في المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم